مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية القديمة

١٣٤٣هـ - ١٣٨٥هـ

المَجْمُوعَة الثَّانِيَة

الجزء الرابع

جَمْعُ وتَرْتِيبُ

أحمد بن عبد العزيز الجماز   عبد العزيز بن صالح الطويل

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقالات كبار العلماء

في

الصحف السعودية القديمة

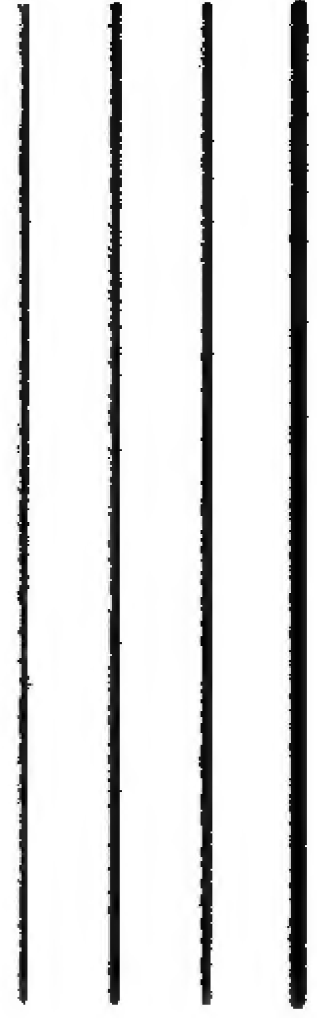
(٤)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣ فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦
www.facebook.com/DARATLAS
twitter: @ dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

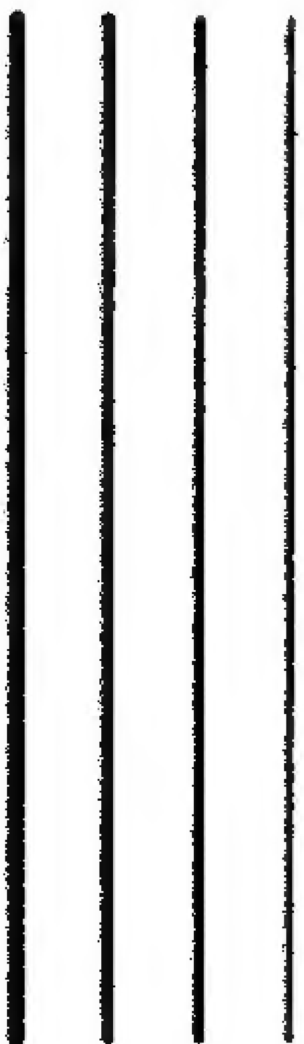


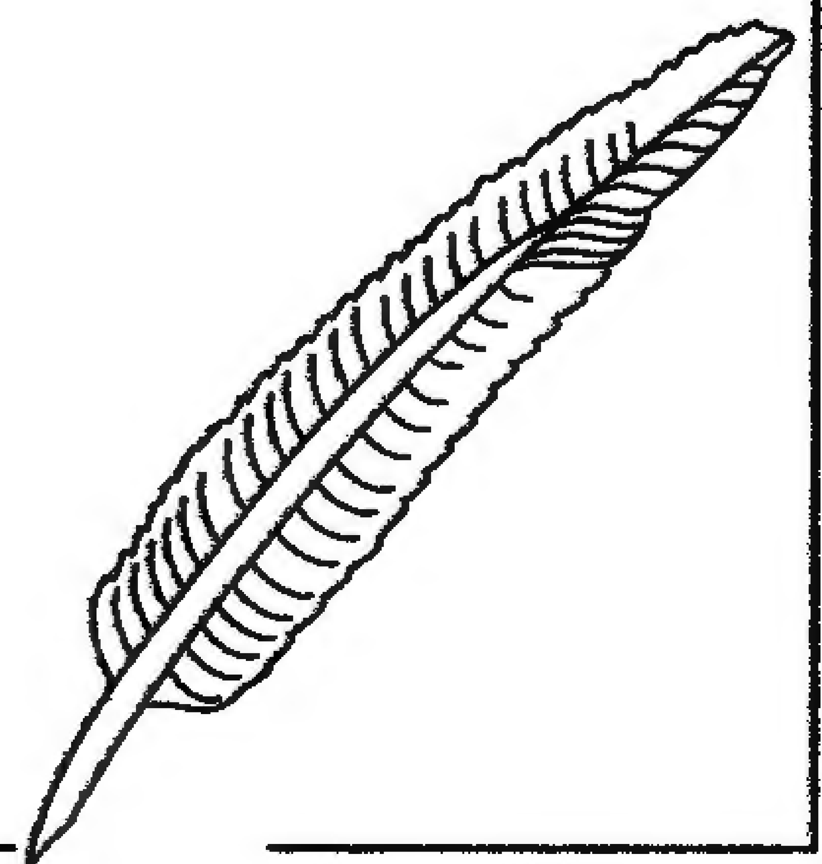
[يتبــع]

مقالات الشيـخ

عبد اللّٰه بن عبد الغني الخياط رحمه الله

١٣٢٦هـ - ١٤١٥هـ





فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص(١)

[١]

إن من الأهمية بمكان أن تتخذ الأمة من سير أبطالها وعباقرتها والشخصيات اللامعة في تاريخها نهجًا تتهجه، وقبسًا تستضيء بسناه، وهدفًا تركز فيه نهضتها وتقيم عليه صرح مجدها.

ولئن كان لغيرنا من يفاخرون بهم وبتاريخهم وآثارهم، كرموز للنهوض، وأعلام للتحرر، وكمصلحين وفلاسفة إلى آخر ما هنالك، فإن تاريخ الأمة العربية المجيدة حافل بمن تعاظم وتعتز به من العباقرة الموهوبين أبطال السياسة، والقيادة، وحاملي أعلام الهداية، ومشاعل العرفان، وواضعي أسس الحضارة والتمدن الإسلامي، ولعل صفحات «المنهل» الأغر تتسع لنشر بعض التراجم واللمع عن طائفة من رجالات الإسلام وحماته، إذ في ذلك متعة الروح، وصلة الحاضر بالغابر، وسبيل لمن يجنح إلى الدلجة على سنن قويم ونهج حصيف.

في ربوع بني زهرة حيث المناظر الخلوية الأخاذة، والأزهار البهيجة العطرة، والحياة الفطرية المرحة المبسطة، وعلى مقربة من البيت الحرام، وفي رحاب الحمس أنجب مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي وليدًا ميمون النقيبة، محمود الطالع، مجدود الحظ، ذلك هو سعد بن أبي وقاص زين مواليد بني زهرة، ومن خير من شب عن المهود.

نشأ سعد وترعرع كما ينشأ فتيان العرب الأقحاح، نشأ على جملة من الأخلاق الفاضلة، هي في مجموعها خير ما توحي به البيئات العربية، وخير ما ينطبع في نفوس الناشئة منذ نعومة الأظفار، وغضونة الأجساد، نشأ سعد على

(١) صحيفة المنهل - رجب وشعبان ١٣٧٠هـ.

الصراحة في القول، وصدق اللهجة، وسماحة النفس، وصفاء الطوية، وحرية الضمير، والثبات على المبدأ، ورباطة الجأش، والشجاعة في منازلة الأقران، ومصارعة الأهوال، والصبر على الشدائد، وكل هذه الخلال الكريمة كان لها أبرز الأثر في حياة سعد وأطيبه، وبها استطاع سعد أن يشق طريقه في الحياة وأن ينفض عنه غبار التقليد، وأن يكوّن له رأيًا مستقلًا، يناهض به آراء قومه وشيوخ عشيرته، وخاصة في الناحية الدينية والخلقية.

وبعبارة أوضح: استطاع سعد بحصافته، وسديد تفكيره، ورجاحة عقله أن يفكر في حياة أرحب، ونطاق أوسع، من نطاق حياة الجاهلية المهلهلة المرقعة، ذات الأصباغ والألوان والمذاهب المتداعية التي لا ترتكز على عقل رشيد، أو منطق سليم، ولا يهيمن عليها دين صحيح، أو مبدأ قويم، وكانت أولى محاولاته الرشيدة أن استجاب لداعي الحق إذ دعاه، ونبذ كل ما كان سائدًا في الجاهلية جمعاء، من عقائد، ونحل، وأخلاق، وعصبيات، وعناء، بلغت بهم أقصى دركات الانحطاط والاستخذاء والاستعباد، وزايلهم بها الرشد، وانحرفوا عن جادة الحق وطريقه القويم.

اعتنق سعد الإسلام دينًا، له ما للأديان السماوية من القداسة والحرمة والتعظيم والاستسلام، وانضوى إلى حصيرته سابع سبعة، ولما يتم بعد العقد الثاني من عمره، وخالطت بشاشته قلبه واستنارت به جوانب نفسه.

لم ترق هذه الخطة المثلى التي رسمها سعد لنفسه في نظر قومه والأدنين من عشيرته، فانهالوا عليه تعنيفًا وتبكيتًا وتسفيهًا وتحميقًا وتضليلًا، دأبهم مع كل من صبأ- على حد تعبيرهم- واعتنق الدين الجديد الذي قوض صروح الآلهة وأذلها وأنزلها إلى الحضيض، الدين الذي سفه الآراء لتقليدها الأعمى للآباء والأسلاف دون تبصر أو تمحيص، الدين الذي يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث والأرجاس .. هذا الدين الذي استهدف من أجل احتضانه سعد وغير سعد من المسلمين السابقين إلى الأذى والتنكيل والضرب والتعذيب .

ولكن سعدًا الرشيد المؤمن الصادق في إيمانه لم يكن شيء من ذلك ليفت في عضده، أو يعدل به عن قرار رسمه لنفسه ودين ارتضاه ومبدأ اعتنقه، حتى أمه أحب الناس إليه، وأعظمهم منزلة من نفسه، لم يكن غضبها عليه من أجل إسلامه ليحوله أو يصرفه عما نزع إليه واختاره وارتضاه، ولقد فعلت أم سعد الأفاعيل؛ فأضربت عن الطعام والشراب، ولبثت في الشمس ثلاثًا مكدودة مجهودة، محاولة بذلك التأثير عليه، ولما لم يعر ذلك اهتمامًا[1] دعته قائلة : يا سعد، أين برك وطاعتك ؟ أين عطفك وحدبك ؟ أبهذا يأمرك دينك ؟ إني لأنظر إلى الموت، وقد تابع إلى قفزاته، وعما قريب سوف أكون من الهالكين، ولئن كان ذلك فسوف تعيرك العرب بي، وتقول : هذا قاتل أمه، أفيرضيك هذا ؟ هلا أبقيت عليّ يا بني، ورحمت أمومتي وأطعتني فيما أريده من العودة إلى دين آبائك وأسلافك فرضيت عنك الآلهة وقرت بك عيني ؟

فرد عليها سعد في حزم وصرامة، قائلًا : يا أماه تعلمين والله، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فعاودي ما تركتيه من طعام وشراب وراحة ومتعة، وأنا على عهدك من البر والطاعة في غير معصية الله، وإحسان صحبتك، وذلك ما يفرضه عليّ ديني نحوك . ثم أخذ يردد قوله الله تعالى : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: الآية ١٥] .

واجتاز سعد هذا الدور الرهيب الحافل بالمتاعب والعنت والإرهاق متدرعًا

(١) بعده في الأصل : « ما » . وهو خطأ .

بالصبر، موطدًا العزم على التضحية، مؤمنًا أن للباطل جولة ثم يضمحل ويتلاشى، وإن هو إلا الغثاء والزبد الذي سوف يجرفه تيار الحق وسلطانه الغلاب، جازمًا بتحقيق وعد اللّٰه تعالى الذي قطعه على نفسه لعباده في محكم آياته، حيث يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النّور: الآية ٥٥].

ويرهف سعد سمعه إلى تعاليم الدين الجديد، دين الفطرة، ثم يأخذ بما أخذ به صحبه من الفرار بدينهم من وجه الظلم والطغاة المارقين إلى شعاف الجبال؛ إذ كانوا قلة في العدد والنصير، يذكرون اللّٰه تعالى ويمجدونه، ويخلصون له العبادة، ويصلون إليه، ويأبى الظالمون إلا التمادي في الغي، ولا يغال في النكاية والإسراف في الإيذاء والمضايقة فيعمدون إلى تعقب المسلمين وتتبعهم في غدوهم ورواحهم واتجاهاتهم وكل محاولاتهم، ويعثرون على سعد في نفر من صحبه، وقد نبذوا الدنيا وراءهم ظهريًا، واتجهوا بقلوبهم إلى اللّٰه العظيم خالقهم يصلون له مخبتين، ويهول المشركين هذا الموقف البالغ أقصى حدود الروعة والجلال، وتدور برءوسهم حميًا حب الآلهة، ويستفزهم الشيطان فيناكرون المسلمين، ويعيبون عليهم دينهم وما يصنعون، وإذا الحماس يبلغ بالمسلمين أشده، وإذا غريزة حب الانتقام تتحرك في النفوس؛ انتقامًا لحرمة الدين المنتهكة، وذودًا عن كرامته المهدورة، وإذا سعد الشجاع يتقدم الرفاق، ويهوي بلحيي بعير على أم رأس أحد الباغين فيشجه، وما أن رأى الطغاة جرأة سعد وإقدامه وصلابته في دينه حتى لاذوا بالفرار لا يلوون على شيء.

وهذه أولى مغامرات سعد الناجحة، عنون لها التاريخ بحروف كبيرة في أبرز صفحاته، وعدها أول حادثة من نوعها أهريق فيها دم للطغيان بيد سعد فارس الإسلام رضي اللّٰه عنه.

فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص[(١)]

[٢]

استعرضت في مقالي الأسبق موضوع إسلام سعد، وما اكتنفه من متاعب، وما اعترضه من عقبات ذللها سعد وتغلب عليها، وفي مقال اليوم إلماع ببطولة سعد النادرة وشخصيته الجذابة ونضاله في سبيل المبدأ، ومبلغ ما كان يتمتع به من الحظوة والتقدير في عصر النبوة النضير.

نضال سعد وبلاؤه الحسن:

تفاقم الخطب وضاق المسلمون ذرعًا بأحابيل المشركين وتعسفهم واضطهاداتهم وإعناتهم وصلفهم وشديد أذاهم، فتجمع منهم رهط من أولي الشجاعة والبأس والنجدة؛ كان من بينهم سعد، وذهبوا إلى رسول اللَّه ﷺ يستأذنونه في رد حيف المشركين بمنازلتهم ومقابلة عدوانهم بالعنف والمصادمة، وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي أمام تصرفهم الطائش، وكان مما قالوه في أسلوب منطقي رصين: يا رسول اللَّه، لقد كنا أعزة ونحن على الشرك والضلالة، أفبعد أن منّ اللَّه علينا بالإسلام نغدو أذلة؟ ولكن الرسول الكريم الذي لا يصدر إلا عن وحي سماوي، ولا يتصرف إلا بتدبير إلهي، ردهم بلطف قائلًا: «كفوا عنهم إني لم أومر بقتالهم»[(٢)].

بيد أن أمد المسالمة والموادعة لم يطل، فكانت الهجرة إلى المدينة، وكان سعد في طليعة المهاجرين، وبها قويت الروح المعنوية، وعظمت شوكة

(١) مجلة المنهل - راجع العدد السابع الصادر في رجب من مجلة المنهل.

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٨٦)، والبيهقي (٩/١١) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، بنحوه. وعندهما: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له توا النبي ﷺ. وقال الألباني: صحيح الإسناد. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ١١١.

المسلمين، وعز جانبهم.

وشاء اللّٰه أن يديل للحق من الباطل، ويخضد شوكة الشرك، ويوقف الطغيان عند حده، فأذن لرسوله ﷺ في امتشاق الحسام، وانتضاء السيوف من الأغماد؛ وكانت أولى الوسائل التي عمد إليها الرسول ﷺ لمضايقة قريش؛ ضرب حصار اقتصادي على صادراتها ووارداتها؛ بغية إضعاف مواردها، وتحطيم سطوتها، فكانت السرايا، وكانت الغزوات، ولمع نجم سعد في سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ، وقد اصطدمت السرية بأبي سفيان بن حرب صاحب تجارة قريش، في جيش يفوقها عددًا، وكانت الحظوة لسعد برشق هذا الجيش اللجب[١] بأولى سهامه، وعاد التاريخ مرة ثانية يسجل بطولة سعد، ويشيد بذكره، ويفخر أن كان سهمه أول سهم رمي به في الإسلام، وعاد سعد ينشد أبياته المشهورة:

ألا هل أتى رسولَ اللّٰه أني حَمَيتُ صحابتي بصدور نبلي
أذودُ بها أوائلَهُم ذِيادًا بكل حُزُونة وبكل سهلِ
فما يعتدُّ رامٍ من معد بسهم مع رسول اللّٰه قبلي

ثم تتابعت السرايا تعززها الغزوات، وسعدٌ قطب رحاها، وابن نجدتها، فهذه سريته إلى الخرار من أرض الحجاز يغذ فيها السير، ويستحث الخطى؛ ليعترض عيرًا لقريش، فيصادرها ويشل حركتها، وينكب قريشًا في الصميم.

ثم يكون سعد في سرية عبد اللّٰه بن جحش الأسدي للغرض نفسه، ويكون مع رسول اللّٰه ﷺ في غزوة بواط يحمل لواءه- وبواط جبل لجهينة ناحية رضوى- ثم تكون غزوة بدر الكبرى فينهض سعد فيها بدوره وتنشب المعركة فيصول فيها ويجول، وكان أصدق وصف له قول عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه

(١) اللَّجَبُ: ارتفاع أصوات الأبطال باختلاطها. «المعجم الوسيط».

عنه : رأيت سعدًا يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل(١) .

واشترك مع رجلين ممن حضر المعركة فيما يصيبان من الغنيمة ، فجاء سعد بأسيرين ، ولم يظفر شريكاه بشيء .

ثم تكون بعدها غزوة أحد ، ويبلوا سعد فيها بلاء حسنًا ، ويناضل نضال الأبطال ، ثبت حين انهزم الناس ، وصمد للعدو وقد تحرج الموقف ، وذاد عن رسول اللَّه ﷺ ، وقد أحدق به الخطر ، وكان سعد سديد الرماية فنثر له رسول اللَّه ﷺ كنانته ، وأخذ يلهب فيه الحماس ، ويشحذ عزمه ، ويقول : « ارم سعد فداك أبي وأمي ، ارم وأنت الغلام الحزور » . قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه : ما سمعت رسول اللَّه ﷺ يفدي أحدًا بأبويه إلا سعد بن مالك ، يعني : ابن أبي وقاص(٢) . وكانت بنت سعد بعد ذلك تقول مفتخرة معتزة بهذه المنقبةِ : أنا بنت المهاجر الذي فداه رسول اللَّه بالأبوين(٣) .

وقد أحصي ما قذف به سعد في هذه الواقعة من السهام فبلغ ألف سهم ، وهو رقم قياسي قلّ أن يبلغه إلا المغاوير الأفذاذ ، مع السداد والنكاية بالعدو .

وجملة القول : أن سعدًا حضر كل المشاهد مع رسول اللَّه ﷺ ، وكان من أولئك الموهوبين الذين يستطيعون بما أوتوا من حنكة ومراس ودربة أن ينظموا الصفوف ويغيروا مجري الحوادث ، ويسيطروا على الموقف مهما كان خطيرًا ، ويكسبوه لصالحهم ؛ ومن ثم كان يدعى بفارس الإسلام .

شخصية سعد :

وبعدُ : فإن شخصية سعد وعبقريته وأعمال بطولته وكريم خلاله لمما يبعث

---

(١) أخرجه ابن سعد (١٤١/٣) ، ومن طريقه ابن عساكر (٣٢٠/٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٤) من حديث علي رضي اللَّه عنه ، بدون : « وأنت الغلام الحزور » وبهذه الزيادة أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣١٢/٢٠) .

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٣٠١) عن عائشة بنت سعد .

على التساؤل عما إذا كان لسعد بين المجموعة الإسلامية من الرعيل الأول مركز مرموق ، أو مكانة ذات بال ، أو حظوة تحوطه بهالة من الرعاية والتقدير ؟ أجل إن ذلك بدهي لا يحتاج إلى تدليل ، يعرفه كل من له أثارة من علم بالسير ، أو إلمامة بالتاريخ الإسلامي ، أو دراسة للقصص العربي .

فثمة قصة سبقه بالإسلام ، وإراقته أول دم في سبيل اللّٰه ، ورميه بأول سهامه من أجل نصرة الدين ، وفداء الرسول ﷺ له بأبويه ، ثم قصة مباهاة الرسول أصحابه بخؤولة سعد وقوله : « وهذا خالي فليرني امرؤ خاله »[1] .

كل ذلك له قيمته وأثره في المجموع ، وله خطورته وجلاله ، وهو مما يضفي على شخصية سعد التجلة والإعظام ، ويشعر بمدى ما كان يتمتع به من مركز ممتاز ومكانة سامقة ، ثم قصة حراسته للرسول ﷺ ، وقد أرق ليلة في المدينة ، نستمع إليها من السيدة عائشة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها ، لما تكشف عنه من عظيم المكانة التي كان يحتلها سعد من نفس النبي الكريم .

تقول السيدة عائشة رضي اللّٰه عنها : أرق رسول اللّٰه ﷺ ذات ليلة فقال : « ليت رجلًا صالحًا يحرسني الليلة » . قالت : إذ سمعنا صوت السلاح ، فقال : « من هذا ؟ » قال : أنا سعد بن أبي وقاص ، جئت أحرسك يا رسول اللّٰه . قالت : فدعا له ، ثم نام حتى سمعت غطيطه »[2] .

ثم القصة الطريفة ؛ قصة عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص وما كان من احتياله على سعد في المبيت عنده ؛ رغبة في استطلاع دخيلته ، وكشف ما يكون من معاملته ربه في الخلوة ؛ كي يقتدي به ، فيبلغ ما بلغه سعد من علو الدرجات ورفيع المنزلة .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) من حديث جابر رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٥، ٧٢٣١)، ومسلم (٢٤١٠) .

قال أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه : بينا نحن جلوس عند رسول اللّٰه ﷺ فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول ، حتى إذا كان الغد ، قال رسول اللّٰه ﷺ مثل ذلك ، قال : فطلع سعد على ترتيبه . فلما قام رسول اللّٰه ﷺ ثار عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، فقال لسعد : إني غاضبت أبي ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني حتى تنحل يميني ؟ قال سعد : فعلت . قال أنس : فزعم عبد اللّٰه بن عمرو أنه بات معه ليلة ، حتى إذا كان الفجر ، فلم يقم من تلك الليلة شيئًا ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر اللّٰه وكبره ، حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلي المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطرًا . قال عبد اللّٰه بن عمرو : فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرًا ؛ فلما مضت الليالي الثلاث ، وكدت أحتقر عمله ، قلت : إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول اللّٰه ﷺ قال ذلك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت ، فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما عملت فأقتدي بك ؛ لأنال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول اللّٰه ؟ قال سعد : ما هو إلا الذي رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين سوء ، أو لا أنوي له شرًا ، ولا أقوله : قال عبد اللّٰه بن عمرو : هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا أطيق[1] .

وهذه القصة تحكي لنا الشيء الكثير عن مثالية سعد ، وعن مبلغ الشعور برفعة مقامه ، وسمو مركزه ، وعلو كعبه ، ومبلغ حرص الصحابة على الخير ، واقتفائهم أثر الصالحين ، رضوان اللّٰه عليهم أجمعين .

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦/٣) ، والنسائي في الكبرى (١٠٦٩٩) ، والبزار (٦٣٠٨) ، وليس عند أحمد والنسائي ذكر سعد ، بل قال : « رجل » . وضعفه الألباني في ضعيف المشكاة (١٧٢/١) .

فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص

[٣]

عرضت في المقال السابق لنواحي بطولة سعد وشجاعته ولحظوته بالمركز المرموق بين المجموعة الإسلامية في الصدر الأول ، وبالمنزلة الرفيعة في نفس الرسول ﷺ

وفي مقال اليوم يجد القارئ الكريم رقى نافعة وزهدًا وورعًا حقيقيين كانا من أبرز خلال سعد وانطباعاته ، ورقة وشعورًا نفسيًّا غامرًا غالب بهما سعد النوازع والخطرات .

العطف النبوي على سعد :

أشفق رسول الله ﷺ على سعد من علة ألزمته الفراش واشتدت وطأتها عليه ، وذلك عام حجة الوداع ، فقدم عليه يعوده ، ولبث معه ساعة من الزمن ، يسليه ويعزيه ويرفه عنه ويشاطره متاعبه ويخفف عنه أحزانه وآلامه ، ويرقيه ويدعو له .

وكانت تلكم الوعكة والساعة التي قضاها الرسول الكريم بجوار سعد هي أجمل الذكريات في دنيا الماضي الحافل بالذكريات .

ولم تكن هذه الفترة المباركة من الزمن والتي قضاها الرسول بجانب سعد لتفوت على المجموعة الإسلامية فرصة الاستفادة والدرس والاقتباس من هدي الرسالة ، بل لقد أفادت منها تشريعًا وحكمًا إسلاميًا ، هو في الطليعة بالنسبة لأحكام المواريث ، وهو الدعامة للمجتمع الصالح من حيث محاربته للفقر أحد عناصر الثالوث البغيض .

وقد كشفت محاورة سعد للرسول ﷺ في هذه الجلسة عن معجزة نبوية تحققت بمرور الزمن ، تلك هي إخبار الرسول ﷺ من طرف خفي بالفسحة

لسعد في الأجل ، وبحدوث أحداث يكون لسعد فيها أروع الأثر ، وعدى ذلك هذه الرقى النبوية النافعة ، والتي كان فيها لسعد علاج ناجع وبلسم لأحزانه وترياق لعلل الحياة ومتاعبها .

ثبت في الصحيحين[(١)] بالسند المتصل ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ جاء يعوده عام حجة الوداع من وجع اشتد به ، قال : فقلت : يا رسول اللَّه ، إني ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : « لا » . قلت : فالشطر يا رسول اللَّه ؟ قال : « لا » . قلت : فالثلث ؟ قال : « الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك » . قلت : يا رسول اللَّه ، أخلف بعد أصحابي ؟ فقال : « إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه اللَّه إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون » . ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، ثم وضع رسول اللَّه ﷺ يده على جبهة سعد فمسح وجهه وصدره وبطنه ، وأخذ يرقيه ، ويقول : « اللهم أذهب عنه البائس ، إله الناس ، ملك الناس ، أنت الشافي لا شافي له إلا أنت ، بسم اللَّه أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ؛ من حسد وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه واكشف سقمه وأجب دعوته » . قال سعد : فما زلت يخيل إلى أني أجد برده على كبدي حتى الساعة .

وسئل عامر بن سعد عن قول رسول اللَّه ﷺ لسعد : وعسى أن تخلف فينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون ؟ فقال : أمر سعد على العراق فقتل أقوامًا على الردة فضرهم ، واستتاب قومًا كانوا سجعوا سجع مسيلِمة الكذاب فانتفعوا به ، وإن في

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥، ٣٩٣٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .

فتوحاته العظيمة لبلاد الأكاسرة ، وثل عروشهم ، وتداعى دولتهم على أعقاب سعد . إن في ذلك لخيرًا ونفعًا عظيمًا للإسلام ، وضررًا بالغًا بالمجوس .

رقة سعد وزهده :

كان سعد رضي اللَّه عنه واكف العبرة ، سخين الدمع يتململ تململ السليم ؛ كلما مرت به المواعظ والعبر ، أو خلا بنفسه فاستذكر المعاد ، وما يكون من هول الموقف ومناقشة الحساب ، وما وراء ذلك من حياة سعادة أو بلاء وشقاء دائمين . هذا مع اطمئنانه لمصيره وبشارة الرسول ﷺ له بالجنة وثقته بوعد اللَّه .



فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص(١)

[٤]

سعد بين الإمارة والقيادة :

أسدل الزمن ستوره على عصر النبوة ؛ حيث لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى ، وهو راض كل الرضى عن سعد ، وقلب التاريخ لسعد صفحة جديدة سجل له فيها المواقف المشهودة والمآثر الحميدة والسياسة الحكيمة والقيادة الرشيدة ، وذلك ما سنعرض له في مقال اليوم ، والمقالات التالية بعده إن شاء اللَّه .

تمت البيعة للصديق رضي اللَّه عنه ، فكان يرعى لسعد حقه وسابقته وحسن بلائه وعظيم جهاده ، ويعطف على وشيجة الرحم التي كان يدلي بها سعد إلى الرسول الكريم ، واستعمله على صدقات هوازن قبل نجد ، فكشف بذلك عن مواهب سعد المكتنزة وكفاءته النادرة ، وخاصة في الأمور المالية التي تتطلب الدقة ، ولا يضطلع بأعبائها إلا من توفرت فيه مجموعة من صفات الكمال في طليعتها النزاهة والعفة ، وما إلى ذلك ، وحسبنا بالصديق حنكة وبعد نظر ومعرفة بالرجال .

وآلت الخلافة إلى الفاروق عمر رضي اللَّه عنه ، فلم يغير من وضع سعد شيئًا ، بل أبقاه على ما كان عليه في عهد الصديق إلى حين تطورات حروب فارس ، واستنفار أمير المؤمنين عمر للقبائل وإعلانه التعبئة العامة وكتابته لأمراء الأجناد والبلدان والعمال باستنهاض أولي البأس والشجاعة والنجدة من وجوه العرب ؛ لانتدابهم لحرب الفرس وغزوها في عقر دارها ، جزاء وفاقًا لطغيانهم وإجلابهم وتألبهم على المسلمين ، وكان ممن كتب له في ذلك سعد ، فجاءه منه جواب

---

(١) مجلة المنهل ١٣٧١/٢٢هـ .

رصين حصيف امتلأ به أمير المؤمنين ثقة ، وأدرك منه مدى إخلاص سعد لقضية الإسلام ونصحه للولاية ومبلغ إذعانه وصدوعه بأمر خليفة المسلمين وولي أمرهم .

ومما جاء في كتابه : إني قد انتخبت لك ألف فارس ، كلهم له نجدة ورأي ، وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم .

وكان لهذا الكتاب أثر بارز ، إذ وافق استشارة الخليفة كبار صحابته وإجالة الرأي معهم في اختيار من يعهد إليه أمر القيادة العامة لهذا الجحفل الجرار الذي ضم وجوه العرب وسادتها ، وحماة عربتها ، وخطباءها ، وشعراءها ، وقراءها ، ووعاظها ، وأولي البأس والشجاعة من أبطالها .

وقرأ الخليفة كتاب سعد بمسمع من أصحابه ، فاستروحوا منه الحزم والعزم والصرامة والرأي السديد والتدبير الصائب ، وذلك بعض ما يعرفونه عن سعد المجاهد ، فأجمعوا أمرهم على استقدامه ورمي الفرس به ، وليضطلع بأعباء قيادة جيش فيه جهد الأمة العربية ، من حيث العدة والعدد ، ومن حيث الرجال والعتاد ، وقالوا للفاروق : قد واللّٰه وجدته الأسد عاديًا سعد بن مالك - أي : ابن أبي وقاص- فاستقدمه الخليفة وقلده القيادة العامة لجيش فارس ، وأوصاه بوصايا رائعة حربة أن تجعل في طليعة اللوائح التي يزود بها القواد والأمراء كدستور ينتهجونه وخطة لا معدى لهم من تطبيقها والسير عليها .

وقد كان سعد رضي اللّٰه عنه ، عند حسن ظن الخليفة ، إذ إنه لم يحد قيد شعرة عن كل ما رسمه له الخليفة ، بل لم يكن يصدر في الصغير أو الكبير من الأمور إلا عن رأيه ، رغم بعد الشقة وطول المسافة وانعدام المواصلات ووعورة المسالك ، حتى جاء نصر اللّٰه ، وفتح اللّٰه على المسلمين وأدال لهم من عدوهم .

فكتب سعد للخليفة كتابه المشهور، الذي يعتبر بحق، تحفة رائعة في الأدب الرفيع والأسلوب المتين.

قال سعد: أما بعد، فإن اللّٰه نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها، فلم ينفعهم اللّٰه بذلك بل سلبهموه، ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وعلى ضفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين (سعد بن عبيد) القارئ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم، اللّٰه بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن الليل عليهم دوي النحل، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم.

وكتاب سعد هذا أشبه بالبلاغ الحربي يصدره مركز القيادة العامة للجيش؛ إثارة للرأي العام، وحفظًا لمعنوية الجيش، وقد صور فيه سعد الحقيقة واضحة، وقرر الواقع دون تلبيس أو تدليس، ودون مبالغة أو صلف، ورثى الهالكين من أفراد الجيش، وتحدث عن بلائهم، وصدق لقائهم للعدو، وقوة شكيمتهم، وشدة بأسهم وجلدهم في مصابرة الخصم، ومغالبته إلى جانب تعبدهم وأزدلافهم القربى، وابتغائهم من فيض اللّٰه وكرمه، ولم يغمط بقية الجيش حقه، إذ ألمع إلى تضامنهم مع من سبقهم بالتضحية بالنفس والاستشهاد في سبيل اللّٰه بقوله: ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم.

ومن الخير أن لا نمرَّ بهذا الفتح العظيم دون أن نعرض لسياسة سعد الرشيدة التي ألف بها بين أفراد جيش تكتل تحت راياته وجوه العرب وأشراف العشائر، وكل منهم يدلي بمكانته وعزه وشرفه، وأقل ما يرنو إليه ألا تقتطع الأمور دونه، وأن يكون له في الملأ صوت مسموع ورأي محترم.

وإن خير ما يصور لنا نهج سعد الذي انتهجه والخطة التي رسمها لسياسة هذا الجيش، هي تلك الفقرة الخالدة التي كثيرًا ما رددها التاريخ، ونعت بها حذاق السياسة، وهي: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف. تلكم هي الطريقة المثلى التي استطاع بها سعد المحنك أن يتصرف وأن يضع الحق في نصابه، وأن يكون من أولئك الزعماء والسادة شيعة وحزبًا يشد أزره، وتقوى به شكيمته، فيتغلب على الخصم العنيد الذي كان يفوق المسلمين في العدد والعدة.

خطب فيهم مرة قبل أن ينشب القتال خطبة يستثير بها حميتهم، ويلهب حماسهم، ويحثهم على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، ويحضهم على التضامن، ويحذرهم عاقبة الفشل والتدابر، فقال: أنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعز من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع اللّٰه لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحدًا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم.

وإلى جانب هذه السياسة الحصيفة الوادعة تأتي سياسة الشدة؛ إذ يتطلبها الظرف وملابسات الأحوال ومقتضيات الواقع، فسعد رضي اللّٰه عنه لم يكن ممن يقعقع لهم بالشنان، ولم تكن لتلين قناته، أو تخور عزيمته عندما تجابهه الأحداث أو عندما يلحظ تفريخ الشيطان بين صفوف جيشه؛ ليحدث فيه التصدع والتفكك، بل كان يعالج ذلك بحزم وصرامة غير مكترث بما لعله أن ينجم عن ذلك من إثارة الحفائظ وتغيير القلوب عليه.

حدّث ابن جرير(١) عند سرده حوادث القادسية فقال: كان بسعد عرق النساء ودماميل؛ فاستخلف على الناس خالد بن عرفطة، فاختلفوا عليه، فقال سعد: احملوني واشرفوا بي على الناس، فارتقوا به فأكب مطلعًا عليهم من

---

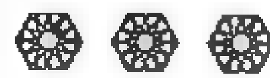
(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/٤٠٧). حوادث سنة أربع عشرة.

القصر، والصف إلى جانب القصر، يأمر خالدًا فيأتمر بأمره ويبلغه الناس، وكان ممن شغب بعض وجوه الناس فهمَّ بهم سعد وشتمهم، وقال: أما واللَّه لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالًا لغيركم، ثم حبسهم وقيدهم في القصر، وقال: واللَّه لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم إلا سننت به سنة يؤخذ بها من بعدي.

بهذا المزيج من اللين والشدة، وهذا اللون من السياسة الحكيمة، والتصرف المحمود، ذلل سعد الصعاب، وتغلب على المتاعب، وحفظ التوازن في الجيش، فرضي وأرضى، وحمد العاقبة، وضمن النصر.

واستمر سعد في فتوحاته الموفقة، وحملاته المظفرة، وأعماله الحربية الناجحة ضد أعظم دولة كانت تعاصر الإسلام في شرق الجزيرة، حتى احتل عاصمتها، ودك حصونها، وفل جيوشها العاتية، وقضى على كبريائها، ودخل إيوان كسرى الشهير؛ حامدًا اللَّه تعالى على هذا النصر المبين والفتح العظيم، تاليًا قول اللَّه تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨].

وصلى في الإيوان صلاة الفتح ثماني ركعات، لا يفصل بينهن بسلام؛ أسوة برسول اللَّه ﷺ حين دخل مكة، إذ تم له فتحها.



فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص

[٥]

أعمال سعد العمرانية في العراق :

يعتبر سعد رضي اللّٰه عنه واضع اللبنة الأولى ، والحجر الأساسي في بناء (الكوفة) تلك المدينة ذات الشهرة والأثر اللامع في التاريخ الإسلامي ، ذلك أنه كتب لأمير المؤمنين عمر ، وقد سأله عن سبب تغير سحنات العرب وهزالهم ممن شهد حرب فارس ، فكتب إليه سعد يقول : إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة . وعندئذ أمر الخليفة سعدًا بارتياد موضع معتدل المناخ يجمع بين رخاوة نسمات الفرات العليلة المنعشة ، ورياح الصحراء النقية الجافة ، مع مراعاة عدم وجود حواجز تفصل المسلمين عن عاصمة الخلافة .

فوقع اختيار سعد بالاشتراك مع رائدي الجيش سلمان وحذيفة على موضع الكوفة شمالي القادسية ، وغربي الفرات ، وارتحل إليها سعد بمن رغب من الجند المرابط في المدائن ، وكتب لأمير المؤمنين بموقعها واعتدال مناخها وخصوبة تربتها ، وبما كان من أمر النقلة إليها ، وقد اختط فيها سعد المسجد المشهور وقصره الذي بناه من أنقاض قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة .

وعهد سعد إلى أبي الهيّاج بن مالك في وضع تصميم للشوارع حسب ما رسمه الخليفة عمر ، وابتنى الناس الدور بشكل بدائي مبسط لا أثر للزينة أو الزخرفة فيه .

قال الأستاذ النجار في تعليقه على « الكامل » لابن الأثير : والكوفة في شكلها العام تشبه أن تكون كحلوان في نظامها واتساع طرقها إذا قارنا بين ارتفاع الحيطان وسعة المناهج والطرق ، لا في الرواء والزينة ، فكانت الكوفة تجمع بين

سكنى المدن وهواء البادية وتربتها، وذلك أدعى إلى صحة الأجسام وجودة الهواء؛ لأن سعة الطرق بمثابة الرئة للجسم.

وهكذا كان تصميم الكوفة باكورة الأعمال العمرانية الإسلامية في العراق، وفاتحة عهد للتملك، وتأثل العقار خارج حدود الجزيرة والانسياح، ضمن نطاق الدولة الإسلامية، وفي حدود سلطانها.

سياسة سعد في العراق ومدى نفوذه :

ضم سعدٌ إليه الكوفة؛ أمراءَ ثغورها؛ إذ كانوا يرتبطون به بصفة كونه الحاكم الإداري لهذه المقاطعة العظيمة الممتدة حتى الموصل وقرقيسيا شمالًا، وحتى البصرة جنوبًا، ونعم سكانها بلون من طراز جديد في الحكم على يد سعد، قوامه العدل والمساواة، وأهدافه الدعاية والتبشير بالدين الإسلامي، ومد رواقه، ونشر المثل العليا ورعاية الحقوق العامة للفرد والدولة، وهو نقيض ما كان عليه الأكاسرة من الظلم، والجبروت، والعنجهية، وفرض نظام الطبقات الجائر البغيض.

سأل الخليفة عمر بعض من قدم من العراق عن سعد، فقال: تركته في ولايته أكرم الناس مقدرة، وأقلهم قسوة، هو لهم كالأم البرة، يجمع لهم كما تجمع الذرة، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس. وتلك لعمري نعوت الزعامة في أبرز مجالاتها، وأروع معانيها.

الشعب على سعد وعودته من العراق :

واستمر سعد بيده مقاليد الأمور بالكوفة ثلاث سنوات ونصف سنة، عدا ما قضاه في المدائن، ثم ابتلي بما يبتلى به المؤمنون الصادقون في إيمانهم، وعلى حد قول الشاعر العربي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

ابتلي سعد بنفر من نفايات بني أسد وسقاطهم نفسوا عليه ما يتمتع به من عز الجانب وامتداد السلطان وقوة النفوذ والرضاء التام عنه، واستثاروا ضده بعض

قبيلهم ممن يتبعون كل ناعق، فأوغلوا في الفتنة، وشدوا الرحال إلى المدينة؛ لغرض الإيقاع بسعد عند أمير المؤمنين.

ويطول بنا البحث لو أفضنا في هذه القضية وطفقنا نستعرض القصة بتمامها ونعلل ونستنتج، وحسبنا أن نعلم أن أمير المؤمنين اتخذ الحيطة في التنكيل بخصوم سعد، وجنح إلى التهدئة، ورأب الصدع، وجمع الكلمة في الظروف الحرجة؛ إذ كانت الأعاجم تتكتل وتترابط؛ لتدافع دفاع المستميت، والجيوش الإسلامية بدورها تتحفز للوثوب، وتحتشد للزحف على نهاوند.

ومن باب حسم النزاع استبقى أمير المؤمنين سعدًا بجواره؛ ليفيد من تجاربه، ويستعين برأيه وضنَّ به على قوم يؤلبون عليه ويغضون من حقه، وقال لخصوم سعد فيما قاله: لولا أن العدو بحيث تعلمون لكان لي معكم شأن.

وقد احتفظ لسعد بالأحقية والأولوية في عمله، وهو ما يشبه أن يعبر عنه في دنيا الرسميات والوظائف مع شيء من التجوز: بالاستيداع. فعندما حدثت المأساة باغتيال أمير المؤمنين عمر، أوصى الخليفة بعده بإعادة سعد إلى عمله في العراق إن أخطأه الترشيح للخلافة، وقال: إني لم أنح سعدًا عن عمله لعجز أو جبن أو خيانة، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك، وإلا فليستعن الخليفة برأيه. وهذا اعتراف صريح من أمير المؤمنين عمر بنزاهة سعد وكياسته وسديد رأيه وحسن تدبيره.

مبايعة سعد لعثمان بن عفان بالخلافة:

عندما انعقدت البيعة لعثمان رضي اللّٰه عنه بالخلافة لم ير سعد من الغضاضة عليه، وقد كان أحد المرشحين لها، أن يكون في طليعة من بارك البيعة، ومد إليها يده عن رضى واطمئنان، وطيب نفس واقتناع.

وتستوقفنا لهذه المناسبة خطبته العامرة بالمعاني السامية والأهداف الرفيعة والمبادئ القويمة الرائعة، والتي جاءت عفو الساعة لدى مداولة الرأي مع

المجلس الاستشاري الذي عين أعضاءه الخليفة عمر قبيل وفاته ، وجعل من حقه اختيار الخليفة بعده .

قال سعد رضي اللَّه عنه :

الحمد للَّه بديئًا كان وآخرًا يعود . أحمده لما نجاني من الضلالة وبصرني من الغواية ، فبهدى اللَّه فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكى ، وبمحمد بن عبد اللَّه ﷺ أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل حق ، ومات كل باطل . إياكم أيها النفر ! وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد سلبت الأماني قومًا قبلكم ؛ ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتم فاتخذهم اللَّه عدوًا ، ولعنهم لعنًا كبيرًا . قال اللَّه عز وجل : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

إني نكبت قرني ، فأخذت سهمي الفالج ، وأخذت لطلحة بن عبيد اللَّه ما ارتضيت لنفسي ، فأنا به كفيل ، وبما أعطيت عنه زعيم ، والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح ، وعلى اللَّه قصد السبيل وإليه الرجوع ، وأستغفر اللَّه لي ولكم ، وأعوذ باللَّه من مخالفتكم .

ولاية سعد على الكوفة في خلافة عثمان :

أما وقد آلت الخلافة إلى عثمان رضي اللَّه عنه وأصبح المعني بوصية سلفه الفاروق ، فلم ير مندوحة عن البدء بتنفيذ الوصية فيما يختص بسعد وإعادته إلى عمله في الكوفة ، ونزل سعد عند إرادة الخليفة عثمان في قبول الإمارة ثانية ، ولبث فيها سنة وبعض أخرى ، حيث اقتضت المصلحة إعادته إلى عاصمة الخلافة ؛ ليكون قريبًا من أمير المؤمنين ، وبذلك تم له في ولايته على الكوفة ما ينوف على أربع سنوات .

موقف سعد من الخليفة عثمان في محنته :

وحدث الانقلاب على أمير المؤمنين عثمان ، وسعد بالمدينة ، فوقف من الخليفة موقف الوفي الأمين ، والمخلص المتفاني ، والبر الكريم بكل ما في الوفاء والإخلاص والبر من معنى .

أسند ابن جرير(١) فقال : أرسل عثمان رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص ؛ ليبعث به إلى عمار بن ياسر ، يطلب منه الشخوص إلى قوم من الثائرين ، ليقنعهم بالعودة إلى ديارهم ، قال : فدخل سعد على عمار ، وقال له : يا أبا اليقظان ، ألا تخرج فيمن يخرج ؟ وهذا عليّ فاخرج معه ، واردد هؤلاء القوم عن أمامك ، فإني لأحسب أنك لم تركب مركبًا هو خير لك منه ، ودخل على عثمان يوم الدار ، وهو محصور قبل أن يقضي الله فيه بحكمه ، وخرج وهو يسترجع مما يرى على الباب ، ويستغفر ، ويقول : لم أكن أظن أن الناس يجترؤون هذه الجرأة ، وما لبث أن جاء الإمامَ عليًا ، وقال له : يا أبا الحسين ، فداك أبي وأمي ، جئتك والله بخير ما جاء به قط إلى أحد ؛ تصل رحم ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر إلى ما تحب ، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى . فقال الإمام علي : تقبل الله منه يا أبا إسحاق . وعندما ادلهم الخطب وركب الثائرون الشطط وتنكبوا السبيل ، وأبلغ سعد خبر الفاجعة بكى واسترجع ، وقال قولته الرصينة : فررنا إلى المدينة فدنينا . وقرأ قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] . ثم دعا على الثائرين بقوله : « اللهم أندمهم ثم خذهم » .



(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/٦٥٧) . حوادث سنة خمس وثلاثين .

حركة الإصلاح الديني في القرن الثامن عشر[1]

في كل فترة من الزمن ، وكلما تقادم العهد على إشعاع نور العرفان على الإنسانية ، وأخذت الشموع بعد طول اتقادها تذبل وتتلاشى ، يبدأ إشراق جديد لنجوم أخرى تلمع في سماء البشرية بلألائها ويهتدى إلى الطريق بسطوع أنوارها فتحيى في نفوس أفراده المعرفة بعد اضمحلالها ، ويتنبه الوعي بعد خموله .

ولقد كان مصلح القرن الثامن عشر « م »[2] الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجمًا من تلك النجوم اللامعة التي استضاءت بنورها الإنسانية بعد ما خبت فيها جذوة التفكير ، وأظلم أمامها سبيل الحق ، وغشيتها غاشية من الجهل ، فجاء ظهوره في الوقت المناسب .

ولد المصلح عام ١٧٠٣م- ١١١٥هـ- في بلدة العيينة النجدية ، وفي قلب الصحراء من بيت علم محافظ متمسك ، وترعرع في أحضان العلم ؛ حيث كان أبوه وجده علمين من أعلام زمانهما ، وارتشف من مناهل العلم على والده ، ثم سعى على طلب المعرفة في الحجاز والعراق .

وبلغ من طموحه أن فكر في التطواف في البلاد ؛ رغبة في الكشف عن معالم الحقيقة ، ولكن إمكانياته وقفت به عند هذا الحد ، وقد حصل على رصيد كبير في علوم الدين ، وما يتصل بها من علوم اللغة العربية ، مما هيأه للاضطلاع بمهمة الزعامة الدينية ، والقيام بواجب المصلح الذي ينير السبيل ويهدي إلى النور ، ويحمل على الرجعية ، ويصلح ما أفسده تقادم العهد على شريعة السماء التي جاء بها رسول الإنسانية محمد ﷺ ، ويبعد عنها الزيف ، ويبرزها واضحة المعالم ، غير أن المصلحين والمجددين في كل زمان ومكان كثيرًا ما يصطدمون بأطماع

(١) مجلة الحج - ١٣٨٠هـ.
(٢) أي : الميلادي .

المغرضين وأصحاب النزوات الطائشة الذين يكرهون الحد من أطماعهم ونزواتهم فيحتالون بكل الوسائل لإحباط مجهود المصلحين وإيقاف حملة الإنقاذ التي يقودها المجددون .

وقد لقي مصلح القرن الثامن عشر من العنت والإرهاق والتضييق ومصادرة الحرية ، لقي من ذلك كله الشيء الكثير ، فصبر وجالد شأن كل مؤمن بمبدئه ، مقتنع بسلامة قضيته وصحة نظرياته ، خشي خصوم المصلح من امتداد مبادئه ، وذلك طبعي ومنطقي أيضًا ؛ إذ إن البقاء للأصلح ، فجندوا له كل الإمكانيات للقضاء عليه حتى رموه بالأطماع السياسية ؛ ليوغروا الصدور عليه في داخل الجزيرة وخارجها ولدى سلاطين الدولة العثمانية ، ووصموا دعوته (بالوهابية) إمعانًا في التنفير منها ، لاعتبارها خارجة على تعاليم الإسلام ونظريات أئمة المذاهب الإسلامية المجتهدين .

وفي ظروف غير اعتيادية ، وتحت تأثير سلسلة من الاضطهادات المتعاقبة ، قرر المصلح النزوح إلى بلدة الدرعية عاصمة ملك آل سعود ، شمال الرياض ، العاصمة الحالية للمملكة العربية السعودية ، وتعاقد المصلح مع أميرها محمد بن سعود على نشر تعاليمه ، التي هي في الواقع تعاليم الإسلام الصحيح .

وكان للأمير محمد ولأولاده من بعده مع المصلح وأبنائه وأحفاده مواقف حميدة اتسع بها نطاق الإصلاح ؛ حيث تضامن السيف مع الكتاب ، لإظهار الحق تحت ظلال علم الدولة الأخضر الذي يحمل شعار الإسلام وكلمة الإسلام : (لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه) هذا الشعار في هذا العلم البارز الخفاق اجتذب إليه القلوب ، ونبه الوعي الإسلامي ، فأدرك بعد طول سبات أن هذا الصوت المدوي المنبعث من قلب الصحراء مهد الفطرة ، هو صوت الحرية ، صوت النذير باضمحلال سحب الباطل ؛ صوت التحرير ، يقود حملته مصلح الجزيرة في القرن الثامن عشر ميلادية الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ومات المصلح سنة ١٧٨٧ م- ١٢٠٦هـ- بعد أن قرت عينه بانتشار تعاليمه إلى أبعد مدى أمكن أن تنتشر إليه في الجزيرة ، وبعد أن خلفه من ذريته من حمل على عاتقه القيام بالدعوة إلى مبادئه ، التي هي في الواقع مبادئ أفضل شريعة ، جاءت من السماء عن طريق منقذ البشرية محمد ﷺ ، والذي بشرت به الكتب السماوية ؛ كالإنجيل ، والتوراة .

ومات قبل المصلح رأس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود ، ولكن سيفه لم يزل مسلولًا بيد أبنائه من بعده ؛ يناصرون به الحركة الإصلاحية الدينية ، ويعاضدون خلفاء المصلح حتى الوقت الحاضر .

آراء بعض المستشرقين في الحركة الإصلاحية في القرن الثامن عشر « م » (١٢هـ) :

قال المؤرخ الأمريكي لوثرب ستودارد صاحب كتاب « حاضر العالم الإسلامي » : (فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية بحتة ؛ غرضها إصلاح الخرف ونسخ الشبهات ، وإبطال الأوهام ، ونقض التفاسير المختلفة ، والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام ، والأخذ به على أوله وأصله ، ولبابه وجوهره ، أي : إنماء الاستمساك بالوحدانية التي أوحى اللَّه بها إلى صاحب الرسالة صافية ساذجة ، والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجردًا ، وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام) .

قال وليمز وارسترونج في كتاب « ابن سعود » : (كذلك لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب يحارب البدع ، ويدعو إلى جمع الصفوف ؛ لإعادة مجد الإسلام ، وعبادة اللَّه بقلب سليم ، ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد ، واتهم بالإلحاد والزندقة) .

بعض من كتب عن الحركة الإصلاحية من قادة الفكر في الشرق :

قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» :

أهم مسألة شغلت ذهنه (يقصد مصلح القرن الثامن عشر) في درسه ورحلاته مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام، والتي تبلورت في (لا إله إلا الله) والتي تميز الإسلام بها عما عداه، والتي دعا إليها محمد ﷺ أصدق دعوة وأحراها؛ فلا أصنام، ولا أوثان، ولا عبادة آباء وأجداد، ولا أحياء، ولا نحو ذلك، ومن أجل هذا سمّى هو وأتباعه أنفسهم (بالموحدين) أما اسم الوهابية : فهو اسم أطلقه عليه خصومهم، واستعمله الأوربيون، ثم جرى على الألسن.

وقال الدكتور طه حسين في كتابه «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» : قلت : إن هذا المذهب جديد وقديم معًا، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر؛ لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام، كما جاء به النبي خالصًا للّٰه وحده، ملغيًا لكل واسطة بين اللّٰه والناس.

هو إحياء للإسلام العربي، وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب، فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة.

النظرية الأولى :

تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يعترف المخلوق بسلطان الإله والهيمنة عليه في جميع أموره، وله في عنقه حق التقديس والتأليه والعبودية المطلقة، فلا يلتفت إلا إليه، ولا يعلق قلبه إلا به، ولا يعترف لسلطة غيبية، وقدرة فعالة إلا لسلطته وقدرته. حتى السلطة التنفيذية التي تكون عادة للملوك والحكام، والهيئات التنفيذية يجعلها المصلح خاضعة لنظام التشريعي الإلهي،

فلا يجوز الانصياع والإذعان لهذه السلطات، ولا يحقق رغباتها إلا في حدود تشريع السماء، وهذه هي نظرية الإسلام، حيث يقول رسول السلام محمد: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

ولا يجوز- بتشديد الواو وكسرها- المصلح أن تتطامن النفوس إلا لخالقها، أو تذل وتستكين إلا لمن له حق الهيمنة عليها والتصرف المطلق فيها، وهو الله، ويؤيد هذه النظرية بقول رسول الله في خطبته التي قرر فيه قواعد العدالة الإنسانية: «إن دينكم واحد، وإن أباكم واحد، الناس من آدم، وآدم من تراب»[٢].

وتمشيًا مع واقع هذه النظرية، وتحقيقًا لأهدافها، طالب المصلح بما يأتي:

١- الإخلاص في عبادة الواحد الأحد المالك لأمور عباده، فهو وحده الذي يستحق التأليه والتوجيه إليه، وقصده في جلب النفع ودفع الضرر.

٢- الإعراض عن عبادة الطواغيت، وكل ما توجه إليه الناس بلون من ألوان التقديس والعبادة فهو طاغوت؛ سواء كان قبرًا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو جنيًا، أو غير ذلك.

٣- قطع الصلة بالقبور والمقبورين إلا في زورات خاصة يقوم بها الرجال، لا تتقيد بزمن، ولا تتحدد بوقت معين، والغرض من هذه الزيارة مصلحة الأموات لاستنزال الرحمة لهم بالدعاء والاستغفار، ولأخذ العبرة من مصيرهم، لا لغرض التبرك بهم، والتمسح بقبورهم، وطلب العون منهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٦٦) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٩، ١٨٠). وأخرجه مسلم (١٨٤٠) من حديث علي، بنحوه.

(٢) أخرجه البزار (٣٥٨٣- كشف) من حديث حذيفة رضي الله عنه، بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد (٥/٤١١) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ بشطره الأول. وانظر الصحيحة (٢٧٠٠).

٤- التنكر لمبدأ اتخاذ الموتى من صالحين وأولياء وأنبياء شفعاء بين الخالق والمخلوق ؛ قياسًا على الوساطة المعروفة بين المخلوقين ، بعضهم مع بعض ، لدى الملوك والعظماء ، إذ إن ذلك مع الفارق ، وباطل لا تقره التعاليم الإسلامية .

٥- تسوية القبور المشرفة بالأرض ؛ لا فرق في ذلك بين قبر نبي ، أو ولي ، ورجل صالح ، أو غيره ؛ ذلك لأن في رفع القبور والبناء عليها وإشعال السرج عندها تحذيرًا شديدًا من حارس الدين وحامي حماه محمد ﷺ ، ولأن هذا الصنيع أيضًا خطوة للوثنية .

النظرية الثانية للمصلح :

تركيز النشاط الإنساني للقيام بأداء الشعائر الإسلامية المفروضة بكل دقة دون زيادة أو نقص ؛ فالصلاة والزكاة والصوم والحج والأذان وغير ذلك من شرائع الإسلام التي جاءت بها شريعة السماء عن طريق محمد رسول الله ﷺ ، كل ذلك يجب عدم الإخلال به كفريضة ، ويجب الانصياع إليه عن طيب نفس واقتناع ، واستسلام تام ، وإذعان شامل ؛ بحيث تعتقد القلوب وجوب الإيمان بهذه الشعائر ، وبحيث تعمل الجوارح على أدائها دون ضجر أو ملل وسآمة .

النظرية الثالثة للمصلح :

إقامة الحدود التي فرضتها شريعة السماء على المخالفات التي تصدر من بعض أفراد الجماعة الإسلامية ؛ كعقوبات زاجرة ، أو كضمان لحفظ التوازن ، وصيانة الحقوق الفردية ، وتقويم المعوج من الأخلاق ، والترفع عن الرذيلة في كل مجالاتها ، فالمجترئ على سفك الدم الحرام يقتل إذا ثبتت إدانته ، والذي يعتدي على الغير ويسرق المال تقطع يده ، إذا ثبتت إدانته ، واستوفت شروط القطع ، والخيانة الزوجية في شتى ملابساتها ترتفع فيها العقوبة لدرجة الرجم بالحجارة ، وتنخفض فيكتفى فيها بالضرب البسيط مع الاعتقال ، أو بدونه ، حسب مقياس الجرم ، وبقدر ثبوت الإدانة .

وهكذا كل مخالفة رتبت عليها الشريعة الإسلامية عقوبة ، فإن نظرية مصلح القرن الثامن عشر أن تطبق العقوبة بكل دقة ، ويستوي في تطبيقها الشريف والوضيع ، والأمير والمأمور ، دون فرق أو محاباة ؛ ذلك لأن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق في نظر العدالة بين أبيض وأسود ، ولا بين شريف ووضيع ، وتلك هي تعاليم الرسول محمد ﷺ ، فقد قطع يد امرأة شريفة في سرقة سرقتها ، رغم الوساطات المتكررة لديه والشفاعات في قضيتها من أحب الناس إليه ، بل قال للشفعاء : « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »[1] .

علي هذه النظريات الثلاث قام البرنامج الإصلاحي لحركة التجديد في القرن الثامن عشر م/١٢هـ .

أما النظرية المذهبية فلم تكن للمصلح نظرية مستقلة ينفرد بها عن نظريات أئمة المذاهب المعترف بها لدي الجماعة الإسلامية ، فهو محتضن مذهب الإمام أحمد بن حنبل رابع الأئمة المتبوعين ، والمشهور بإمام أهل السنة ؛ لأن مذهبه يرتكز على الأدلة النقلية من الكتاب المقدس (القرآن الكريم) أو على أحاديث الرسول المدونة الصحيحة والمجموعة في أشهر كتب الحديث . فمصلح القرن الثامن عشر في هذه الناحية متبع لا متبوع ، ومنتسب لا ينسب إليه أحد .

أما الوهابية المزعومة فهي وصمة ، وصم بها كل من يدين بالدين الصحيح . والغرض منها تضليل الرأي العام ، والتلبيس على ضعاف التفكير ، وحجب الحقيقة عن الظهور ، فقد وصم بهذه الوصمة ابن تيمية ، وهو مصلح القرن الثاني عشر- ٦هـ- وهو يبعد كثيرًا عن عهد حركة الإصلاح في القرن الثامن عشر ، ووصم بها كل مصلح يقوم بعملية التطهير ودفع الزيف عن الديانة الإسلامية ؛ لمجرد التنفير منه ، واعتباره صاحب نظريات متطرفة تناهض الإسلام .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٣٧٣٢) ، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

١- تطور آراء المصلح في البلاد السعودية.

٢- تأثر بعض البلدان بها خارج الجزيرة.

أما تطوير آراء المصلح، فالحديث عنه طويل مديد، وقصارى ما يمكن أن يقال عن ذلك: إن ما كان بالأمس خيالًا لا يصدق به أصبح بعد نجاح حركة الإصلاح، وفي أخريات أيام المصلح، وفي عهد الحكام المتعاقبين من آل سعود، وعلى يد خلفاء المصلح، أصبح حقيقة واقعة، فلم يكن أحد يحلم أن تعود للإسلام جدته، وتزاح عنه الأضاليل، ويطهر من البدع، ثم تقام الشعائر الإسلامية في طول البلاد التي شملتها حركة الإصلاح، كما كانت في عهد محمد ﷺ، وعهد خلفائه الراشدين، ومن تلك البلاد مكة التي بني فيها بيت اللّٰه، والتي يحج إليها كل عام مئات الألوف من المسلمين من أقاصي الدنيا، والمدينة التي تضم قبر النبي محمد ﷺ، وما ذاك إلا أثر من آثار تفاعل النفوس مع نظريات المصلح، وهضم التعليمات الإسلامية التي قام بنشرها بعد دروسها وإهمال الكثير منها.

وما كان يجول في تفكير أحد أن هذه الحركة سوف تتأثر بها الأوساط الإسلامية خارج الجزيرة؛ فتقوم في مصر، والهند، وأندونيسيا، وغيرها من أقاصي البلاد؛ تقوم جمعيات إسلامية تدعو إلى نظريات المصلح باسم: «العقيدة السلفية»؛ نسبة إلى السلف في صدر الإسلام وممن تبعهم على نهجم.

يقول المؤرخ الأمريكي لوثرب صاحب كتاب «حاضر العالم الإسلامي»: قد استطاع الوهابيون أن يبذروا بذورًا تلاها الاختمار الشديد للثورة الوهابية في كل فج إسلامي، حتى بلغت دعوتهم الدينية أقصى المعمور.

وهكذا استمر التطور في آراء المصلح حتى غدت المبدأ الثابت الذي لا يتزعزع بعد أن كانت منبوذة مقهورة، يعتبرها دعاة الرجعية آراء متطرفة،

وأصبحت العقيدة الراسخة التي لا تنفك عن القلوب ، وأخذت الأيدي تعمل لنشرها ، والجهود تتضافر على إذاعتها عن طريق الطبع والنشر ، وتغذية الأطفال بها منذ نعومة أظفارها في شكل مقررات تدرس في المدارس ، ويحتضنها الشباب كدين ؛ وليتحصن بها من أعاصير الباطل ، ومن المبادئ الهدامة الخطرة .

وقد اتخذت الخطوات الإيجابية منذ القديم ؛ لتجميع كل ما كتبه المصلح وأتباعه وأبناؤه وأحفاده ، وقام الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية ، رحمه الله ، وخلفه الملك سعود فقام بطبع كل ما صنفه الشيخ وأبناؤه وأحفاده وأتباعه من تلامذته وغير تلامذته ، ومصنفات كل مصلح قبل الشيخ محمد كمصلح القرن الثاني عشر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، حتى تكونت ثروة علمية هائلة زخرت بها المكتبات ، وأمر الملكان بتوزيعها مجانًا ؛ لنشر العلم والمعرفة .

نذكر منها على سبيل المثال الكتب المدرجة في البيان التالي ، أما المراجع التي يمكن الاستفادة منها في موضوع حركة القرن الثاني عشر ، والتي يمكن أن تصور الحقيقة ، فقد دون عنها بيان آخر مدرج مع هذه الكتابة ، على أن الكثير ممن كتب عن هذه الحركة لم يصورها التصوير الواقعي الصحيح ؛ لاستقائه المعلومات من مصادر مغرضة ؛ تجنى فيها أصحابها على الواقع التاريخي ، أو من إشاعات كاذبة لفقهاء خصوم المصلح ؛ للتنفير منه . فأمثال هذه المراجع لا يمكن بحال الاعتماد عليها واتخاذها كمستند وحجة .

البيان رقم (١) : المراجع التي تتحدث عن حركة الإصلاح الديني في القرن الثامن عشر : م[1] ، ١٢هـ- الكتب :

« روضة الأفكار والأفهام » : لحسين بن غنام ، وهو أقدم كتاب ، وأصح

(١) في الأصل : « ق » .

مرجع لحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ فقد كان مؤلفه من تلامذة المصلح ، وممن شاهد كثيرًا من الحوادث .

« عنوان المجد في تاريخ نجد » : لعثمان بن بشر النجدي ، وقد أدرك المؤلف أولاد المصلح .

« مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد » : لرشيد بن علي الحنبلي ، وقد أشار المستشرق (أروتمان) في دائرة المعارف الإسلامية إلى هذا الكتاب .

« البدر الطالع » : لمحمد بن علي الشوكاني اليمني الزبيدي .

« تاريخ نجد » : للآلوسي .

« حاضر العالم الإسلامي » : لوثرب ستودارد الأمريكي .

« الدعوة الوهابية » : لعبد اللّه بن علي القصيمي .

« الوهابيون والحجاز » : للسيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار .

« تاريخ نجد » : لأمين الريحاني .

« جزيرة العرب في القرن العشرين » : للشيخ حافظ وهبه ، سفير المملكة السعودية في لندن سابقًا .

« قلب الجزيرة » : لفؤاد حمزة .

« أثر الوهابية في جزيرة العرب » : للأستاذ حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة بمصر .

« زعماء الإصلاح » : للأستاذ أحمد أمين .

« الحياة الأدبية في جزيرة العرب » : للدكتور طه حسين .

« إتحاف النبلاء » : لصديق حسن خان (باللغة الفارسية) .

« رحلة نيبور » : وهو أول رحالة أوربي تعرض لحركة المصلح ورحلته ، أقدم مصدر أوروبي عن تاريخ المصلح ، إلا أنها لا تخلو من بعض الأخطاء ؛ لأنه استقى معلوماته من كتب الأولين .

« رحلة باديا » : وهو أول رحالة أوربي تكلم عن حركة الوهابية في نجد ، وعن عاصمتهم الدرعية بإسهاب .

« رحلة بوركهارت » : كتب هذا الرحالة بحثًا جغرافيًا مفصلًا عن نجد ، وبلدة الدرعية ، وإقليم العارض .

« مختصر تاريخ الوهابية » : لهارفورد جون برجس ، وهو ضابط بريطاني وصل إلى بلاد العرب في حياة المصلح ، واستطاع أن يشاهد فتوحات سعود بن عبد العزيز عن كثب .

« مستقبل الإسلام » : ل . ولفرد .

« قاموس الإسلام » : لتوماس ب . وهذا المؤلف مبشر بروتستانتي .

« الجزيرة مهد الإسلام » : لزويمر ، وقد حاول فيه ، رغم تعصبه ، فهم حقيقة الدعوة التي قام بها المصلح فوصف حالة العرب في الجزيرة قبل الدعوة الوهابية وصفًا دقيقًا .

« اختراق الجزيرة العربية » : لداود جورج ، وهو مرجع مهم عند عدم الحصول على الرحلات السابقة .

« البلاد العربية » : لمستر عبد اللّٰه فلبى .

« مقالة مورت مان » : مستشرق ألماني ، وردت مقالته في دائرة المعارف الإسلامية .

« مركز العرب في الشمس » :

لريتشارد كوك .

البيان رقم (٢) بأسماء الكتب التي صنفها المصلح وأبناؤه وأحفاده ، وبعض مطبوعات جلالتي الملكين عبد العزيز وسعود .

الكتب :

كتاب « الأصول الثلاثة » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كتاب « كشف الشبهات » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كتاب « التوحيد فيما يجب من حق اللّٰه على العبيد » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

« رسالة مسائلة الجاهلية » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

« رسالة تفسير كلمة التوحيد » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

« رسالة الأربع القواعد في الدين » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

« رسالة في معنى الطاغوت » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كتاب « مجموعة الحديث على أبواب الفقه » : للمصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

مختصر « الشرح الكبير » و« الإنصاف » : وهو مجلد ضخم للمصلح .

كتاب « السيرة المطولة » : وهو مجلد ضخم للمصلح .

كتاب « مختصر الهدي النبوي » : وهو مجلد ضخم للمصلح .

أربع رسائل في الأحكام العملية ، والردة ، وبعض فوائد التفسير : وهو مجلد ضخم للمصلح .

تفسير بعض سور أجزاء من القرآن : وهو مجلد ضخم للمصلح .

« رسالة فوائد الفاتحة » : وهو مجلد ضخم للمصلح .

رسالة « أصل دين الإسلام » : للشيخ عبد الرحمن بن حسن ، حفيد المصلح .

كتاب « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » : للشيخ عبد الرحمن بن حسن ، حفيد المصلح .

« قرة عيون الموحدين » تعليقات على كتاب التوحيد : للشيخ عبد الرحمن ابن حسن ، حفيد المصلح .

كتاب « الكلمات النافعة » : للشيخ عبد اللّه ابن المصلح .

رسالة « أوثق عرى الإيمان » : للشيخ سليمان بن عبد اللّه ، حفيد المصلح .

رسالة « أنواع التوحيد وأنواع الشرك » : للشيخ عبد اللّه بن بطين من علماء نجد .

رسالتان في معنى كلمة التوحيد : وهي لجماعة من المؤلفين ، وفيهم المصلح وأبناؤه وأحفاده وتلامذتهم .

أربعة مجلدات ضخمة تسمي « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » تجمع أصنافًا من الرسائل في العقائد ، والفقه ، والفتوى ، وغير ذلك من المطبوعات لغير المصلح وأبنائه وأحفاده .

من المطبوعات لغير المصلح وأبنائه وأحفاده ولغير أهل نجد أيضًا :

كتاب « منهاج السنة » في مجلدين ضخمين : للشيخ ابن تيمية ، مصلح القرن الثاني عشر ، أصله من حران ، بلدة في الشام .

كتاب « الرد على المنطقيين » للشيخ ابن تيمية .

كتاب « الصارم المسلول » : للشيخ ابن تيمية .

كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » : للشيخ ابن تيمية .

كتاب « الرد على البكري » : للشيخ ابن تيمية .

« مجموعة الفتاوى » مجلدات ضخمة : للشيخ ابن تيمية .

رسالة « الفتوى الحموية » : للشيخ ابن تيمية .

« الرسالة التدمرية » : للشيخ ابن تيمية .

« العقيدة الواسطية » : للشيخ ابن تيمية .

❁ ❁ ❁

الإصلاح الديني في عهد الإمام عبد العزيز(١)

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: الآية ٥٥]

[١]

بهذه الآية الكريمة أستهل الكتابة في هذا الموضوع الشامل لحركة الإصلاح الديني في عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ؛ لما في ذلك من الشبه العظيم بين الماضي المجيد والحاضر السعيد، ماضي الأمة الإسلامية في مبدأ الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد اللّه، صلوات اللّه وسلامه عليه، وبين حاضر التجديد للدعوة الإسلامية التي تزعمه مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود.

فقد علم الدارسون للتاريخ الإسلامي أن رسول اللّه ﷺ قام في بيئة كلها إلب عليه، وحرب عوان على دعوته، وسهام نقد على تعاليمه، وجيوش تفتك بمن يحاول أن ينضوي إليه أو يستجيب لندائه، فكان غريبًا بينهم بعقيدته، غريبًا بإيمانه، غريبًا بشعوره ومنازعه.

وكذلك كان عهد التجديد على يد محمد بن سعود، وفي حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما اللّه، فقد تألب على الدعوة خصومها من جيرانه، وأحكموا أمرهم للقضاء عليها، وخضد شوكة زعمائها، وتوجس الإمام خيفةً، إلا أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أخذ يثبته ويقوي عضده ويرفه عنه بما كان يبلغه إلى مسامعه من التذكير بوعد اللّه في نصر المؤمنين، ويعزيه بما

(١) مجلة الحج – ربيع الثاني/١٣٧٣هـ.

كان يسرده عليه من قصص المتاعب التي لاقاها رسول اللَّه في غزواته ، والهزائم التي مني بها كهزيمة أحد وحنين ، واستمرت الأدوار ، تشبه إلى حد كبير ، الأدوار التي مرت بعهد الرسالة ، ثم بعهد الخلفاء ، إلى أن أتم اللَّه النصر والتأييد لأئمة الدعوة من آل سعود ، ومكَّن لهم في الأرض ، وامتد نفوذهم في نجد ...[1] إلى الحجاز ، فبادية الشام ، فالعراق ، واليمن ، واستبدلوا بالخوف أمنًا ، وبالضعف قوة واطمئنانًا ، وبالوهن ثباتًا وعزيمة .

وبذلك حقق اللَّه لهم وعده في الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين ، كما استخلف الذين من قبلهم من أنصار الدين وحماة الإسلام في عصور مجد الإسلام وعز الحنيفية ، حتى امتد رواق الإسلام إلى خارج الجزيرة وإلى أبعد مدى في رقاع المعمورة ؛ ذلك أنهم حققوا إرادة اللَّه بالتوحيد وإخلاص العمل له وحده ، والتعلق به دون سواه ، وتفرده بكامل حق الربوبية وخالص حق التأليه ، حققوا إرادة اللَّه ، فحقق لهم ما أرادوا من مجد وامتداد سلطان وعز ومنعة .

وليس هذا الوعد من اللَّه خاصًا بفريق دون آخر ، أو وقفًا على زمن دون سواه ، بل هو وعد باق ، قطعه اللَّه على نفسه لعباده وصالح المؤمنين من خلقه إلى يوم الدين : ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧] ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: الآية ٤٧] ، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: الآية ٥]

وكذلك حقق اللَّه وعده لسليل أولئك الدعاة المصلحين ، ووريث التراث الخالد ، وعميد الدعوة والإصلاح الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، تغمده اللَّه برحمته ، إذ قويت ثقته باللَّه ، وأخلص له النية ، وأحسن المعاملة ، وآمن باللَّه حق الإيمان ، وعمل الصالحات ، وارتفع عن مجالات الإسفاف ، فرفع اللَّه

(١) سقط في الأصل.

شأنه في العالمين، ودانت له النفوس النافرة، وتعلقت به القلوب القالية، والتفَّ حول رايته الغرُّ الميامين من جنود اللّٰه البواسل الذين وهبوا أرواحهم للّٰه ولإعلاء كلمة اللّٰه، فوهبهم اللّٰه إحدى الحسنيين؛ النصر والتمكين، أو الشهادة والجنة، وامتد نفوذ الإمام وعظم سلطانه، حتى كان مؤسس هذه المملكة العريقة السعيدة، بعز الإسلام، والمتطاولة على غيرها بفخر الدعوة، ونجاح مشروع الإصلاح الديني الذي طبق الآفاق ذكره وبرز بين الناس أثره.

كانت أول محاولة قام بها الإمام المصلح بعد أن استتب له الأمر إبان حكمه في نجد أن فكر في القيام بمحاولة تكون أكثر شمولًا للدعوة وأعم نفعًا وأبعد أثرًا، فهداه تفكيره إلى إصلاح حال البادية وتوجيههم إلى حياة الاستقرار والإقامة في مواطن معينة، ثم اتخاذ الوسائل الفعالة؛ لتفقههم في الدين، والأخذ منه بالقدر الذي يخرجهم من غمرة الجهل والأمية، ويكون به الصقل الروحي والنفسي معًا، فأمر باقتطاعهم الأراضي البور بجوار الآبار والمياه المعلومة، وحثهم على تعميرها، وأعانهم على نفقة بنائها وإنشاء البيوت فيها.

فكان ذلك فتحًا جديدًا في دنيا التمدين والتحضر، وكان ذلك بادرة خير لانتشار الدعوة وإرشاد العامة وهداية الضال، وهو ما يسمى في عرف البادية، بل وفي الاصطلاح اللغوي: بالهجرة. إذ أن الهجرة هي: الانتقال من بلد إلى آخرى لغرض من الأغراض، وللدين وبلاد الإسلام بنوع أخص.

يقول الريحاني في كتابه «تاريخ نجد» عندما عرض لموضوع الهجرة يقول: وقد حلّ عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة[1] لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديمًا أو حديثًا، فهو من هذا القبيل: المصلح الأكبر في العرب.

---

(١) يقصد بالمشكل جفوة البادية واتباعها لكل ناعق وحركات السلب والنهب التي لا تخبو نارها ووقوفهم في وجه كل إصلاح.

ويقول أيضًا في معرض حديثه بعد أن شرح مدلول الهجرة الديني قال : وهي كذلك هجرة مدنية ، فمن بيوت من شعر إلى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو ، إلى أرض لا تخون صاحبها إذا عمل بها المحراث ، ومن الخوف والتحذر إلى طمأنينة لا تهجره ، ما زال عاملًا مفيدًا لنفسه ولبلاده . اهـ .

وقد نجحت هذه المحاولة أيما نجاح ، وأخذت بادية نجد تنحو هذا النحو ، وتستمرئ حياة الدعة والاستقرار ، وتتعشق التدين والزهد في الدنيا ، والأخذ منها بقدر ما يصلح الشأن ، والاكتفاء من زادها بالوشل عن خوض الخضم ، وغدى جلّ همهم وما يصبون إليه أن يجلسوا إلى طالب علم يفقههم في الدين ، ويعلمهم القرآن ، ويعظهم ، ويذكرهم في بكور الأيام وأصائلها .

ودعم الإمام هذا الإصلاح بطبع الكتب السهلة المبسطة لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده ككتاب « الأصول الثلاثة » ، و« الأربع القواعد » ، وتلقين العوام أصول العقيدة ، وكتاب « شروط الصلاة » ، و« آداب المشي إلى الصلاة » ، وغيرها ، وبانتداب طلاب العلم إلى هذه النواحي للقيام بمهمة الإرشاد والتوجيه والتعليم العملي ، والإمامة في الصلوات .

فكنت ترى البدوي الجافي بعد هذه الحركة النشطة ؛ كنت تراه في أسفاره وهو على بعيره إن عنت له حاجة للسفر وبين يديه لوح مسطور فيه آيات من القرآن وهو يرددها ويحفظها عن ظهر قلب ، أو تستمع إليه ، وهو يتلو ما حفظها عن ظهر قلب ، أو تستمع إليه وهو يتلو ما حفظ من القرآن ، أو الحديث ، أو شيء من أصول العقيدة ، بدلًا من الشدو بالتشبيب ، أو الحدو المباح للترفيه عن بعيره المكدود .

أما الهجر نفسها فكنت تلحظ فيها روحًا دينيًا غامرًا اصطبغت بها كل ألوان النشاط ؛ فالزارع في زرعه ، والمحترف في عمله ، بله العاكف في محرابه ؛ كل

أولئك غدى الشغل الشاغل لهم حفظ كلام الله ومدارسته والبحث عن مدلول آياته والتأدب بأدبه والاعتبار بوعظه وعبره .

زد على ذلك أن حضرات أصحاب الفضيلة من مشايخ نجد من آل الشيخ وغيرهم كانوا ينمون هذه الروح الطيبة ببعث النصائح إلى أصحاب الهجر في فترات متعاقبة ، ومناسبات تتجدد وتتكرر ؛ تحمل تلك النصائح في طياتها كشف الشبه والإرشاد إلى الخير ، وكثيرًا ما كان فيها تنويع الغرض ؛ فمن هداية لتعرف الأصل ؛ أصل الدين ، إلى حث على الجهاد والأخذ بأسبابه ، إلى لفت النظر في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، إلى التحدث عن بعض المعاملات الربوية والتحذير منها إلى غير ذلك .

وكان أهل الهجر أنفسهم إذ يقدمون إلى العاصمة يقصدون توًا دور المشايخ للاستفتاء والتثبت من أمور الدين ؛ كي يعبدوا الله على هدى وبصيرة ، وكانت نظرتهم لأهل العلم نظرة إكبار وتقديس ، فمتى علم أحدهم أن أحدًا من المشايخ أفتى بكذا أو أجاب عن كيت أذعن وانصاع ، وتقبل الفتوى بالرضاء والتسليم ، وإن كانت على غير مزاجه ، أو قد تضيع عليه مصلحة من مصالح دنياه ، وما ذاك إلا لتغلغل الروح الدينية في النفوس ، وتغليب عواطف الخير ، وتهذيب ملكات النفس .

أما الحاضرة في عامة نجد وأصقاعها فبدهي أنه لم تكن بأقل حظًا من البادية سكان الهجر ؛ ذلك أن الإمام كان يولي طلبة العلم عناية وعطفًا منقطع النظير ، فقد أجزل لهم العطاء ، وأغدق عليهم المنح والهبات ؛ إذ قد خصص لكل طالب علم ما يسد حاجته من أرزاق شهرية ، وكسوة ، ونفقات خاصة ، ومعاونات في المناسبات ، مضافًا كل ذلك إلى تأمين كل ما تتطلبه دراستهم من كتب العلم ؛ سواء ما كان منها مطبوعًا أو مخطوطًا ، وما كان منها في المتناول ، أو بعيد المنال

لا يدرك إلا ببذل جهد وإتعاب .

وقد نشطت حركة التأليف لمشايخ نجد ؛ إذ وجدوا من الإمام تشجيعًا ومساعدة فعلية في طبع جميع إنتاجهم العلمي وثمرات قرائحهم ، وقد طبع من رسائل المشايخ آل الشيخ وغيرهم مجلدات ضخمة ، تعتبر أكبر ثروة علمية أنتجها قرائح أصحاب الفضيلة علماء نجد في عهد الإمام تدعى : بـ« الرسائل والمسائل » ، وطبع مجموع متون في العلم تشمل « العقيدة الواسطية » وغيرها ، وطبع كتاب « التوسل والوسيلة » ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتاب « منهاج السنة » وعلى هامشه كتاب « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » كلاهما لابن تيمية ، وتفسير « ابن كثير ، والبغوي » و« المغني » و« الشرح الكبير » في الفقه الحنبلي ، ومجموعتي التوحيد والحديث و« عمدة الأحكام » في الحديث كما طبع كتب « الردود على خصوم الدعوة » لمشايخ نجد وغيرهم ، وذلك ككتاب « تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس » ، وكتاب « كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام » ، وكتاب « إقامة الحجة » ، وكتاب « الرد على الأخنائي ، والبكري » ، وكتاب « مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام » ، كما طبع ترجمة كتاب « الهدية السنية » باللغتين الهندية والجاوية ، وترجمة غيرها من الكتب ، وغير ذلك كثير وكثير جدًا مما طبعه الإمام على نفقته ، أو اشتراه لحسابه ، ولغرض نشر العقيدة وتدعيم حركة الإصلاح التي يتزعمها ، ففتح القلوب قبل أن يفتح المدن ، ونبه الوعي قبل أن يمتشق الحسام ، وأقام الحجة ، وأرشد إلى المحجة ، وفتح البصائر ، وهدى بهدي اللَّه إلى السبيل ، ودوى صوته في العالم الإسلامي داعيًا إلى العقيدة والمبدأ الصحيح ، قامعًا للبدعة محييًا للسنة ، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، مقيمًا لحدود اللَّه ، صادعًا بالحق ، متحدثا بنعم اللَّه عليه ، فكان له في كل قطر صديق

ونصير، وكان له في كل باب قلب مسلم حب وعطف ورعاية وتقدير.

سمع الناس حديثه بعد أن استتب له الأمر في الحجاز يرسم خطته في العمل يبدأها بالوصية بتقوى الله، ويقول: لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم بتقوى الله، واتباع مرضاته، والحث على طاعته، فإنه من تمسك بالله كفاه، ومن عاداه باء- والعياذ بالله- بالخيبة والخسران، إن لكم علينا حقوقًا فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكرًا في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين، فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.

واشرأبت إليه أعناق الوفود الإسلامية في المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة عام الأربع والأربعين، وهو يرفع عقيرته بقوله: أيها المؤتمرون الكرام، إن المسلمين قد أهلكهم التفرق في المذاهب والمشارب، فأتمروا في التأليف بينهم والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة، وعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سببًا للعداوة بينهم ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣- ١٠٥].

وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه، وخدمة حرمه وحرم رسوله صلوات الله وسلامه عليه، والتأليف بين جماعة المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وتوجهت إليه الأنظار وهو يلقي كلمته التاريخية إثر إخماده لإحدى الفتن الداخلية قائلًا :

اسمعوا ياالإخوان- ويعني بالإخوان الحاضرين في مجلسه من عامة الناس- يخاطبهم بالإخوان تنزلًا منه وتواضعًا وكرمًا ، أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ، ولا أتواني في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة .

الأول : كلمة التوحيد (لا إله إلا اللَّه محمد رسول الله) اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، إني واللَّه وباللَّه وتاللَّه أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضنّ به .

الثاني : هذا الملك الذي جمع اللَّه به شمل العرب بعد الفرقة ، وأعزهم بعد الذلة ، وكثرهم بعد القلة ، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه ، وقد عودني اللَّه سبحانه وتعالى من كرمه وفضله أن ينصرني ؛ لأني جعلت سنتي ومبدأي أن لا أبدأ أحدًا بالعدوان ، حتى إذا لم يبق للصبر مكان ، ضربت ضربتي فكانت القاضية ، وكانت الآية على ما عودني اللَّه من فضله ، والحمد للَّه رب العالمين .



بحث شامل ممتع
نشاط الحركة الدينية في الحجاز
على عهد الإمام عبد العزيز[١]

من الحجاز أول قطر شع فيه نور الهداية، ورفعت فيه مشاعل العرفان، وخفقت على ربوعه رايات الإسلام، ودوت في جوانبه كلمة الحق، وانصدع الباطل وكان زهوقًا؛ إذ قام به إمام المصلحين وسيد الدعاة والمرشدين محمد بن عبد اللّٰه، صلوات اللّٰه وسلامه عليه، فنشر الإسلام، وجدد معالم الحنيفية المندرسة بعد إمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم سار خلفاء الرسول ﷺ سيرته في الدلالة والإرشاد، وتعليم الناس الخير دون ما تدوين أو كتابة، ودون ما فلسفة وتعقيد.

وتداول حكمه الخلفاء في الدولتين الأموية والعباسية، وغدى شأنه ثانويًا بالنسبة لانتقال مركز الخلافة منه، إلا أنه بقي محتفظًا بنشاط الحركة العلمية فيه، فكان منه الفقهاء وأئمة الدين، وتنازع السيطرة عليه والنفوذ حكام مصر من فاطميين وعثمانيين حتى القرن العاشر، حيث تمت السيادة للعثمانيين على سائر البلاد العربية، ولم يكن الحجاز جد سعيدًا بهذا الدور؛ إذ لم توله الدولة العثمانية أية عناية من الناحية العلمية والثقافية، فضرب الجهل فيه بجرانه، وفشت البدع والخرافات، وانصرف الناس بها عن صميم الدين، وأعرضوا عن تعاليم الفطرة، واغبر وجه الحق، وامتد رواق الباطل.

واستمر الحجاز في هذه المحنة، وموجات الشر تكتنفه، وعوامل الفساد تنخر فيه، حتى العهد السعودي الأول، أي: عام الثمانية عشرة بعد المائتين

(١) مجلة الحج - ربيع الأول - ١٣٧٣هـ.

والألف ، حين فتحه الأمير سعود في حياة والده الإمام عبد العزيز ، فنشر التوحيد ، وحارب البدع والخرافات ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وألزم الناس بإقامة الصلوات الخمس جماعة في المساجد ، وأقام الحدود ، وانتصر لدين اللّٰه .

واستمر النشاط الديني ملحوظًا في هذه الربوع حتى تقلص ظل الحكم السعودي باستيلاء جيوش محمد علي على الحجاز عام ١٢٢٨هـ وكان بعد ذلك فترة طويلة الأمد ، أي من عام ١٢٢٨ حتى سنة ١٣٤٣هـ حيث فتح الحجاز مؤسس المملكة العربية السعودية الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، تغمده اللّٰه برحمته ، فبدأ نشاط الحركة الدينية ينتعش ، ويتوثب ويعود للظهور ، وخفقت رايات التوحيد على الأطم[1] والمعاقل تحمل الشعار الإسلامي الذي يعشقه ويدين له كل مسلم : (لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه) وهو الرمز الخالد لعزة الإسلام ، وتحته غامر أبطال الإسلام ، ففتحوا الدنيا ودوخوا العالم ، وكان فضل اللّٰه عليهم عظيمًا .

وما إن وطئت أقدام الإمام عبد العزيز الديار المقدسة سنة الثلاث والأربعين بعد الثلثمائة والألف ، حتى كان في طليعة ما عني به من أعماله المبرورة بعث الحركة الدينية من جديد ، وكان يصارح الملأ بقوله : نحن دعاة ولسنا بحكام ، دعاة لدين اللّٰه ولإخلاص العبادة للّٰه ، ولم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصارًا لدين اللّٰه .

وقد أفسح المجال وأوسع الصدر لحضرات أصحاب الفضيلة العلماء في مناقشته شخصيًا والاجتماع به ، ثم بحضرات أصحاب الفضيلة علماء نجد لوضع أسس التفاهم الصحيح ، وتعرف واقع الدعوة ، وفحص التهم والمفتريات التي ألصقت بالدعوة ، واستغلها المغرضون لصد الناس عن سماع صوت الحق والاستجابة لدعاته ، وأسفر ذلك عن اقتناع تام وتفاهم في الأصول والفروع ،

---

(١) الأطم : بضمة وبضمتين ، القصر وكل حصن مبني بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح ، جمعه : آطام وأطوم . « القاموس المحيط » .

وقضى على الظنون والتوجسات .

ولم يدع مجالًا للشك في أن الحركة الدينية التي يتزعمها الإمام عبد العزيز لا تختلف في شيء عن حركة الإصلاح التي قام بها محمد بن عبد اللّٰه ﷺ ، لا في الشكل ولا في الجوهر ، بل هي حركة تجديد لما اندرس وعفى عليه الزمن من دين الحنيفية ، وحركة تطهير للمعتقدات وتنقيتها من الزيف والشوائب وإعادتها إلى ما كانت عليه في العصور الذهبية وخير القرون .

وفيما يلي ننقل نبذًا من خطاب الإمام عبد العزيز الذي وجهه إلى أصحاب الفضيلة علماء الحرم المكي الشريف في اجتماعه التاريخي الذي عقده للمناقشة وتقرير الواجب من حيث التدين والمعتقد ، وهو يصور لنا الهدف الذي رسمه الإمام للحركة ومدى النشاط الذي يبذله ويرد به فرية المفترين .

قال الإمام رحمه اللّٰه : إن العقائد التي جاء بها الأنبياء من قبل ، ذات أصل واحد ؛ وهي إخلاص العبادة للّٰه وحده ، وينحصر ذلك في قول : (لا إله إلا الله) فلفظ (إلا الله) معناه : إثبات العبادة للّٰه وحده ، فكل عمل صالح إذا لم يكن مبنيًا على هذا الأساس فهو باطل ، قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: الآية ١١٠] فدلت هذه الآية الكريمة على أن النجاة لا يكفي لها العمل الصالح وحده ، بل لا بد فيها من إخلاص العبادة والدعاء للّٰه وحده من جميع المخلوقات . لا ينفعنا إلا الإخلاص في كل شيء ؛ إخلاص العبادة للّٰه وحده ، والإخلاص في الأعمال كلها ، وليس عندنا مما يتعلق بمعتقدنا غير ما رأيتموه في « الهدية السنية »[(١)] . والذي نبغيه في هذه الديار هو أن

(١) الهدية السنية : هي خمس رسائل في مجموعة واحدة مدارها على تحقيق العقيدة . الرسالة الأولى للإمام عبد العزيز الأول ، الثانية للشيخ عبد اللّٰه ابن الشيخ المجدد ، الثالثة للشيخ أحمد بن ناصر ، الرابعة للشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ، الخامسة للشيخ محمد ابن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ . (هامش الصحيفة) .

يعمل بما في كتاب اللَّه وسنة نبيه في الأمور الأصلية، أما في الأمور الفرعية الأخرى فاختلاف الأئمة فيها رحمة؛ والكلام في هذا طويل: والآن أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، والدين النصيحة، وأنا منكم وأنتم مني، والكلام غير الصحيح لا يليق في هذا المقام، وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم، فإن كان فيها خطأ يخالف كتاب اللَّه فردوه علينا، وما أشكل عليكم منها فسلونا عنه، والحكم بيننا كتاب اللَّه وحده، وما جاء في كتب الحديث والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥٩].

إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا مما أيدوه بقول اللَّه وسنة نبيه محمد ﷺ، أما أحكامنا فنسير فيها طبق ما اجتهد فيه الإمام أحمد بن حنبل.

لقد أشاعوا عنا الشيء الكثير عن عقائدنا وشنعوا علينا؛ قالوا في جملة ما كذبوه علينا: إنا لا نصلي على محمد، وإننا نعد الصلاة عليه شركًا! ونعوذ باللَّه من ذلك، أو ليست الصلاة على محمد ﷺ ركنًا من أركان الصلاة، وأنها لا تتم بغيرها؟

ويقولون: إننا ننكر شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة! معاذ اللَّه أن نقول هذا، إنما نطلب من اللَّه أن يُشفِّع فينا نبينا محمدًا ﷺ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥]، وندعو اللَّه أن يشفع فينا الولد الصغير، ونقول: اللهم اجعله فرطًا لأبويه[١]. ولا نطلب الشفاعة من الطفل، وأما محبة الأولياء والصالحين، فمن الذي ذا ينقصهم منا؟ ولكن محبتهم الحقيقية هي العمل بما عملوا واتباع سنتهم في التقوى، ومن هم أولئك الأولياء؟ هم الذين قال اللَّه

(١) لأثر أبي هريرة موقوفًا عليه: أنه كان يقول ذلك عندما يصلي على المنفوس، أخرجه البيهقي (٩/٤) بلفظ: اللهم اجعله لنا فرطا وسلفًا وذخرًا. وكذا الحسن البصري، كما عند البخاري تعليقًا قبل حديث (١٣٣٥). ووصله عبد الرزاق (٦٥٨٨).

فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحَجّ: الآية ٤١] فهؤلاء هم الذين نحبهم ونقتفي آثارهم ، ولكنا لا نرفعهم فوق المرتبة التي لا يريدونها لأنفسهم ، ولا يريدها اللّٰه لهم .

هذا الذي نحن عليه ، وهذا الذين ندين اللّٰه به ، فإن كان عندكم ما ينقضه في كتاب اللّٰه أو سنة رسوله فأتونا به ؛ لنرجع عنه ، وإن كان هذا مقبولًا عندكم ، فتعالوا نبايع على العمل بكتاب اللّٰه وسنة رسوله ، وسنة خلفائه الراشدين من بعده . انتهى خطاب الإمام .

وعلى إثر ذلك وبعد الاتصالات والمناظرات التي كانت بين علماء الحرم وأئمته وعلماء نجد ، أصدر علماء الحرم بيانًا للعالم الإسلامي ملوكه وأمرائه عن نتيجة المناظرة والبحث ودرس العقائد نثبته بنصه ؛ تجديدًا لذلك الماضي المجيد الذي جمع اللّٰه فيه الكلمة ، وألف القلوب على الحق ونشر دين اللّٰه :

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، الحمد للّٰه وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، من علماء حرم اللّٰه الشريف وأئمته : « الأسماء ... »

إلى من يراه من علماء الحكومات الإسلامية وملوكهم وأمرائهم ، أما بعد ، فقد اجتمعنا نحن المذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم إلى الحرم الشريف ، مع الإمام عبد العزيز حفظه اللّٰه ، فجرى بيننا وبين المذكورين المحترمين مباحثة ، فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد ، وعرضنا عليهم عقيدتنا ، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم ، بعد البحث والمراجعة في مسائل أصولية :

منها : أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الإسلام الخمسة ، ثم أتى بمكفر ينقض إسلامه قولي أو فعلي أو اعتقادي ، أنه يكون كافرا بذلك ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

ومنها : من جعل بينه وبين اللّٰه وسائط من خلقه ، يدعوهم في جلب نفع أو ضر أو يقربونه إلى اللّٰه زلفى ، أنه كافر يحل دمه وماله ، ومن طلب الشفاعة من غير اللّٰه فيما لا يقدر عليه إلا اللّٰه أن ذلك شرك ، فإن الشفاعة ملك للّٰه ، ولا تطلب إلا منه ، ولا يشفع أحد إلا بإذنه ، كما قال تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ وهو لا يأذن إلا فيمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ ، وهو لا يرضى إلا التوحيد والإخلاص .

ومنها : تحريم البناء على القبور وإسراجها ، وتحري الصلاة عندها أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة .

ومنها : أن من سأل اللّٰه بجاه أحد من خلقه أنه مرتكب حرامًا .

ومنها : أنه لا يجوز الحلف بغير اللّٰه ؛ لا الكعبة ، ولا الأمانة ، ولا النبي ، ولا غير ذلك ؛ لقول النبي ﷺ : « من حلف بغير اللّٰه فقد أشرك »(١) .

فهذه المسائل كلها لما وقعت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا وبين المذكورين ، ولم يحصل خلاف في شيء ، فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد .

نسأل اللّٰه أن يوفق لما يحبه ويرضاه آمين ، وصلى اللّٰه على نبينا محمد وآله وسلم .

كما أصدر علماء المدينة فتوى حول هذا الهدف ، وهي بمثابة إعذار وتنصل مما كان فعله العامة من أمور بدعية وشركية ، تتنافى ومبدأ العقيدة الصحيح ، وكان الحافز على صدور هذه الفتوى هو الإمام عبد العزيز ، حيث أصدر أمره إلى رئيس القضاة الأسبق باستفتاء علماء المدينة فيما شاع من البدع عندهم ؛ كالبناء

(١) أخرجه أحمد (٦٩/٢) ، وأبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما . وصححه الألباني .

على القبور واتخاذها مساجد، وغير ذلك، وفيما يلي نص الاستفتاء والجواب عليه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ما قول علماء المدينة المنورة، زادهم اللّه فهمًا وعلمًا، في البناء على القبور واتّخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟ وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهيًا شديدًا، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع اللّه، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟. وما يفعل عند حجرة النبي - ﷺ - من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر، ويوم الجمعة، هل هو مشروع أم لا؟

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلة المستند إليها، لا زلتم ملجأ للمستفيد.

الجواب: نقول وباللّه التوفيق:

أمّا البناء على القبور فهو ممنوع إجماعًا؛ لصحة الأحاديث الواردة في منعه؛ ولذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين بحديث عليّ رضي اللّه عنه أنّه قال لأبي الهيّاج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللّه، أن لا تدع تمثالًا إلاّ طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاّ سويته»[1]. راوه مسلم.

وأمّا اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها، فممنوع مطلقًا، وإيقاد السرج عليها ممنوع؛ لحديث ابن عباس: «لعن رسول اللّه ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[2]، وأمّا ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٢٩)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣) من =

والتقرب لها بالذبح والنذر، ودعاء أهلها مع اللّه فهو أمر ممنوع شرعًا، لا يجوز فعله أصلًا.

وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من معتبرات كتب المذاهب؛ ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف بها والتمسح وتقبيلها فهو ممنوع مطلقًا.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو محدث، هذا ما وصل إليه فهمنا السقيم، وفوق كل ذي علم عليم في ٢٥ رمضان سنة ١٣٤٤هـ.

ولم يكتف الإمام بهذه البلاغات والفتاوى والمفاهمات الشخصية، إذ خشي أن يفسر ذلك تفسيرًا مغرضًا، كأن يقال: إن علماء الحرمين اتخذوا التقية، حاشاهم من ذلك، وأن هذه القرارات والفتاوى كانت تحت تأثير الضغط وسطوة السلطان، فقام بمحاولة أخرى، وهي الإبراق إلى وزارة الداخلية المصرية راغبًا وساطتها في استصدار فتوى من قبل مشايخ الأزهر في المسائل السالفة وغيرها، فأصدر مفتي الديار المصرية بالاشتراك مع شيخ الجامع الأزهر آنذاك فتوى لا تختلف في شيء عن فتوى علماء الحرمين الشريفين، ذلك أن الحق واحد لا يتغير بتغير الأقاليم، ولا يتبدل بتبدل الشخصيات.

بمثل هذه الجهود المبرورة التي كان يبذلها الإمام لإقرار الحق، وبمثل هذه الوسائل الناجحة والنشاط الملحوظ لتدعيم الحركة الدينية في هذه البلاد، وبمثل هذه المحاولات الرشيدة استقام الأمر، وصلح الحال، وتفتح الوعي، واستنارت البصائر، واتجهت الأنظار إلى التجديد، وخلع ربقة التقليد، واحتضان مبدأ:

= حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما، بلفظ: لعن رسول اللّه ﷺ. وضعفه الألباني. وأخرجه أحمد (٢/٣٣٧)، وابن ماجه (١٥٧٦)، والترمذي (٢٠٥٦) بلفظ: «لعن رسول اللّه ﷺ زوارات القبور». وحسنه الألباني.

(قل واعمل) تمشيًا مع النهج الحصيف الذي رسمه الإمام ، وحفز الهمم إليه ، فلم نعد نسمع دعوة لغير للّٰه أيًا كان المدعو ، نبيًا ، أو وليًا ، أو رجلًا صالحًا ، أو ملكًا مقربًا ، ولم نعد نرى أثرًا لقبة ، أو معلمًا لضريح ، أو بناية لمولد ؛ مما كان معتادًا أن يقع تحت الحس ويشاهد للعيان ، ولا يقع بصرك في أوقات الصلوات إلا على الجماهير تتزاحم بالأكتاف على أبواب المساجد ؛ لتؤدي المكتوبة في أول وقتها جماعة ، وفي ذلك من الأجر العظيم ما نرجو أن يكتبه اللّٰه تعالى في صحائف أعمال الإمام الدال على الخير والمرشد إليه والحافز عليه ، أخذًا من حديث : « من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء » . رواه مسلم[1] عن جرير بن عبد اللّٰه ، ومن حديث : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » . رواه مسلم[2] عن عقبة بن عامر[3] .



(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٣) .

(٣) كذا في الأصل ، وهو عقبة بن عمرو ، وكلاهما صحابيان ، لكن الحديث من رواية أبي مسعود الأنصاري البدري ، وهو ابن عمرو .

نشاط الحركة الدينية في الحجاز
على عهد الإمام عبد العزيز[١]

١- الحسبة :

كان مما عني به الإمام رحمه اللّٰه من الوسائل الفعالة لتدعيم النشاط الديني في الحجاز ، مشروع (الحسبة) .

والحسبة في مجالاتها الواسعة تعطي لرجالها حق السلطة التنفيذية في حدود معينة ؛ كي يتمكنوا من البت فيما يعرض لهم ، ومما هو في نطاق صلاحياتهم بصورة مستعجلة تعيد الحق إلى نصابه .

وقد عرضتُ لهذا البحث بالتفصيل في مقال سابق منشور في مجلة « الحج » بعنوان : (الحسبة في الإسلام) استوعبت فيه كل ما ذكره المحققون في هذا الباب .

أقول : عني الإمام بهذه الناحية ، إذ كانت عصب الدين ومحوره ، وعليها يترتب الفلاح والنجاح ، فأصدر أمره الكريم بعد التفاهم مع أولي الحل والعقد من أهل البلاد بضرورة تكوين جماعة لهذا الغرض ، مهمتها الدلالة والإرشاد وتوجيه الناس بالحسنى ، إلى ما فيه المصلحة دينًا ودنيا ، والأخذ على يد السفيه في عقوبات محدودة معينة ، وقد كان فعلًا تشكيل الهيئة المومأ إليها من شخصيات مشهود لها بالنزاهة ، والإخلاص ، وبعد النظر ، والكفاءة العلمية ، وقامت بواجبها خير قيام ، إلا أن الإمام رحمه اللّٰه ؛ رغب في تعاون أكثر شمولًا ، وتناصح أوسع مدى ، بحيث يتعاون الأهلون ورجال الحسبة على درء المفاسد ، وحفز الهمم ، لتعشق الفضائل ، وإعطاء دروس عملية في ذلك ، تخلق في النفوس الوازع ،

(١) مجلة المنهل (٦/١٤) تكملة البحث المنشور في عدد ربيع الأول ١٣٧٣هـ .

وتدفع بها إلى الخير ، فعقد اجتماعًا مع علية القوم وسراتهم وأصحاب الحل والعقد من كبار الموظفين والعلماء في غضون شهر المحرم عام الخمسة والخمسين ، قرئ فيه على الجميع منشور جاء فيه :

(يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ تنفيذًا لأمر الله ، وحفظًا له ، يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ، ونطهرها من كل الأمور المخالفة ، وندنو إلى ما يرضي الله ، ونخاف عقوبته ، إذ ليست هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين .

هذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها .

فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهلين ، نريد أن تكونوا أعوانًا للحكومة في هذا الأمر ؛ لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل ، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها ، وأن المساعدة التي نطلبها هي :

أولًا : مساعدة الأهالي .

ثانيًا : ترتيب طريقة لدرء المفاسد ، والحيلولة دون الفساد ؛ لنتمكن من إقامة الشرع الشريف .

فإذا عملنا هذا قمنا باللازم ، وهذا أهم ما يجب العناية به ؛ لأن الدنيا إذا كثرت خيراتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها ، بل هذا أساس البلاء ، أما إذا عمر الدين ، ونفذت أوامره ، واجتنبت محارمه ، صلحت الدنيا .

فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله ، وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتمامًا شديدًا ، فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء .

ثم قر القرار على تشكيل هيئة أخرى تدعى هيئة الأمناء ينتخب أعضاؤها من كافة محلات مكة ، تتعاون مع هيئة الأمر بالمعروف في تنفيذ رغبة الإمام ،

ونجحت الفكرة حيث أصبح التعاون مبذولًا من قبل هيئة الأمناء عن وازع نفسي، وغيرة على الدين، وانتصارًا لمحارم اللّٰه.

٢- القضاء:

أما الخطوة الثانية التي خطاها الإمام؛ تدعيمًا لنشاط الحركة فهي العناية بأمر القضاء، حيث أمر بتشكيل هيئة مراقبة القضاء في عام الأربعة والأربعين برئاسة الشيخ عبد اللّٰه بن بلهيد رحمه اللّٰه. كما أمر بتشكيل المحكمة الكبرى من رئيس وثلاثة أعضاء وموظفين كتابيين؛ اختص قسم منهم بكتابة الفتوى.

فانتظمت بذلك المعاملات الشرعية، وتوحدت طريقة الأحكام؛ إذ جعل المذهب الحنبلي هو مدار الحكم، والمرجع في تدقيق القضايا، فقضى بذلك على الفوضى والتفرقة والطرق الملتوية التي كان يعمد إليها بعض أرباب القضايا والمحامين، فيطول أمد المحاكمة وتتشعب القضايا وتتعقد.

ثم في الاجتماع الذي عقده الإمام ونوَّهت عنه آنفًا عرض لموضوع إصلاح القضاء، وطلب اتخاذ قرارات حاسمة تقضي على البقية من التلاعب الذي ينجم عنه تطويل القضايا، واستغراق مدد طويلة في المرافعات، مما يلحق الضرر بأرباب الحقوق، وجاء في المنشور المار ذكره ما يأتي: « ثم هناك مسألة أخرى تهمني كثيرًا؛ لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين، وهي مسألة القضاء (الحكم الشرعي) فإني أرى أمورًا تحدث، يخجل منها الإنسان:

هنالك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلافات في الدعاوى، فنحن نطلب النظر في هذه الأمور وحلها.. وبينكم من هو من أهل الدين؛ ومن أهل الرأي، وإذا أردتم أن نزيدكم من أهل العلم فاطلبوا.

في المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاث وهي واقفة معطلة، وهذا أمر مُشكِل، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في

أمرها بتًّا نهائيًا .. ثم مسألة الشهود والقدح فيهم .. وهذا واقع ، واشتكى منها القضاة ، وهذا أمر مُشكِل ، فالإنسان الذي يصنع القبيح ، ويثبت عليه ذلك ، يقام عليه الحد . وكذلك ينظر في القدح الذي يقال .. فإذا صح أقيم الحد على المقدوح فيه ، وإذا لم يثبت يجازى المفتري ، والحقيقة أن الكثير من الدعاوى تأخر أمره لهذا السبب .

هذه الأمور في الحقيقة هي من أساس الدين ، فإذا أمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، وأصلحنا المحاكم ، هانت الأمور واستقامت الأحوال » .

٣- الأمانة :

الخطوة الثالثة لهذا النشاط الديني ، توحيد الإمامة في المسجد الحرام ، فلقد كان لكل مقام من المقامات الأربعة المسماة بأسماء الأئمة ، رحمهم اللّه ، جملة من الأئمة ، وتقام لكل صلاة أربع جماعات متعاقبة عدا المغرب فتقام له جماعتان .

وبدهي أن ذلك مظهر للفرقة عدى أنه حافز للتعصب المذهبي ، إذ إن كل متمذهب يفضل أن يؤدي الفريضة خلف الإمام المنصوب المنتسب لمذهبه .

فقضى الإمام على هذه الظاهرة بتوحيد الإمامة ، فكنت إذا دخلت المسجد الحرام يثلج صدرك أن ترى مظهر الوحدة الإسلامية متجليًا في توحيد الجماعة خلف إمام واحد ، مما يعيد إلى ذهنك ماضي الإسلام المجيد في أزهى عصور السلف ، رضوان اللّه عليهم أجمعين .

وقد أخذ سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد اللّه بن حسن آل الشيخ على عاتقه مهمة الاضطلاع بأعباء الإمامة والخطابة في المسجد الحرام ردحًا من الزمان بمعاونة الشيخ حمد الخطيب أحد علماء نجد الأفاضل ، رحمه اللّه ، إلى أن قر قرار الإمام على استقدام فضيلة إمام الحرم السابق الشيخ عبد الظاهر بن أبي

السمح ، رحمه اللَّه ، لما شهر به من سعة العلم ، والدعوة السلفية في أرض الكنانة ، ولحسن أدائه لتلاوة كتاب اللَّه وتجويده ورخامة صوته ؛ وكل ذلك ما يتطلبه مركز الإمامة الخطير .

وثمة هدف آخر لاختيار فضيلة أبي السمح للإمامة ، وهو التدليل الفعلي من قبل الإمام للناس جميعًا أن عباد اللَّه في هذا الدين سواء ، وأنه- أي الإمام- لا يتعصب لفريق دون آخر ، فمن اعتقد عقيدة السلف الصالح ، ودعا إليها ، وعمل بمقتضى دعوته فهو القريب منه والحبيب إليه ، لا تبعده جنسيته ، أو يؤخره نسبه ، فالمصري والسوداني والحجازي والنجدي واليمني وغيرهم من الأجناس ، كل أولئك في نظره سواسية كأسنان المشط إذا صلحوا وحسن معتقدهم وطابت دعوتهم ، وكثيرًا ما صرح رحمه اللَّه للملأ في مجالسه العامة بهذا الشعور الذي يحمله للناس جميعًا ، وهذا المبدأ الذي يحتضنه .

٤- التدريس :

الخطوة الربعة في هذه السبيل عناية الإمام بالتدريس في المسجد الحرام ، وأمره بتشكيل هيئة لمراقبة التدريس وتوجيهه ، وإعطاء الرخص للمدرسين ، وتعيينهم ، والإشراف عليهم ، وضبط دوامهم ، وتقرير كتب التدريس ، وغير ذلك مما له علاقة بهذا الموضوع ، ويرأس هذه الهيئة رئيس هيئة مراقبة القضاء ، أي : رئيس القضاة ، إذ كان لقبه إذ ذاك « رئيس هيئة مراقبة القضاء والمدرسين » .

وقد نظمت هذه الخطوة سير التدريس في المسجد الحرام ، وهيمن بها المسئولون على اتجاهاته ، وتمكنوا من تقرير الصالح ، ورفض الغث والتافه .

وعني الإمام في هذه الناحية أيضًا بأمر المطوفين ؛ إذ كانوا السواد الأعظم بين المجموع ، وهم أكثر احتكاكًا من غيرهم ، بالحجاج وفود بيت اللَّه ، أي : أنهم أنموذج لسكان بلد اللَّه الحرام ، ومن حق هذا الأنموذج أن يكون مثاليًا بنسبة ما

يحمل من مسئولية الدعاية للبلد وأهله ..

فأمر الإمام بتعيين نخبة من مدرسي الحرم ؛ لتثقيف المطوفين ، وتوجيههم التوجيه الصالح ، وتدريسهم العقيدة ، وشيئًا من علوم الدين ، وخاصة ما له صلة بمهمتهم ، أقصد المناسك ، ونجحت هذه الخطوة أيما نجاح ، وبدت آثارها ملحوظة في مواسم الحج ، حيث كان المطوفون يوجهون الحجاج توجيها مؤسسًا على العلم والمعرفة .

٥- التعليم :

الخطوة الخامسة لهذا النشاط إصلاح حال التعليم في المدارس ..

وبدأ الإمام هذه الخطوة بزياراته الشخصية للمدارس الأهلية ، وحتى الكتاتيب البدائية في مقراتها المتواضعة ؛ ليتعرف بنفسه مدى النشاط التعليمي ، وإقبال الطلبة على العلم ، وليضع على ضوء ذلك منهج الإصلاح . وقد تفضل رحمه الله ، فمنح الطلبة والهيئات التعليمية بعموم المدارس هبات سخية من دراهم وأرزاق ، كان لها الأثر الطيب في نفوس المعلمين والمتعلمين ، وعندما تشكل أول مجلس للشورى بمكة كان من أهدافه النظر في شؤون التعليم ، تنفيذًا لرغبة الإمام ..

ثم أمر بتشكيل مديرية للمعارف تحمل على عاتقها مسئولية التعليم ، وتضع له البرامج اللازمة وتتدرج به قدمًا ، فافتتحت المديرية منذ عام الأربعة والأربعين جملة من المدارس الحكومية في مكة ، كما افتتحت أيضًا المعهد العلمي أول مرة عام الخمسة والأربعين ، تحت إدارة الأستاذ بهجة البيطار ، وبمعاونة فريق من الأساتذة السوريين ، غير أن الإقبال على هذا المعهد بادئ ذي بدء لم يكن كبيرًا شأن كل مشروع في أوله ، وبمضي الأيام وتشجيع الإمام في تقرير معاونات مالية للطلبة أصبح الإقبال عليه عظيمًا ، وجنت البلاد ثمرته ، حيث تخرج منه فريق من

المتعلمين ساهموا في توجيه الحركة العلمية .

ونشطت حركت التأليف المدرسي لسد حاجة المدارس الأولية من الكتب السهلة البسيطة في العقيدة والعلوم العربية وغيرها ، فكان الطالب الصغير لا يعاني مجهودًا كبيرًا في تعرف أساليب الكتب التي بين يديه ، إذ كانت في مستواه ، بعيدة عن التعقيد والاصطلاحات العميقة ، ولم يمض على تأسيس المعارف ربع قرن حتى كانت المدارس مبثوثة في عموم الحجاز ، بل في سائر أنحاء المملكة حواضرها وقراها ؛ أولية وقروية ، وثانوية ، وارتفع التعليم إلى درجة عالية ، وخاصة في الناحية الدينية ، فأصبحت كلية الشريعة بمكة ودار التوحيد بالطائف تخرج القضاة والمرشدين بما سد فراغًا في هذه الناحية . وشهدت البلاد جموعًا من الأساتذة المصريين المنتدبين من أزهريين وجامعيين ، وابتعثت البعوث إلى الخارج للتزود من حياض العلم والمعرفة ، مما أثبت بالطرق المحسوسة نجاح محاولة الإمام في إصلاح التعليم ، وإنعاش مشروعه ، والتقدم به إلى الأمام أشواطًا بعيدة .

ولم يكن النشاط الديني قاصرًا على حواضر المدن في الحجاز ، بل لقد شمل البادية في نطاق واسع ، حيث كان الإمام يوالي بعث طلبة العلم في كل القرى بتعليم البادية مبادئ الدين وأركانه ، وحثهم على أداء الشعائر بصورة منظمة ، ولقد كان الجهل بأمور الدين الأولية في البادية متفشيًا لأبعد مدى ، فهداهم اللّٰه بهذه المحاولة وطرق الإرشاد الحصيفة ، وإخرجهم من غمرة الجهل الدامس إلى نور العلم واليقين .

بهذه الخطوات الموفقة نجحت حركة الإصلاح ، وبهذا النشاط الديني الغامر تبدل الحال وحسن المآل فنشأ جيل مصطبغ بهذه الصبغة الدينية الصالحة ، وتوالى الكفاح ضد أي منازع يناهض هذا النشاط ، وضد أية دعوة مبطلة فاشلة

تقوم في وجهه وتنازعه ، وذلك أثر من آثار الإمام الطيبة في هذه البلاد ، وتلك يد سابغة سجلها له التاريخ بمداد من نور في صفحات الخالدين .

نسأل اللَّه تعالى أن يجزيه عليها جزاء المحسنين ، ويمد سليله الملك المصلح (سعودًا) بمزيد الفضل وجزيل النفحات وعظيم النعمة ؛ كي يسير على المنهج ، ويترسم الخطى ، ففيه العزاء ، وعليه بعد اللَّه تعقد الآمال .



في مجال الإصلاح الديني(١)

نحو هدف أسمى

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾

[يُوسُف : الآية ١٠٨]

الأهداف في الحياة كثيرة ومتنوعة، والمحاولات لتحقيقها متى كانت شريفة أمر طبيعي غير منكور، غير أن من بين الأهداف ما يجب أن يكون في الطليعة، ويجب أن تتكتل جميع الجهود لتحقيق ذلك؛ لأنه يرتفع على جميع الأهداف بسمو غايته ونبل مقصده، ولأن في تحقيقه حياة الإسعاد والوصول إلى حقيقة ثابتة هي الغيب المنتظر، والوعد الصادق لعباد اللّٰه برضائه ورضوانه، وماتع نعيمه وعالي درجاته في دار الخلود، ذلك الهدف هو الدعوة إلى اللّٰه وإخلاص النية في ذلك، والصبر على تحمل المكاره، واستعذاب الصعاب في سبيل تحقيق هذا الهدف الأسمى.

والدعوة إلى اللّٰه طريق لاحب، سلكه رسل اللّٰه وصفوة الخليقة من عباد اللّٰه، وضعوا له المعالم، فاهتدى الساري ووصل المدلج، واقتفى نهجهم السالكون، واحتذي حذوهم فيه العارفون والواصلون.

وليست الدعوة إلى اللّٰه وقفًا على فريق دون فريق، وليست هي حبيسة أقليم دون آخر، لا تريمه أو تجتاز حدوده، بل هي حق مشاع بين أبناء الفطرة الذين هداهم اللّٰه إلى دينه، وكتب لهم السعادة والفوز باحتضان الإسلام والإذعان لشريعة الديان.

ففي القديم ساوى الإسلام في الحقوق بين بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، وبين أبي بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة القرشيين مما

(١) مجلة اليمامة – العدد (٣، ٤) ربيع الأول والثاني ١٣٧٤هـ.

حطم الفوارق والقيود العنصرية والحواجز الإقليمية، وصار به الناس أمة واحدة، وكتلة متضامنة، تدعو إلى الخير، وصفها الله تعالى في محكم كتابه بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠].

فالعربي والأعجمي والسادة والموالي في نظر الإسلام سواء مخاطبون بالشريعة ومطالبون بتنفيذ تعاليمها دون فارق أو تخصيص.

ومن أجل ذلك كان من حق كل مسلم أن يدعو الله بحسبه، وأن يتحمل من عبء مسئولية الدعوة ما هو مفروض عليه كمسلم، غير أن هذه المسئولية تتوزع على المجموع، فتتفاوت فيها الأنصبة تفاوتًا بينًا ملحوظًا.

فالرسل صلوات الله عليهم أجمعين، أخذوا من هذه المسئولية بأكبر نصيب، يليهم العلماء ورثتهم في هذا التراث، ثم الأمثل معرفة، حتى تتضاءل الأنصبة وتخف التبعة بالنسبة للشخص العادى، وقصارى القول أن مسؤولية الدعوة إلى الله لا يخلو منها عظيم لعظمه، أو حقير لتفاهة شأنه، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣] فأوجب سبحانه الدعوة إليه بقوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، وجعل الخسران المبين على المجموع إذا غفل وتجاهل قضية الأمر والنهي والدعوة إلى الحق وسبيل الله السوي.

وبعد؛ هذه المقدمة أعود فأفصح عن محاولتي التي سأقوم بها في هذا المجال، إن شاء الله، كواجب عليّ أن آخذ منه بقسطي فأقول: إن مجال الدعوة إلى الله واسع مديد، وأهدافها متجددة متنوعة، تحمل على التنويع، وتجدد الأساليب، والسير في مجالاتها؛ سيرًا يتناسب مع منطق الجاهلين على الإسلام، والمفترين عليه، المتجنين على أهله.

فقد يكون من الخير، بل ومن أنجع[1] وسائل الدعوة التصدي لدحض شبه

---

(١) نجع الشيء، نجوعًا: نفع وظهر أثره. وأنجع الشيء نجع، والرجل أفلح. «المعجم الوسيط» (نجع).

المارقين من الماديين والملحدين المتزندقين ؛ ذلك أن المادة قد طغت على كل القيم والمقدرات ، فصدرت الإرادات عن وحيها ، واصطبغت النفوس بصبغتها ، فطفقنا نقرأ التشكيك في دين اللَّه ، والإلحاد في آياته ، والطعن على أوليائه ، غدونا نقرأ ذلك ، وأفظع منه في بعض ما يقع تحت أيدينا من الكتب العصرية ، وبعض الصحف والمجلات المأجورة ، ونخشى أن ينخدع ببريق هذا السراب ، لو بقي دون تعقب وتفنيد ، ينخدع به السطحيون الذين يروقهم الجديد على علاته فيندفعون في التقليد واحتضان آراء المضللين ، وتكون النتيجة هدم الإسلام على يد أبنائه ، وتلك قاصمة الظهور ، وفاجعة الفواجع .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أذكر مؤلفات خالد محمد خالد ، ومن بينها كتابه « هذا ، أو الطوفان » الذي حوى المروق في أجلى مظاهره ، والسفسطة والضلال المبين ، فقد كان في مجموعة بحوثه التنكر لكل الوسائل الروحية والأسباب المشروعة ؛ كالأدعية والتماس رضوان اللَّه بطاعته ، بل ونفي أقدار اللَّه ، وطعن على أوليائه ، وقد رددت على بعض ذلك في جريدة على أوليائه ، غدونا نقرأ ذلك ، وأفظع منه في بعض البلاد السعودية .

وكمؤلفات جرجي زيدان ، وما فيها من الطعون على رجالات الإسلام ، وما تنشره بعض الصحف من الاستهتار بآيات اللَّه ، واتخاذها هزوًا ، ومجالًا للضحك والمجون ؛ كتلك الصحفية التي عبثت بسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ، ونسجت على منوالها في تكوين فقرات ختمتها بـ : صدق اللَّه العظيم !! وكأنها آيات منزلة ، وقد وفقني اللَّه للرد عليها في مجلة « المنهل » عدد ذي الحجة .

وكالصحيفة التي اقترح أحد كتابها أن ننزل القرآن من قنديله المقدس ، ونتخذ منه صورًا فنية نستعرضها أثناء التلاوة !! وقد رددت عليه في عدد من أعداد جريدة « البلاد السعودية »

وكتلك الكتب المؤلفة ، والمقالات المدبجة في قدح أبي هريرة رضي اللّٰه عنه صاحب رسول اللّٰه ﷺ ، والنيل منه ، ورميه بالكفر والنفاق ، وما إليه من الوصمات .

كل ذلك وأمثاله مما تجب معالجة الكتابة في موضوعه ، وهو في حدود الدعوة إلى اللّٰه ، وهدف من أهدافها ، وقد لا أجد المجال متسعًا ، والإمكانيات متوفرة للجولة في هذه الحلبة ، والاستباق في هذا الميدان ، فضيلة وتحذير من رذيلة ؛ فذلك مما لا يختلف فيه ، فأقتصر على كشف لبس أي تقرير حقيقة ، أو حث على اثنين أنه لم يخرج عن مجالات الدعوة بحال .

والمهم في ذلك السير على السنن ، وتتبع أثر الراشدين ، ولا أبدأ المحاولة بعرض مدلول الآية التي صدرت بها المقال ، وبعض ما جاء على غرارها في الدعوة إلى اللّٰه ؛ لما فيها من الوضوح الكافي لرسم الطريق ففي آية ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨] .

نلحظ ونستنبط جملة من المناحي ؛ هي بمثابة دعامات ترتكز عليها الدعوة في نشاطها .

أولاها : وجوب الدعوة على كل فرد بحسبه ، إذا علم الحق واستنار بهداه .

ثانيها : أنها سبيل الوصول إلى اللّٰه إذ كانت من هدي المرسلين ومناهجهم .

ثالثها : أن تكون على طريقة سداد وهدى راشد[1] .



(١) للمقال بقية لم يتيسر الحصول عليها .

في مجال الإصلاح الديني[1]
ما هكذا يكون التقريب؟
[٢]

قلت في مقالي المنشور في العددين الثالث والرابع من السنة الثانية من هذه المجلة: إن أهداف الناس في هذه الحياة كثيرة متنوعة، والمحاولات لتحقيق تلك الأهداف تتنوع أساليبها وتختلف حسب الدافع، وبقدر الحماسة للفكرة، وقد يكون أساس الفكرة خطأ، أو يكون الهدف يضرب إلى الخيال، ويبعد عن الواقع الصحيح، إلا أن مبلغ الحماسة لها يدفع بها إلى الظهور ويجعلها حقيقة بارزة تشغل الأذهان، ويكون لها أنصار ومحتضنون، وذلك شأن كل مبدأ وكل دعوة، غير أن النقد لا يلبث أن يمحص الحقائق ويكشف الزيف ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: الآية ١٧].

هذه المقدمة الوجيزة أسوقها لمناسبة ما يقوم في الأوساط الإسلامية من دعوى بعض الأفاضل العلماء تقريب في الاتجاهات، وتقصير مسافة الخلاف بين القديم والجديد، والتوسع في المفاهيم العلمية، لدرجة تحمل على التعسف، وركوب الشطط؛ ليكسبوا بذلك أكبر عدد من الشباب المثقف، وخاصة من نشأ منهم في أحضان المادة، واصطبغ بألوانها، فلا يفكر إلا بعقلية الماديين، ولا يؤمن إلا بالظاهر المحسّن!!

ومن أمثلة ذلك ما طلع به مؤخرًا ثلاثة من العلماء في جمعهم سموه «تفسيرًا للقرآن» وقفت على تسعة أجزاء منه، وهي من الجزء الأول من القرآن حتى نهاية الجزء السادس، ومن الجزء الثامن والعشرين حتى نهاية المصحف، فأحصيت

(١) مجلة اليمامة - العدد السابع - رجب ١٣٧٤هـ.

على المؤلفين في هذه الأجزاء التسعة جملة من المآخذ، رأيت أن أناقشهم فيها ؛ إقرارًا للحق، وتقريرًا للحقيقة. منها:

أولًا: تعطيل صفات الرب جل وعلا، أو تأويلها بما لا يوافق الصحيح من مدلوها **وبيان ذلك فيما يلي**:

١- عند تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٩] فسروا الاستواء باتجاه القدرة لخلق السماوات! ويظهر من هذا التفسير الغلو في تعطيل صفة الاستواء؛ وهو مذهب الجهمية المعطلة، أما مذهب السلف الصالح فهو إثبات استواء الله على عرشه على الحقيقة، كما وصف نفسه بذلك في كتابه، وكما وصفه رسوله بذلك في أحاديث كثيرة، يؤمن بها أهل السنة، ويثبتونها دون أن يتعرضوا لها بشيء من التعطيل، أو التأويل، أو التشبيه، أو التمثيل.

٢- تأويل الكرسي في قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] بسعة العلم والقدرة، ونفي نسبة الكرسي إلى الله تعالى؛ حيث قالوا نصًا في تفسير الآية: وسع ملكه وعلمه وقدرته. ونسبة الكرسي إلى الله تعالى تصوير لعظمة ملكه وعلمه وقدرته، كما أن كرسي الملك رمز لسلطانه. اهـ.

ولو اقتصر المفسرون على تفسير سعة الكرسي بسعة علم الله لأمكن أن يقال: إنهم اعتمدوا في ذلك على رواية منقولة عن ابن عباس، ولكنهم جروا على قاعدتهم في التأويل، ففسروا سعة الكرسي بسعة الملك والقدرة، بل لقد غلوا في ذلك فأنكروا وجود كرسي بالمعنى الذي أثبتته السنة وتلقاه السلف بالقبول، وهو أن الكرسي والعرش حقيقيان، ونكتفي بما ورد في ذلك بذكر حديث أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض

فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة »[١] .

٣- نفي صفة علو اللَّه تعالى على العرش ، وتقرير مذهب الجهمية ، حيث قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦] قالوا : واللَّه لا يحده زمان ولا مكان ، ولكنه موجود في كل زمان ومكان .

أما التعبير بالحد بالنسبة للباري جل وعلا ، فتعبير مبتدع لم ينقل عن السلف ، وهو موهم أيضًا ؛ إذ ينطوي تحته حق وباطل ، أما الحق فظاهره التنزيه ، وأما الباطل فالتعطيل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه في معرض كلامه على أمثال هذه الألفاظ المبتدعة : وكذلك إذا قالوا : إن اللَّه منزه عن الحدود والأحياز والجهات ، أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم به أنه ليس مباينًا للخلق ولا منفصلًا عنهم ، وأنه ليس فوق السماوات رب ولا على العرش إله .. ونحو ذلك من معاني الجهمية . اهـ .

وأما كونه موجودًا في كل زمان ، فذلك مقتضى الحياة الدائمة ، وهي صفة للَّه تعالى ، وأما كونه موجودًا في كل مكان فهذا من أقبح النعوت وأفظعها ، ولا يقره منطق سليم ، إذ إن مقتضاه أن يحل في أخبث المواضع ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا ، هذا بالإضافة إلى أنه معارض لصريح المنقول من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تثبت بصراحة أن اللَّه تعالى فوق العرش ، وهو مع خلقه بعلمه ، كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ

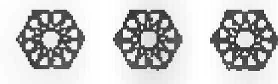
---

(١) أخرجه محمد بن عثمان ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٥٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦١، ٨٦٢) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩) .

فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: الآية ٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، قدس اللّٰه روحه : ليس معنى قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد: الآية ٤] أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر اللّٰه عليه الخلق ، بل القمر من آيات اللّٰه من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان . إلى آخر ما ذكره شيخ الإسلام في هذا الباب .

وقد تكرر نفيهم لعلو اللّٰه تعالى عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: الآية ١٦] حيث قالوا في تفسيرها : سلطانه وقدرته .



في مجال الإصلاح الديني[١] :

ما هكذا يكون التقريب

وعدت في مقال سابق أن أتابع نشر بقية المآخذ على مذهب أصحاب التقريب . وقد وقفت بالقارئ الكريم عند نقطة إنكار المؤلفين لإمداد اللّٰه رسوله بالملائكة في غزوة بدر ، وذلك عندما عرضوا لتفسير قول اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٢١] الآيات ، قالوا في تفسيرها :

« ولا نفهم من الإمداد بالملائكة أن اللّٰه ينزل الملائكة حقيقة ، وينضمون إلى جيش المسلمين ، ويحاربون في صفوفهم بالسيوف والرماح ، ولكنا نفهم أن اللّٰه يمدهم بمعنى يقويهم ويشجعهم ، ويبعث فيهم روحًا معنوية » .. إلى آخر ما جاء في تفسيرهم لهذه الآيات .

وفي هذا القول من التكذيب لصريح القرآن والسنة ما يبدو واضحًا جليًا ؛ إذ إن اللّٰه تعالى قد أمد رسوله بالملائكة حقيقة ، وشاهدهم الصحابة في قتالهم وطريقة مجيئهم ولباسهم ، عن جبير بن مطعم ، عن علي بن أبي طالب قال : بينا أنا أمتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي قبلها ، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة ، وكانوا بين يدي النبي ﷺ ، وكانت الريح الثانية ميكائيل ، نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول اللّٰه ﷺ ، والريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول اللّٰه ﷺ ، وكنت عن يساره حتى هزم اللّٰه أعداءه[٢] .

---

(١) مجلة المنهل العددان (١٠، ١١) شوال ، وذو القعدة - ١٣٧٤هـ .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٨٩) ، والحاكم (٤٨/٣) ، والبيهقي في الدلائل (٥٥/٣) . وضعفه محقق أبي يعلى .

كان هذا في غزوة بدر، ويدل عليه قول الله تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

وصح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ، وعن شماله يوم أحد ملكين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد- يعني جبريل وميكائيل[1].

وجاء في تفسير قوله تعالى: «مسومين» أي: معلمين، قالوا كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمر.

والمقصود من ذلك أن نزول الملائكة مددًا لرسول الله ﷺ في بعض غزواته، ثابت لا مرية فيه، وإنما ذهب إلى جحده وتأويله الفلاسفة الدهريون قديمًا، وتلامذتهم من بعض العصريين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس الظاهر، ولا يصدقون بغيب، أو يرون في التصديق بالغيب فضيلة.

وأنكر المؤلفون أيضًا مسخ أصحاب السبت من بني إسرائيل؛ حيث قالوا في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٥] قالوا: يمسخ الله قلوب المخالفين بأن صاروا كالقردة لا يعقلون شيئًا- إلى آخره.

ومعنى ذلك إنكار حقيقة المسخ، وصرف مدلول الآية عن المعنى المراد والظاهر إلى المسخ المعنوي الذي يلحظ من إعراض أصحاب السبت عن الحق لمسخ قلوبهم، أما صورهم وأشكالهم، وكونهم صاروا قردة وخنازير حقيقة، فذلك ما لا يؤمن به المؤلفون؛ جريًا على مبدئهم في إنكار ما لا تهضمه

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٦).

نفوسهم، أو يبعدهم عن مبدأ التقريب العصري الذي يجنحون إليه، ولهم على هذا المنحى أنصار ومشايعون من العلماء المعاصرين، إلا أن الجمهور مجمع على خلافهم، وقول الجمهور وإجماعهم حجة إذ كان مستمدًا من الأقوال المأثورة عن السلف رضوان اللّٰه عليهم، وهم أعلم الأمة بمقاصد القرآن، ومراميه، وأحوال نزوله، فهم في عصر التنزيل ينقلون ما ينقلونه من مصدر النور والعرفان، ولا يجوز عليهم الكذب.

وقد رددت على هذه النقطة عينها عندما كنت أعقب على تفسير المراغي قديمًا في مجلة «الحج»، رددت عليها ردًّا مطولًا عرضت فيه لرأي الشيخ محمد عبده حيث قد وضعه الأستاذ المراغي واستشهد به كحجة فيما يذهب إليه من إنكار حقيقة مسخ أصحاب السبت، وأوردت فيه أقوال أئمة التفسير كابن جرير، وعرضت أيضًا لموضوع خرق السنن التي سير اللّٰه عليها نظام الكون، وأوردت كل ما يتعلق بهذا الموضوع، بما لا يدع مجالًا للشك، في أن المسخ كان حقيقة واقعة، وقلت: إن اللّٰه هو الفعّال لما يريد، يفعل ما يشاء، إذا شاء، كيف ما شاء.

ولعل مجلة «اليمامة» تفسح المجال لإعادة نشر ما نشرته من هذا البحث في مجلة «الحج» ولو على صفحات ملحقها، إنها بذلك تكسب أجرًا، وتساهم في رد فرية المفترين وإبطال كيد الجاحدين.

وأما جنوح المؤلفين إلى إنكار وجود سماوات بالمعنى الذي ورد به ظاهر القرآن؛ فيتضح ذلك من قولهم عند تفسير قول اللّٰه تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩]. قالوا: اقتضت إرادته أن يخلق السماوات، وهي الأجرام العلوية، كل منها يسبح في فلكه، فأتمهن سبعة، وإذا كان العلم قدّر الأفلاك تسعة أو أكثر، فليس في الآية ما يدل على نفي

الزائد على السبعة ، فإن مفهوم العدد ، وهو سبعة ، يدل على مجرد الكثرة- إلى آخره ، ومصدر المؤلفين في ذلك الفخر الرازي .

والمؤلفون بهذا التفسير قد ركبوا الشطط لمخالفتهم ظاهر القرآن ؛ حيث قد نص صراحة في غير ما آية أن اللّٰه تعالى خلق سبع سماوات طباقًا ، وأنه تعالى زين السماء الدنيا بمصابيح ، وأنه جعل لكل سماء عمارًا من الملائكة ، كما وضحه حديث الإسراء والمعراج(١) ، وأن الرسول ﷺ كان يستفتح له جبريل كل سماء ، فيجتازها إلى الأخرى ، وكما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [سَبَإ: الآية ٢٣] الآية . والضمير في : "قلوبهم" يعود على الملائكة سكان السماوات ، كما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : "إذا أراد اللّٰه تبارك وتعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة- أو قال رعدة- شديدة من خوف اللّٰه تعالى ، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا للّٰه سجدًا ؛ فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه اللّٰه من وحيه بما أراد ؛ فيمضي(٢) .



---

(١) حديث الإسراء والمعراج ، أخرجه مسلم (١٦، ١٦٤) من حديث أنس ، وأبي ذر ، ومالك بن صعصعة رضي اللّٰه عنهم .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) ، وابن حبان (٣٧) من حديث ابن مسعود رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني .

دعوة الحق[1]

دعوة الحق ودعوة الصدق هي دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الأولين والآخرين محمدبن عبد اللّه ﷺ ، هي تلك الدعوة التي شع نورها من بين بطاح مكة بلد اللّه المشرف منذ أربعة عشر قرنًا ، فبددت الظلام الحالك الذي أرخى سدوله على البشرية ، وأشرقت بها الدنيا ، وتجاوبت أصداؤها في العالم ، هي الدعوة التي كتب لها النماء والخلود ، فنمت من قلة في أنصارها ومحتضنيها بادئ ذي بدئ إلى كثرة كاثرة ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا ، ومشى بها القوي إلى جانب الضعيف ، وتساوى الأمير والصعلوك ، ووقف السيد بجوار المسود ؛ شعار الجميع وحدة متماسكة ، وتقوى غامرة ، عليها مدار التفاضل بين المجموع ، كما أخبر بذلك صاحب الدعوة رسول الهدى ، حيث يقول في خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند اللّه أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »[2] .

هذه الدعوة الكريمة دعوة الحق هي الجوهر- والجوهر معدن ثمين- من حقه أن يعنى به ؛ لئلا يعفى عليه النسيان ، وأن لا يتطرق إليه العبث بمرور الزمان ، ولئن كان في الناس من يجنح إلى العناية بالمظهر دون الرعاية للجوهر بحكم تأثير الوسط أو العادات الموروثة ، فإن من حق كل مسلم آتاه اللّه بصيرة نيرة أن يسلك الجدد ، وأن يعنى في طليعة ما يعنى به بإعادة ذكرى هذه الدعوة ؛ دعوة الحق ، والتذكير بها ، والانصراف إلى التحدث عنها ، وخاصة في المناسبات المتجددة

---

(١) مجلة المنهل - ربيع الأول - ١٣٧٨هـ .

(٢) أخرجه أحمد (٤١١/٥) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ . وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠) . وتقدم قريبًا نحوه .

المتكررة بمرور الزمن، كمناسبة عود شهر ربيع الأول؛ الشهر الذي كان فيه مولد صاحب الرسالة العظمى، ونبي الدعوة الإسلامية، دعوة الحق والصدق، ﷺ، فإذا قام أنصار المظهر بإقامة الحفلات وقراءة الموشحات وبسط الموائد لمناسبة ذكرى المولد الشريف؛ فإن من حق الدعاة إلى الخير أن يوجهوا الأنظار في هذه المناسبة إلى جوهر الدعوة الإسلامية، دعوة الحق والصدق، الحق الذي لا يتعدد، ولا تختلف الطرق في الوصول إليه، والصدق الذي لا يزاحمه باطل، ولا يكون الداعي إليه مفتريًا ولا متجنيًا؛ لأنها في جوهرها دعوة إلى اللّه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣]، وهي العهد الذي عهد به رسول اللّه ﷺ إلى كل مسلم يؤمن باللّه وينتهج نهج رسول اللّه على هدى وبصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨]

هي دعوة إلى تنظيم الصلة بين العبد والمعبود، والخالق والمخلوق، بحيث لا يرتفع المخلوق إلى درجة الخالق، كيفما كان وضعه، ومهما بلغت منزلته، كما صورتْ ذلك دعوةُ الرسول ﷺ لأهل الكتاب، حيث يقول اللّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤].

قال الشيخ الإمام محمد عبده رحمه اللّه عند تفسيره[1] لهذه الآية: يدعوهم إلى أصل الدين وروحه الذي اتفقت عليه دعوة الأنبياء، وهو سواء بين الفريقين، أي: عدل وسط لا يرجح فيه طرف على آخر، وهي أيضًا عين دعوته ﷺ لجميع العرب؛ حيث كان يقول لهم في مجتمعاتهم وأنديتهم: «يا أيها الناس إني رسول

(١) انظر تفسير المنار (٢٦٨/٣).

الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني »(١) . فهي دعوة عالمية لا إقليمية ، دعوة يشترك فيها الناس جميعًا وتنمحي فيها فوارق الجنس والعنصرية ؛ فهي للعرب والعجم على حد سواء ، وهي للأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، وقد حصر الشطر الأول من الآية السالفة أرفع أهداف الدعوة ، وهي قوله تعالى : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤] أي : أن العبادة تكون محصورة ومقصورة على الله جل جلاله لا تتجه إلى سواه ، وما بقي من شطر الآية الثاني وهو ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤] تأكيد للشطر الأول ؛ إذ من المسلَّم به أن من لازم عبادة الله والإخلاص له ، نفي الشريك عنه في أي لون من ألوان التشريك .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤] تقرير لوحدانيته سبحانه في الربوبية ؛ لأن معنى الرب ، كما عرفه بعض العلماء : هو المربي الذي يربي عباده بالنعم ، كما يربيهم بالأوامر والنواهي ، وله وحده حق التشريع والتحليل والتحريم ، فلو اتخذ الناس مشرعين غير الرب المعبود يحللون ويحرمون ؛ لكان ذلك من اتخاذ المخلوقين العاجزين أربابًا من دون الله ، يوضح ذلك حديث عدي بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ ، وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : « يا عدي اطرح عنك هذا الوثن » . ثم قرأ : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣١] الآية . فقلت : يا رسول الله ، لم يكونوا يعبدونهم . قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيحلونه » . قلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم »(٢) . أي : أن لون عبادتهم للأحبار والرهبان كانت في تقديسهم

(١) أخرجه أحمد (٤٩٢/٣) من حديث ربيعة بن عباد الدِّيلي رضي الله عنه ، بنحوه . وضعفه محققو المسند .

لتشريعاتهم وقبولهم لآرائهم وطاعتهم في معصية اللّه ، وفي تحليل ما حرمه اللّه ، وتحريم ما أحله ، فكانوا بذلك أربابًا من دون اللّه ، وجاءت الآية السالفة مصرحة بعدم جواز ذلك ، فأكدت ضرورة الإقرار للّه بالوحدانية في الربوبية إلى جانب وحدانيته وتفرده في الألوهية ؛ ولهذا قال العلماء عن هذه الآية : إنها أساس الدين المتين ، وأصله الأصيل ؛ مستدلين على ذلك بكتابة النبي لها في كتبه التي دعا بها أهل الكتاب للإسلام ، كما كتبها لهرقل والمقوقس وغيرهما .

هذه هي دعوة الحق التي يجب أن تستمر ، قائمة إلى الأبد ، ويجب أن يستعاض بها عن المظاهر البراقة والشكليات التي يعمد إليها البعض في مثل هذه المناسبة ، مناسبة المولد النبوي الشريف ، كالاحتفال بقراءة قصة المولد ، والاجتماع عليه ، والموائد التي تقام للمناسبة نفسها ، وترتيل الموشحات بأنغام موسيقية جذابة ، وغير ذلك مما استحدث في أعقاب الزمن ، ولم يكن له أثر في خير القرون .

يقول فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، عضو جماعة كبار العلماء في كتابه « منهج القرآن في بناء المجتمع » : وما كان المسلمون الأولون يفكرون في تعيين زمن خاص يذكرون فيه الناس بعظمة محمد ﷺ عن طريق الاحتفالات التي تقام ، أو المقالات التي تكتب ، أو الأحاديث التي تذاع ، وإنما كانوا يرون- كما هو الواقع- أنها عظمة خالدة بخلود آثارها في العالم تنمو وتمتد وتسري بقوتها الذاتية في جوانبه شرقا وغربًا ، وتنطلق أشعتها على مجاهيل الكرة الأرضية ، فتنبض لها القلوب ، وتتحرك لها العقول ، وتنشرح بها الصدور ، وتمتلئ بروعتها وبساطتها النفوس ، وترسم هي لهم سبل السير ؛ فيكشفون عن جوهرها ومصدرها ، وعن نظمها في الحياة ، وكان ذكراها لديهم في ترسم خطاها ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) ، والطبراني ١٧/٩٢ (٢١٨) . وحسنه الألباني .

والجد في نشرها ، وفتح قلوب الناس لها ، والعمل على انتفاع الإنسانية بها .. إلى آخر ما جرى به قلم هذا العالم الجليل في المقارنة بين السلف والخلف ، وفي عناية الأوائل بالجوهر واستعاضة الآخرين عنه بالقشور والمظهر ، ولم يكن المظهر في يوم من الأيام يعطي صورة حقيقية ، ولا يعبر عن واقع ، إن هو إلا كالزبد يجترفه التيار ، ولا يلبث أن يتلاشى ، نسأل اللّٰه أن يهدينا سبل الراشدين ، ويأخذ بنواصينا إلى الحق وإلى صراطه المستقيم .



توجيهات من الإمام المربي(١)

قد يظن البعض أن علم التربية وأصول التعليم وقف على فريق من الناس وضعوا نظرياته، وألفوا قواعده، واصطلحوا على أساليبه ومناحيه؛ مستوحين ذلك من دراسات وتجارب خاصة، أو مسترشدين بآراء العلماء النفسيين الذين سبروا أغوار النفس؛ ووقفوا على أسرارها، وعالجوا مذاهبها، وهذبوا نزعاتها.

وقد يكون في ذلك شيء من الحقيقة، إلا أن الجزم به على اعتبار أنه قاعدة لا تقبل المناقشة، أو تحتمل التغيير والتبديل خطل وتجن على الواقع، إذ قد عرف عن كثيرين ممن عاشوا في أوساط لم ترج فيها المدارس المستحدثة، ولم يدخلها التثقيف العصري بكل وسائله وتطوراته واتجاهاته..

أقول: إن كثيرًا ممن أنجبتهم الصحراء ولم يكتب لهم أن يريموها أثر عنهم في هذا المضمار دروس، هي في الواقع من خير ما يهدي إلى السبيل، ويرتفع بمدارج التربية والتعليم إلى أوج الكمال، ويخطو بها خطوات تقدمية ناجحة تؤتي أحسن النتائج، وتثمر أجمل الثمار في حدود خاصة ونطق معينة.

ولست بصدد عرض النماذج وسرد القصص والتحدث عن اتجاهات أولئكم الموهوبين وطريقتهم في التربية، وما يرسمونه في مجالات التثقيف والتهذيب، غير أني- وقد طرقت الموضوع- سوف ألمح إلى مثل واحد يوقفنا على مبلغ ما وصلوا إليه من النضج وكمال المعرفة، وتمام الحصافة وصحة التجربة في دنيا التثقيف ومناحي التعليم والتهذيب، وهذا المثل يشمل ضروبًا من ألوان التوجيه حظي بها فريق من أبناء هذا السلك ممن اشتغلوا به ردحًا من الزمن على ضوء آراء المربين، وما سطروه من كُتب ومذكرات في المتناول.

(١) مجلة المنهل - ١٤/ ٥.

أما صاحب التوجيه فهو الإمام الراحل عبد العزيز، طيب اللَّه ثراه.

فلقد كان أول ما رسمه لتثقيف أنجاله أن طلب إلى مدير المعارف أن يضع بالاشتراك مع أحد مستشاري جلالته منهجًا للدراسة يغرس في أنجاله الروح الدينية لتهيمن على نفوسهم، ونص على تفسير القرآن بالذات قائلًا: أريد أن يفهم أولادي معنى ما يقرؤون من القرآن؛ ليكون ذلك أدعى إلى العمل، فالعلم بلا عمل لا فائدة فيه.

ثم التفت إلى المدرس الأول في المدرسة موجهًا إليه خطابه قائلًا: نحن عرب ندرك بفطرتنا ما لا يدركه غيرنا، البسائط من الأمور لا تعتنوا بها، اسمع هذا المثل: البقرة خلقها اللَّه بشكلها المعروف، لها أرجل ورأس وغير ذلك.. فتعليم شيء عن البقرة أكثر من هذا ضياع في الوقت وحرمان من الفائدة.. اعتنوا باللباب واتركوا القشور.

وتلك نظرية من أروع النظريات في أصول التربية يرشد إليها الراحل العظيم على سجيته، دون درس وتعمق، وفي غير فلسفة وتعسف.

وعندما تهيأت الأسباب، واكتمل الترتيب لفتح المدرسة، استدعى الإمام المدرس الأول في مجلس خاص، وتوجه إليه بقوله: أنا أعلم أنك شديد على العيال، وبلغني أنك ضربت فلان بن فلان، يعني أحد أفراد الأسرة، وأنا أشير عليك أن لا تضرب العيال من أول مرة؛ لأنهم ينفرون منك، إذا درجوا في القراءة وألفوا المدرسة «وأخمل» أحدهم فأدبه، وإذا تأخر أحد منهم عن المدرسة ساعة، أخره ساعتين، وإذا قصر فأخره حتى يكمل القاصر عليه.

والإمام بهذه التوجيهات يرسم أنجع[1] طريقة للجزاء على أحدث ما نوه عنه

---

(١) نجع الشيء، نجوعًا: نفع وظهر أثره، وأنجع الشيء: نجع: والرجل: أفلح. «المعجم الوسيط» (نجع).

أساطين التربية فيما دونوه وسطروه، وبدهي أن جلالته منساق إلى هذا التوجيه بفطرته، وصائب حكمته، وصادق تجربته.

وابتدأت الدراسة فلحظ الإمام كثرة العلوم بالنسبة للطلبة المبتدئين، فبعث إلى المدرسة رسولًا يبلغها رغبته في حذف أكثر الدروس التي تزاحم القرآن، والاقتصار على كل ما له ارتباط به، كدرس المطالعة والإملاء، والعناية بهذه الدروس أولًا، ثم تأتي بعد ذلك بقية العلوم شيئًا فشيئًا بالتدرج.. وهذه نظرية أدلى بها بعض المربين، وأثبتت التجربة أنها خير من النظرية التي تكرب الطالب وتجهده بدراسة علوم مختلفة لا يتقن منها إلا القليل.

واستمرت الدراسة أمدًا طويلًا وقطع فيها الطلبة شوطًا كبيرًا في مختلف العلوم، ودخل عليه أحد أنجاله يحمل كتبه الدراسية، ومن بينها مجموعة من كتب الدين والعلوم العربية والاجتماعية، وأخذ يعرض على والده الكتب واحدًا واحدًا، معتزًا بالجهود التي صرفها في الدروس والتحصيل، وأدرك الإمام موجة الزهو التي كانت تغمر الطالب الصغير، وفي الوقت الذي كان يرقب الابن كلمة التقدير يفتر عنها لغر الوالد، إذا به يرجع عليه كتبه قائلًا:

أنا لا أصدق أنك أصبحت طالب علم حتى أجلسك أمام العلماء يسألون وتجيب عما تسأل عنه. فاضمحل الزهو وتضاءلت شخصية الابن أمام كلمات والده وتصريحاته، ولم يعد بعدها يفخر أو يعتز بمجهود صرفه أو نشاط بذله.

ونظرية علماء التربية في معالجة زهو الطالب وغروره تكاد تكون عين النظرية التي عالج بها الإمام الموقف.

وقصة أخرى تشبه في ظروفها هذه القصة، عالجها الإمام بنفس العلاج، ولكن صاحب القصة فيها المعلم لا التلميذ، فقد دخل على الإمام وهو يحمل أنموذج أول شهادة أصدرتها إدارة المعارف لطلاب مدرسة أنجاله، ويكاد

المدرس يطير فرحًا ؛ لبدو أول الثمار وظهور طلائع النتائج السارة ، وتناول الإمام الشهادة وتملاها ، ثم التفت إلى المدرس قائلًا : هذه شهادة النجاح من المدرسة ، فأين شهادة النجاح في العمل ؟ هل علمت العيال علمًا مقرونًا بالعمل ؟

وطأطأ المدرس رأسه إعظامًا لهذا الاتجاه ، وحار في الإجابة ، إذ إن التعليم في كل أدواره ومراحله نظري ، لا يضمن النتائج ، ولا يحفز على التطبيق العملي .

أما حزم الإمام مع أنجاله في هذه الناحية ، فحدث عنه ولا حرج ، أذكر مرة أنه خرج إلى أحد « المقانيص » وكان مقررًا أن تكون الدراسة ليلًا ، وهبت في إحدى الليالي عاصفة هوجاء ، واستمر هبوبها مدة طويلة ، وفي تلك اللحظات تفقد أنجاله فألفاهم قد تأخروا عن المدرسة ؛ من جراء تعكر الجو وهبوب الرياح ، فتوعدهم بأقسى العقوبات إن لم يتلافوا التقصير بالذهاب إلى المدرسة حالًا ، وما كان منهم إلا أن هرعوا إلى المدرسة وسط زمجرة الرياح ، وفي الظلام الحالك ، وغدت سياراتهم حجرًا للدراسة ، إذ إن العاصفة لم تبق على شيء من الخيام .

هذه صفحة مطوية من صفحات الإمام ، آثرت التحدث عنها ؛ لتسجل إلى جانب ما للفقيد الراحل من صفحات خالدة ، وتسطر بمداد الذهب بين دفتي التاريخ ؛ لتحكي للأجيال طرقًا جديدة وأساليب ناجحة واتجاهات تربوية راشدة سطرها الإمام بحذقه وواسع مداركه وبفهمه وعمق تجاربه وبعيد نظره ؛ متمشية مع أحدث النظريات في هذا المجال .

أسبغ اللّٰه عليه شآبيب الرحمة والرضوان ، ومتع الأمة بحياة عقبه ووريث عرشه الملك الصالح « سعود » ، أعز اللّٰه به الدين والدنيا ، وكتب له التأييد وحسن العاقبة في العاجلة والأخرى .



الإصلاح الديني .. ودُعاتُه[١]

حاجة الإسلام إلى دعاية

خطوة مباركة يخطوها صديقنا البحاثة الأستاذ حمد الجاسر بإصداره صحيفة في « الرياض » باسم الرياض ، يسمع الناس بها صوت الرياض ، ويستنشقون منها عبير الرياض ، ويتلقون منها فكرة صالحة ومعلومات صحيحة عن الرياض ، وعن سكان الرياض ، وعن الحركة العلمية والنشاط التجاري والعمراني في الرياض ، وما إلى ذلك .. مما هو جدير أن يُعْلَمَ وينشر عن الرياض ؛ عرين أسد الجزيرة ؛ والعاصمة الثانية لهذه المملكة الإسلامية السعيدة ، مد اللّه ظلها- .

ومن أجدر وأقدر من صديقنا الأستاذ حمد على الاضطلاع بأعباء هذه المهمة العلمية الجليلة ، وهذا المشروع الأدبي البازر ، ومن أولى منه بهذه الثقة والتقدير اللذين صادفهما من ولاة الأمور ؛ دعاة الإصلاح ورافعي عَلَم النهضة المباركة ؟

ولقد رغب إلي فضيلته في كتابة مقال بهذا العنوان (حاجة الإسلام إلى دعاية) ، فلبيت مدفوعًا برغبة ملحة كثيرًا ما تنازعني الكتابة في أمثال هذه المواضيع ، وإخلاص صادق حَتَّم عليّ المسارعة والإسهام العاجل .

وفي الواقع أن الإسلام لم يك في عهد من عهوده السالفة ، بأحوج منه للدعاية في مثل ظروفه الحاضرة ، ذلك أن عوامل الهدم والفساد وبذور الشر والفتنة أخذت تستشري وتطغى على كل ما له صلة بالدين ، أو يصطبغ بشرعة رب العالمين ، أو له علاقة بماضي الإسلام في عصره الذهبي من السيرة النبوية وسنن الصالحين من الخلفاء ، أئمة الهدى والدين ، فَمِنْ نِحَلٍ مُضلة شوهت معالم الحق ، وضل بها السطحيون والجاهلون ، إلى بدع شائنة مزرية وشعوذات مضللة ألصقها بالدين أدعياء الإسلام من خرافيين وقبوريين ، وصوفية مضللين ، إلى

(١) مجلة اليمامة - العدد الأول - ١٣٧٢/١٢هـ.

إلحاد سافر وضع بذور التشكيك في دين اللَّه ، وسدد طعناته إلى صميم الإسلام ، محاولة إطفاء نور اللَّه ، وهدم صرح الإسلام الشامخ ، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: الآية ٣٢] ، وقد تكفل بحفظ دينه وتأييد حماته ، ولو أجلب عليه وعليهم الملحدون ، والمارقون المتزندقون ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: الآية ٩] إلى مادية طاغية باغية ، زعزعت الثقة باللَّه ، وحاربت مبدأ التوكل والاعتماد على اللَّه ، وقضت على كل المقومات الأخلاقية ، والمثل العليا ، والمعاني الإسلامية الرفيعة ، إلى غير ذلك مما أبعد الشقة ووسع الفجوة بين واقع الإسلام الصحيح ، وبين من ينتسب إلى الإسلام ممن يرزح(١) تحت نير هذه المنازع الفاسدة ، والأضاليل الفاشلة ، والمبادئ الهدامة الخطرة .

من أجل ذلك ، ولتجنب الإسلام وأهله ، أوحال هذه المزالق ، ولإظهار تعاليمه ومبادئه ، واضحة المعالم ، ناصعة الإهاب ، مشرقة الدلالة ، سمحة المأخذ ، من أجل ذلك ، كان لابدّ للإسلام من دعاية تحمي سياجه ، وتقشع عنه سحب الباطل ، وتدفع مزاعم الأفاكين والمبطلين ، وتخمد ثورة الباغين والمتطرفين ، وكان لابدّ له من دعاة ينفون عنه تحريف الغالين ، وعنت المتعسفين ، وجحد الجاحدين ، وضلالات المضللين ، تلك الدعاية وأولئك الدعاة خير دعاة يرتكز عليها الإسلام ، وخير وسيلة يبلغ بها الأعماق ، وقد عبر اللَّه تعالى عن هذه الوسيلة ، ورفع من شأن الداعين ، إذ يقول في محكم كتابه : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٤] ، ويقول : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٧] ، ويقول : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨] ، ويقول :

(١) رزح البعير يرزح بفتحتين رُزُحًا ورُزاحًا : هزل هزالًا شديدًا . «المصباح المنير» : (رزح) .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣] ، ويقول : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣] .

ويقول رسول الإسلام والهداية محمد صلوات اللّه وسلامه عليه : « إن اللّه تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »(١) . ويقول : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه »(٢) . أي : لا تزال محتضنة الحق إيمانًا ودعوة وجهادًا في سبيله ، ففي هذا مع ما قبله من الآيات معاني الدعوة ، والترغيب فيها ، ورسم طريق الداعين والمصلحين . ولقد صدق اللّه وعده ؛ إذ كان يبعث في كل فترة من الفترات ، وكل حقبة من الزمن درس فيها الدين ، وفترت في النفوس بواعثه ، يبعث مجددًا ومصلحًا ، وداعيًا إلى الخير وإلي سبيل اللّه وصراطه السوي ، يهدي به اللّه من الضلالة ، ويبصر من العمى ، وينتل(٣) من الغواية ، وليس المجال بمتسع للقيام بجولة مستوعبة جميع حركات الإصلاح منذ عهد الرسالة حتى الآن ، ولا بمحتمل لعرض شامل للدعاة والمصلحين في كل قطر من أقطار الإسلام ، وكل صقع خلّد الداعون فيه أثرًا لدعوتهم ، وتركوا فيه بقية صالحة من نشاطهم الفكري ، وجهادهم السلمي في ميدان الكفاح ، بيد أني ، وقد أتاح لي مدير « الرياض » فرصة التحدث من منبر صحيفته الفتية المتوثبة ، لا أدع الفرصة تمر دون أن ألمع إلى أئمة الدعوة الإسلامية ، في هذا الشق من قلب الجزيرة ،

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه . وصححه الألباني .
(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي اللّه عنه ، وأخرجه البخاري (٧٣١١) ، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رضي اللّه عنه ، بنحوه .
(٣) نتل الرجل من بين القوم نتلًا ونتولًا ونتلانا : تقدم والشيء نتلا : جذبه إلى قدام . « المعجم الوسيط » (نتل) .

وفي هذا القطر الناعم البليل[1] « نجد » ، إذ إن الشيء بالشيء يذكر ، والكتابة عن الدعاية للإسلام من مستلزماتها التحدث عن الداعين والمصلحين ، ممن كانت لهم جولات واسعة المدى ، وبنوع أخص في هذا الصقع الذي انبعثت منه حركةٌ إصلاحية طبق ذكرها الآفاق ، وصمت قوارعها أذان الباطل ، وذلك في الحقبة التي بين عام ١١٥٧ وعام ١٣٧٢.

ففي عام السبعة والخمسين بعد المائة والألف كانت الحركة في ريعان صباها ، وعنفوان نهضتها ، يتزعمها شيخ الإسلام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويناصره عليها الإمامان السعوديان ؛ محمد بن سعود ، وابنه عبد العزيز ، وقد تفتح لهذه الدعوة الوعي الإسلامي ، وانفسحت لها القلوب العامرة بالإيمان ، والرغبة الصادقة في استظهار الحق ، والارتشاف من معينه الصافي الكبير .

ثم خلف الإمام المجدد في احتلال مركز الزعامة الدينية ابنه الأكبر الشيخ حسين[2] حيث شغل الفترة من عام وفاة الشيخ سنة ١٢٠٦ حتى سنة ١٢٢٤ في بقية عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وفي ولاية الإمام سعود ، الملقب بسعود الكبير ، والذي كان عهده من أنضر عهود الدعوة وأزهى عصورها ، إذ امتد سلطانها من أقصى الجزيرة إلى أقصاها من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي ، ومن عمان إلى حدود الشام .

وتركزت الزعامة الدينية بعد وفاة الشيخ حسين سنة ١٢٢٤ في أخيه الشيخ عبد اللّٰه الذي كان يناصره ويؤازره ، وقد أصبح الشيخ عبد اللّٰه هو الزعيم الديني في أخريات عهد الإمام سعود الكبير ، وفي عهد ابنه الإمام عبد اللّٰه بن سعود إلى

---

(١) البليل : كأمير ، ريح باردة مع باردة مع ندى وهي الشمال كأنها تنضح الماء من يردها . وبليل : باردة بمطر « تاج العروس » (ب ل ل) .

(٢) من هامش الصحيفة ما نصه : ذكر ذلك ابن بشر في تاريخه وبلغني أن فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم يري أن الذي حل محل شيخ الإسلام بعد وفاته في نشر الدعوة السلفية هو ابنه الشيخ عبد اللّٰه .

عام ١٢٣٣، ١٢٣٤، حيث كانت النكبة بأفول نجم آل سعود ، وإخراجهم مع آل الشيخ من ديارهم إلى مصر ، بما فيهم الزعيم الديني الشيخ عبد اللّٰه ابن شيخ الإسلام المجدد .

وتلا ذلك فترة ركود للدعوة حتى عام ١٢٤١ حين عاد من مصر حفيد شيخ الإسلام المجدد الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد ، فأخذت الدعوة تنشط وتزدهر ، وطلائع الحركة العلمية في نجد تنمو وتتوثب ، يشد أزرها كل من الأئمة السعوديين الإمام تركي بن عبد اللّٰه بن محمد بن سعود ، فابنه الإمام فيصل ، فابنه الإمام عبد اللّٰه .

وقدم من مصر عام ١٢٦٤ العلامة الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن فآزر والده في الحركة ، وخلفه في الدعوة بعد وفاته سنة ١٢٨٥ حتى عام ١٢٩٣، حيث توفي الشيخ عبد اللطيف فتولى توجيه الحركة وتغذيتها وتدعيم الدعوة الإصلاحية أبناؤه المشائخ إبراهيم ومحمد وعبد اللّٰه إلى عام ١٣٣٩ في عهد الملك الصالح ، والإمام التقي العادل ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، خلد اللّٰه ملكه ، وبارك في سمو ولي عهده ؛ رمزًا للإصلاح والتطور النافع المحمود ، فقام بأعباء الدعوة والاضطلاع بالزعامة الدينية خلفًا لأسلافه منذ وفاة الشيخ عبد اللّٰه بن الشيخ عبد اللطيف سنة ١٣٣٩هـ العلامة الحجة ، فضيلة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ المجدد ، يعاونه في حمل العبء أخوه فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم مدير معهد الرياض العلمي .

هذه لمحة عابرة عن أئمة الدعوة ورجال الإصلاح الديني في نجد من القرن الثاني عشر الهجري حتى القرن الرابع عشر ، ولست أعني بهذا العرض لرجال الدعوة عقم البلاد عن إنجاب غيرهم من أصحاب الفضيلة ، رجال الدين ،

وحاملي علم العرفان في هذه الحقبة المذكورة ، وهذا القطر ، وإنما جنحت لقصر العرض على من اعتلوا منصب الرئاسة ، وكانوا كمرجع أعلا للقضاة ، وأئمة المساجد وطلبة العلم ، وهو ما يعبر عنه بالاصطلاح العرفي في دنيا الرسميات والوظائف : بالمفتي الأكبر ، أو رئيس القضاة ، وشيخ العلماء .

وعدا أصحاب هذه المناصب فكثيرون ممن تصدوا للتعليم ، واشتغلوا بالقضاء والتأليف ، من آل الشيخ المجدد وغيرهم ، أخص بالذكر منهم الشيخين علي ابن الشيخ حسين ، وسليمان ابن الشيخ عبد اللّٰه ، حيث قد شغلا قضاء الدرعية في عهد الإمامين سعود ، وعبد اللّٰه بن سعود ، والشيخ عبد الرحمن بن حسين الذي شغل قضاء الخرج في عهد الإمام تركي ، والشيخ حسن بن حسين الذي شغل منصب قضاء الرياض في عهد الإمام تركي أيضًا ، والمشائخ عبد الملك بن حسين ، وحسين بن محمد بن حسين ، وحسين بن علي بن حسين ؛ الأول نصب في قضاء الحوطة ، والثاني في قضاء الحريق ، والثالث في قضاء الرياض ، وكلهم في عهد الإمام فيصل ، وإن ننس فلا ننسى سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد اللّٰه بن حسن بن حسين آل الشيخ ؛ إذ قد اختصه صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بإمامته في الحل ، وصحبته في الضعن ، قاضيًا ، إلى جانب الإمامة ، ثم استقر به المقام في الحجاز ، إمامًا وخطيبًا بالمسجد الحرام ، فرئيسًا للقضاة ما يقرب من ربع قرن ، وكانت له اليد الطولى ، والأشواط البعيدة ، في تدعيم النهضة الدينية الحديثة في الحجاز ، وفي توجيه برامج التعليم الديني ، وتنظيم حركة التدريس في الحرمين الشريفين ، وإصلاح شئون القضاء ، وغير ذلك ، فأحر به أن يعد في سجل البارزين ، ممن عنوا بالدعوة عناية ملحوظة ، وانتعشت على أيديهم أيما انتعاش ، وكذلك أخوه الشيخ عمر بن حسن رئيس (الحسبة) في الرياض ، كل أولئك وأمثالهم ممن يضيق المقام عن استقصاء ذكرهم ، كان لهم قدم صدق في الدعوة ، وآثار حمد في الداعين والسالكين .

الإصلاح الديني .. ودُعاتُه[١]

حاجة الإسلام إلى دعاية

[٢]

عرضنا في أول مقالتنا هذه عرضًا تاريخيًا موجزًا لأئمة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّٰه، ممهدين لبحثنا (حاجة الإسلام إلى دعاية)

ونريد الآن أن نتحدث عن أسلوب هؤلاء الأئمة ومؤازريهم في الدعوة، وعن عوامل انتشارها وشيوعها، ومدى تطورها وارتقاء أساليبها، فذلك ما يعني الباحث المتتبع لأوضاع الحركة وتطوراتها.

كأن أسلوب الدعوة بادئ ذي بدء مبسطًا سهلًا، لا صنعة فيه ولا تعمق، توحي به طبيعة الصحراء الساذجة البسيطة البعيدة عن التعقيد، وبتناسب مع الحياة البدائية الفطرية السمحة، ويلاحظ المتتبع لإنتاج الشيخ المجدد، رحمه اللّٰه، والمطلع على مصنفاته أنها كانت غاية في اليسر، سهلة التناول، حتى لقد كان ينزل في بعضها أحيانًا لمدارك العامة فيخاطبهم بمثل لغتهم؛ تمشيًا مع العقلية الدارجة، وتفكير السواد الأعظم من العامة، فنجد كتابه «تلقين أصول العقيدة للعامة» يصور هذا الاتجاه أوضح تصوير.

وإلى القارئ نبذًا منه: «فإذا قيل لك: أيش معنى الرب؟ فقل: المعبود المالك المتصرف». يقصد الشيخ بكلمة «أيش»: أي شيء. كما يفهم من مجرى السؤال، وحسب التعبير العامي الدارج في نجد والحجاز «فإذا قيل لك: أيش العروة الوثقى؟ فقل: لا إله إلا اللّٰه. ومعنى: لا إله: نفي، وإلا اللّٰه: إثبات. فإذا قيل لك: أيش أنت نافي، وأيش أنت مثبت؟ فقل: ناف جميع ما يعبد من

(١) مجلة اليمامة – العدد الثاني- ١/١٣٧٣هـ.

دون اللّٰه ، ومثبت العبادة للّٰه وحده لا شريك له . فإذا قيل لك : أيش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ؟ فقل : توحيد الربوبية : فعل الرب مثل الخلق والرزق وإنزال المطر . وتوحيد الإلهية : فعلك بالعبد مثل الدعاء والخوف والرجاء . وعند الاستجواب عن النبي ﷺ ، جاء قوله : فإذا قيل لك : هو مات أو ما مات ؟ فقل : مات ، ودينه ما مات إلى يوم القيامة .

وهكذا كان هذا الأسلوب المبسط في الدعوة ناجحًا لأبعد مدى ؛ إذ خلا من التعقيد والصنعة ، وكان في مستوي جميع العقليات ، ويتمشى مع سائر الطبقات .

وكذلك كان خلف الشيخ المجدد ينتهجون نفس المنهج ، فيسلكون أيسر المسالك ، وأخصر الطرق ؛ لتعرف الدين ونشره ، والعمل على تخليصه من الشوائب ، وكانوا يبعثون النصائح إلى أمراء البلدان والأعيان ، وإلى العامة ، تقرأ عليهم في الجوامع والمجامع العامة ، ويؤلفون الرسائل المبسطة في العقائد والفقه ، فكانت تصادف من الجمهور إقبالًا واستجابة .

وكان من المألوف في عامة نجد ، حتى العهد الحاضر تلقين المصلين أصول العقيدة ومبادئ الفقه ، من قبل أئمة المساجد ، ثم التعقيب على هذا التلقين بأسئلة يوجهها الأئمة أنفسهم للمصلين ؛ لغرض تثبيت المعلومات ورسوخها ، وكانت الرغبة الصادقة في الاستفادة من العلم ، والاستزادة منه تدفع بالكثيرين ، وخاصة طلبة العلم ، إلى الاستفتاءات المتكررة ...[1] يغلق فهمه ، فتأتي الإجابة والفتوى من لدن المشايخ في الرياض ، وقبل الرياض من « الدرعية » مهد الدعوة ، أتى الإجابة مشرقة واضحة البيان والدلالة ؛ شافية وافية الغرض ، كاشفة للغامض .

وكان الأئمة من آل سعود يجنحون إلى بذل النصح للرعية عن طريق رسائل تحبر ، ويبعثون بها إلى أطراف المدن ؛ أشبه بمنشورات يصدرونها في الفينة بعد

(١) مقدار سطر غير واضح في الأصل .

الأخرى ؛ إما لتقرير حكم شرعي ، أو لمجرد النصح والتذكير باللّٰه ، والتحدث بنعمه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولغير ذلك من الأغراض العامة ، وكانت تلك الرسائل سهلة التركيب ، بعيدة كل البعد عن التلوين والزخرفة ، والتكلف والصنعة ، كان أبرز مظاهرها أنها تحمل الطابع الإسلامي بكل معانيه ؛ حيث كانت تتوج بالبسملة ، وتصدر باسم الإمام الناصح ، فالجهة التي تبعث إليها النصيحة ؛ وكثيرًا ما تكون النصائح مرسلة عامة ، كأن يقول الإمام في صدر النصيحة : إلى من يراه ، يعقب ذلك البدء بتحية الإسلام .

وإلى القارئ الكريم نبذًا مقتطفة من رسالة للإمام تركي بن عبد اللّٰه ، نسوقها كأنموذج لرسائل الأئمة من آل سعود إلى رعاياهم .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من تركي بن عبد اللّٰه إلى من يراه من المسلمين .

سلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته ، وبعدُ :

فموجب الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة لكم بالشفقة عليكم ، والمعذرة من اللّٰه تعالى إذ ولاني أمركم . الذي أوصيكم به تقوى اللّٰه تعالى في السر والعلانية ، وجماع التقوى أداء ما افترض اللّٰه سبحانه ، وترك ما حرم اللّٰه ...[1] الإسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، وكذلك الزكاة وبعض الناس يبخل ويستخلف بها ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام ، ونصاب الزكاة تفهمونه ، وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ، ولو كان من زرع قد زكي إذا حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو تمر أو أثمانها ، كل ما أعد للتجارة تحسب فيه عند الحول ، وكذلك معاملة الربا تفهموا أنها من أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب للّٰه ورسوله .

(١) غير واضحة بالأصل.

وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر ، إذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها فأسلمتها عليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية ، وكذلك بيع العينة وهي حرام ، وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، وكذلك المكاييل والموازين ، وأنا ملزم كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده وينظر فيها عن الخلل ، وتكون على مكيال واحد ، وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحمل بخس المكيال والميزان ، ولو كانت المعاملة مع ذمي ، وكذلك كل أهل بلد لابدّ أن يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع ، والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا ، وأنا أشهد اللَّه عليكم أني بريء من ظلم من ظلمكم ، وأنا نصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم ، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] ، وأعزكم اللَّه بعد الذلة ، وجمعكم بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة ، وأمنكم بعد الخوف ، وبالإسلام أعطى اللَّه ما رأيتم ، والسلام .

كل هذه وسائل ، عمد إلى استخدامها الأئمة ورجال الإصلاح لنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وكانت من أعظم العوامل لنجاحها ، واتساع رقعتها ، وانفساح خطاها .

وبعد انقضاء فترة الركود التي ألمعت إليها في كلمتي الأولى ، وبعد عودة الشيخ عبد الرحمن بن حسن من مصر أخذت الدعوة شكلًا آخر في التطور والانتشار ؛ حيث كانت الرسائل والمصنفات التي يؤلفها الشيخ عبد الرحمن ، وابنه الشيخ عبد اللطيف ، كانت تنحو منحى جديدًا من حيث التنسيق ودقة التصوير ، وغزارة المادة ، وجزالة اللفظ ، وسمك المعنى ، وانسجام التركيب ، وروعة الأسلوب ، وكان من وراء ذلك لون من الصراع مع خصوم الدعوة ، علا فيه صوت الحق ، وانخذل الباطل ، وتتابع نشاط الشيخين في الإنتاج العلمي ، فكوّن ثروة علمية ضخمة ، كانت العمدة في اقتضاء الأثر ، وبيان معالم الطريق .

وعادت الدعوة بعدهما إلى طريقتها النشطة ، وفتر نشاط الإنتاج ، والتأليف ، اللهم إلا من رسائل ومواعظ عابرة ، ونصائح تزجى في الفينة بعد الأخرى ، لولي الأمر ، أو لرؤساء الإخوان والبادية ، غير أن هذا الدور يمتاز بتطور جديد وخطوة تقدمية ، كانت من أهم عوامل انتشار الدعوة ، وامتداد سلطانها ، ذلك أن جلالة الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل أخذ يؤازر الدعوة ويدعم حركتها بطبع كتب السلف والإنفاق على هذا المشروع بسخاء منقطع النظير ، وضمن ذلك طبعت رسائل رجال الدعوة ، طباعة متقنة صحيحة ، في مطبعة « المنار » وغيرها ، وفي الهند قبل ذلك ، فكان لهذا الاتجاه أثر ملحوظ في إنارة الرأي العام الإسلامي ، ونشر فكرة واضحة صحيحة عن الدعوة وأهدافها ومراميها ، فانمحت بذلك الأضاليل والتهم التي ألصقت بها ، وقضي على الدرس ووسائل الخداع التي كانت ينصبها المضللون في سبيلهما .

كما قام سمو ولي العهد بطبع مجموعات من الكتب المفيدة ، كانت أساسًا لترتيب جديد في المجال العلمي ، وجاء صدور جريدة « أم القرى » في مكة ، فسد ثغرة كانت بحاجة إلى سد ؛ إذ كانت الصحيفة المذكورة منبرًا عامًا يسمع منه صوت الدعوة الإصلاحية مدويًا ، تتجاوب أصداؤه في نواحي المعمورة ، ويعم نفيره الخافقين ، وتلك صورة جديدة من صور تنوع أساليب الدعوة وتطورها .

وإنا لنأمل أن تكون صحيفة « اليمامة » خير وسيلة لربط الحاضر بالماضي ، وأخصر طريق يبلغنا الغاية ، ويسير بنا إلى عالم النور ، حيث نجد الحقائق واضحة المعالم ، وحيث نجد الدعاية الصالحة للإسلام ، وحيث نستمع إلى كلمة الحق والدعوة إلى الله مجلجلة مدوية تنقلها هذه الصحيفة إلى الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، من سكان الدنيا وعمار الأرض .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣] .

سؤال وجوابه
خُطب الجُمع(١)

يسألني الكثيرون ممن لا اتهمه في إخلاصه من خيرة الإخوان عن مصير خطب الجمعة؟ عن السبب في الإحجام عن نشرها وإخراجها في كتاب مستقل، كسجل لإنتاجي؟ ولتعميم النفع، فإن الكثيرين لا يتيسر لهم سماعها، وخاصة من يسكن في بلد غير مكة؟

ويبالغ البعض معي ويحذرني من مغبة الضن بالخطب، ويجعل هذا التصرف من باب كتمان العلم، ويذكرني بما ورد في الوعيد بشأن كاتم العلم، ويريد البعض الآخر من الإخوان أن يجعلني أمام الأمر الواقع فيتبرع بكتابة المقدمة، وفي طليعة هذا البعض صاحب «مجلة المنهل»، فلقد رسم فعلًا في ليلة شرفني فيها بزيارته، رسم الخطة التي يسير عليها في كتابة المقدمة.

وجوابي لهؤلاء الإخوان الأفاضل، والأصدقاء الذين محضوني النصح، وبالغوا في تشجيعي؛ لإبراز خطب الجمعة إلى حيز الوجود.

جوابي إليهم مع تقديري لعواطفهم واحترامي لشعورهم نحوي، ونحو إنتاجي الضئيل: إن خطب الجُمع ما هي إلا وسيلة من وسائل التقويم العديدة أدت مهمتها وقامت بواجبها في الظرف الذي هيأه لها الشرع، فلم تعد بعد أن قامت بالواجب صالحة للإعادة والتكرار، وهي ليست بقرآن يؤجر عليه التالي، وكلما ردده تضاعف أجره وعظم ثوابه، بل هي نصائح عابرة ومواعظ يوجد الكثير منها في بطون الكتب والمؤلفات الإسلامية، ودراسة الكتب التي تحوي الكثير من المواعظ والذكرى للعلماء الفطاحل خير بكثير من العكوف على نسخة مصغرة تحوي جزءًا يسيرًا مما حوته كتب العلم الزاخر.

---

(١) مجلة المنهل - رجب، وشعبان ١٣٧٦هـ.

ثم إن الهدف من خطب الجمعة هدف الشرع ، والغرض الذي وضعت من أجله معالجة مشاكل الأسبوع ، فهي إذن تكون بالمناسبات التي تتجدد أو تطرأ أحداثها خلال الأسبوع ، وكذلك كانت خطب النبي ﷺ ..

وللخطبة قيمتها وأثرها في النفوس إذا كانت من وحي المناسبة ، فإذا انطوى الزمن وذهبت المناسبة أضحى من العبث وعديم الجدوى أن يستمع الناس أو يقرءوا شيئًا قد ذهبت مناسبته وانقضت مدته ، أضرب لذلك مثلًا :

هذا الشهر الحرام الذي أظلتنا أيامه وتصرمت ومضت كأمس الدابر ، كان من مناسبة الخطب فيه أن يعرض الخطيب لحرمة الشهر الحرام ، ويذكر ميزته على سائر الشهور ، ويحث الناس فيه على الطاعة ، ويحذرهم من المعصية والجري وراء الشهوات وتحقيق الرغبات الجامحة ، ويستحثهم على إيجاد فارق بين أيام هذا الشهر الحرام وبين الشهور السابقة ؛ من حيث التزام المسلك الراشد ، وترك النزوات والهفوات ، ويستنهض الهمم للتوبة ، والرجوع إلى اللّه إلى غير ذلك مما يوجد في النفوس شعورًا بحرمة الشهر الحرام ورعاية حقه .

ثم تأتي بعد ذلك مناسبة أخرى في هذا الشهر أيضًا ، وهي تعود الناس ، أو البعض منهم ، القيام بإنشاء رحلة إلى المدينة ؛ لزيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ في هذا الشهر ! وهذه الزيارة تدعى بالزيارة الرجبية ! فمن واجب الخطيب في هذه المناسبة أن يحض الناس على اتباع السنة ، ويستعرض لهم ما ورد من الأحاديث في نهي الرسول ﷺ من جعل قبره عيدًا . بمعنى : أنه يعتاد زيارته في وقت معين ، كما تزار المشاعر في وقت معين لأداء النسك ، ويوضح للناس أن شد الرحل لا يجوز إلا للمسجد[1] لغرض مضاعفة أجر الصلاة فيه ؛ إذ قد ورد أن

---

(١) لحديث أبي هريرة مرفوعًا : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...» الحديث . أخرجه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) .

الصلاة في المسجد النبوي تعدل ألف صلاة[١] من غيره من المساجد، فإذا دخل المرء المسجد الشريف سلم على النبي ﷺ، ويذكر لهم أيضًا أن الصلاة عليه ﷺ لا تقصر على مكان معين، بل تكون في كل مكان بعيدًا أو قريبًا، ويذكر لهم قوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٢]. إلى غير ذلك مما يوضح الزيارة الشرعية المسنونة.

ثم تأتي مناسبة ثالثة في شهر رجب أيضًا، وهي مناسبة الإسراء والمعراج التي يعتقد ويجزم البعض من الناس أنه حدث ليلة سبع وعشرين من هذا الشهر، ويوضح للناس اختلاف العلماء رحمهم اللَّه في تحديد الشهر فضلًا عن تحديد الليلة، ويذكر لهم ما حدث من شرعية الصلاة ليلة الإسراء؛ لأن الشيء بالشيء يذكر، ويحضهم عليها، ويذكر لهم أيضًا ما رآه ﷺ من صور المعذبين أرباب المعاصي في هذه الليلة؛ لينزجر بذلك من كان على شاكلتهم، إلى غير ذلك مما يذكر الناس بهذه المعجزة الخالدة، ويبعد عن أذهانهم اعتقاد الجزم بها ليلة سبع وعشرين.

هذه مناسبات جرت في شهر واحد، وكم في الدنيا من مناسبات ومشاكل، تختلف باختلاف الزمن والوضع والظروف، من واجب الخطيب أن يضمنها خطبة الجمعة، وأن يتحدث عنها بصورة موجزة، وأسلوب رشيق يفهمه معاصروه الذين يعيشون في زمنه، وبذلك تكون خطب الجمع قد أدت واجبها في الدلالة على الخير وتوجيه الناس إلى أقوم السبل، ووعظهم وتذكيرهم باللَّه، ولقائل أن يقول: إن الخطيب على مرور الزمن قد يعجز عن خلق مناسبة يخطب

---

(١) لحديث أبي هريرة مرفوعًا: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١١٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه. وصححه الألباني.

فيها ، أو قد يحصر ويتبلد فكره فلا يستطيع أن يبتكر شيئًا جديدًا ؛ ولهذا القول نصيب من الواقع ، غير أن الخطيب المتحرر لن يعدم موضوعًا في آية من كتاب اللَّه ، يشرحها ويوجه الأنظار إلى ما تهدف إليه من عبر ومصالح دينية ، أو ترغيب في خلق كريم ، وحث على رشاد . والقرآن خير كتاب للهدى والنور ، يجد فيه المتلمس أقوم نهج وأوضح سبيل .

وأعود مرة ثانية وأقول : إن من خطل الرأي أن أعيد على الأسماع أمثال هذه الخطب التي كانت في مناسبة مخصوصة في شهر من شهور العام ؛ كشعبان مثلًا أو شوال على طريقة إعادة الخطب المنبرية ، أو يعيدها غيري من الخطباء ، لو طبعت الخطب وعدت في يد خطيب كل همه أن يؤدي الواجب ويدفع عنه عناء تحضير خطب جديدة ، ولا يعنيه بعد ذلك صادفت الخطبة محزًا وانتفع الناس بها ، أم غمرهم النعاس وغلبهم التثاؤب .

هذا هو جوابي لإخواني في إحجامي عن نشر خطب الجمع ، ولكل وجهة ..

وأسأل اللَّه التوفيق والسداد .



في معرض الذكريات[1]

يسعدني أن أكون في موكب المشيعين لمجلة اليمامة ، والسائرين في ركابها ، وهي تودع عامها الأول ، كما كانت لي الحظوة بالحدو لها والشدو لمولدها ؛ إذ خرجت إلى حيز الوجود بعد أن كانت فكرة تعتمل في مخيلة صاحبها ورئيس تحريرها وأملًا يعتلج[2] في صدره وحلمًا معسولًا تتراكض صوره ومرئياته في دنيا أحلامه ومركز التفكير من نفسه ، ويسرني أن أهنئ فضيلته بهذا النجاح ، وهذه الخطوة المسددة الموفقة المتزنة التي خطتها المجلة ، وتدرجت بها إلى دور الاكتمال والنضوج ، حيث قرأنا في مجموعة ما حوته خلال عامها المنصرم الكثير من البحوث العلمية المتنوعة ، والأدب الرفيع الرفاف ، والاتجاهات الرشيدة ، والآراء ، والأفكار اللامعة ، وشاهدنا فيها ألوان التجديد والتنويع وحسن الإخراج ما أثلج الصدور ، وأفسح باب الأمل في تحقيق خطوات واسعة المدى نحو تقدم صحفي ، أكثر تجاوبًا مع الواقع ، وأبعد أثرًا في مجالات التوجيه ، ومواكبة عجلة الزمن في سرعة الخطو ، واجتياز مراحل الإصلاح .

ومرة ثانية أقول : يسعدني أن أساهم بقدر في تشييد بناء صرح هذه المجلة الحية المتوثبة ، ووضع لبنتي إلى جانب اللبنات المتساوقة المترادفة ، قيامًا بواجب مزدوج ؛ واجب نحو صحيفة تصدر في هذا الصقع من البلاد الحبيبة إلى نفسي ، والعزيزة عليّ ، إذ قضيت بها ربيع العمر وزهرة الشباب الناضر ، ونعمت ببرها وعطف ولاتها ، والارتشاف[3] من مناهل العلم الصافي في رياض مشائخها ،

---

(١) اليمامه العدد (١) محرم ١٣٧٤هـ .

(٢) اعتلج القوم : اقتتلوا واصطرعوا ، والأرض طال نباتها والتف وكثر والموج النظم ، ويقال : اعتلج الهم في صدره والرمل : اجتمع . « المعجم الوسيط » (علج) .

(٣) رشف : رشفًا من بابي ضرب وقتل : استقصى فى شربه فلم يبق شيئًا في الإناء . « المصباح المنير » (رشف) .

وكان لي في صداقة أهلها الإمتاع والسلوان .

وواجب أدبي نحو رئيس تحرير هذه المجلة ؛ إذ يخدم فكرة ، ويسعى إلى غاية ، ويرسم هدفًا نبيلًا ، وقليل أولئكم الذين يشقون الطريق في مثالية محفوفة بالمتاعب .

أعود فأقول : يسعدني أن أقوم بهذه الجولة على صفحات اليمامة ، مستعرضًا فيها بعض الذكريات ، ذكريات الماضي من زاوية من زواياه ؛ الحرية بالتذكر والترديد . ولست أدري إلى أي مدى أستطيع متابعة الذاكرة في تسجيل ما ارتسم عنه من ذكريات وانطباعات ، بيد أنه من الخير لي ، وقد يكون من الخير للقارئ الكريم ألّا اذهب بعيدًا في العرض والتسجيل ، بعدًا يخرجني عن الغاية التي أهدف إليها ، ولأكتف بالإيماء والإشارة عن الغوص في الأغوار وتقصي الأخبار ، ففي ذلك غنية وبلاغ .

وإن من أبرز ذكريات هذا الوطن الغالي نجد ، قلب الجزيرة ، ذكريات الدعوة الإصلاحية التي قام بها المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه ، وما كان لها من الأثر الملحوظ في التحول ، وتبدل الأفكار ، وتفتح الوعي ، والاتجاه صوب تحقيق فكرة واحدة استبدت بجميع الفكر ، واستولت على المشاعر ، وتكتلت الجهود للسير في موكبها والتحمس لمبدئها .

تلك هي فكرة التنظيم ؛ تنظيم الحقوق ، والاعتراف بالسلطة لأربابها ، والحد من سطوة الظلم والجور والطغيان على ضوء ما ترسمه شريعة السماء ؛ تنظيم الحقوق بالنسبة لصاحب الحق الأول بارئ السماوات والأرض مبدع الكون والمتصرف فيه .

ونقطة هذا التنظيم الإيمان به كجزء من وحدة العقيدة .

ومن لازم هذا الإيمان التأليه والعبودية المطلقة ، قال كاتب إسلامي في معرض الحديث عن الإيمان : إن الإيمان باللّه هو نقطة التحول في حياة البشرية

من الفوضى إلى النظام ، ومن التيه إلى القصد ، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه ، فهذه البشرية دون إيمان باللَّه الواحد لا تعرف لها قصدًا ، ولا غاية ، ولا تعرف نقطة ارتكاز تتجمع حولها ويتجمع حولها الوجود ، وتتبين بها النسب والعلاقات والأهداف .

ولقد تم هذا التحول ببركة الإيمان باللَّه الواحد الأحد ، وبتنظيم حقوقه ، وصرفها له دون سواه ، ثم تنظيم الحقوق بالنسبة للمجموع ؛ بحيث يكفل ذلك وحدة متماسكة لا يزعزع كيانها ، أو يصدع بنيانها هوس المادة وطيش الأنانية .

كانت نجد قبل دعوة الشيخ رحمه اللَّه كغيرها من بلدان الجزيرة مسرحًا للفوضى بكل معانيها ؛ فوضى في التدين والأخلاق ، فوضى في المعائش والحكم ، فوضى في كل ضروب النشاط دون تخصيص بلون ، أو تحديد بغاية ، فجاءت دعوة الشيخ في الوقت المناسب ، وكانت علاجًا أيما علاج لحالة التدهور العام ، وصلاحًا أيما صلاح للنفسية المريضة ، والوعي المثلوم ، والعقلية الملتاثة ، ونعمت بعدها هذه الديار بعز الإسلام الصحيح ، والمعتقد الصالح ، وبنور الفضيلة يشع في أرجائها ، وبارتفاع الإمكانيات في حدود ؛ إن لم تبلغ الذروة فقد قاربتها .

حدّث التاريخ في سطوره اللامعة عن ماضي الدرعية ، مهد الدعوة الإصلاحية ، والعاصمة الأولى للأئمة من آل سعود : أنها كانت على عهد الإمام سعود بن عبد العزيز ملتقى القُصّاد والرواد ، ومحط أنظار السابلة[1] ، وكعبة العلم والعلماء ، ومحور أمل الرعية ، لا في نجد فحسب ، بل في عموم المملكة المترامية الأطراف .

نهضة علمية شاملة ، أمن وارف الظلال ، حركة تجارية مرموقة ، سياسة

---

(١) السابلة : الطريق المسلوك ، يقال : سبيل سابلة . أي : مسلوكة والمارون عليه (ج) سوابل « المعجم الوسيط » : (سبل) .

للحاكمين حصيفة راشدة، كل ذلك مما ساعد، أو على الأصح كوَّن جيلًا، وصنع أمة لا تدين إلا بالمنة للَّه وحده، ولا تذعن إلا لعظمة اللَّه وسلطانه، فهو صاحب المنة عليهم بالهداية والتوفيق إلى أقوم السبل.

كان طابع التوكل على اللَّه ظاهرة غمرت الشعور، وهيمنت على النفوس، فلا تجد فيها لغيره مزاحم.

حدثني شيخ جليل كنت أدرس عليه، وهو يعرض لماضي الدعوة، وما كانت عليه النفوس آنذاك من صفاء الطوية والاستجابة للخير وقبول النصيحة والرغبة في تعشق الفضائل، قال: جاء رجل من البادية يسأل عن الشيخ المجدد رحمه اللَّه، ودخل عليه وسأله جملة من الأسئلة تتعلق بالدين، والأحوال العامة، وتطرق الحديث لبسط حالة السائل المادية، وما كان يعانيه من الجهد وقلة المئونة، وطلب من الشيخ العون على صلاح دنياه، فلفت الشيخ نظر السائل بلطف إلى تعليق الأمل في اللَّه وحده والاعتماد عليه، وقرأ قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المُزمّل: الآية ٩]. فما كان من السائل البدوي إلا أن قام على الفور مقتنعًا بصحة التوجيه مرددًا الآية الكريمة ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٨]، وكان ذلك فتحًا جديدًا في دنياه، فجال جولة للكسب، لعله غير بها لون حياته، كان له فيها النجاح.

وتدور الأيام دورتها ويعاود السائل القدوم على الشيخ ويعاود طرح الأسئلة عليه ويجر الحديث لعرض لون المعيشة، ولم يجد الرجل خيرًا من تذكير الشيخ بنفسه غير قراءة الآية الكريمة السالفة الذكر ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٨]، وكانت خاتمة الحديث.

وبلمحة إلى ماضي هذا السائل ندرك صحة ما أسلفت الحديث عنه من أن دعوة الشيخ رحمه اللَّه كان لها الأثر البارز في تحول النفسيات واتجاهها صوب نهج راشد يحفزها لقبول الخير والتمسك بأهداب الفضائل.

وحادثة أخرى تحدث بها إليَّ شيخ جليل آخر، إن دلت على شيء، فإنما تدل على مبلغ اصطباغ النفوس بروح التدين وفنائها في اللّٰه، بحيث غدت تحلق في أجواء عالية من المعرفة والروحانية الغامرة، هي في الواقع أثر من فيوض اللّٰه وإمداداته ونفحاته.

قال لي الشيخ: عندما نشبت الحرب الزبون[١] في الدرعية بين جيوش التوحيد وقوات الباطل، وكانت مدفعية العدو تصلى المدافعين بقذائفها وحممها، طلب شيخ نجد الشيخ عبد اللّٰه ابن شيخ الإسلام المجدد، طلب من أحد المقاتلين عرض إحدى القذائف عليه، فأخذها الشيخ بيده، وأخذ يتعرف وزنها ثم استعبر وكبر قائلًا: ما أثقل ذنوبنا وأعظمها، إنها واللهِ مماثلة لذنوبنا.

لم يلتفت الشيخ للناحية المادية الملحوظة في القذيفة، فيعزو الهزيمة والفشل إلى قصور الإمكانيات عن الأخذ بمثل سلاح العدو، لا، ولكنه لفت الأنظار إلى سبب قد لا يدركه إلا خواص الخلق من العارفين باللّٰه.

ولست أقصد من عرض هذه القصة الأخذ بفكرة التواكل وإغفال اتخاذ الأسباب المشروعة كوسيلة من وسائل النصر، ولكني أحاول بعرضها أن نستشف واقع الزعامة الدينية آنذاك، وارتفاع عقلية الداعين، وصلاحهم، وسعة أفق تفكيرهم، وبعد غورهم؛ حيث ينظرون إلى الأمور نظرة البصير النافذ العارف، فالهزيمة وإن كان السبب الظاهر فيها قصور الإمكانيات عن بلوغ أوج الكمال الحربي، واستكمال وسائل الدفاع، إلا أن السبب الحقيقي الذي لحظه الشيخ من استقراء الأحوال وتعرف الواقع هو التفريط في جانب اللّٰه، والتقصير عن أداء حقه، ورعاية النعمة السابغة بالشكر، وعدم الاتكال على الجهد، وعز النفير، وكثرة القبيل والعشير، وذلك ظلم للنفس، وتنكر للجميل، وله نظائر في أحداث الماضي وسير الغابرين، ومنطق الآية الكريمة التالية يلمع إلى اقتصاص عادل يدور

(١) الزبون، يقال: حرب زبون: يدفع بعضها بعضًا كثرة «القاموس المحيط» (الزبن).

مع العلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: الآية ١١] .

وهكذا دواليك ، كلما أحدث العبد ذنبًا أحدث اللّه له عقوبة ؛ جزاءً وفاقًا .

وبعدُ : فإن لنا في عرض ذلك الماضي لعبرة ، وفي سرد هذه الذكريات لمجالًا للعظة أيما مجال ، وإن الأمة الإسلامية لا تزال بخير وفي عز ومنعة وتأييد من اللّه ، ما قام للدين فيها قائمة ، وما ارتفع له في النفوس منار ، وما بقي له عليها هيمنة وسلطان . وإذا قلت : الدين .

فلست أعني هذا التلوين والتصبيغ والترقيع الملحوظ من أدعياء الإسلام وعبدة الأهواء ، ولست أقصد هذا التمحل والسفسطة والتضليل والتشكيك السافر الذميم البادي من أفن المخدوعين أنصار المادية المضللين ، ولست أهدف إلى المظاهر الخادعة والبهرج الزائف ، ولا إلى الدعاوي الطويلة العريضة ، والخطب الطنانة الرنانة ، التي لا تصدقها الأفعال ، أو تتمشى مع المنطق ، وواقع الإسلام الجريح ، لا ، لست أرمي إلى شيء من ذلك ، فليس ذلك من الدين الصحيح في نقير أو عشير . وإنما أقصد دينًا واضح المعالم ، ميسرًا سمحًا ، نزل به وحي السماء على أمين الأرض في شكل دستور خالد ، لا تخلق له جدة ، أو تذهب له روعة ، أو تفنى منه العجائب والعبر أبد الآبدين .

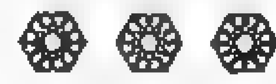
هذا الدستور الخالد عالج مشاكل الإنسانية وخفت من متاعبها ، وكان قبس هدايتها ونورًا استضاءت به في كل ما ادلهم من أمورها ، وعتم من مصائرها ، أقول : هذا الدستور الخالد يجب أن نعرف له قداسته ككتاب منزل من عند اللّه ، فنحله من النفوس المحل اللائق به ، فلا نصدر إلا عنه ، ولا نتخذ تشريعًا إلا منه ، ولا نحكم حكمًا إلا على ضوء هدايته ، وصدق رسول اللّه ﷺ إذ يقول : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ؛ كتاب اللّه »[(١)] .

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضي اللّه عنه في حديث صفة الحج الطويل .

إننا إن فعلنا ذلك وصلنا الحاضر بالماضي، واقتفينا أثر الراشدين من أئمة الهدى ودعاة الخير ورواد الطريق القويم.

ولنا في إمامنا العظيم وخليفة أولئكم الشُّمِّ الغطاريف[١] من آل سعود الذين نصر اللَّه بهم في القديم دينه، وأعلا بهم كلمته، وكانوا خير عون للمصلحين والمرشدين، لنا فيه عظيم الأمل، وعليه بعد اللَّه عقد الأماني؛ ففي الشبه العظيم البادي بين الحاضر الجديد والماضي السعيد، ما يبعث على انفساح الأمل في إعادة المجد الغابر وتحقيق الأماني الجسام على يديه؛ فسعود كسعود خلقًا وخلقًا، وسماحة ودينا، وعقيدة، ودعوة، ووضعًا، ورياض اليوم صنو درعية الأمس، مع التغاير والفارق طبعًا في أسلوب الحياة، نهضة وتوثبًا ومجتمعًا للمنافع والمصالح، وطرق الدعوة وأساليب التثقيف والدلالة والإرشاد.

واللَّه الهادي إلى صراطه المستقيم بمنه وكرمه.



(١) الغطاريف: الشريف السخي الكثير الخير. وقيل: الغِطريف. الفتى الجميل. وقيل: هو السخي السري الشاب. «لسان العرب» (غطرف).

بعض محاسن الإسلام(١)

الإسلام في تعاليمه وتشريعاته، وفي أحكامه وقضاياه، وفي آدابه وسائر اتجاهاته مجموعة من المحاسن والفضائل لإصلاح حال البشر وإسعادهم حتى فيما يفرضه من عقوبات تأديبية، وإن كانت تبدو في ظاهرها قاسية وشديدة، إلا أنها بلا شك تعد من محاسن الإسلام؛ لأنها تحسم الداء، ولأن في الأخذ بها ضمانًا لسلامة المجموع، وحفظا لكيان الأمة من عبث العابثين وإفساد المفسدين، كما أوضح ذلك الرب جلَّ شأنه، حيث يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٩]، ولو أن في المقام متسعًا للبسط لأوضحنا ألوانًا من المصالح لا تتحقق للجماعة الإسلامية إلا إذا نزلت على حكم اللّه، واستجابت لأمره في إقامة الحدود، والأخذ بها كتشريع لا يصح التحول عنه إلى القوانين الوضعية والعقوبات المدنية التي لا تحسم الداء، ولا توفر للمجموع الأمن والسلامة، ولنقتصر على ذكر شيء من محاسن الإسلام كأنموذج يأخذ منه المسلم فكرة واضحة عن يسر الدين وسماحته وسلامة قضاياه وضمانه لمصالح البشر مبتدئين:

أولًا: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما من أرفع أهداف الإسلام، وبهما يحفظ التوازن بين الجماعة، فالأمر بالمعروف يتضمن الدعوة إلى الخير في كل مجالات الخير، وطليعة ذلك الدعوة إلى عبادة اللّه وحده واتباع رسوله، ثم الدعوة إلى مكارم الأخلاق من صلة الرحم، ورعاية اليتيم، والإحسان إلى الجار وغير ذلك.

والنهي عن المنكر يتضمن النهي عن كل شر في كل مجالات الشر، وفي طليعة ذلك النهي عن اتخاذ شريك أو ند للّه، والنهي عن الجرائم والآثام في كل صورها وأشكالها.

(١) مجلة الحج - ١٦ صفر - ١٣٨٠هـ.

ثانيًا : إحلال الطيبات وتحريم الخبائث ؛ إحلال الطيبات من المآكل والمشارب ، وسائر الانتفاعات مما كانت الجاهلية حرمته وضيقت بذلك على أنفسها كتحريم البحيرة(١) والسائبة(٢) والوصيلة(٣) والحام(٤) .

وتحريم الخبائث ؛ كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، وكارتكاب جريمة الزنا ، وتعاطي الربا ، وغيره من المحرمات .

ثالثًا : رفع الآصار والأغلال :

الآصار : كل ما يثقل على المرء من قول أو فعل ، وفسرها بعض التابعين بالعهد الثقيل الذي كان قد أخذ على بني إسرائيل بالعمل بكل ما في التوراة ، وفسرها البعض الآخر بالتشديد الذي كان على بني إسرائيل في الدين .

أما الأغلال : فهي الأثقال التي كانت عليهم في شريعتهم ، وذلك كقتل الأنفس في التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض ، وتعيين القصاص في القتل ، وتحريم أخذ الدية ، وكل ذلك قد رفعه الإسلام بيسره وسماحته ، فقال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] ، وقال : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥] . وقال رسول اللّه ﷺ : « بُعثت بالحنيفية السمحة »(٥) .

(١) البحيرة : هي الناقة التى تبحر أذنها أي : تشق ، ويترك الحمل والركوب عليها ويمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس .

(٢) السائبة : هي التي كانوا يسبونها لآلهتم لا يحمل عليها شيء ولهم في جعلها مسيبة ترتيب خاص .

(٣) الوصيلة : الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر .

(٤) الحام : فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا أفضى ضرابه دعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي .

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٢٦٦، والطبراني (٧٨٨٣) من حديث أبي أمامة رضي اللّه عنه . وانظر الصحيحة (٢٩٢٤) .

وأوضح الرب جل وعلا في وصف رسول الهدى كل ما تقدم من محاسن الدين التي جاء بها، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧].

رابعًا: تحريم الربا: الربا استغلال بشع وجناية على المجتمع تتضخم به الثروة عند فريق من الناس على حساب الفريق الآخر، وكان الرجل في الجاهلية يستدين المبلغ من المال فإذا حل أجل سداده وعجز عن التسديد مد الدائن له في الأجل مقابل زيادة في الدين، وهكذا حتى يتضخم الدين ويعجز المدين عن التسديد، فحرمه الله، وأنذر من يتعامل به، بإعلانه الحرب عليه؛ مبالغة في الإنذار والترهيب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وقاله رسول الله ﷺ متوعدًا من سلك مسلكًا من مسالك الربا بالطرد من رحمة الله: «لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه»(١). وقال أيضًا مبشعًا أمره، محذرًا من مداخله: «الربا سبعون جزءًا، أيسرها مثل أن ينكح المرء أمه»(٢). إن من الربا ما تصنعه البنوك؛ حيث تودع الأموال بفائدة معينة إلى أجل معين محدود مثلًا، فلا يجوز للمودع إلا القدر الذي أودعه بفائدة فربا محرم.

خامسًا: تحريم الخمر والميسر: الخمر ما خامر العقل أي: داخله وخالطه؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨/١٠٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، بلفظ: لعن رسول الله.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني.

سواء كان مشروبًا ، أو مشمومًا أو غير ذلك .

والميسر هو القمار في كل ألوانه ، وكان تحريمها من محاسن الدين ؛ ذلك لأن الخمر إذا خالط العقل ، فضلًا عن هذه المداخلة ، فقد توازن المخمور فتسقط حسيته ومعنويته بين الجموع بالإضافة إلى ما يصدر من جنايات على أبناء مجتمعه ، نتيجة لفقدان اتزانه ؛ ومن ثم كانت الخمر أم الخبائث كما سماها ... رسول الهدى ﷺ .

أما الميسر (القمار) في تعاطيه خراب للبيوت مرة ... إذ يفلس المقامر من جميع ثروته في لحظات ، ثم تتضخم ثروته في بعض الظروف على حساب آخر ، وكثيرًا ما ينتج عن المقامرة اصطدام بين المقامرين ، وترتفع جذوته فتزهق فيه أرواح أو ... جنايات فظيعة نتيجة لإفلاس فريق ، وانتزاع الفريق الآخر للثروة منه ، دون كدّ أو عناء ؛ ومن أجل ذلك كان من محاسن الدين الإسلامي تحريم القمار وسد الطرق إليه .

قال اللَّه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩٠] .

سادسًا : تحريم الانتحار بكل وسيلة من الوسائل ؛ سواء كان بإغراق المرء نفسه في الماء ، أو التردي من جبل شاهق ، أو تعاطي شيء من السموم ، أو بغير ذلك ؛ لأن الانتحار ...[١] وعدم التسليم لقضاء اللَّه وقدره ، وليس ذلك شأن المؤمنين ، ولا سبيل الراشدين ، يقول رسول اللَّه ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا »[٢] .

وفي رواية : « من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة »[٣] .

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

وهذا الواقع السلبي الذي قرره الإسلام تجاه هذه المحرمات يقوم إلى جانبه واقع إيجابي قرره الإسلام أيضًا لإيجاد روح التعاون بين المجموعة الإسلامية، ولتضافر جهود أفرادها لصالح الجماعة، وأبرز ما يصور هذا الواقع الكريم، قول الرسول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»(١). وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢): ومن أمثلة هذا التعاطف والتراحم وتضافر الجهود لصالح الجماعة حث الإسلام على البذل والإنفاق في أوجه الخير عمومًا؛ لإنعاش حالة الفقراء والبؤساء والأرامل والأيتام، والقضاء بذلك على الفوارق بين الطبقات، كما جاء في الحديث: «من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له»(٣). وكما ورد أيضًا: «أيما أهل عرصة بات بينهم امرؤ جائعًا فقد برئت منه ذمة الله»(٤).

ثم الوصية بالجار، وإكرام الضيف، وصلة الرحم، وإنظار المعسر، وتفريج كربة المكروب، والحث على الصدق، والتنفير من الكذب، والغيبة، والنميمة، والبهت، وشهادة الزور، والحلف الكاذب، واغتصاب حق الغير، وأمثال ذلك، مما ندب إليه الدين وحث عليه ورغب فيه، كل ذلك من محاسن الدين، وهي

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١٧٦/١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٢٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد (٣٣/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وضعفه الألباني في تخريج مشكلة الفقر ص ٦٥. وقال في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٠٠): منكر.

بلا شك من العوامل الفعالة التي كانت سببًا في انتشار الإسلام واتساع رقعته ، لا في الجزيرة العربية فحسب ، بل وفي أقاصي المعمور على أيدي الفاتحين من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين في أسرع وقت وأقصر زمن . وجدير بدين هذه مبادؤه وتلك تعاليمه أن يسود العالم ، وأن تشرق شمسه فتعم الدنيا وتبدد الظلام وتمحو بوهجها الجرائم والآثام ، ويصبح الناس على ضوئها إخوانًا متحابين لا متهاجرين ، حقق اللَّه آمال للمسلمين ، ونصر دينه وأعلا كلمته ، إنه أكرم مسئول ، وصلى اللَّه على النبي محمد وعلى آله وصحبه .



الحسبة في الإسلام[(١)]

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

[آل عِمرَان: الآية ١٠٤]

الدعوة إلى الخير هدف سامٍ يدخل في نطاقه الدعوة إلى كل فضيلة، وكل خلة كريمة، وفعل محمود، كما أنها تشمل مجانبة كل رذيلة، وكل خلق شائن، وصنيع مذموم.

وفي طليعة الدعوة إلى الخير الدعوة للإسلام وشرائعه والتزام أحكامه، وما يفرضه من تكاليف، وما ينهي عنه من إسفاف وتدهور والتواءات تباعد عن الخير وتستحكم بها حلقات الشر والرذيلة، وجاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية معطوفًا على هذه الدعوة القيمة والتوجيه الكريم.

لذا كان على كل فرد في المجموعة الإسلامية أن يتطوع بهذه الدعوة، وأن يساهم في هذا الخير في حدود إمكانياته، وضمن نطاق سلطته، وعلى قدر رصيده العلمي، ومؤهلاته واتساع أفق معرفته، فأولياء الأمور وأصحاب الفضيلة العلماء، ومن يليهم في المرتبة من وعاظ ومرشدين ومحتسبين، هؤلاء هم المعنيون بالخطاب في الدرجة الأولى، وهم المسئولون عن تنظيم الدعوة إلى الخير، وعن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والناس في ذلك تبع لهم، كل بحسبه: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته،

(١) مجلة الحج - شعبان - ١٣٧٣هـ.

فكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته». متفق عليه[١]. ففي هذا الحديث لون من توزيع المسئولية، وتحديد الاختصاصات، بما يشعر بضرورة التكافل في هذا المنحى وشمول المسئولية.

وليس الموضوع موضوع بسط لهذه الناحية، أو عرض لاتجاهات الأمر والنهي، والشروط التي يجب أن تستوفى، والأهداف التي يجب أن تتحقق، وإنما قدمت هذه السطور كتوطئة أخلص منها إلى بيان الغرض من عنوان المقال. وهو ضرورة ...[٢] الإسلامي إلى حالة من التنظيم واستقرار المعيشة والعدالة الاجتماعية فيما يتعلق بالفرد والجماعة ويتصل بالسلطات من تشريع وتنفيذ، إذ إن ...[٢] في الإسلام تشمل ذلك كله في وضع أوسع من أن يحجز في إطار من الشكليات والأنظمة ...[٢] من سلطانه، وبحجز من تنائفه، فهي دعوة الخير، كما نصت الآية الكريمة من غير تحديد لهذا الخير، وما هيأته، وهي أمر بمعروف ونهي عن منكر، في أوسع الحدود، وفي شتى المجالات، وحتى في مختلف حقول النشاط الديني والتجاري والصناعي، وما إليه، وقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس اللَّه روحه- رسالة في هذا الباب بهذا العنوان «الحسبة في الإسلام» عالج فيها كثيرًا من المسائل التي تهم المجتمع البشري، ويرتكز عليها العامة لتنظيم المنشود في الحياة العامة، وتعنى ...[٢] الإسلامية بنوع أخص؛ إذ تناولت تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق من حيث مبدأ التدين ...[٢] والمسلك الرشيد.

وقد صوَّر ذلك شيخ الإسلام في شكل قواعد، مستندًا في تصويره إلى نصوص الشرع، وأدلة ...[٢] وإلى عمل الخلفاء، وأقوال الأئمة والعلماء ...[٢] ووجهات نظرهم، وقد يدلي برأيه ...[٢] ما؛ كاجتهاد خاص به، أو وجهة نظر،

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣، ٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما.

(٢) كلمة غير واضحة.

جنح ...[١] تحقيق ظهر له فيه الحق ووجه الصواب ...[١] أن أقدم لقراء مجلة الحج فصولًا من هذه الرسالة القيّمة الصغيرة في حجمها العظيمة في نفعها ومراميها، وأوجه نظر المشتغلين بأمور العامة إليها، فهي كنز ثمين، وتراث إسلامي خالد، عفى عليه النسيان، فلعل صاحب همة عالية وجواد كريم تهزه الأريحية، فيسدي إلى المجموع يدًا لا تنسى بإعادة طبع هذه الرسالة الجليلة، محتسبًا أجر ذلك عند اللّه، وهي لا تكلف إلا النزر القليل من الحطام، وإلا الجهد البسيط من فائض الطاقة:

بدأ شيخ الإسلام رسالته بوضع قاعدة عامة في الحسبة إذ يقول[٢]: أما بعدُ: فهذه قاعدة في الحسبة، وأصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله للّه، وأن تكون كلمة اللّه هي العليا؛ فإن اللّه سبحانه إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: الآية ٥٦]. وطفق يسرد جملة من الآيات والأحاديث بهذا الصدد، ثم أعقب ذلك بالتحدث عن ضرورة إيجاد روح تعاونية بين البشر، يحصل بها لمُّ الشعث، وجمع الكلمة، والنصرة؛ لجلب النفع، ودفع الضر، وما إلى ذلك، وعن ضرورة وجود سلطات تشريعية وتنفيذية يكون لها في عنق الجماعة الطاعة والامتثال، قال رحمه اللّه: وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلابدَّ لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد،

(١) كلمة غير واضحة.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦١.

وجميع بني آدم لابدَّ لهم من طاعة آمرٍ وناهٍ ، ومن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ، ولا من أهل دين ، فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم ، مصيبين تارة ، ومخطئين أخرى ؛ ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بتولية ولاة أمور عليهم ، وأمرهم بطاعة ولاة الأمور في طاعة اللّٰه تعالى ، وأمر اللّٰه تعالى ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل .

وعين بعد هذا نوع السلطات وحدد صلاحياتها واختصاصاتها ، وأوضح أن الشرع لم ينص على تحديد صلاحية كل سلطة على انفراد ، بل ترك ذلك للعرف وظروف البلاد ومقتضيات الأحوال ، فقد تتداخل السلطات ، وتندمج في بعضها ، وتأخذ أشكالًا مخصوصة في ناحية ما ، وقد تكون على العكس في محيط آخر ، ومثل لذلك بما كانت عليه الأوضاع على عهده في مصر والشام ، فقال[1] :

عموم الولايات وخصوصها وما يستفيده المتولي بالولاية ، يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف ، وليس لذلك حد في الشرع ، فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الأمكنة والأزمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر وبالعكس ، وكذلك ولاية المال .

ثم فصل بعض الشيء في اختصاصات بعض السلطات ، وتوسع في صلاحيات المحتسب بما يمنحه سلطة الأوقاف وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمانة العاصمة في أوسع مجالاتها ، فقال : وأما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهي مما ليس من خصائص الولاة والقضاء وأهل الديوان ونحوهم ، وعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس ، وأما القتل فإلى غيره ، ويتعهد الأئمة والمؤذنين ، فمن

---

(١) ٢٨/٦٨، ٧١.

فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والحكم، وكل مطاع يعين على ذلك.

واستعرض أدلته لهذا الموضوع من الكتاب والسنة ومن عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ إذ كان يكتب لولاته في الأمصار بأهمية الصلاة وضرورة أخذ الناس بها ومؤاخذتهم عليها، ثم قال: ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث، وأداء الأمانة، وينهى عن المنكرات، من الكذب والخيانة، وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات ونحو ذلك.

وأفاض في سرد حدود الغش والتدليس، ومظاهر ذلك في الصناعات كالغزل والنسيج والخياطة والمواد الكيماوية، وأمثلته في المطعومات؛ كالخبز والطباخة والشواء وما إليه، وتطرق بعد ذلك إلى موضوع الاحتكار، وأورد فيه حديث معمر بن عبد الله عند مسلم[1] «لا يحتكر إلا خاطئ».

ثم علق على الحديث بقوله[2]: فإن المحتكر الذي يعمد إلى شراء ما يحتاج إليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم، ويريد إغلاءه عليهم، وهو ظالم للخلق؛ ولهذا كان لولي الأمر أن يكره الناس لما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه، مثل من عنده طعام لا يحتاج إليه والناس في حاجة إليه يجبر على بيعه للناس بقيمة المثل؛ ولهذا قال الفقهاء: من اضطر إلى طعام الغير أخذه منه بغير اختياره بقيمة المثل، ولو امتنع من بيعه إلا بأكثر من سعره لم يستحق إلا سعره، ومن هنا يتبين أن السعر منه ما هو ظلم لا يجوز، ومنه ما هو عدل جائز، فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه، أو منعهم مما أباحه الله لهم

(١) أخرجه مسلم (١٦٠٥/١٣٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٧٥).

فهو حرام ، وإذا تضمن العدل بين الناس مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ زيادة على عوض المثل فهو جائز بل واجب .

واستفاض في ذلك رحمه اللّه ، واستدل واستنتج بأدلة بما يطول علينا لو أردنا متابعته ، ثم تكافل الجهود والتعاون لسد حاجة مرافقه وعني بذلك طبقات العمال ...(١) وصناع وغيرهم ، وقرر إلزام ولي الأمر حاجة المجموع ، إذ تمس الحاجة مع ...(١) لعملهم جريًا على الأصل ، فقال(٢) : إن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية ، متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه ، لاسيما إن كان غيره عاجزًا عنها ، فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم ، أو نساجتهم ، أو بنائهم ، لابد لهم من طعام يأكلونه ، ومساكن يسكنونها ، [أو إذا كان الناس محتاجين إلى من يطحن لهم ، ومن يخبز لهم ؛ لعجزهم عن الطحن والخبز في البيوت](٣) ، صار هذا العمل واجبًا يجبرهم ولي الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل ، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل ، ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم ، وهذا من التسعير الواجب ...» .

إلى أن قال بعد أن سرد أدلة المانعين للتسعير : ومن منع السعير مطلقًا محتجًا بقول النبي ﷺ : « إن اللّه هو المسعر القابض الباسط ، وإني لأرجو أن ألقى اللّه وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم أو مال »(٤) . فقد غلط ، فإن هذه قضية

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٨٢) .

(٣) هذه العبارة ليست في هذا الموضع ، إنما هي في موضع آخر ٢٨/ ٨٨.

(٤) أخرجه أحمد (٣/٢٨٦) ، وأبو داود (٣٤٥١) ، والترمذي (١٣١٤) ، وابن ماجه (٢٢٠٠) من حديث أنس رضي اللّه عنه . وصححه الألباني .

معينة ليست لفظًا عامًا، وليس فيها أن أحدًا امتنع من بيع يجب عليه، أو عمل يجب عليه، أو طلب في ذلك أكثر من عوض المثل.

بعد هذا انتقل إلى موضوع الجزاءات المقررة في الشرع لبعض المحرمات وارتكاب المحظورات فقال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية فإن اللّٰه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور؛ فمنها عقوبات مقدرة، مثل جلد المفتري ثمانين، وقطع السارق، ومنها عقوبات غير مقدرة تسمى التعزير، وتختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب وصغرها[١]، وبحسب حال الذنب في قلته وكثرته.

والتعزير أجناس: فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر، ومنه ما يكون بالضرب، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن.

وأفاض أيضًا في هذه المسألة، وضرب الأمثال، وسرد النظائر من فعل الرسول ﷺ وخلفائه الكرام، واستعرض ضمنًا العقوبات المالية وألمع إلى مشروعيتها، ودعم ذلك بسرد الواقعات في عهد الرسول، وذكر بعض نصوص المذاهب في جوازها.

ولقد كان يرى البعض أن في عمل أمانة العاصمة في تغريم الخبازين وباعة اللحوم والفاكهة الفاسدة كان يرى البعض في ذلك قسوة ومظهرًا من مظاهر الظلم والجبروت، ولعل مما يشد أزر الأمانة في حملاتها أن تجد فصلًا ممتعًا عقده الشيخ لهذا الغرض فقال[٢]:

التعزير بالعقوبات المالية مشروع أيضًا في مواضع مخصوصة في مذهب مالك في المشهور عنه، ومذهب أحمد في مواضع بلا نزاع عنه، وفي مواضع فيها نزاع عنه، والشافعي في قول، وإن تنازعوا في تفصيل ذلك، كما دلت عليه

---

(١) بعده في مصدر التخريج: «وبحسب حال المذنب».

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/١٠٧- ١٠٩).

السنة ، في مثل إباحة السَّلَب الذي يصطاد في حرم المدينة لمن وجده ، ومثل أمره بكسر دنان الخمر وشق ظروفه ، ومثل أمره عبد اللَّه بن عمرو[(١)] بحرق الثوبين المعصفرين ، وقال له أي- ابن عمرو- قال لرسول اللَّه ﷺ : أغسلهما . قال : « لا ، بل احرقهما » . ومثل هدمه لمسجد الضرار ، ومثل ما روي من إحراقه متاع الغال ، ومن حرمان القاتل سلبه لما اعتدى على الأمير ، ومثل أمر عمر بن الخطاب وعلي أبي طالب بتحريق المكان الذي يباع فيه الخمر ، ومثل أخذ شطر مال مانع الزكاة ، ومثل تحريق عثمان المصاحف المخالفة للإمام ، أي : المصحف الذي جمعه وكتبه ورتبه ، وتحريق عمر بن الخطاب لكتب الأوائل ، وأمره بتحريق قصر سعد بن أبي وقاص الذي بناه لما أراد أن يحتجب عن الناس .

وهذه القضايا كلها صحيحة معروفة عند أهل العلم ، ونظائرها متعددة ، ومن قال : إن العقوبات المالية منسوخة . وأطلق ذلك عن أصحاب مالك وأحمد فقد غلط على مذهبهما . إلى أن قال : ولم يجيء عن النبي ﷺ شيء قطُّ يقتضي أنه حرم جميع العقوبات المالية ، بل أخذ الخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة بذلك بعد موته دليل على أن ذلك محكم غير منسوخ . وأسهب في ذلك .

ثم عرض لموضوع الغش في المبيعات وترتيب العقوبات عليه ، فأورد في ذلك فعل عمر بن الخطاب إذ أراق اللبن المشاب بالماء والمعروض للبيع على اعتبار سلامته من الغش ، وقال[(٢)] : على هذا الأصل أن الطعام المغشوش من الخبز والطبيخ والشواء ، كالخبز والطعام الذي لم ينضج ، وكالطعام المغشوش ، وهو الذي خلط بالرديء ، وأظهر المشتري أنه جيد ونحو ذلك يتصدق به على الفقراء ، فإن ذلك من إتلافه .

---

(١) في الأَصل : « عمر » . والمثبت هو الصواب ، والحديث أخرجه مسلم (٢٨/٢٠٧٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/١١٤- ١١٧) .

ثم ذكر رحمه اللَّه أقوال العلماء في المغشوش مما له قيمة ثمينة كالمسك والزعفران والثياب وأمثالها، هل تعامل معاملة اللبن وغيره من الأشياء البسيطة ؟ بمعنى أنه يتصدق به، أو يتلف، أو يعاقب صاحبه ويمنع من بيعه، فقال : وإذا لم ير[١] ولي الأمر عقوبة الغاش بالصدقة أو الإتلاف فلابد أن يمنع وصول الضرر إلى الناس بذلك الغش، إما بإزالة الغش، وإما ببيعه المغشوش ممن يعلم أنه مغشوش، ولا يغشه على غيره، قال عبد الملك بن حبيب : قلت لمطرف وابن الماجشون[٢] : لما نهينا عن التصدق بالمغشوش- لرواية ابن الماجشون : فما وجه الصواب عندكما فيمن غش أو ونقص من الوزن ؟ قالا : يعاقب بالضرب والحبس والإخراج من السوق[٣]، وما غش من المسك والزعفران فلا يفرق ولا ينهب. قال عبد الملك بن حبيب : ولا يرده الإمام إليه وليؤمر[٤] ببيعه عليه من يأمن[٥] أن يغش به ويباع عليه العسل والسمن واللبن الذي يغشه ممن يأكله، ويبين له غشه. هكذا العمل فيما غش من التجارات. قال : وهو إيضاح من استوضحته ذلك من أصحاب مالك وغيرهم.

وخاتمة المطاف كان فصلًا ممتعًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرجاته ومراتبه، يجب للآمر من السمع الطاعة، وما يجب عليه استعمال الرفق، ودرء المفسدة بتوخي المصلحة الراجحة أنقل منه السطور التالية ؛ لتكون مسك الختام.

قال رحمه اللَّه بعد أن أورد حديث : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده »[٦].

(١) في الأصل : « يرد ». والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) عبد الملك بن حبيب ومطرف وابن الماجشون وأشهب من القدامى المشهورين في مذهب مالك.

(٣) بعده في مصدر التخريج : « وما كثر من الخبز واللبن أو الغش ».

(٤) في الأصل : « وليؤمن ». والمثبت من مصدر التخريج.

(٥) غير واضحة بالأصل.

الحديث. قال[1]: وإذا كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به؛ ولذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح. وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٢]، وذم المفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده، وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥]، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلّال، وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باليد..

إلى أن قال: وهنا يغلط فريقان من الناس: فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي؛ تأويلًا لهذه الآية، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة: إنكم تقرون هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/١٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/٢)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٥٧). وصححه الألباني.

والفريق الثاني من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه ، وإما بيده مطلقًا من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه ، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني : سألت رسول اللّٰه ﷺ عنها- يعني الآية المتقدمة- فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوًى متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرًا لا يدان لك به- أي لا طاقة- لك به فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائك أيامًا الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله »(١) .

فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع في ذلك للّٰه ورسوله ، وهو معتمد في حدوده .

واستعرض رحمه اللّٰه بعد ذلك أمثلة لأبواب الأمر والنهي ، وفرقًا حادت فيه عن سواء السبيل ، إلى غير ذلك مما سطره ، وأوضح نهجه .

وبالجملة فرسالة « الحسبة » على صغر حجمها ، سفر خالد ، وأثر ضخم بارز لشيخ الإسلام ، رحمه اللّٰه ، وأوسع من رسالة « الحسبة » رسالة « السياسة الشرعية » في الموضوع ذاته ، وهي لشيخ الإسلام أيضًا ، وكم لشيخ الإسلام رحمه اللّٰه من مآثر ومحامد ، وكم لقلمه السيال وبيانه الأخاذ وجولاته الواسعة المدى في الكشف عن حقيقة الإسلام وبيان أسراره والتمشي مع سماحة الدين ويسره ، كم لذلك من نتائج ملحوظة ، غيرت مجرى الفكر ، واتجهت بالوعي الإسلامي نحو عالم نظيف ، ومسلك لاحب(٢) ، وهدف واضح ، وغاية سليمة ، ووضع صالح معقول . رحم اللّٰه شيخ الإسلام ، وطيب ثراه ، وأعلا درجاته في عليين . آمين ، وصلى اللّٰه على النبي محمد وآله وصحبه .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وابن ماجه (٤٠١٤) ، وابن حبان (٣٨٥) . وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٥) ثم قال : لكن لجملة « أيام الصبر » شواهد خرجتها في الصحيحة أيضًا ، فانظر تحت الحديثين (٤٩٤، ٩٥٧) .

(٢) لحب : في حديث ابن زِمْل الجهني : رأيت الناس على طريق رَحْبٍ لاحب . اللاحب : =

نظرات الدين إلى الشعر(١)

في كل يوم لصاحب « المنهل » نشاط جديد وابتكار في دنيا الصحافة ، وتفنن في الأساليب التي يجتذب بها القراء ، ويكسب بها أصدقاء ينهلون من منهله .

فقبل شهور خلت طلع علينا بعدد ممتاز للقصة ؛ طالعنا فيه بأروع القَصَص الأدبي المتزن الذي يجمع بين المتعة الأدبية والتقويم ، ثم أردفه بعدد ممتاز آخر بمناسبة مضي عشرين عامًا على جهاد « المنهل » ، وشقه الطريق أمام رواد العلم والأدب والمعرفة .

ولم يقف نشاط الأستاذ عبد القدوس عند هذا الحد ، بل تابع حركة النهوض التي يوجهها مولانا المليك بسديد رأيه وصائب حكمته ، تابع حركة النهوض ، ورغب في أن يسهم فيها بعدد ممتاز خاص بالشعر والشعراء وأثرهما في تقدم المملكة في الناحيتين الثقافية والاجتماعية ، وجه إلى الكتابة فيه الدعوة لجمهور من حملة الأقلام والشعراء ورجالات العلم وقادة الرأي ؛ ليسجل بين دفتيه كل ما يتصل بهذا الموضوع ، ليكون- كما قال الأستاذ عبد القدوس ، وعلى حد تعبيره : "تاريخًا وضاءً للشعر الحديث في بلادنا" ..

ولقد خصني كعادته بموضوع يتناسب والنزعة الدينية المهيمنة على نفسي ، ورغب في أن تكون كتابتي في موضوع (نظرات الدين إلى ألوان الشعر) .

والحق أن للدين نظرات ونظرات في ألوان الشعر واتجاهاته ومناحيه ، فليس كل الشعر يبيحه ، وليس كل الشعر يحظره ويؤاخذ عليه ، وأن الكتابة في موضوع

= الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع . ومنه حديث أم سلمة قالت : لعثمان : لا تُعَفِّ سبيلًا كان رسول الله ﷺ لَحَبها . أي : أوضحها ونهجها . انظر النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٣٥.

(١) مجلة المنهل - رجب - ١٣٧٥هـ .

كهذا تتقاضاني الإلماع بتقدمة موجزة عن أغراض الشعر وألوانه وملابساته، والظروف التي كانت توحي به، وتشجع عليه، أخلص منها إلى موضوع المقال.

فالشعر كما عرفه المحققون من الأدباء: هو الكلام الفصيح الموزون المقفى. وقد يضرب إلى الخيال، ليعبر عن ألوان من صوره البديعة، وقد يعبر عن الحقائق من غير مدخل للخيال؛ كأبيات الحكم والمواعظ والأمثال.

أما أغراضه فكثيرة متنوعة:

فمن أغراضه مثلًا: المديح، وقل أن يخلو عصر من العصور إلا وفيه مادح وممدوح، اللهم إلا في فترة الانتقال القصيرة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ إلى المدينة وشغلت شاعرية الصحابة عنه بالقرآن، ومحكم آياته، ومتانة لفظه، وبديع نظمه، ثم انطلقت ألسنتهم بالشعر في مدائح الدين والرسول ﷺ، كما انطلقت ألسنة الجاهليين من المشركين بالطعن على الدين، وهجو الرسول وأصحابه.

ويقابل المديح شعر الهجاء، فبدلًا من أن يصف الشاعر محاسن الممدوح، وفضائل أخلاقه، وكرم محتده، ينشر مثالبه، ويعدد معايبه، ويشكك في حقيقة أمره.

ومن أغراضه أيضًا: الرثاء، ودافعه الحافز عليه شعور بوقع المصيبة، وعاطفة تجيش بالكلوم الدفينة، ولن يخلو الزمان على كره من فواجع وآلام، هي في أمس الحاجة إلى تصويرها بالشعر والتعبير عنها.

ومن أغراضه أيضًا: الاعتذار، وهو لون من الشعر؛ يجمع إلى التنصل من الذنب، الاستعطاف واستمالة القلوب.

ومن أغراضه أيضًا: الحماسة والفخر؛ وهما أبرز صفات العربي، فقد نشأ على التمدح بمفاخر الآباء وأحسابهم، وعريق مجدهم، وحسن بلائهم، وعلى تصويره للشجاعة في أثوابه، وصدقه في لقاء عدوه إلى غير ذلك.

ومن أغراضه أيضًا : الوصف ، وطبيعة العربي الانطلاق والحرية ، والشعر الوصفي مادته الانطلاق والحرية ، فاندفع العرب ينظمون في هذا اللون من الشعر ، ويحلقون به في أجواء واسعة ، وخيال خصيب ، حيث كانوا يصفون كل ما تقع عليه أعينهم من حيوان ونبات وسهول وجبال ومواقع حربية وغارات وثارات ، وما إلى ذلك ، وبدهي أن يشمل ذلك المرأة وجمالها ، ومبلغ الافتتان بها ، ووصف محاسنها ، إلى أن خرج بهم ذلك إلى التغزل والتشبيب بالنساء ، وذكر الغرائز الجنسية ، والتحدث عن التهاب العاطفة بشكل يغري بالإثم ، بل هو الإثم ، مقنعًا .

ومن أغراضه أيضًا : المثل والحكمة ، وهو ندرة في الشعر ، يأتي به الشعراء في غضون شعرهم ، فيكون كما مثل له بالملح في الطعام .

من هذه الإلماعة يتضح أن الشعر شأنه شأن غيره من الموضوعات ، ذات الألوان المتغايرة ، والأوجه المختلفة التي يجتمع فيها الخير والشر ، والحق والباطل ، فشعر الهجاء مثلًا الذي يعتمد على الطعن ، وتعداد المثالب ، وقلب المحاسن إلى مساوئ ، إذا اتخذ أداة للطعن على أعداء الإسلام ، والتشهير بهم ، وتعداد مثالبهم ، والتنفير منهم ، وتعييرهم بالنقائص ، فوجهة نظر الدين فيه الجواز وعدم الحظر منه ، بل بالعكس التشجيع عليه ؛ يؤيد ذلك سماح رسول الله ﷺ لشعراء الإسلام بهجو قريش ، بل تحريضهم على ذلك ، عندما آذت قريش رسول الله بهجائه وأصحابه . عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « اهجوا قريشًا فإنه أشد عليهم من رشق النبل »[(١)] . وقالت أيضًا : سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : « وإن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله »[(٢)] . وقالت أيضًا : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هجاهم حسان فشفى

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) .

وأشفى »[١] . وحدثت أيضًا رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يضع لحسان منبرًا في المسجد ، يقوم عليه قائمًا ، يفاخر عن رسول الله ﷺ ، أو ينافح[٢] .

أما إذا كان الهجاء يتناول أعراض المسلمين ، ويقذف البريئين ، ويطعن في الصالحين ، ويكشف عورات المتسترين ، ويتطاول على الخلائق بالسباب وهجر القول ؛ فإن الدين يقف منه موقف الرادع الزاجر ؛ يؤيده قوله ﷺ لمن وجده ينشد شعرًا : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا »[٣] . وسُئلت عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ بسائغ عنده الشعر ؟ فقالت : كان أبغض الحديث إليه[٤] .

ولقد حبس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الحُطَيئة لما هجا الزِّبرقان صاحب رسول الله ﷺ ، ثم أطلقه عندما استشفع إليه بشعر ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم[٥] .

وشعر الوصف ، إن وقف عند حد الوصف المباح ؛ كوصف الشجاعة ، والإقدام ، والبسالة في الحروب ، ووصف الكون بمناظره الخلابة ، ووصف الحدائق الغنّاء ، والقصور الشامخة ، والأئمة العادلين ، وما إليه ، فلم يعد ذلك في نظر الدين تقرير الواقع ، وليس على الشاعر فيه من بأس ، أو جناح .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٧٢/٦) ، والترمذي (٢٨٤٦) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٥٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٥٤، ٦١٥٥) ، من حديث ابن عمر ، وأبي هريرة رضي الله عنهم . وأخرجه مسلم (٢٢٥٧- ٢٢٥٩) من حديث أبي هريرة ، وسعد ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم .

(٤) أخرجه أحمد (١٣٤/٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٩٥) .

(٥) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٩٨٤ - مسند عمر) وانظر طبقات فحول الشعراء (١١٦/١) لمحمد بن سلام الجمحي .

أما إن تجاوز هذا إلى ما يسمى في عرف العصر بالأدب المكشوف، وكان هدفه التغزل بالنساء، ووصف محاسنهن، وأيام لقائهن، وليالي السمر معهن، وما إلى ذلك مما يغري بالإثم، ويدفع إلى الخطيئة، ويلهب الغرائز؛ كشعر عمر بن أبي ربيعة الذي قال عنه العلماء: ما دخل العواتق في خدورهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة.

ولقد شغف بشعره المغنون، وأولع به القيان والندماء، وضجر منه الزهاد والصالحون، وضاق به الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، ونفى ابن أبي ربيعة إلى منفى بني أمية، بإحدى جزر البحر الأحمر، ولم يعد من منفاه إلا بعد أن أقسم أيمانًا مغلظة أنه لا يعود إلى صبواته، وأنه سوف يخلص للّٰه في توبته.

ومن هذا القسم أيضًا شعر أبي نواس؛ ووصفياته القذرة للخمر والدنان والليالي الحمراء، وغير ذلك مما يطول شرحه وتعداده، ومنه أيضًا بعض الموشحات الأندلسية التي تصف المردان، وقدودهم الممشوقة، وأقومتهم اللدنة، ووجناتهم الملتهبة، وغير ذلك من الأوصاف التي كان وصف النساء بها أليق، والفتنة بها في المردان ارتكاس وشذوذ قبيح، ومنه أيضًا شعر هذه الأغاني الرخيصة التي تذيعها بعض محطات الإذاعة، وهي تصور الإثم والتحلل لأبعد مدى.

كل ذلك وأمثاله مما يشجع على الرذيلة، لا ينظر إليه الدين إلا نظره إلى الجريمة والحوب الكبير، ولقد نقل التاريخ حادثة أمير المؤمنين مع أحد عماله وعزله له عن عمله، عندما بلغه عنه أنه نظم الأبيات التالية، وعدها قدحًا في عدالته يؤاخذ عليه:

ألا هل أتى الحسناء أنَّ خليلَها ... بميسان يسقى من زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قربة ... ورقاصة تحدو على كل مبسم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتلثم
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

فقال أمير المؤمنين عمر : أي والله ، يسوءني ذلك ، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته ! ولما قدم على الخليفة بكته بهذا الشعر ، فقال العامل معتذرًا : والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني ، فقال عمر : أظن ذلك ، ولكن والله لا تعمل لي عملًا وقد قلت ما قلت(١) ! ...

وشعر الاعتذار والرثاء إن لم يغل الشاعر في الأول ، فيرفع المعتذر إليه فوق منزلته ، ويستكين ويخضع له خضوع المملوك للمالك .

وإن لم يبلغ الشاعر الثاني درجة التسخط على الأقدار والتبرم ؛ لاهتصار المنون ، لسيد زمانه ، ووحيد أوانه ، وإن لم يبالغ الشاعر في تعداد محاسن الميت ومحامده لدرجة تخرجه عن نطاق البشرية ، وتجعله في صفوف الملائكة ، إن لم يكن ذلك الغلو في الأول ، وهذه المجازفة في الثاني فإن الدين لا يقف في سبيلهما حجر عثار ، فثمة ثروة هائلة من أبيات الاعتذار نذكر منها أبيات كعب بن زهير في قصيدته اللامية ، التي سار بخبرها الركبان ، والتي كان من أثرها أن خلع الرسول الكريم عليه بردته ؛ منها قوله(٢) :

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلًا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت فيّ الأقاويل

أما أبيات المراثي ، فحدث عن كثرتها ووفرتها ، ولقد كان أعظم رثاء في أعظم رزء منيت به الجماعة الإسلامية ، ألا وهو الرزء بموت الهادي منقذ

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/٣٠٣) ، وأنساب الأشراف للبلاذري (٢/٣١٥) (ولد عويج بن عدي بن كعب) وقائل هذه الأبيات هو النعمان بن عدي .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٥٧٨) ، والبيهقي (١٠/٢٤٣) ، وفي الدلائل (٥/٢٠٧) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٧٣) : وهذا من الأمور المشهورة جدًا ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب بإسناد أرتضيه ، فالله أعلم .

البشرية ، بهداية اللّٰه ، من الظلمات إلى النور ، عليه الصلاة والسلام ، وقام برثائه كثرة من الصحابة ، رضوان اللّٰه عليهم ؛ منهم حسان رضي اللّٰه عنه في غير قصيدة واحدة ، منها قصيدته اللامية التي يقول فيها[١] :

لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يومًا رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

أمام المديح وشعره فالقول فيه واسع مديد ، ونظرة الدين إليه تختلف باختلاف أساليبه ، ومبلغ درجة الممدوح ، ومطابقة المدح لصورة الحق والواقع ، فثمة شعر المناجاة الموجه إلى الباري جل وعلا ، فليس عليه من مأخذ ، إلا إذا خرج الشاعر به عن الوارد في أسماء اللّٰه وصفاته ، فهي توفيقية ، ولا يجوز أن يطلق على اللّٰه من الأسماء والصفات إلا ما سمى وما وصف به نفسه .

وثمة مدائح في رسول اللّٰه ﷺ ، وهو المثل الكامل في المحامد ، وكريم الخلال ، وكل مدح فيه فهو دون ما يستحقه ، إلا أن الغلو في مدحه لدرجة الارتفاع به إلى مقام الألوهية محظور شرعًا ؛ بل هو الشرك المناهض لعقيدة التوحيد ؛ وذلك كقول من يخاطب الرسول ﷺ بقوله[٢] :

فإن من جودك الدنيا وضَرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وثمة مدائح في سائر الناس من ملوك وأمراء ورؤساء وأرباب فضل وجود غيرهم ، فالمدائح لهؤلاء وأمثالهم لا يشجع عليها الدين إلا إذا طابقت الحقيقة والواقع ، ومع ذلك يفرض فيها الاحتراز ، ولا يجيز فيها إطلاقًا القول على عواهنه ؛ يؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن أبي بكرة رضي اللّٰه عنه قال : أثنى

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٤٧.
(٢) انظر العرف الشذي للكشميري (٤١٤/١) . وهذه الأبيات من قصيدة البردة للبوصيري .

رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال : « ويلك قطعت عنق أخيك » . ثلاثًا ، « مَن كان منكم مادحًا لا محالة فليقل : أحسب فلانًا ، واللَّه حسيبه ، إن كان يرى أنه كذلك ، ولا يُزكى على اللَّه أحد » . متفق عليه[1] . ولمسلم[2] عن المقداد أن رجلًا جعل يمدح عثمان فجثا المقداد على ركبتيه ، وجعل يحثو في وجهه التراب ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ قال : إن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » . وفي المسند عن معاوية مرفوعًا : « إياكم والمدح فإنه الذبح »[3] .

أما شعر المثل والحكمة فقد اتخذ طابعًا خاصًا ومنحى هو في نظر الدين من خير ما ينتهجه الشعراء ، إذا قصر أوزانه ودرج لفظه على القول السديد الراشد ؛ ومن ثَمَّ كان مطابقًا للحق وتصوير الواقع ، ألا ترى وأنت تقرأ أبيات أبي العتاهية[4] :

واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرع منا ومُتَّرس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

ألا ترى أنه قد صور فيها الواقع ، ووجه الأنظار إلى حق ، لا مندوحة عن وقوعه .

وإلى أبيات النابغة[5] :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢، ٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٢).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٩٢، ٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٣) وحسنه الألباني في الصحيحة (١١٩٦، ١٢٨٤).
(٤) انظر روضة العقلاء (١/ ٢٨٥) لابن حبان، والأغاني للأصبهاني (٤/ ١١٢). ولم أجد الأبيات في ديوان أبي العتاهية.
(٥) ديوان النابغة ص ٥٦.

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
كم شامت بي أن هلكت وقائلٍ للّه دره

وإلى قول زهير(١) :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسُلّم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

إلى غير ذلك من أبيات الحكمة التي تأتي في غضون قصائد الشعراء فيصيبون فيها المحز ، ويصورون فيها الحقيقة ، فإن الدين ينظر إليها نظره إلى كل سداد ورشاد ، لم يشب بباطل .

بقي أن نعرض لقول اللّه تبارك وتعالى في شأن الرسول ﷺ : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: الآية ٦٩] ، وقوله في الشعراء : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٤] إذ إن سياق الآيتين يشعر بالذم ، وتنقص هذا اللون من الكلام ، والغض من أهله ؛ أما الآية الأولى فهي في معرض الرد على المشركين في قولهم : إن القرآن شعر ، وإن محمدًا شاعر ، فأكذبهم اللّه بقوله : إن الرسول ﷺ لم يتعلم الشعر ، وليس من طبعه ذلك ، فلا يحسنه ، ولا تقتضيه جبلته ؛ ولذلك صحت الأخبار أن الرسول ﷺ ما كان يحفظ بيتًا على وزن منتظم ، وإن أنشده غيره ، ولم يتمه . وتمثل مرة بقول الشاعر :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا . فقال : كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا ، فقال له أبو بكر : إنما هو كذا . وأعاد البيت على وضعه ، فقال النبي ﷺ : « الكل سواء »(٢) .

ومنه يعلم أن النبي ﷺ تمثل بالشعر ، وإن لم يكن يأتي به على وضعه . وعن

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٦.
(٢) أخرجه ابن سعد (١/٣٨٢) عن الحسن مرسلًا . وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٠٨٥) .

عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استراث[١] الأمر ، تمثل بقول طرفة : ويأتيك بالأخبار من لم تزود[٢] . فكان يقول : ويأتيك من لم تزود بالأخبار . وثبت في الصحيح[٣] أنه ﷺ كان يشارك أصحابه يوم الخندق في ترديد أبيات عبد الله بن رواحة ، يقولها تبعًا لهم ، وهي :

اللهم لولاك لما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الآلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان ﷺ يرفع صوته بقوله : « أبينا » ... وثبت عنه ﷺ أنه كان يرتجز يوم حنين ، وهو راكب بغلته ، يقدم بها نحو العدو ، ويقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[٤]

لكن قيل في ذلك : أنه وقع على لسانه اتفاقًا ، من غير قصد لوزن شعر ، أما الآية الأخرى فحسبنا ما بسطه المحققون في تفسيرها ، وسبب نزولها ، قال الله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٤] .

قال البغوي[٥] : قال أهل التفسير : أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ تكلموا بالكذب ، والباطل ، واجتمع إليهم غواة من قومهم ، يستمعون أشعارهم ، ويروون عنهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ

---

(١) في الأصل : « استراب » . والمثبت من مصادر التخريج . ومعنى استراث ، أي : استبطأه . النهاية (٢/٦٨٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٦/٣١) ، والنسائي في الكبرى (١٠٨٣٣) . وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٥٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٤، ٤١٠٦) ، ومسلم (١٢٥/١٨٠٣) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٦٤، ٢٨٧٤) ، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٥) تفسير البغوي (٦/ ١٣٥، ١٣٦) .

ٱلْغَاوُنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤، ٢٢٥] . قال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما : في كل لغو يخوضون . وقال قتادة : يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل ، فالوادي مثل لفنون الكلام ، كما يقال : أنا في واد ، وأنت في واد ، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٦] أي : يكذبون في شعرهم ؛ يقولون : فعلنا وفعلنا . وهم كذبة ، ثم استثنى اللّٰه من الشعراء من آمن وعمل صالحًا ، قال تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧] قيل : لما نزل قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٤] جاء حسان بن ثابت ، وعبد اللّٰه ابن رواحة ، وكعب بن مالك إلى رسول اللّٰه ﷺ وهم يبكون ، قالوا : قد علم اللّٰه حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء . فتلا النبي ﷺ : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧] قال : أنتم ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧] قال : أنتم ، ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧] قال : أنتم . وقيل أيضًا في قوله تعالى : ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي : لم يشغلهم الشعر عن ذكر اللّٰه ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ انتصروا من المشركين ؛ لأنهم بدأوا بالهجاء .

قال ابن كثير(١) : هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم . ومن هذا التفسير ، ومن بسطنا أيضًا في الموضوع ، يتضح هدف الآيتين . ولنختم البحث بكلمة للسيدة عائشة رضي الله(٢) عنها ، وبقول في الشعر للعلامة ابن كثير ؛ هما كالدعامة لصحة اتجاهنا .

قالت السيدة عائشة رضي اللّٰه عنها : الشعر كلام فمنه حسن ، ومنه قبيح ، فخذ الحسن ودع القبيح(٣) .

---

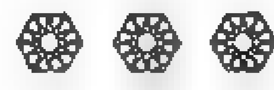
(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٤، ٥٨٠) .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٦) . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٦٥) .

وقال ابن كثير[1] عند تفسير قول اللّٰه تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: الآية ٦٩]: على أن الشعر فيه ما هو مشروع؛ وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت رضي اللّٰه عنه، وكعب بن مالك، وعبد اللّٰه بن رواحة، وأمثالهم وأضرابهم رضي اللّٰه عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية؛ ومنهم أُمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول اللّٰه ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه»[2].

وقد أنشد بعض الصحابة رضي اللّٰه عنهم للنبي ﷺ مائة بيت، يقول ﷺ عقب كل بيت: «هيه»[3] يعني: يستطعمه فيزيده.. وقد روى أبو داود من حديث ابن كعب، وبريدة بن الحصيب، وعبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهم: أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا»[4].



(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٤، ٥٨٠).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤/٧)، وابن عساكر (٩/٢٧٢) من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٥) من حديث الشريد بن سويد رضي اللّٰه عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠١٠- ٥٠١٢). وصححها الألباني. والشطر الأول عند البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر، وعند مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي اللّٰه عنهم.

الزهـــد(١)

« ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »

روى هذا الحديث ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة عن أبي(٢) العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، وتمامه أن رجلًا جاء للنبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس ؟ فقال : « ازهد في الدنيا يحبك الله »(٣) . الحديث .

أيها القارئ الكريم : ليس المراد بالزهد ما يتبادر إلى بعض الأذهان من شظف في العيش ، وتقشف في الملبس ، وذل واستكانة ، وخضوع مصطنع ، وظهور بمظاهر ، وأوضاع خاصة ؛ من شأنها أن تضفي على أصحابها لونًا من التزمت ، يبعد بهم عن معترك الحياة ، وصخب الواقع ، وليس هو تحريم ما أحل الله من متع الحياة ، وملاذها ، وما أباحه الله لعباده من نعيم ورفاهية لا تبلغ بأصحابها حد الأشر والبطر ، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ [الأعراف: الآية ٣٢] .

وليس هو العزلة والانطواء على النفس ، ومجانبة العمل ، وترك الكفاح والكدح في سبيل الحصول على ما يقوم به الأود من ضرورات الحياة ، ومرافق العيش ؛ بدعوى الخوف من الاشتغال بالدنيا عن الآخرة ، وتقديم الفانية عن الباقية .

وإنما الزهد الذي يحب الله عليه ، ويحب الناس من أجله ؛ هو الترفع عن

---

(١) مجلة الحج- جمادى الآخرة- ١٣٧١هـ .

(٢) في الأصل : « ابن » . والمثبت هو الصواب . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٨٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) ، والطبراني (٥٩٧٢) . وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٤) .

الإسفاف، والبعد عن فضول القول وغثه، والعمل الشائن المزري الذي يلحق بصاحبه المعرة والإثم، وهو القصد في الطلب، وعدم الإلحاف في المسألة عند مقتضى الضرورة والحاجة، أو هو كما عبر عنه بعض فلاسفة الإسلام أنه حالة نفسية يظهر أثرها في العمل، ولا سيما السلبي، بما تقتضيه من الرغبة عن الشيء للزهود فيه، وعدم الحرص عليه.

أو كما أوضحه الإمام أحمد، رحمه الله، حيث يقول: الزهد ثلاثة أوجه: ترك الحرام، وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله: وهو زهد العارفين[(١)].

وللعلامة ابن القيم بحث نفيس، وعرض شائق طريف للزهد، وأقسامه، ومناحيه، وسائر اتجاهاته، قال يرحمه الله[(٢)]: الزهد أقسام: زهد في الحرام؛ وهو فرض. وزهد في الشبهات؛ وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول فيما لا يغني من الكلام، والنظر، والسؤال، واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس؛ بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع للملك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما يشغلك عنه، وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

وإن في هذا البسط لبيانًا شافيًا، وتوجيهًا رفيعًا، وفهمًا دقيقًا، ثم إن الزهد لا يحد بحد، ولا يدخل تحت ضابط؛ ذلك لوجود المفارقات بين الطبقات، ولنسبة موارد الرزق، وطرق الكسب التي يتفاوت فيها الناس، فما يزهد فيه

---

(١) مدارج السالكين (١٢/٢)، والآداب الشرعية (٢٣١/٢).

(٢) الفوائد ص ١١٨.

فريق ، بحكم وضعه وطقوس معائشه ، هو بالنسبة لغيره ضرورة لا مندوحة عنها ، وعلينا الآن أن نستعرض التاريخ ؛ لنطالع فيه الفصول الممتعة عن حياة الأسلاف في عصرهم الذهبي ، ولنقف على مبلغ فهمهم للزهد ، ومدى تأثرهم به ، ومسايرتهم لتطورات الزمن ، وأوضاع الحياة ، ولنستمع إلى الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي اللَّه عنه ، وهو يستعرض حالة المسلمين إبان احتضانهم الدين ، وما منوا به آنذاك من شظف العيش ، وعنت التكاليف ، ثم ما اقتضت إليه الحال بعد أن بسط اللَّه لهم في الرزق ، وأفسح لهم في النعيم ، قال رضي اللَّه عنه : هاجرنا مع رسول اللَّه ﷺ نلتمس وجه اللَّه تعالى ، فوقع أجرنا على اللَّه ، فمنا من مات ، ولم يأكل من أجره شيئًا ؛ منهم مصعب بن عمير رضي اللَّه عنه قتل يوم أحد وترك نمرة -نمرة : كساء ملون من صوف- فكنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نغطي رأسه ، ونجعل على رجليه شيئًا من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[1] أي : يقطفها ويجتنيها ، وحوادث التاريخ ولعة ، تقص علينا الكثير من أخبار الصحابة ، رضوان اللَّه عليهم ، ممن كانت لهم مجالات واسعة المدى في حقول التجارة ، واتجاهات خاصة نحو المادة ، لم تخرجهم عن نطاق الزهد والزاهدين ، ولم يكونوا بها من المفرطين والغافلين ، ولقد بلغ ميراث بعضهم مئات الآلاف من الدراهم ، وتأثل البعض منهم العقار ، واقتنى الحوائط العظيمة ، وتوسع في الملاذ في حدود الإباحة ، والقصد ، والاتزان ، وهو ما يفهم من قول خباب رضي اللَّه عنه : ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها .

ولا يغربن عن الأذهان كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ، المأثورة عنه في هذا الباب : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا ، واعمل لآخرتك

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٧) ، ومسلم (٩٤٠) من حديث خباب رضي اللَّه عنه .

كأنك تموت غدًا[١] . الأمر الذي يحفزنا إلى الأخذ بأساليب الحياة والكدح ، وعدم التطرق في الزهد لدرجة تباعدنا عن الغرض الذي كانت الدنيا من أجله مزرعة الآخرة ، وكانت الآخرة موصلة بعمل الدنيا ، ومن ثَمَّ نجد المدخل لفهم الحديث الشريف الآنف الذكر : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » .

هذا وإن من حسن الصدفة أن يقع في يدي كتاب الأستاذ الجليل محمد الغزالي « تأملات في الدين والحياة » ، فأجد بين طياته بحثًا نفيسًا في الزهد تحت عنوان : « زهد وزهد » ، كان مثار النقد النزيه والمناقشة الهادئة الطريفة ، وقد عقب الأستاذ الغزالي على نقد الناقدين بما انجلت عنه الحقيقة ، وتقاربت فيه الأهداف ، ورأيت أن أقتبس منه نبذًا ، لا معدى لمن يطرق هذا الموضوع أن يبلغ إليها .

قال الأستاذ الغزالي : هناك أنواع من متع الحياة ، ومباهج العيش ، يري الكثيرون أن الزهد فيها ، والتنزه عنها ضرب من قوة الإيمان ، وسمو الروح ، ويحسبون مجاهدة النفس ، حيث تتطلع إليها أمرًا يستلزمه الدين ، ويتطلبه اليقين ، وهذا وهم يجافي الصواب في أكثر الأحيان ، فأكثر أنواع الزهد المعروفة لا صلة لها بالدين ، ولا دلالة فيها على الفضل والكمال ، ما قيمة الزهد المادي في الأشياء ؟ إن بطن الإنسان شبر في شبر ، ولو امتلأت إلى حد التخمة ما كلف الحياة شيئًا طائلًا ، والقيمة المادية للزهد المادي لا تساوي بضعة مليمات ، أو بضعة قروش .

إن أزمات العالم الكبرى نفسية واجتماعية وسياسية ؛ لم تنشأ إلا من الأثرة المفرطة والتحاسد الباغي ، والكبرياء المستبدة ، وشهوات الظلم والرياء

---

(١) لم أجده عن عمر ، وقد روي عن عبد الله بن عمرو ، ولا يصح ، وأما المرفوع فلا أصل له . وانظر الضعيفة (٨) .

والاستعلاء، ومجاهدة هذه النوازع الخبيثة؛ هي الزهد الحقيقي الذي تصلح به الأرض، ولن تزيد الأرض شيئًا إذا زهد بعض بنيها أو أبناؤها جميعًا في الاستمتاع بنباتها وحيوانها وخيراتها المختلفة؛ ولهذا يستنكر القرآن مظاهر الزهد المادي التافه، ولا يحترم بواعثها.

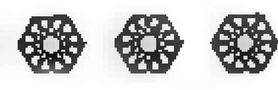
والشيء الذي ينبغي أن نجاهد أنفسنا عليه، وأن نعلمها الزهد فيه، الفحش واللؤم والتعدي والتحدي وحب الظهور وسوء الغرور.

وقال أيضًا في تعقبه على الناقدين: ونعود إلى موضوعنا مرة أخرى، فنقول: إن الزهد المادي قد يكون عن عدم الرغبة في الشيء، وقد يكون عن كبت الرغبة في الشيء، والنوع الأول لا موضوع فيه لجهاد النفس، ولا لكثرة الثواب، فالممعود الذي يكره الطعام؛ لأنه لا يستطيع الهضم، والحصور الذي يبتعد عن النساء بأنه لا يحفل بمتعهن، هؤلاء جميعًا إذا أصبغت حياتهم بمظاهر التقشف والتصوف، فلا دلالة في ذلك على خير كثير.

أما النوع الثاني من الزهد: الزهد عن قتل الرغبة، وكبح لجماحها، فهو موضع تفصيل لا يبعد في نتائجه كثيرًا عن النوع الأول، وذلك أن الكبت الدائم للرغبات الكامنة في ذم الإنسان نحو متاع الحياة الدنيا، يعتبر رهبانية قاسية، لم يقل بها الإسلام، ولم يدفع إليها إباءه، ولم ير فيها معاني السمو المزعوم، ولا حقائق الفضل المنشود، غير أن هناك كبتًا مؤقتًا يلجأ إليه الرجل حتمًا في أحوال كثيرة من حياته، يلجأ إليه المؤمن حين يعصم نفسه عن الحرام إذا نزعت إليه، وموقفنا من هذا الكبت هو موقفنا من المصائب الطارئة؛ نصبر عليها إذا بلينا بها، ولا نشتاق إليها إذا بعدت عنا، وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه لا تعدو أن تكون تطبيقًا عمليًا للمباديء التي رسمها القرآن، وليتأكد الإخوان أن تكاليف الزهد الأدبي أشق وأدق من تكاليف الزهد المادي، وما هان المسلمون إلا يوم أن كان الواحد منهم ينظر إلى تفاحة فيقول لها -كما تذكر كتب التصوف- : موعدك

الجنة ، ولو أن الأحمق أكلها وأكل غيرها ، ثم مات شبعان في الميدان ، بدلًا من أن يموت جوعان في البيت ، لكان ذلك أجدى عليه وعلى الإسلام والمسلمين . اهـ .

وبعدُ : فإن في هذه الفقرات المقتطفة من مقال الأستاذ الغزالي المومأ إليه ، ما يدفع اللبس والتضليل ويفتح الأعين على لون من الزهد ليس وقفًا على طائفة من الناس دون أخرى ، كما يتوهم فريق المتصوفين ، ومن نحا نحوهم ، بل هو مشاع بين كل الطبقات ممن ينشدون الكمال الخلقي والسمو الروحي في شتى مظاهره ، وليس هو طقوسًا دينية محضة ، وأوضاعًا شكلية خاصة ، وصراعًا عارمًا بين النفس وما أحل الله لعباده من الطيبات .



التضحيــة[١]

للقصة مسلك لا يجيده غير الروائيين الذين يصنعون شيئًا من لاشيء، ويصورون من العدم وجودًا بأسلوبهم الروائي الخاص، وفي شيء من الخيال، بل في كثير من الخيال الخصيب، ولست بالطبع من هذا الفريق في شيء، ولا أزاحمه في مجالاته.

ولقد رأيت أن أستمد الكتابة من عبر التاريخ الإسلامي، وكله عبر، وأتخذ من سير أبطاله موضوعًا أتحدث فيه عن بطولتهم، وأخبار تضحياتهم، وما رسموه لأصحاب المبادئ من خطط، وما أحدثوه من مغامرات.

ولقد كان فيما حدثنا عنه التاريخ من حوادث البطولة النادرة والتضحية؛ قصة خبيب بن عدي، ورفاقه القراء، وما لاقوه من عنت وشدة، وما عرض لهم من بلاء، وما بدر منهم من صبر وتضحية ورباطة جأش وبسالة؛ فيما يصح أن يعبر عنه في مجموعه (بالبطولة) تلك البطولة التي تنوعت فيها الأساليب، وتعددت فيها المناحي، فكان في كل وجه منها درس، وفي كل منحى فيها سداد ورشاد.

وفصول قصة[٢] خبيب ورفاقه وقعت بعد غزوة أحد، وكان أبطال القصة ستة نفر بعثهم رسول اللَّه ﷺ مع رهط من عضل والقارة، قدموا على رسول اللَّه ﷺ، وطلبوا منه أن يبعث فيهم من يقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين، فبعث معهم رسول اللَّه ﷺ مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي وعبد اللَّه بن طارق، وزيد بن الدثنة، ولكن الرهط قد لبسوا على رسول اللَّه ﷺ، وأضمروا خلاف ما أظهروه له؛ أضمروا الغدر

---

(١) مجلة الحج- ذو القعدة- ١٣٧٤هـ.

(٢) القصة أخرجها الواقدي في المغازي (٣٥٤/١)، وابن سعد (٥٥/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٢٧/٣).

طمعًا في الحطام، والخيانة أملا في بريق المادة، ولقد علموا أن قريشًا تحرق الأرم على رسول اللّٰه ﷺ من جراء ما نالها منه في غزوة بدر وأحد، وتتوعد بعض أفراد من أصحابه بأقسى أنواع الانتقام؛ إذ وتروهم، وقضوا على أحبةٍ أكرمين عليهم، وكان من بين أولئك الموتورين سلافة بنت سعد، وقد نذرت إن قدرت على رأس عاصم بن ثابت أن تشرب الخمر في قحفه ذلك؛ لأنه قتل لها ابنين في غزوة أحد(١)، ومنهم صفوان بن أمية قتل زيد بن الدثنة أباه أمية بن خلف، فاضطغنها عليه، ومنهم بنو الحارث بن عامر، يروى أن خبيبًا قتل الحارث يوم بدر.

ويذكر صاحب «عيون الأثر»(٢) أن الذي قتل الحارث خبيب بن إساف لا خبيب بن عدي(٣).

وكان رهط عضل والقارة على علم من كل ذلك، وهو ما حفزهم إلى تبييت الشر، فأظهروا الإسلام للوصول إلى هدفهم، وعندما بلغوا بالقراء الرجيع، وهو ماء لهذيل بين عسفان ومكة، غدروا بهم واستعدوا هذيلًا، واستعانوا بهم؛ للتمكين من القراء وتنفيذ ما رسموه من خطة الإجرام، فقابل القراء طيش المأذونين بالصبر والجلاد، ولجأوا إلى سيوفهم؛ ليحكم اللّٰه بينهم وبين القوم الماكرين، لم يفت في عضدهم كثرة الخصوم، وقلة عديدهم، ولم يرعهم هول المفاجأة، وصولة الباطل؛ إذ وهبوا أنفسهم للّٰه، وطمعوا في إحدى الحسنيين الظفر، والنصر ف: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٩]. أو الاستشهاد في سبيل اللّٰه، وقد باعوا أنفسهم للّٰه، فحبذا البيع وحبذا الثمن:

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٢/١٧١)، والدرر في اختصار المغازي ص١٦٨ لابن عبد البر، والروض الأنف (٣/٣٦٤).
(٢) عيون الأثر (٢/١٢).
(٣) في الأصل: «عدوي».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١١] .

ولما رأى الخصوم استبسال القراء، وعزمهم على المقاومة، جنحوا إلى سلاح من نوع آخر للمقاومة؛ من شأنه أن يفل الروابط، ويحدث الانقسام، ذلك هو استغلال العاطفة الدينية في نفوس القراء، فأقسموا لهم بالله الذي يعظمونه ويجلونه وأعطوهم المواثيق المغلظة أنهم لا يريدون بهم سوء.. وإنما هدفهم الوحيد أن يصيبوا بهم من أهل مكة شيئًا، وفعلًا كان ما أرادوه، فانخدع بمواثيقهم وعهودهم زيد، وخبيب، وعبد الله بن طارق، فاستسلموا وأعطوا ما بأيديهم لقدر يريده الله بهم؛ أما الثلاثة الباقون وهم مرثد، وخالد، وعاصم، فلم يرفعوا رأسًا بعهود ولا بمواثيق الكفرة المشركين، واستمروا في المقاومة، وأنشد عاصم بن ثابت قوله:

ما علتي وأنا جلد نابل ... والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل ... الموت حق والحياة باطل
وكل ما حمّ[1] الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأمي هابل[2]

ثم أبلى هو وصاحباه بلاءً حسنًا، حتى استشهدوا رحمهم الله، ورضي عنهم... وأرادت هذيل أن تحتز رأس عاصم بعد أن خرَّ صريعًا، فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر[3] فحمته منهم. قالوا: دعوه حتى نمسي فيذهب عنه. فبعث الله الوادي، أي: سال فاحتمل عاصمًا وذهب به، ولم يتمكنوا من أخذه، وتلك

---

(١) حُمَّ الأمر بالضم حمًّا: قضي له ذلك، قُدِّر. «القاموس المحيط».

(٢) ينظر مغازي الواقدي (١/٣٥٤)، وسيرة ابن هشام (٢/١٧٠).

(٣) الدبر: بفتح الدال وسكون الباء، جماعة النحل. قلت: ينظر «الاشتقاق» لابن دريد ص ٤٣٧، «وتاج العروس»: (الدَّبْر).

كرامة أكرم اللَّه بها عاصمًا ، وقد كان أعطى اللَّه عهدًا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركًا أبدًا ؛ تنجسًا ، وإن من عباد اللَّه من لو أقسم على اللَّه لأبره .

نعود إلى الثلاثة الباقين من القراء الذين نزلوا على العهود ، وقبلوا المواثيق : زيد ، وخبيب ، وعبد اللَّه ، أما عبد اللَّه بن طارق فقد التوى على الخصوم ، إذ بلغ مر الظهران ، وكان قد أدرك عندما أوثقوه بالقران أنهم نكلوا عن عهودهم فانتزع يده من عقد الوثاق ، واستل سيفه ، وأخذ يدافع عن نفسه فرموه بالحجارة حتى استشهد رحمه اللَّه ، وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة وباعوهما بأسيرين من هذيل ، كانا معتقلين لدي قريش ، وكان من أمرهما أن قتلا صبرًا ؛ اقتصاصًا منهما ونقمة عليهما .

ولقد كان في حادثة قتلهما من العبر ما سجله لهما التاريخ بمداد الفخار ، وغدوا به مثلًا كاملا في التضحية والثبات على المبدأ .

من ذلك أن زيدًا عندما قدم للقتل رغب بعض خصومه في أن يسبر غور نفسيته في تلك اللحظات ، ويستطلع ما إذا كان يدين لمحمد رسول اللَّه ﷺ بالحب عن عقيدة متأصلة أشرب بها قلبه؟ أم أن ذلك مجرد دعوى بحكم الانتساب فقط؟ فقال له : أنشدك اللَّه يا زيد ، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد : واللَّه ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه ، الذي هو فيه ، تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي .

وإنها لكلمة عظيمة تصور مبلغ التضحية ، ومبلغ التفاني في حب رسول اللَّه ﷺ ، وإجلاله ، وإعظامه ، والإخلاص له ، وتعطي فكرة واضحة عن مبلغ تأثر صحابته بهدي الدين وتعاليمه ؛ حيث كان واقعهم يمثل مدلول الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين »(١) . فانطلق الخصم يردد : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب

أصحاب محمد محمدًا.

وأما خبيب بن عدي، فقد كان من إكرام اللّٰه له في معتقله ما حدثت به ماوِية على ما نقله ابن هشام[1] قالت: كان خبيب عندي حبس في بيتي، فقد اطلعت عليه يومًا، وإن في يده لقطفًا من عنب؛ مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض اللّٰه عنبًا يؤكل. ولا غرابة فإن ذلك من إكرام اللّٰه لأوليائه، ليس بالأساطير، ولا بقول الأباطيل. وحدثت أيضًا، قالت: قال لي خبيب عندما حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهر بها للقتل. قالت: فأعطيت غلامًا من الحي الموسى، فقلت له: ادخل بها إليه. فقلت: ماذا صنعت.. أصاب واللّٰه الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلًا برجل، فلما ناوله الحديدة، أخذها من يده، ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ؟ ثم خلي سبيله: وهي حادثة، إن دلت على شيء، فإنما تدل على عظمة خبيب، وطيبة نفسيته، وترفعه عن البغي والغدر، وتلك هي خطة الراشدين.

وقبيل أن يقدم خبيب للقتل استمهل خصومه أن يسبح سبحة قصيرة، يناجي فيها ربه، فكانت تلك سنة سنها خبيب لكل من ابتلي بمثل مصيبته، وبعد الفراغ من صلاته التفت إليهم قائلًا: أما واللّٰه لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة، وفي اللحظات الرهيبة التي سبقت نهاية مرحلة الظلم اتجه خبيب إلى ربه، قائلًا: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ثم دعا على خصومه بدعوة فتحت لها أبواب السماء، فلحقت بكل من شهد مقتله، حتى من لم يكن له فيه يد، بل

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢. والحديث أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢، ١٧٦.

حضره لمجرد الاستطلاع ، قال خبيب : اللهم أحصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تغادر منهم أحدًا .

نقل ابن هشام ، عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : واللّٰه يا أمير المؤمنين ، ما بي بأس ، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل ، وسمعت دعوته فواللّٰه ما خطرت على قلبي ، وأنا في مجلس قط إلا غشي عليّ . وأورد ابن هشام[١] مقطوعة من الشعر تنسب لخبيب رضي اللّٰه عنه ، أنشدها في اللحظة الرهيبة ، وهي تصور واقعه المرير ...[٢] وتصف ثباته وتضحيته ، وصبره ، وشجاعته ، واستبساله للموت ؛ ننقلها كخاتمة لهذه القصة الأليمة ، والفاجعة المؤثرة ، قال رضي اللّٰه عنه وأرضاه :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهد	عليّ لأني في وثاق مضيع[٣]
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممنّع
إلى اللّٰه أشكو غربتي ثم كربتي	وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي	فقد بضّعوا لحمي وقد يأس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلوٍ ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه	وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت	ولكن حذاري جحم نار ملفع

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢، ١٧٦.

(٢) كلمة غير واضحة .

(٣) في مصدر التخريج : « بمصيع » .

فوالله ما أرجو إذا مت مسلمًا   على أي جنب كان في الله مصرعي[1]

فلست بمبد للعدو تخشعًا   ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي



(١) الشطر الأول من هذا البيت فى بعض الروايات هو: (ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا).

في الأدب الاجتماعي[1]

[١]

الاستئذان

لقد كان من مستهجن عادات العرب، ومما يصح أن يعبر عنه بفوضى الأخلاق في الجاهلية، أن الرجل كان ينطلق إلى صاحبه، فلا يستأذن عليه، حتى يقتحم، ويقول: قد دخلت، أو نحو ذلك.

وكان يقع في نفوس العقلاء منهم من هذه العادة الشائنة الشيء الكثير؛ لما فيها من انتهاك الحرمة، ومجانبة الرشد، والبعد عن الفضيلة، غير أنهم بحكم التقاليد كانوا لا يستطيعون نكيرًا، ولا يجدون عن هذا التصرف البغيض مندوحة، حتى جاء الإسلام فوضع حدًّا لهذه الفوضى، وتحرروا به من قيود العادات، وتحللوا من عبودية التقاليد، وتأدبوا بآدابه، فضربوا الرقم القياسي في سمو الأخلاق، والبعد عن الرذيلة، ونكران الذات، لدرجة تلاشت فيها الفوارق، فكانوا لا يرون من الغضاضة أن يستأذن المفضول على الفاضل، والتابع على المتبوع، والسيد على المسود، ماداموا في نظر الإسلام سواء، ومادام الإسلام دين العدالة قد سوى بينهم في الحقوق.

وقد وضع النبي ﷺ الأسس لهذا النوع من الأدب الاجتماعي الرائع، ووضح ما أوحي إليه فيه بالقول والفعل والإرشاد والتعليم، فكان يأمر من يستأذن ثلاثا، ولم يؤذن له أن ينصرف[2]، ولم ير من بأس عليه- وهو سيد الخلق أجمعين- أن يستأذن على سعد بن عبادة ثلاثًا ثم يرجع حين لم يسمع إذن سعد

(١) مجلة الحج- عدد ٥، ٦- جمادى الأولى والثانية- ١٣٦٩هـ.

(٢) وذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة عمر مع أبي موسى في الاستئذان ثلاثًا، عند البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣/٣٣- ٣٥).

له[١] ، وكان ينهى المسافر أن يطرق أهله ليلاً[٢] ، وفي ذلك من الحكمة وبعد النظر ما لا يخفى ، فقد يقع الرجل على ما لا يرتضيه من أهله كرثاثة البزة ، وإهمال التزين والتجمل ، أو قد يكتشف من الهناة ؛ ما لعله يكون سببًا في انفصال عقد الزوجية ، وفساد الرباط المقدس .

وقدم المدينة مرة في النهار ، ولم يشأ أن يباغتها ، بل أناخ بظاهرها حتى الأصيل ، وقال : « انتظروا حتى تمتشط الشعثة »[٣] . ورخص أن ينتقم المرء لكرامته المهدورة ؛ بالنظر إليه في خلوته ، فقال : « لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح »[٤] .

ومن الأدب المأثور عنه ﷺ أن المستأذن لا ينبغي له أن يستقبل الباب بوجهه ولا أن ينظر من خصاصه ؛ ليرى أن كان في الدار أحدًا ، ولا بفتحهما ، إن ظن أن أهل الدار عنه لاهون ومشتغلون ، ولا أن يقف بالباب طويلا ؛ آملًا خروج أحد إليه ؛ لما في ذلك كله من تسقط العثرات ، والوقوف على العورات ، ولما لعله أن ينجم عنه من حدوث الضغائن ، وإثارة الحفائظ ، وفي عدم الإذن للطارق ؛ إما بمجابهته بصريح الرد ، أو بمنع الخادم له ، أو التغاضي عنه ، وعدم الالتفات إليه ، أو خلو الموضع من أحد يأذن له . فالواجب- والحالة هذه- يقضي عليه حتمًا بالرجوع ؛ صونًا لكرامته ، وبراءة لدينه وعرضه ، وكراهة شبهة تلصق به .

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٨/٣) من حديث أنس أو غيره . وصححه الألباني في آداب الزفاف ص ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠١، ٥٢٤٣، ٥٢٤٤) ، ومسلم ١٥٢٧/٣ (٧١٥) من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه ، وأخرجه مسلم (١٩٢٨) من حديث أنس رضي اللّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٧٩، ٥٢٤٥، ٥٢٤٧) ، ومسلم (٧١٥) من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه .

(٤) أخرجه البخارى (٦٩٠٢) ، ومسلم (٢١٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

أما المواضع التي تكون عادة في طريق المسافر، والمعدة لاستراحته؛ كالفنادق، والأكواخ المقامة لإيواء السابلة، فلا حرج من دخولها بغير إذن، والانتفاع بها من غير رخصة؛ إذ قد أعدت لهذا الغرض، ومثلها في الحاضرة مجالس الانتظار، وحجر الاستقبال في الفنادق، ودور الضيافة، والمصالح العامة، وكذا حوانيت الأسواق، وما كان على غرارها؛ كالمقاهي مما فيه تبادل المنفعة وجرى العرف بالسماح في دخولها لكل قاصد.

ويشمل الاستئذان كل قول أو فعل تواضع عليه الناس أنه مشعر بطلب السماح والترخيص في الدخول على الغير؛ من ذلك طرق الباب بلطف، أو التنحنح أو رفع الصوت بالكلام، أو التسبيح عند الدخول في المنعطفات، وعلى السلالم، وبين أجنحة الدور؛ ليعلم بدخول الطارق، ومكانه، فتؤخذ الأهبة لاستقباله، وتتخذ الحيلة في رده إن كان من غير المرغوب فيهم، أو كان المستأذن عليه على حال يكره أن يكشف عنها، أو يرى عليها، وفيما سأورده من آي الكتاب العزيز الغنية عن كل شرح، أو توضيح، والكفاية عن كل دستور وضعي، قيل عنه: إنه يحفظ الحرمة وتصان به حقوق الإنسان.

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧- ٢٩].

هذا فيما يتعلق باستئذان الأجانب بعضهم على بعض. أما الأطفال ممن لم يبلغوا الحلم، والمماليك، ومن جرى العرف بدخولهم من غير استئذان، للخدمة، وإصلاح المرافق، فقد حظرت الآيات الكريمة عليهم الدخول إلا بالإذن في أوقات ثلاثة؛ هي مظنة الخلوة بالأهل، وإسدال الستر على ما

لا يحسن الكشف عنه لأشد الناس قرابة، وأكثرهم لصوقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النّور: الآية ٥٨].

سأل رجل ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: أأستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم. فرد عليه ثانية؛ ليترخص له- فأبى، وقال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا. قال ابن عباس: إذن فاستأذن. فراجعه الثالثة؛ فقال: أتحب أن تطيع اللّٰه؟ قال نعم. قال: فاستأذن[1].



(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٩/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٦٣)، والبيهقي (٩٧/٧). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨١١).

في الأدب الاجتماعي[1]

[٢]

إن المتتبع لقصص التاريخ وما يتحدث به عن العرب قبل انبثاق فجر البعثة المحمدية ، وخاصة في الناحية الخلقية يجد الشيء الكثير من التطرف والانحلال اللذين تشهد بهما أقاصيص الغرام ، والتشبيب بالنساء ، وبيوت الدعارة ، ومعاقرة بنت الحان ، وما إلى ذلك مما يندى له الجبين ، وتستخذي منه النفوس ، ويتنافى مع ما شهر عنهم من كريم الخلال ، وحميد المزايا ، وبدهي أن يحدث هذا التطرف ، رد فعل يعاني مرارته المجتمع ، ويغص به كل من مني بوصمة الانتساب إلى غير أبيه ، وعاش مثلوم العزة ، فاقد الكرامة ، إلا أن يكون من المجدودين ممن تألق نجمهم في ميادين البطولة ، أو كان لهم من أصالة الرأي ، وسديد القول ، والحكمة ما يغسل عنهم العار ، ويدفع السيئة ، ويذهب من الأذهان أثر الخطيئة .

ولقد كان من يمن الطالع ، ووافر حظ العرب ، ومما امتن اللّه به عليهم أن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويجتث جذور الفساد ، ويقضي بتعاليمه على عللهم ، وكل ما من شأنه أن يكون مدعاة لخلق مشاكل اجتماعية مقعدة[2] الحلول .

جاء محمد بن عبد اللّه ، صلوات اللّه وسلامه عليه ، يبلغ رسالته الخالدة ، ويصدع بأمر ربه ، ويستخلص من هذا الشعب المرزأ ، نخبة تستجيب لدينه ، وتستهدي بهداه ، وتستزيده من وحي السماء ما يكون لها به محو الشقاء وسعادة الأبد وعز الدهر ، وسرعان ما يبدي التاريخ أنصع صفحاته ، وإذا الملأ من صحب

---

(١) مجلة الحج- عدد ٧- رجب ١٣٦٩هـ.

(٢) كذا . ولعلها : « معقدة » .

الرسول الكريم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، يستمعون فيما يستمعون إليه من قول ربهم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: الآية ٣٠]، والي قول رسولهم ﷺ: «حق الطريق غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(١)]. «اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»[(٢)]. فتتبدل بهم الحال وينقلبون إلى خير مما كانوا عليه. وإذا العفاف والطهارة والابتعاد عن الدنايا، والترفع عن الإسفاف بكل ما في ذلك من معنى، هو الطابع الخاص: العلامة الفارقة بينهم وبين غيرهم ممن اتبع هواه، وبقي على شركه، أو كان له أثارة من علم بعض ديانات ملفقة مهوشة، ليس لها من نور النبوة إشعاع، ولا من الرشد نصيب.

وقد كان لربات الخدور والعواتق من فضليات النساء في الرعيل الأول القدح المعلى في هذا التحول والاستجابة لدين الله، والتأدب بآدابه، فحين استمعن لأمر الله الموجه إليهن في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٥، ٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١، ٢١٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٧٠).

يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النُّور: الآية ٣١] حين استمعن لهذه الآيات البالغة، وهذه الأوامر والنواهي التي بها حفظ كيان الأسر، وفيها صلاح المجموع، أخذن أنفسهن بالتمشي طبق ما رسمته، وفي حدود ما نصت عليه عن رضى وطيب نفس، وإيمان واستسلام لأمر اللّٰه؛ ورجاء مثوبته ورضوانه، فلم تكن أعينهن تقع على حرام، أو يقارفن معصية إلا ما ندر بدافع البشرية، أو يظهرن من زينتهن شيئًا لأجنبي إلا ما رخص الشرع في إظهاره؛ كبعض الوجه والكفين عند أمن الفتنة، وإلا الملاءات، وأطراف الثياب، مما يعسر ستره، وعمدن إلى الإطالة في الجلابيب، والتلفع بالمروط، وإسدال الخمر على الجيوب، يسترن بها النحور والصدور، مبالغة في الاحتشام والتحجب.

روت صفية بنت شيبة، قالت: بينا نحن عند عائشة رضي اللّٰه عنها، فذكرن نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلًا، وإني واللّٰه ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب اللّٰه، وإيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النُّور: الآية ٣١] فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل اللّٰه إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها[١] المرحل[٢] فاعتجرت به[٣] تصديقًا وإيمانًا بما أنزل اللّٰه من كتابه فأصبحن وراء رسول اللّٰه ﷺ معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان. وقد نعم الأزواج منهن بحياة زوجية هانئة، جمعت إلى جانب جمال المظهر، الرحمة والعطف ورعاية حقوق الزوج لأبعد مدى، مما يظهر بوضوح مصداق قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

(١) المرط بكسر الميم كساء من صوف أو خز.

(٢) المرحل بتشديد الحاء وفتحها ما أشبهت نقوشه رحال الإبل. قلت: انظر النهاية في غريب الحديث ٢/ ٨١.

(٣) اعتجرت المرأة: لبست المعجر- بالكسر- وهو ما تشده المرأة على رأسها. قلت: انظر «مختار الصحاح»: (عجر).

﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: الآية ٢١]

وتلك خصوصية للأزواج لا يزاحمهم فيها مزاحم، أما غيرهم من المحارم كالأب وأبي الزوج وعداهما، المنصوص عليهم في الآية، ومن لا مندوحة عن الامتزاج بهم، بحكم وحدة السكن، أو لمقامهم من الزوج أو الزوجة، فقد امتثلن ما أباح اللَّه لهن من الظهور أمامهم بالزينة غير متبرجات، كما تحرجن من الكشف عن زينتهن أمام ناشىء أهل الذمة والمشركات؛ لتفادي نعتهن للرجال، عكس ما هو مألوف بينهن من عدم الاحتراز من ذلك لوجود الحصانة المستمدة من قول الرسول ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة؛ تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[1].

وقد ترخصن في الكشف على ملك اليمين من عبيد وإماء؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [النُّور: الآية ٣١]، وبما روى أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد، وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال: «إنه ليس عليك بأس- إنما هو أبوك وغلامك»[2]. يعني بذلك نفسه والغلام، فرفع عنها بذلك الإعنات والحرج، وهو رأي عائشة، وأم سلمة، زوجتي الرسول ﷺ.

وثمة فريق من الناس منوا بنقص في التكوين العقلي أو الجسمي، أو شلل في الميول الجنسية والغريزة؛ كالبُله وَمَنْ بهم بعض العته، وفي مقدمتهم العنين؛ وهم المعبر عنهم بقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النُّور: الآية ٣١] كانوا يجدون من العطف والتسامح ما يدفعهم إلى غشيان البيوت؛ تعرضًا للإحسان، أو لغرض الاستخدام، أو ملء البطون، والالتصاق بربّاتها دون

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٠، ٥٢٤١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٠٦). وصححه الألباني في الإرواء (١٧٩٩)، والصحيحة (٢٨٦٨).

تحجب منهم، أو تحرج من الظهور بالزينة أمامهم؛ إذ قد علم من أمرهم ما يدفع الشك، ويقضي على الظنون، وكذلك الحال مع الأطفال الذين لم يبلغوا دور المراهقة أو التمييز بجامع عدم الدافع والميل إلى الجنس.

ومما كانت المرأة المسلمة تعنى به عند الخروج من منزلها المحافظة على السمت والاتزان، فلم تكن لتمس طيبًا يتضوع أريجه، أو تعالج شيئًا من حليها؛ ليسمع صوت رنينه، أو تسلك الطريق من وسطها؛ أدبًا وتوقيرًا وتمشيًا مع تعاليم الدين، واستجابة لأمر الرسول ﷺ، حيث يقول في خطابه للمؤمنات: «ليس لكن أن تحتضن الطرق، عليكن بحافاته»[1] رضي اللّه عنهن وأرضاهن، فلقد حققن المثل العليا للسمو الخلقي، والنزاهة والعفة، وكان منهن الأنموذج المثالي الصالح للقدوة والتأسي، وعلى النقيض منهن الكاسيات العاريات من نساء العصر؛ ممن يتعشقن الجديد، ويأخذن به على علاته، ويطرحن القديم، مع ما فيه من الفضيلة، وسعادة النوع البشري.

ويحضرني بهذه المناسبة في الكاسيات العاريات حديث نبوي عظيم هو علم من أعلام النبوة، أو على حد تعبير العصر هو «الرادار» الذي كشف بإشعاعه عن هنات القرن العشرين، أورده بنصه مع تعليق بسيط عليه؛ لما له من العلاقة والارتباط بالموضوع:

أورد مسلم[2] في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أُسيد الأنصاري رضي اللّه عنه. وحسنه الألباني، وانظر الصحيحة (٨٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

من مسيرة كذا وكذا».

فالصنف الأول: هم أعوان الظلمة، يلهبون جلود الناس بسياطهم ظلمًا وعدوانًا، وابتغاء رضاء متبوعيهم، ونزولًا على إرادتهم.

والصنف الثاني: الكاسيات العاريات، وهن المعنيات في الموضوع، وللعلماء توجيهات كثيرة في الحديث، أقربها للواقع من جعل الاكتساء حقيقة، والعرى معنى، وتصوير ذلك ما يشاهد من بعض النساء، وعلى الأخص في البلاد الإسلامية من لبس الغلائل الرقيقة التي تشف عما تحتها، وتعرية النحور، والصدور، والكشف عن الأذرعة، والسيقان، فهن في الحقيقة كاسيات عاريات، جامعات للمتناقضات في آنٍ واحدٍ، والمميلات المائلات: هن اللائي أسرفن على أنفسهن بالتهتك لدرجة تدفعهن إلى إمالة غيرهن، وتحريضهن على الإسفاف والإنزلاق في مهاوي الرذيلة، ومن شأنهن اصطناع تضخيم رؤوسهن بما يعددنه من الزينة والتجميل، أو لعل التضخيم ينشأ من لبس القبعات فتعدو رؤسهن كرؤس الإبل العظيمة، أو هو شيء في عالم الغيب سوف يكشف عنه المستقبل، وكل ذلك تعدٍ لحدود اللّه، ومجاهرة بالعصيان، وانحراف عن هدي المرسلين، واتباع غير سبيل المؤمنين.

نسأل اللّه العافية والهداية إلى صراطه المستقيم.



الأدب الاجتماعي

العزوبة والزواج(١)

العزوبة وضع شاذ مرهق يحمل عليه الفرد تحت تأثير ظروف خاصة قاهرة ...(٢) لا تتحدد، ومتغايرة مختلفة باختلاف البيئات والتقاليد ولون الحياة بالنسبة ...(٢) العاديين وغير العاديين، ممن قضت عليهم ظروفهم أن ينضموا إلى حظيرة يكثر بهم سوادهم، وهي خطر على المجتمع من حيث التكاتف والإخصاب اتجاه معاكس لفكرة تكثير النسل وتوسيع نطاق التوالد، كما أنها حافز ...(٢) والخروج على نواميس الفطرة، وأوضاع المجتمع بدافع الطاقة المضطرمة ...(٢) الإيجابية، وما الشذوذ الجنسي والجري وراء إشباع الغريزة بالمتع المحرمة الرخيصة التي تجر العار والدمار، وتقضي على الفضيلة، وتنشر جراثيم الأمراض المهلكة، وتهلهل المجتمع؛ ما ذلك إلا استجابة للدوافع النفسية الكامنة ومنافذ ...(٢) الضغط وكسر حدة النزوة المكبوتة بفعل العزوبة، ولعل من أروع ما في الدين الإسلامي الترخيص في نكاح الإماء المسلمات، لمن لم يجد طولًا لنكاح الحرائر، وخشي على نفسه العنت؛ تفاديًا من تغلب العواطف العارمة على العقل وعدم الهيمنة عليها.

والزواج على ما فيه من مشاكل، يستهدف إليها المجموع بحكم الأوضاع والتقاليد فيه والعادات الموروثة المتأصلة، برغم ذلك هو خير مآلا، وأطيب أثرًا، وأحسن ...(٢)، وأهدى سبيلًا؛ إذ يكون به تنظيم الحياة الاجتماعية، وإصلاح النوع البشري ...(٢) به عند التدهور، وإنجاب نسل متماسك، على أكتافه تنهض المسئوليات، وهذا ...(٢) ما تهدف إليه الآية الكريمة التالية من المثالية

(١) مجلة الحج- ذو القعدة وذو الحجة- ١٣٦٩هـ.

(٢) كلمة غير واضحة.

ونبل الغاية . ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ٣٢] .

وفي طرفي الحديث النبوي الآتي ، توجيه حازم رصين ، وحث على الإحصان والتعفف ، عن طريق الزواج المشروع ، مع الميسرة والجدة ، وإرشاد إلى الصوم ، تخلف الأسباب ، وضيق ذات اليد والإملاق ؛ تهذيبًا للدافع الجنسي وكبحًا ...[(١)] عن الصبوة ، قال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[(٢)] .

وفي الصدر الأول وخير القرون المفضلة ، بلغ الزواج مبلغًا من السهولة واليسر وتخفيف العبء والمؤونة ورابطة ؛ بحيث كن في متناول كل من بلغ الأشد واستكمل النصيب ، وكانت الأخوة الإسلامية ورابطة الدين هي رصيد التكافؤ ، ومعيار المقايسة ، ومحك الرغبات ، وأساس التفاهم ، وإلى هذا ألمع الحديث الشريف : « إذا أتاكم من ترضونه دينه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »[(٣)] .

والحديث من جوامع كلمه ﷺ ، ومما اندحرت به العصبية الجاهلية ، وفشلت النعرات الجامحة ، وقويت صرح المادية الجشعة ، وانقطعت به الحجج ، وأخرست ألسنة المعاذير ، وأيد الرسول ﷺ القول بالعمل ؛ شأنه في كل أمر ذي بال ، حين أصدق كل زوجة من زوجاته ، إلا أم حبيبة ، اثنتي عشرة أوقية من الفضة ، وحين أمر فاطمة بنت قيس أن تنكح أسامة بن زيد ، وحين زوج

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي (١٠٨٥) من حديث أبي حاتم المزني رضي الله عنه وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٦٨) .

الحسيبة النسيبة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، زوجها زيدًا مولاه وبارك زواجهما، وروى الثقات من أئمة التفسير[١] المأثور أن زينب وأخاها عندما استنكرا عرض النبي ﷺ زواجها من زيد، أنزل اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب الآية ٣٦] عندئذ رضخا وسلما لأمر اللّٰه.

وكان ﷺ ينهى عن المنافسة في الخطبة والتدافع في طلب يد المخطوبة؛ لما في ذلك من الأنانية، وحب الأثرة، ولما يجرانه من الحسد والضغينة اللذين تترفع عنهما أخلاق المؤمنين، ورخص ﷺ في ضرب الدفوف، والتغني في الأعراس بما جانب الإثم والقول الرخيص المبتذل.

وسن وليمة العرس على الأزواج، كيفما تيسر، دون ما سرف أو إحراج أو ...[٢] مخصوص، فصح عنه ﷺ أنه قال: «أولم ولو بشاة»[٣]. وأولم بعض نسائه بمدين من شعير[٤]، وأولم على زوجه صفيه رضي اللّٰه عنها بحيس[٥] (وهو طعام مركب من تمر، وسمن، وسويق). جمعه له أصحابه، مرجعهم من غزوة خيبر.

وأمر ﷺ بتلبية الدعوة[٦] وإجابة الداعي؛ على شريطة أن لا يكون في الوليمة منكر يؤخذ عليه، أو وضع شاذ يتنافى مع الكرامة.

وحسم بواعث النزاع بين الزوجين بالإفصاح عن حقوق كل منهما بالنسبة

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٢٧١، والقرطبي ١٤/ ١٨٦، وابن كثير ٣/ ٥٩١.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٩، ٣٧٨١)، ومسلم (١٤٢٧) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥١٧٢) من حديث صفية بنت شيبة رضي اللّٰه عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٥١٦٩) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه.

(٦) أخرجه مسلم (١٤٢٩) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما.

للآخر ، الأمر الذي جعل الحياة الزوجية تسير في جو مفعم بالمودة ، والانسجام التام ، وتبادل الثقة ، فقال ﷺ في خطبة حجة الوداع التي تعتبر بحق ، من أعظم الدساتير المرعية ؛ إذ قد وضعت الأسس لنظام شامل يكفل سعادة الإنسانية :

« أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن إلا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه في بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن اللّٰه قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، أخذتموهن بأمانة اللّٰه ، واستحللتم فروجهن بكلمة اللّٰه ، فاتقوا اللّٰه في النساء ، واستوصوا بهن خيرًا »[١] .

وفي بعض الأحاديث يقول : « خيركم خيركم لأهله »[٢] . « إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء »[٣] . « لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لعظم حقه عليها »[٤] . « لا يحل لامرأة تؤمن باللّٰه أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطع فيه

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٣، ٣٠٨٧) ، وابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص رضي اللّٰه عنه . وحسنه الألباني . وأخرجه أحمد (٧٣/٥) من حديث عم أبي حُرَّة الرقاشي رضي اللّٰه عنه مطولًا ، وأخرجه ابن ماجه (٣٠٧٤) ، والنسائي في الكبرى (٤٠٠١، ٩١٧٩) ، وابن خزيمة (٢٨٠٩) من حديث جابر رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) ، وابن حبان (٤١٧٧) من حديث عائشة رضي اللّٰه عنها . وصححها الألباني .

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣١) ، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

(٤) أخرجه أحمد (٣٨١/٤) ، وابن ماجه (١٨٥٣) من حديث عبد اللّٰه بن أبي أوفى رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني .

أحدًا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه ، فإن قبل ، فبها ونعمت ، وقبل اللّٰه عذرها ، ولا إثم عليها ، وإن هو لم يرض فقد بلغت عند اللّٰه عذرها »[(١)] .

وفي حالة عدم الانسجام بين الزوجين ومجاوزتهما الحد وسلوك الطرق الملتوية للمضايقة وخلق المنغصات ؛ وقد يكون الحافز على ذلك تنافر في الطباع أو نقص في التكوين ، أو هناة تكشفت ، ليس ثمة حل للإقلاع عنها ، وفي كل ما هو مدعاة للإخلال بنظام مملكة البيت ، وباعث لفساد العشرة ، شرع الطلاق ؛ وهو وإن كان أبغض الحلال إلى اللّٰه- كما وردت بذلك السنة[(٢)]- إلا أنه العلاج الحاسم لفض مشاكل الزوجية ، والحد الفاصل لمتاعب الزوجين : ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ١٣٠] ، وقد يكون به استصلاح حالهما بعد الفرقة الطارئة إلى خير مما كانا عليه ، ويوجد بينهما جوًّا من التفاهم يقضي على كل ما لعله أن يعرض لهما من عقبات ومشاكل في المستقبل .



(١) أخرجه الطبراني (٢٠/ ٦٢، ١٠٧) (١١٤، ٢١٠) من حديث معاذ رضي اللّٰه عنه . وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٢١٦)، وغاية المرام (٢٤٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما . وضعفه الألباني .

آراء في مشكلة الزواج[1]

توجه مندوب « الندوة » أحمد جعفر الكثيري ، إلى عدد من العلماء والأدباء والآباء ، بالسؤال التالي :

كتب الأستاذ أحمد محمد جمال في إحدى يوميات « الندوة » بالعدد رقم (٢٥١) في ٢٤- ٥- ٧٩ عن مشكلة الزواج ، كما أبدى اقتراحًا طالب فيه الآباء وأولياء أمور الفتيات بعقد اجتماع ، للمناقشة والبحث في هذه المشكلة ، وأخذ قرار بالرأي الراجح في هذا الموضوع الحساس الخطير بالنسبة لمجتمعنا ولشبابنا الغير متزوج ، معتقدًا في ذلك حلًا لهذه المشكلة المزمنة ، والتي تعد من أولى مشاكلنا الاجتماعية ، ولكن وحى الآن لم ير أي تلبية لذلك ، مما جعل كاتب اليوميات يعيد ذكر المشكلة ، مبديًا رأيًا فيها . ونحن هنا ، وبصفتكم أبًا من أولئك الآباء ، نأمل أن تدلوا برأيكم فيما اقترحه الأستاذ أحمد ، وما هو أيضًا رأيكم الخاص ؟ وهل لديكم حل ترون فيه العلاج الكافي للقضاء على هذه المشكلة ؟

وقد كتب فضيلة الشيخ عبد اللّٰه خياط مستشار وزارة المعارف وإمام وخطيب المسجد الحرام ، الإجابة التالية :

إن الفكرة التي يدعو إليها الأستاذ أحمد محمد جمال ، في دعوة نخبة من الكتاب ؛ لدرس مشكلة الزواج ، والوصول إلى قرار فيها . ثم توجيه دعوة عامة إلى الآباء والأوصياء ، تطرح المشكلة عليهم وتتخذ الحلول لها . أقول : إن هذه الفكرة جميلة في ذاتها ، إلا أنها ليست عملية في حل المشكلة ، كما أظن .

لنفرض أن حلولًا متعددة ، اتخذت للمشكلة ، فمن يجرأ على التنفيذ في مجتمع للنساء فيه صولة ، وتضعف أمام إصرار عن إرادة كل جليد .

إن كل الحلول- والحالة هذه- قد تبقي حبرًا على ورق دون جدوى . وإذا

(١) صحيفة الندوة- في ١٣٧٩/٧/٢٦هـ.

كانت المواعظ والتذكير والتبصير، لم يجد فتيلًا، فهل القرارات والاجتماعات والندوات تغني فقيرًا؟

أظن أن الأمر يحتاج إلى شيء من الحزم والعزم معًا؛ الحزم من المؤتمرين الذين أشغلوا وقتًا كبيرًا في درس المشكلة وعرض الحلول والتشاور، والصدور عن قرار جماعي ناصح، لم يصدره إلا بعد مداولات وعرض للمشكلة من جميع وجوهها. وعليهم بعد هذا أن يحزموا أمرهم ويعلنوا في الصحف المحلية التوجيهات والإرشادات عن طريقة إتمام مشروع الزواج بدون عناء أو كلفة، وبدون إيجاد عوائق ومتاعب تحد من عزم الراغبين فيه من فتيان وفتيات، وتكون الفكرة الثانية: ضرب الأمثلة الواقعية العملية، فيقوم كل من له فتى أو فتاة من المؤتمرين واضعي مشروع الزواج بتزويج فتيانهم وفتياتهم على الوضع الذي اقترحوه ورسموه، ويعلنون عن ذلك، ليضربوا أروع الأمثال في تطبيق القول بالعلم.

أما العزم: فمن أوصياء وأولياء أمور الفتيان والفتيات الذين يرغبون لأبنائهم وبناتهم حياة زوجية سعيدة، في ظلال الوفاق والوئام، فخير الزواج وأكثره توفيقًا، ما كان ميسرًا، سهلًا سمحًا، لا تعقيد فيه، ولا صعوبات تذلل أمامه كل العقبات. وأول العقبات عقبة الصداق وارتفاع قدره إلى أرقام خيالية، والسبب في ذلك- على ما أعتقد- ما اعتاده الناس من تأثيث الزوج للبيت أثاثًا كاملًا من الحصير إلى الكتب المذهب النضير، فعلى الزوج أن يستعد لصداق يتكافأ مع هذا العبء الثقيل، ولو تواضع الناس على إلغاء هذه القاعدة، وجعل الصداق المتفق عليه مع الولي، خالصًا للزوجة ولحاجتها من حلي وثياب في حدود المعقول، حسب البيئة، دون ارتفاع فيه إلى درجة الأغنياء، أو انخفاض به إلى درجة المتسولين، فخير الأمور الوسط، وكان تأثيث البيت على الزوج، لو تواضع الناس على ذلك، لانحلت عقدة من أعظم العقد، حيث يهبط الصداق إلى أكثر من النصف.

أما تحديد المهور، فليس ذلك بحل عملي؛ لأن تكاليف الحياة واختلاف الناس في أوضاعهم وأوساطهم، لا يجعل تحديد المهر قاعدة تسري على كل الطبقات، وحبذا لو أمكن.

والعقدة الثانية: عقدة استئجار الحلي واستعارته، وما يتبع ذلك من بدل للنصة، وما إلى ذلك مما يخرج أهل العروسين ويكلفهما عناء. وحل ذلك إدخال العروسين في النهار، فلا سهرات، ولا إقامة حفلات، ولا لعابات، ولا مائدات، ولا نصبات. وبذلك يتخلص الأوصياء والأولياء من معضلة ومشكلة طالما صعب على الكثيرين التغلب عليها.

بقيت[1] عقدة وليمة العرس، والتباهي بدعوة أكبر عدد من الناس إليها، وهي أهون خطبًا.

ولو ذللت العقبات السالفة، وكان الحزم من المؤتمرين واضعي مشروع الزواج، والعزم الصادق من الأوصياء والأولياء في السير- طبق ما أشرت إليه- واطرح الناس آراء النساء وأهوائهن وتزييناتهن، ولم يستجيبوا لرغباتهن، ولم يلتفتوا لاستشارتهن، لو ضعوا ذلك لغنموا ربحًا على أنفسهم جهدًا. ثم إن وليمة العرس مظهر مشروع وهي من أبرز المظاهر للأفراح، ويتحقق بها الرغبة النبوية: «أولم ولو بشاة»[2].

وبكل ما أسلفت الحديث عنه، مجتمعنا يمكن التغلب على مشكلة أو مشاكل الزواج، ويمكن إتاحة الفرصة لأكبر عدد من الفتيات والفتيان: لإقامة عش الزوجية الهنيء والسعيد، القائم على الألفة والمحبة، لا على التغريم والإحراج والكلفة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٢١].

(١) في الأصل: «بقت».
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٩، ٣٧٨١)، ومسلم (١٤٢٧) من حديث أنس رضي اللّه عنه.

في الأدب الاجتماعي[1]

الخلطة والمعاشرة

لعل من غريب ما نقله التاريخ عن أصحاب العلل والعاهات في عرب الجاهلية، أنهم كانوا يعانون شعورًا نفسيًّا يحملهم على الإسراف في العزلة والإنزواء لدرجة التحرج من غشيان المحافل والجلوس إلى جانب الأصحاء في المآدب، وعذرهم في ذلك أن المريض قد يتأذى منه غيره، أو هو يشعر في قرارة نفسه أنه يسبب متاعب في المجلس من جراء علته. وصاحب العاهة قد يضطر إلى جلسة مخصوصة منافية للذوق وأدب اللباقة، أو قد تبدو منه حركات اضطرارية تعرضه للمقت والإزدراء والسخرية، أو لعل مركب النقص يدفعه إلى الإسراف في التصنع ومجاراة غيره ممن تجمعه بهم المجامع، وفي ذلك ما فيه من العنت والارهاق.

وقد عرف عنهم هذا الشعور فقابله إخوانهم الذين منَّ اللَّه عليهم بالعافية والصحة والإسلام، بالمجاملة، وحرصوا على عدم إحراجهم في هذه الناحية، وتجنبوا الجلوس إليهم في المآدب؛ متأولين قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٨] قائلين: إن الطعام خير الأموال، وإن في إحراجنا للمعذورين بمؤاكلتنا لهم ظلم وحيف بهم، إذ إنهم لا يستطيعون مجاراتنا في الكمية، ولا في التناول من كل ما تحويه المائدة مما لذ وطاب من صنوف الأطعمة، فعللهم تعوقهم عن ذلك، ولهذا كان هدف الآيات القرآنية التالية بيان الطريقة المثلى في معاملة هذا الصنف المعني، ورفع الحرج والإثم في مؤاكلته، وعدم الاهتمام بما يبدر منه من توافه لا يؤبه بها، ولا يصح أن تكون باعث التفرقة وقطع الصلات والأواصر قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ

---

(١) مجلة الحج- ربيع الثاني- ١٣٧٠ هـ.

﴿حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النُّور: الآية ٦١] أي: فيما أسلفت بيانه وتوضيحه.

وقيل: إن الآية كآية سورة التوبة التي تنص على عدم مؤاخذة الضعفاء والمرضى والزمنى، ومن على شاكلتهم من أهل الأعذار في ترك الجهاد والتخلف عن الغزو. وقيل أيضًا: كان الناس يذهبون إلى الغزو ويخلفون زمناهم في بيوتهم ويسلمونهم مفاتح خزائنهم، ويرخصون لهم في الانتفاع منها مدة غيابهم، ولم تكن لتطيب نفوس هذا الفريق بقبول الإذن في الانتفاع من تلك البيوت والخزائن، بل كانوا يتحرجون من ذلك؛ ظانين أن السماح لهم في الانتفاع ما هو إلا مجرد مجاملة ليس إلا.

هذا فيما يتعلق بمعاشرة وخلطة أهل الأعذار، أما غيرهم من بقية أفراد المجتمع، وخاصة من يرتبطون بوشائج القربى والرحم؛ من أبوة، وأمومة، وأخوة، وعمومة، وخؤولة، وكذا الصديق، ومن بيده مفاتح الخزائن، والوكيل في المصالح الخاصة، كل أولئك قد وضع عنهم الحرج، ورخص لهم في عشيان بعضهم ببيوت بعض، والانتفاع منها بقدر ما تقتضيه الحاجة من الطعام والمرافق، مع غيبة أصحاب البيوت، والتأكد من رضاهم، وعدم كراهتهم ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡ﴾ [النُّور: الآية ٦١]

وثمت توضيح للعلماء في إزالة اللَّبس المتبادر من نص الآية، وتصريحها في أكل المرء من بيت نفسه، وخلاصته: أن المراد بيوت الأبناء إذان بيت الابن وماله بمنزلة بيت الوالد، وفي حكم ماله، وعلى هذا الوجه فسر الحديث المروي في السنن من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»[1].

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٠٤)، وابن ماجه (٢٢٩٢) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن =

وإن من تمام التوسعة، ورفع الحرج، أن لا يفرض على الناس نظام مخصوص، ووضع يلتزمونه في مآدبهم الخاصة والعامة، بل ترك الأمر لاختيارهم وما اعتادوه، أو درج به العرف؛ فمن الناس من يجنح إلى تفضيل مؤاكلة ضيوفه، أو أفراد أسرته، ومنهم من يرتاح إلى تناول الطعام وحده، وليس على هؤلاء وأولئك جناح فيما يعمدون إليه؛ ما داموا في حدود الإباحة الشرعية والترخيص، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: الآية ٦١]

قال جملة من المفسرين[١]: نزلت هذه الآية في حي من كنانة، كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يمر ضيف يأكل معه، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، وربما كانت معه الإبل الحُفَّل[٢]، فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، كان هذا والقوم على جاهليتهم وهلهلة أخلاقهم ونفرة طباعهم، وعندما اعتنقوا الإسلام، واحتضنوا مبادئه السامية، واقتبسوا من نوره، وتأثروا بهداه، وتخلقوا بأخلاقه، كان من أمرهم ما أخبر الله به في كتابه العزيز في معرض المدح، حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩] بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك في التضحية والإيثار، في أحرج المواقف، وأشدها خطورة؛ فقد روي التاريخ قصة الرهط الذين خرجوا للغزو فاستشهدوا، وكان يطاف عليهم بالماء، وهم في الرمق الأخير، ولم يرتشف أحد منه قطرة؛ ذلك لأن كل واحد منهم حين يسمع أنات صاحبه، وطلبه للماء، يؤثره على نفسه، حتى قضوا نحبهم أجمعهم،

= جده رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وصححه الألباني في الإرواء (٨٣٨، ١٦٢٥).

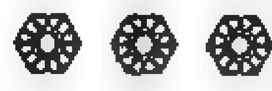
(١) ينظر تفسير البغوي ٦/ ٦٥، وتفسير الرازي ٢٤/ ٣٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٧.

(٢) حفل الماء واللبن، يحفل حفلًا وحُفولًا وحفيلًا: اجتمع. وضرع حافل: كثير لبنه. «القاموس المحيط»: (حفل)..

قريري العين بجهادهم وإيثارهم، مطمئنين إلى حسن العاقبة والمصير، وبذلك كانوا حقًّا خير أمة أخرجت للناس.

وتتمة الموضوع في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: الآية ٦١] إذ قد يقع الظن أن التسامح مع الأقارب والأصدقاء والوكلاء في المصالح معناه رفع الحظر عنهم في الاستئذان والسماح بغشيانهم البيوت دون استئناس وإشعار؛ ودفعًا لهذا الظن، جاءت الآية المذكورة، مقررة للحكم المنصوص عليه في آيات الاستئذان السابقة، مشعرة بعدم وجود الفارق والخصوصية في هذه الناحية بين طائفة وأخرى، ولا بين قريب وبعيد.

وقيل: المراد أن يسلم المرء على أهله ومن في بيته إذا دخل عليهم، فهم أحق من يسلم عليه، وهم بمنزلة نفسه.



مهداة إلى كل جار[1]

كتب إلي كاتب ، كما تحدث من قبل متحدث عن بعض الجيران بما يدمي القلب ويستنزف العبرات ، وكلاهما طلب أن أعالج مشكلته على منبر الجمعة في خطبة مؤثرة- على حد تعبيره- علَّ في ذلك ما يربأ الصدع ويرتق الفتوق ؛ ونظرًا لأن نطاق منبر الجمعة محدود لا يتسع لكل مجال ، ولا يضطلع بكل مقال ، فقد رأيت أن أبسط القول إلى حد ما على صفحات « جريدة الندوة » التي أخذت على عاتقها أن تعالج المشكلات وتحل العقد .

وأرجو أن يكون فيما يكتب في هذا الموضوع حلًا لأزمة الجارين ، بل لازمة كل جار يشكو الحيف من جاره ويتألم من تصرفاته معه ، كما أرجو أن تجد كلمتي آذانًا صاغية وقلوبًا واعية ، تستجيب لداعي الخير وتتعظ بالموعظة في شهر المواعظ والتذكير وتغفر إن كانت لها من الحق شيئًا ؛ أملًا في مغفرة اللَّه وعفوه ، فإن من موجبات العفو والغفران أن يتجاوز المرء ويعفو ، فاللَّه هو العفو ، ويحب العفو من عباده ، وهو الغفور ، ويحب الغفران .

يقول المتحدث الأول : إن له جارًا يبثه دخيلة نفسه ويكاشفه على الدوام بسرد تجنى عليه وأوغر صدور لجنة الاستيراد عليه ، فبعد أن أخذ الرخصة للاستيراد ، كما يريد ، سحبت منه ، أو كادت أن تسحب ، بتأثير وإغراء جاره وإيغار صدور أعضاء اللجنة عليه ، وتدليله المزعوم على جاره ، وأنه ليس كفئًا لهذا الاستيراد ، وأن رأس ماله لا يشجع على هذا الإقدام في الاستيراد .

وكتب لي جار آخر سطورًا في كتابه بالدمع السخين ، ومما جاء في كتابه : لقد عجزت عن إرضاء جاري بشتى وسائل الإصلاح ، وأفهمته أنه للجار على الجار واجبًا ، والذي حصل بيننا من سوء التفاهم لا يدعوا لما نحن عليه الآن ،

(١) صحيفة الندوة- في ١٠/٩/١٣٧٧هـ.

وهذا شهر فضيل وللبادئ بالخير في هذا الشهر المبارك من الله الأجر والثواب ، وبدأته بالسلام ، ولكن الواشين قد وشوا بيننا حتى امتنع عن رد السلام ، وقد ضقت ذرعًا بجاري وأعوان السوء ، وإني في حيرة من أمري .

والواقع أن مشكلة هذين الجارين هي مشكلة أكثر الجيران في أعقاب الزمن ، وهي تمثل الواقع المؤلم ، واقع الناس في تصرفاتهم بالنسبة لبعضهم البعض ، تصور مدى التناكر والتدابر البغيض الذي يفل رابطة الجماعة ، ويقطع أوصالها ، ويذهب بريحها ويسلط عليها .

تصور مدى انصراف الناس عن تعاليم الدين التي تكفل للفلاح والصلاح ، وتوحي بالتماسك والتعاون وجمع الشمل وتكوين الروابط والألفة ،- ألا ليت شعري- أين سواد الناس عن قول مصلح الإنسانية ورسول الهدي ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا » . رواه البخاري ومسلم(١) .

وأين سواد الناس عن مبدأ الأخوة الإنسانية التي أرسى دعائمها القرآن ، حيث يقول الله فيه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠] . وأوضح أهداف هذه الأخوة ، ورسم اتجاهاتها رسول الهدى بأمثال الحديث السالف الذكر ، وأمثاله كثير ، وخص الله ورسوله بالوصية- عدا ما أوضحاه من ضرورة الرعاية للإخوان في الإسلام ، خص الجار بمزيد التكريم والرعاية ، فقال رب العزة في جملة التوصيات القرآنية والتعريف بالحقوق الواجبة : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النّساء: الآية ٣٦] . إلى أن قال : ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النّساء: الآية ٣٦] . فإقحام الجار والوصية به ضمن التعريف بحقوق الوالدين

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤، ٦٧٢٤) ، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وغيرهما مما عرضت له الآية الكريمة ، في ذلك ما يشعر بوضوح عن مبلغ اهتمام الشرع بناحية الجار وإنزاله من النفوس منزلة التكريم والتعظيم ، وقال عنه رسول الهدى : « ما يزال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه »[(١)] . أي : لكثرة حقوقه ، وعظيم ما يجب عليه .

وقال أيضًا : « خير الجيران عند اللّٰه تعالى : خيرهم لجاره » .[(٢)] ومن ذا الذي لا تتطلع نفسه إلى هذا الشرف العظيم ورفعة المنزلة لدى رب العالمين ، وقال أيضًا في مجال الإحسان والترغيب فيه ، بالنسبة للجار ، والارتفاع به لدرجة أن ربطه بالإيمان باللّٰه واليوم الآخر ، جعله عنوانًا للتصديق بهما والتزامهما : « من كان يؤمن باللّٰه واليوم الآخر ، فليحسن إلى جاره »[(٣)] .

وإن من الإحسان إليه ، بل في طليعة الإحسان : كف الأذى عنه في كل ألوانه ، فالتجني عليه وإثارة الناس ضده ، كما جار التاجر الآنف الذكر والاشتباك معه في خصومة دائمة ، فعل الجار الثاني ، ممن تحدثت عنه آنفًا ، كل ذلك مما ينافي الحقوق الواجبة للجار على جاره ، بله الإحسان إليه ، ولئن كان ثمة ما يدعو إلى الخصومة بحكم الاحتكاك بين الجيران ، فليقدم المرء المنصف العقل على الهوى ، والعدل على ركوب الشطط والتشفي والرغبة الملحة في الانتقام ، استجابة لأمر اللّٰه تعالى ؛ إذ يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ﴾ [المائدة: الآية ٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤، ٦٠١٥) ، ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥) من حديث عائشة وابن عمر رضي اللّٰه عنهم .

(٢) أخرجه أحمد ١١/١٢٦ (٦٥٦٦) ، والبخاري في الأدب المفرد (١١٥) ، والترمذي (١٩٤٤) من حديث عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما . وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٣) .

(٣) أخرجه مسلم (٤٧/٧٦) من حديث أبي هريرة و(٤٨/٧٧) من حديث ابن شريح الخزاعي رضي اللّٰه عنهما .

أي : لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، وذلك بالنسبة للجار والجار المسلم القريب ، وإن من مزايا صاحب العقل الحصيف ، تحكيم العقل ، واطراح الهوى ، والعقل خير دليل يهدي إلى السبيل السوي ، ويبعد عن المزالق ، وأن أذى الجار عند ذوي العقول أرباب البصائر ، هو مزلقة يجر إلى أسوأ العواقب ، ومن حقنا وقد أوردنا طائفة من أحاديث خير الورى في الترغيب في رعاية جانب الجار ، أن نورد طائفة أخرى في الترهيب من إيذائه وغمطه حقه ؛ ليتم بذلك التعادل ، ولينتهج المنصف خير المسلكين وأفضل النهجيين .

يقول أبو هريرة رضي اللّٰه عنه : قيل لرسول اللّٰه ﷺ : إن فلانة تقوم الليل ، وتصوم النهار ، وتصدق ، وتؤذي جيرانها بلسانها . فقال رسول اللّٰه ﷺ : « لا خير فيها ، هي من أهل النار » . رواه في « الأدب المفرد »[1] .

وإذا كان هذا في التجني على الجار باللسان ، فكيف بالتسلط عليه بالعظائم والجرائم والبهت والكذب عليه ، وما إلى ذلك مما هو من كبائر الذنوب ، يرتكبه المسلم عند جاره ؛ بغية أن ينكبه يحطم شخصيته ويذل كرامته ، وفي مجال التأديب والتنكيل بالجار المؤذي لجاره ، يرسم رسول الهدى ﷺ أنجح الوسائل للردع والزجر واستصلاح الجاني ، والأخذ بيد المظلوم ، والجار المكظوم .

روى أبو هريرة رضي اللّٰه عنه ، قال : قال رجل : يا رسول اللّٰه ، إن لي جارًا يؤذيني فقال : « انطلق ، فأخرج متاعك إلى الطريق » . فانطلق الرجل ، فأخرج متاعه ، فاجتمع الناس عليه ، فتساءلوا : ما شأنك ؟ قال : لي جار يؤذيني ، فذكرت للنبي ﷺ فقال : « انطلق ، فأخرج متاعك إلى الطريق » . فجعلوا يقولون : اللهم العنه ، اللّٰه اخزه . فبلغه فقال : ارجع إلى منزلك ، فواللّٰه

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٩) . وهو عند أحمد ٤٢١/١٥ (٩٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه وصححه الألباني .

لا أؤذيك . رواه أبو داود(١) .

ففي هذا التأديب والتشهير ردع لذي النفوس اللوامة ، والقلوب الطيبة التي تستشعر مبلغ الذنب وتستعظمه ، فتتوب إلى الله منه ، وتؤوب إلى رشدها ، وتكبح جماح سلطانها ، وذلك هو طابع المسلمين من أهل الرعيل الأول .

ترى لو عمد المجني عليه إلى علاج مشكلته على هذا النحو في هذه الأزمة المتأخرة ، ولجأ إلى هذا الاحتجاج السافر ، وأشهد على ظلامته الملأ من المسلمين ، ليردعوا الجاني ، وليأخذوا بيد المستضعف الكسير النجاح ، أكان ذلك يجديه نفعًا ، اللهم لا ؛ ذلك لبعد ما بين النفسيات من الفوارق وتغلب الطيبة والخير على أهل الرعيل الأول ، وطغيان الهوى ، وتغلب الشر على النفوس في أعقاب الزمن ، بيد أنه إذا لم يك ثمة وازع في النفوس أو رادع ، فلا أقل من أن يكون في الناس أولو بقية ينهون عن الفساد ، واستشراء الشر ، واتساع دائرة الخلف ، يسعون في إصلاح ذات البين ، فليس أفضل للجماعة ، وبصورة أخص للجيران ، من لمِّ الشعث ورأب الصدع ، بدلًا من إشعال نار الفتنة واستدعاء البعض على البعض الآخر ، والإفساد بين الجار وجاره ، والصديق وصديقه ، والأخ وأخيه ، وقد ندب رب العزة إلى إصلاح ذات البين بقوله في محكم كتابه : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّساء: الآية ١١٤] . ووعد عليه أفضل الجزاء ، حيث يقول : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ١١٤] . وحض رسول الله ﷺ هذه الناحية بأرفع توجيه ، حيث جعل درجة المصلح بين الناس فوق درجة الصائمين والمصلين والمصدقين ، فقال : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة » ؟ قالوا : بلى(٢) يا

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣) . وصححه الألباني .

(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من مصادر التخريج . والحديث أخرجه أحمد ٤٥/ ٥٠٠=

رسول الله . قال : « إصلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

ومن ثم جاء النهي عن تهاجر المتهاجرين ، وقطيعة المختصمين ، لما في التهاجر من ركوب الشطط ، ولما في التقاطع من الإفساد الذي ترتفع إلى ارتكاب الجريمة ، فيفسد الدين إلى جانب فساد ذات البين .

روى أبو هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار » . رواه أبو داود[(١)] .

وفي حديث آخر عن أم المؤمنين[(٢)] عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يكون لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاثة أيام ، فإذا لقيه فسلم عليه ثلاث مرات ، لا يرد عليه ، فقد باء بإثمه » . رواه أبو داود .

وأوضح سبحانه كمال عدله في معاملته للمتهاجرين من جنس عملهما ، كجزاء لهما وردع لأمثالهما ممن يسرفون في الهجر ، ويرتكبونه دون مبرر مشروع ، فلقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند مسلم[(٣)] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تعرض أعمال الناس كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء . فيقال : اتركوا هذين حتى يفيا » . وفي رواية : « حتى يصطلحا » .

= (٢٧٥٠٨) ، وأبو داود (٤٩١٩) ، والترمذي (٢٥٠٩) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، بدون لفظة : لا أقول : تحلق الشعر .. إلخ ، وصححه الألباني ، وإنما أخرجه أحمد ٤٣/٣ (١٤٣٠) ، والترمذي (٢٥١٠) . وغيرهما من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وحسنه الألباني .

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٤) . وهو عند أحمد ٤٥/١٥(٩٠٩٢) . وصححه الألباني .

(٢) سقطت من الأصل . والحديث عند أبي داود (٤٩١٣) . وحسنه الألباني .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) .

فعلق سبحانه المغفرة، وهي كل ما يصبوا إليه المسلم، علقها بالنسبة للمهاجرين على انقضاء أمد الهجر والقطيعة، وعلى رجوعهما إلى ما يحب من الوصل والتفاهم والعيش في ظلال الأخوة في اللَّه، واهتصار السعادة في جوانب الحب في اللَّه.

وبعد، فهذه كلمة عاجلة، لا تخرج عن كونها أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر، وإصلاحًا لفساد ذات البين.

أرجو أن تجد لها سوقًا رائجة وقلوبًا واعية، وأن لا تذهب صرخة في واد، أو نفخة في رماد، والخير أردت، سدد اللَّه الخطى، وأخذ بنا إلى أقوم سبيل.



تذكير وتبصير(١)

كل نعمة من النعم من حق المنعم بها أن يقدر حق قدره، وأن يعترف له بعظيم منته، وأن تعطر الأندية بذكره وشكره والثناء عليه، بما هو أهل له، وأن مما يجب أن يقابل بالشكر تقدير للنعمة وبالثناء على المنعم؛ اعترافًا بعظيم المنة، تيسير الحج إلى بيت اللَّه الحرام، وقضاء الحاج نسكه في طمأنينة وأمان، وشهوده منافع الحج في مختلف أوجهها، والأخذ منها بنصيب، والضرب فيها بسهم، ثم عودته إلى دياره، ظافرًا بالمغنم، قرير العين بالتمحيص من الأوضار والأوزار، كما عبر عن ذلك الحديث الشريف: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه»(٢).

وكل أولئك نعم للباري جل وعلا من حقها أن تقدر، ومن حق المنعم بها أن يذكر ويشكر فلا يكفر، وأن يعبد ويطاع فلا يعصى؛ لأن المعصية بعد الطاعة نكسة في الخلق، وثلمة في الدين، وهي بالنسبة للمنعم العظيم جحود للنعمة، وكفران للجميل، ولقد ندب اللَّه عباده المؤمنين بعد قضاء نسكهم وإتمام حجهم أن يلهجوا بذكره، كما يلهج الصبي بذكر والديه، أو أشد من ذلك: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٠٠].

وقيل في معنى الآية أيضًا: إن العرب كانت إذا فرغت من الحج، وقفت عند البيت، فذكرت مفاخر آبائها، فأمر اللَّه العباد بذكره أعظم من ذكر أولئك لمحامد آبائهم، ومفاخر أسلافهم، فهو مصدر الخير، ومولي النعم، وهو الذي

---

(١) مجلة الحج- ذو الحجة- ١٣٧٩هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، ١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

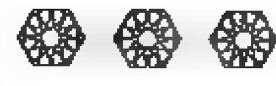
يستحق الذكر والثناء على نعمه وآلائه وسابغ فضله وعميم خيره وبره : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرة: الآية ١٥٢]

ومن أجل ذلك ، وقيامًا بواجب التذكر والتبصير للمؤمنين جميعًا ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وللحجيج خصيصًا ، وهو من حباه اللَّه بالخير الكثير ، نذكر بهذا الواجب واجب شكر النعمة وتقديرها والعمل على استدامة طاعة اللَّه ، كأثر للتقدير ، ومظهر للشكر ، وآية على الإخبات ، وبرهان على التحول المحمود الذي أحدثه الحج ، ووضع حد للصبوات والجهالات والانزلاق في حمأة الرذيلة ، فالصحيفة النقية البيضاء ، لا يصح أن تلصق بها كدورات أو تسود أو تتلوث بما يشين بياضها أو يدنس نضرتها .

وجدير بمن عاهد اللَّه في رحاب بيته ، وبين المشاعر المقدسة ، ومهابط الرحمة ، أن يفي بالعهد الذي قطعه لربه ، وأن يمضي في سبيل الرشاد الذي اختطه والتزمه في حجه ، وأن يحرص كل الحرص على سلامة صحيفته ونقاء سريرته وطهارة نفسه وصحة اتجاهه وكمال إيمانه وصدق ثقته بربه .

وجدير بمن وثق الصلة ، وشدد الروابط ، وجدد العهد بإخوانه في دينه ، وبيعته في إسلامه ، وخلصائه في أماله وآلامه ، جدير به وقد كان حبل الود بهم موصولًا في مهبط الوحي ومنبع الدين ، ومصدر النور ، أن يذكر على الدوام إخوانًا له في اللَّه شط بهم النوى وبعد بهم المزار مخلص لإخائهم على البعد ، كما كان مخلصًا له فى القرب ، يحفظ غيبتهم ، ويعطف على قضاياهم ، ويكرس جهوده لمصالحهم ، ويرعى لهم أخوة الإسلام التي وثَّقها ربُّ العزة بينهم بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠] فلا يكون ألبًا عليهم ، ولا حربًا ، ويدًا واحدة مع خصومهم ضد قضيتهم ، ولا أداة هدم يستعملها المستعمرون في اجتثاث كيانهم وفساد سلطانهم ، فكل ذلك يتنافى مع الإخلاص للإخاء الديني ورابطة الإسلام ، وليذكر على الدوام قول رسول الإسلام

عليه الصلاة والسلام: «المسلم للمسلم كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضا»[1]. «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»[2]. واللَّه الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

المنهل والمباحث الدينية[١]

من الناس من يطيب لهم العمل وأداء الواجب في صمت وسكون، دون جلبة، أو دعاية فضفاضة، وطلب للشهرة، وذيوع الصيت.

وهذا الصنف من الناس هم جنود مجهولون يجدر بالأمة أن ترعى لهم الحقوق، وأن تقدر لهم، وفيهم روح التضحية، وأن تعترف لهم بالجميل.

ومن هذا الصنف صاحب المنهل، ورئيس تحريره، الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، ولا أقول ذلك مجاملة له، أو تزلفًا، فليس لمثلي أن يجامل، وليس لمثلي أن يتزلف، ولكني أقولها كلمة صريحة، يقررها الواقع، ويشهد لها هذا الأثر البارز.

وهذه الثروة العلمية الأدبية الضخمة التي كونها الأستاذ، وعمل جاهدًا على تنميتها بكل ما لديه من إمكانيات ووسائل، هي جهد المقل، وجالد في سبيلها، وصبر وصابر حتى طاب الثمر، وبدا الصلاح، ودانت القطوف، وامتد الظل وأرفا، فتفيأ ظلاله الكثرة الكاثرة من أبناء الجيل؛ ينهلون ويقطفون ...[٢] ويتفيئون الظلال، ويكرعون من ينابيع المنهل الثروة (والمنهل العذب كثير الورود).

أجل، عشرون عامًا بتمامها، والمنهل يغذي شباب البلد بضروب من ألوان التثقيف العلمي والأدب الرفيع، فأنشأ مدرسة وأخرج جيلا ...[٢] مدرسة تدين للمنهل بحصافة التوجيه، وجودة التثقيف والتدريب، وجيلًا نشأ على اقتناص الفائدة وتلمس الحق والصواب أنى وجد، ومن أي قلم انبثق، شعاره: (الحكمة ضالة المؤمن) وأشهد، لقد كان المنهل هو المجلة الأولى التي كونت في

(١) مجلة المنهل- محرم وصفر ١٣٧٥هـ.

(٢) كلمة غير واضحة.

شخصيًّا الشجاعة الأدبية ، وحفزتني إلى خوض مجالات الكتابة ، والنزول إلى ميادينها ، فطفقت أنشر فيها سلسلة من البحوث الدينية ...[١] بعناوين مختلفة تنوعت فيها الأغراض ، كنت أرسم بها صورة من الآداب الإسلامية ، مناهضًا بها فكرة تقديس الغرب ومدنية الغربيين وآدابهم المنتزعة من أصل ديننا الحنيف ، مستمدًا ذلك من آي الكتاب العزيز ، وأحاديث السنة المطهرة ، فكنت ألقى من المنهل وصاحب المنهل ترحيبًا أيما ترحيب ، وتشجيعًا للمضي في هذا المضمار ...[١] دفعني لمضاعفة الجهود ، وتكرار المحاولة ، ومتابعة النشر ، فتعددت الأبحاث ، وتنوعت المطالب ، إلا أنها كانت تتجه في مسلك معين ، هو المسلك الديني في ضروب مناحيه .

من أجل ذلك كان للمنهل دين في عنقي ، يجب الوفاء به ، وكان للمنهل حق ثابت عليّ ، يتقاضاني الإشادة به ، والتنويه بفضله ؛ ومن أجل ذلك أيضًا وقيامًا برد بعض الجميل . أكتب مقالي هذا ، استجابة لرغبة صاحب المنهل ، حيث حدد لي هذا الموضوع بالذات : (المنهل والمباحث الدينية) ودعاني للكتابة فيه لمناسبة مرور عشرين عامًا على كفاح المنهل واضطلاعه بمهمة التوجيه ، ولا أقول : بأداء الرسالة . فالرسالات قد ختمت بخاتم النبوات والرسالات محمد بن عبد الله ﷺ

وكان من حق المنهل عليَّ أن ألبي الدعوة ، مغتبطًا لما فيها من رد الجميل ، كما أسلفت ، ولما فيها من المساهمة الواجبة نحو مجلة إسلامية تصدر في أقدس بقعة من بقاع الإسلام ، والحق أن المنهل قد أفسح المجال كثيرًا للبحوث الدينية ، وكان سخيًّا وكريمًا لأبعد الحدود ، حيث أشغل بها حيزًا كبيرًا من صفحاته ، وأضحى منبرًا تتجاوب عليه وفيه أقلام العلماء في شتى نواحي العلم

(١) كلمة غير واضحة .

والمعرفة، وتتلاقى الكفاءات العلمية، فينشأ عن هذا التلاقي، وفرة الإنتاج، وكثرة البحوث النافعة المفيدة، وعلى الأخص البحوث الدينية التي تهذب الأخلاق، وتطهر العقائد، وتهدي إلى سواء السبيل ...(١) وأن العشرين عامًا التي قضاها المنهل من عمره لتشهد له بالرصيد الذي يحتفظ به من هذه الأبحاث وتلك المعلومات الدينية على أصح الوجوه وأسلم النظريات.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن للمنهل في مضمار النقد العلمي أثرًا واضحًا ملحوظًا، فكم قرأنا فيه من تعقيبات نزيهة للعلماء الأفاضل، ونقد بريء من تهمة الغرض والتجني ...(١) هو نقد لا بد منه لتحميص الحق وإظهار الدغل والزيف ...(١)

بين يدي منه، وأنا أكتب هذه السطور، حلقة لأحد العلماء الأفاضل يعقب على عالم فاضل آخر في موضوع تفسير القرآن بالرأي ...(١) استطرد فيها لذكر أقوال الصوفية وشطحاتهم والمناحي التي آخذهم عليها المحققون؛ حيث جعلوا الشريعة اسمًا. وقالوا: المراد منها الحقيقة، وحيث جعلوا للقرآن الكريم ظهرًا وبطنًا ...(١) وحيث غيروا وبدلوا في تفسير القرآن حسب ما تمليه عليهم نزعاتهم ...(١) وإشاراتهم الخاصة بهم، فمثلًا قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: الآية ٦٠] في سورة الكهف: هما الخضر وموسى. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] قالوا: بالعلم. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] قالوا: بالمعرفة، ونقل بعضًا من نقولاتهم، كقول بعضهم: نحن نحب الله لذاته، كما نحب اللذة لذاتها؛ لأنه موصوف بالكمال، والكمال محبوب لذاته!

ثم نقل ردود أهل الحق عليهم ودحض أقوالهم. وإن بحوثًا كهذه وغيرها مما

---

(١) كلمة غير واضحة.

ينحو هذا المنحى قل أن يجدها الباحث المتلمس مجتمعة ، وقل أن يعثر عليها في أسلوب نقاش يقرع الحجة بالحجة ، ويورد الأدلة ويستصفي اللباب .

وناحية أخرى في المنهل جديرة بالذكر ، وحرية بأن نعرض لها مع التقدير والثناء العاطر ، تلك هي حرية الرأي وإطلاق العنان للعالم أو الكاتب ، يجول جولته ، ويعبر عن آرائه دون مصادرة لحريته في الكتابة ، ودون أن يضع المنهل أمام نشر بحثه العراقيل المألوفة من رجال الصحافة ، كقول بعضهم : إن هذا الرأي ، أو هذه الفكرة ، أو هذا الاتجاه ، ليس من أهداف المجلة ، ولا يتفق مع مشربها .. بل المنهل كما أسلفت القول يفسح المجال للنشر ، ويفسح المجال للتعقيب ، وبذلك حفظ التوازن بين قرائه وكتابه فرضي وأرضى ، رضي عن خطته إذ سلم بها من التلون ومجاملة البعض وإغضاب الآخرين ، وأرضى قُرّاءه بلزوم خطة الحياد ، وكتابه بعدم التحيز ..

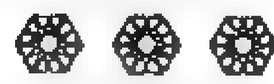
أذكر أني قرأت جملة من البحوث الدينية لبعض الكُتّاب جانَبُوا فيها القول الراجح وتشبثوا بالمرجوح ، فقلت في نفسي : ألم يكن للمنهل مندوحة عن نشر هذه البحوث ، أثم لم يكن من عباد اللّه من ناصح يهدي إلى السبيل ، ويرشد إلى الجادة ؟ ولم يمض على حديث النفس هذا غير يسير حتى رأيت التعقيب يتلوه التعقيب ، والمنهل ينشر للكاتب الثاني ، كما نشر للأول ، ثم لا يرى عليه في ذلك قدحًا ولا عتابًا ، وهكذا يثبت المنهل للملأ أنه ثابت على مبدئه وفيّ لقرائه وكتّابه ، ولا يغربن عن الأذهان أن للمنهل هدفًا في النشر لا يعدوه .

فليس كل بحث يتحتم عليه نشره ؛ إذ كان يصطبغ بطابع الدين ، فقد يكون البحث من حثالة أراء المخرفين ، أو من اختراعات المبتدعين ، وشبه المضللين ، وسخافات المشعوذين ، فكل أولئك يزعمون أنهم على الهدى والدين .. فيدمجون البحوث الصافية بدعوى الإصلاح والدلالة على هدى الراشدين ، ولكن المنهل لا يروج عليه البهرج والزيف ، فلقد جعل شعاره الإخلاص والأمانة ،

والإخلاص للدين، ثم المبدأ، والأمانة في النقل والنشر، فلا يرفع رأسًا ببحث يخالف الدين مهما كان مصدره، ومهما ارتفعت حيثيات كاتبه، ولا ينقل لقرائه وينشر إلا ما كان نافعًا مفيدًا، وتلك هي الأمانة التي التزامها وخطى بها خطواته المتزنة طوال العشرين عامًا المنصرمة.

هذا والأمل في اللّه سبحانه أن يكون المنهل في مستقبل أيامه أكثر فعالية في التوجيه والدلالة على الخير، وأكثر إمكانيات؛ ليأخذ مركز الصدارة في دنيا الصحافة ومجالات الطباعة والإخراج، فيغدو مجلة أسبوعية، أو نصف شهرية على الأقل، وتتضاعف عدد صفحاته، وينضم إلى أسرة تحريره جمهرة من أرباب القلم السيال ...[١] والكفاءات المكتنزة، فنرى في مهبط الوحي خير مجلة تدعو إلى اللّه، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعطي فكرة صالحة عن واقع الدعوة الإسلامية، وإقامة شعائر اللّه، وتألف المسلمين وتعاطفهم، إلى غير ذلك مما يجب أن تقوم عليه مجلة إسلامية علمية تشرق شمسها في رحاب البيت الحرام.

وبعد فتقديري للمنهل وصاحب المنهل..



(١) كلمة غير واضحة.

إمتاع ومؤانسة[1]

رحلة إلى الفرع، أرفع هضبة في الشفا ترتفع عن سطح البحر (٦٢٤٠) قدمًا

قال صاحبي وهو يقطب ما بين عينيه ويحملق في وجهي : ما بالك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى ، ليس في الأمر معضل ، وليس في القيام برحلة كشفية مع الأحبة المنسجمين والأصدقاء المؤتلفين أي مأخذ ، والترويح عن النفس والتسرية عنها ، والأخذ بها في مجالات من المرح البريء بعد طول الكد والجهد في مزاولة العمل الوظيفي والمجهود الفكري ، أمر لا مندوحة عنه ؛ لتجديد النشاط والحيوية ، فيتضاعف الإنتاج ، وتغدو النفس أكثر قدوة وتحملًا للتبعات والواجبات .

قلت له ، وقد أدركت الثورة التي تعتمل في نفسه من جراء ترددي وإحجامي : لا بأس ، لا بأس يا صاح- غدًا إن شاء اللّٰه سوف ننفذ الفكرة- شريطة أن تتولى جميع أسباب الرحلة وتهيء وسيلة النقل وتجهز كل ما تتطلبه الرحلة من فرش وثيرة وزاد وفير ، وما إلى ذلك مما يوفر الإمتاع ، وتتم به السلوى .

وما أن سمع صاحبي كلمة الموافقة والبدء في المشروع ، حتى انطلق انطلاق السهم ، وأسلم ساقيه للريح ؛ خشية أن أعود إلى سابق عهدي في التسويف ، وأعدل عن الرحلة ، ولم تمض سحابة اليوم إلا كان كل شيء على أتم استعداد وأحسن أهبة .

وفي صباح اليوم الباكر صباح يوم ٨٠/٢/٢٣ كانت السيارة واقفة على باب الدار ، وكان الرفاق قد تجمعوا حولها . وقبل أن نأخذ مقاعدنا من السيارة

(١) مجلة المنهل- ربيع الثاني- ١٣٨٠هـ .

التهمت حبة من حبوب ضغط الدم، وأخرى لألم الروماتيزم التي اعتدت أن ألتهمها وإن كنت لم أر منها غير التسكين الوقتي، ونسي عميد الرحلة أن يجهز لنا في جملة ما جهزه شيئًا من الإسعافات الطبية الأولية كالإسبرين والكينا وصبغة اليود؛ استعدادًا للطوارئ التي قد نفاجأ بها، وإن كنا في أمثال هذه الرحلات الخلوية التي يغني فيها الهواء الطلق والمناظر البهيجة عن كل عقار، ولكن الحيطة والأخذ بالأسباب المشروعة أمر يوجبه الحزم.

سارت بنا السيارة تنهب الأرض نهبًا، جنوب غرب الطائف، مارة بالمثناة، وكان السائق ماهرًا، فبدا لي أن أسأله عن اسمه، فقال: اسمه: غرم. قلت: لا، بل أنت غنم، لا غرم، جريًا على سنة خير الورى حيث كان يتفاءل ولا يتشاءم، كان إذا بعث أميرًا سأله عن اسمه، فإن أعجبه تفاءل به.

وأعجبني في الرفاق قوة الربط بينهم، وشدة الإنسجام، إذ كانوا من أفاضل الناس، وممن ربط بينهم العلم بآصرة المودة، فهم بين عالم ضليع، أو مدرس قدير، أو شاب مهذب نبيل، يتسم الجميع بالتدين والتمسك بالسنة، فعندما تحركت بهم السيارة من الدار انطلقت ألسنتهم بالذكر المأثور- سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين- وكانوا كلما هبطوا واديًا أو ارتفعوا إلى قمة، وما أكثر ما ارتفعنا وهبطنا، تذكروا عظمة اللّه وتعاليه على خلقه فكبروه وعظموه، وكلما وقع نظرهم على الخضرة الناضرة تكسو الجبال والوهاد والتشكيلات المؤتلفه من النبات والزهور، تذكروا منازل الصالحين، وما وعد اللّه به المتقين في دار كرامته من النعيم المقيم، فسألوا اللّه من فضله أن يبلغهم رضوانه وينزلهم منازل أوليائه.

استمرت السيارة في سيرها، فقطعت طريق المثناة، واجتازت الوهط(١)

(١) الوهط: المكان المطمئن من الأرض المستوي. «تاج العروس»: (و هـ ط).

والوهيط ، ترتفع حينًا وتنخفض أخرى في ارتفاع وانخفاض عاديين ، ثم أخذت تجتاز عقبات كأداء في ديار بني سفيان ، وتكاد تنوء بالحمل ، ولا يسمع منها إلا صوت الصراع الحامي مع العقبات ، ثم تكون لها الغلبة ، حيث تجتازها بسلام .

أما الرفاق فلا تسل عن بلبلتهم وانزعاجهم لهول الصراع ، والكل منهم يقول : اللهم سلم سلم . كلما أقدمت السيارة على اجتياز عقبة من العقبات ، كان الجميع يظنون أنها النهاية ؛ النهاية بالنسبة لجهد السيارة ، والنهاية بالنسبة للعقبات .

وما زلنا في صعود دائم بين عقبات لا تكاد تنتهي ، كل عقبة أشد صعوبة في اجتيازها من الأخرى ، في طريق متعرج تتلوى فيه السيارة التواء الأفعى ، حتى بلغنا عقبة سجلت آلة الارتفاع ارتفاعها فبلغ (٦١٥٠) قدمًا ، ومن حسن الحظ كان لدى أحد الرفاق هذه الآلة ، فقد أفدنا منها فائدة علمية ملحوظة ، ثم أخذنا في الانخفاض إلى مسافة (١٥٠) قدمًا ، وعادت الآلة بعدها تسجل ارتفاعًا مطردًا حتى بلغنا هضبة الفرع فبلغ تسجيل ارتفاعها (٦٢٤٠) قدمًا من سطح البحر تقريبًا .

أما مناظر الرحلة منذ بدأنا في بلاد بني سفيان ، وأخذنا في صعود جبال الشفا ، فقد كانت آية في الإبداع والروعة والجمال ، كانت سفوح الجبال مكسوة باللون الزمردي الأخاذ . لون أشجار الطلح والعرعر ، وكانت الوهاد تسيل بالماء النمير الزلال ، ينحدر إلى مزارع الحنطة ، والبرسيم ، والخضروات ، وكانت هضبة الفرع أجمل ما رأيت ؛ هضبة فسيحة مترامية الأطراف تمتد طولًا وعرضًا ، وتشتبك فيها أشجار الفاكهة بجميع ألوانها- فاكهة البلد بالطبع- ويكثر فيها البرشومي والحماط بشكل واضح .

كانت أشجار الفاكهة تشكل غابة كثيفة ، وكانت البساتين فيها متباعدة ، وكانت مياه الآبار على مسافات قريبة ، لا تكلف النواضح جهدًا ولا كبير عناء في ري البساتين .

التقينا في الهضبة بالشيخ مرزوق بن دخيل من شيوخ قبائل بني سفيان فأكرم

وفادتنا ، واستقر بنا المقام تحت دوحة عظيمة من أدوح الحماط ، وبالقرب منا مزرعة للخضروات ، وتحت أقدامنا جداول المياه تسقي المزرعة من بئر عظيمة العمق ، يبلغ عمق الماء فيها أحد عشر باعًا ، ولها مثيلات في هضبة الفرع لا تقل عنها غزارة ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع الشيخ مرزوق ونستقصي أخبار الفرع ، بل وجميع نواحي الشفا وطقسه في الصيف والشتاء ومتى تم ، وكيف كان وصول السيارات إلى أقصى نواحيه ؟ ومن تحمل عبء تكاليف مد الطريق وتمهيده حتى بلغ هذه الهضبة ؟ ومتى كان وصول أول سيارة إلى الفرع ؟ وتبسط الشيخ مرزوق لنا في الحديث ، وأجاب على كل الأسئلة الموجهة إليه بإسهاب ، فقال : إن أول سيارة وصلت إلى الفرع أرفع جهة في الشفا هي سيارة تحمل الخضروات إلى الطائف ، كان ذلك يوم ٨٠/٢/٢٢ وقد كانت السيارات قبل ذلك تصل من الطائف إلى العتبة فقط ، وكان أهل الشفا قاطبة بعد أن تركوا تحميل الفاكهة على الزوامل يحضرون منتاجتهم من خضروات وفواكه إلى العتبة ، ومن ثم تأتي السيارات فتحملها إلى الطائف ، والعتبة أول عقبة في جبال الشفا ، تصل إليها السيارات بدون مشقة . ثم عقد العزم عبد الوهاب حلواني- اللّٰه يرحمه- على السير بالطريق كعادته ، وجريًا على نشاطه في كل جبال الطائف ووديانها كوادي لية وأبي حجارة ، والهدى ، وخلافها ، واشتغل الحلواني في تذليل طريق الشفا من العتبة حتى وادى الصفراء ، ثم وقف لصعوبة ما اعترضه من العقبات ، وهو فرد وحيد مهما حاول المستحيل لابد أن يكل ويضعف عزمه ، وقامت بعد ذلك قبيلة آل حجي من بني سفيان بتذليل ما بقي من الطريق في فترات متباعدة وبهمة لا تعرف الكلل ، وعزم لا يتطرق إليه الوهن ، وتعاون حميد- كان مضرب المثل- حتى بلغ الطريق إلى أقصى هضبة الفرع .. لقد كان يعمل كل يوم في تذليل الطريق مائة شخص تقريبًا ، ويقوم في كل يوم عشرة من الجماعة بتجهيز ما يلزم الجميع في يومهم من طعام وشراب ، وما إليه ، بالتناوب

على حسابهم الخاص ، دون أن تمتد إليهم مساعدات ، أو يحصلوا على مغنم من أية جهة ؛ فتكبدنا من جراء ذلك خسائر وديونًا .. ولكنا حمدنا العاقبة كما يحمد الساري السري عندما بلغنا الأمل بإيصال خط الطريق إلى أقصى الشفا إلى الفرع ، حيث يطل على تهامة وجبالها .

لقد قطعت سيارتنا الطريق في ساعة وثلاثة أرباع الساعة من الطائف إلى الفرع ، وسجل عداد السيارة لهذه المسافة ثلاثين كيلو مترًا .

وبعد أن استرحنا قليلًا من وعثاء الطريق ، وانتهينا في الحديث مع الشيخ مرزوق إلى ما انتهينا إليه تاقت نفوسنا إلى رؤية تهامة وجبال تهامة من أعلى هضبة في الشفا ؛ ولنتمتع بالمناظر الجبلية كما سرحنا الطرف بين الخمائل ، وفي الحال نفذنا الفكرة ، مستصحبين معنا ثلاثة من رفاق الشيخ مرزوق أدلاء ، يرشدنا إلى الطريق ، وانطلقنا سعيًا على الأقدام في مسافة لا تقل عن نصف ساعة من الموضع الذي استقر بنا المقام فيه إلى نهاية الهضبة ، ثم بدأنا بإرشاد الأدلاء ، في تسلق جبل صغير عسير المرتقى يدعى « شعارًا » ، ليس فيه صوى أو جادة ترسم الطريق ، وعندما بلغنا القمة سجل الألتيمتر أو البارومتر أو آلة تسجيل المرتفعات على اللغة المألوفة لغة الضاد سجل (٦٣٥٠) قدمًا ، أي أن ارتفاع هذا الجبل يزيد عن الموضع ، الذي أقمنا به في الارتفاع (١١٠) قدمًا .

وطفقنا نسرح نظرنا يمنة ويسرة فلا نرى إلا جبالًا شاهقة ووديانا متشابكة ، وننظر إلى موقفنا منها ، فنجد أنه أشبه بمن يقف على أعلى قمة في جبل كرى ، وينظر إلى الجبال والمنحدرات مع الفارق طبعًا في نسبة المرتفعات بين الشفا وجبل كرى .. وقد التفت إليّ صاحبي ، وطفق ينثر عليّ من آماله وأحلامه ، وإن شئت فقل : وخيالاته . ما جعلني أستوقفه وأستوضحه وأناقشه غير مرة في ثنايا الحديث .. وموعدنا مع القارئ الكريم العدد القادم ، إن شاء اللّه ، حيث نأتي على بقية الرحلة ، وأتحدث عن آمال وأحلام صاحبي ، فمن يدري ، قد تصح الأحلام وتتحقق الآمال .

إمتاع ومؤانسة[١]

(رحلة إلى الفرع أرفع هضبة في الشفا ، ترتفع عن سطح البحر (٦٢٤٠) قدمًا)

والتفت إليَّ صاحبي وهو يقول : ليت معنا (كمرا) قلت مستفسرا : وما هي الكمرا ؟ قال : إنها آلة تصوير ، نأخذ بها هذه المناظر الخلابة . قلت : وعلام لم تقل آلة تصوير ، وهل راق لك اسمها الدخيل باللغة الأجنبية على المسمى العربي باللغة الفصحى لغة القرآن ؟ قال : هكذا يجنح المثقفون في وسطنا ! .

وليت الأمر يقتصر على هذا ، إن أحدهم يغيب عن الوطن بضعة أشهر ، ثم يعود ، وقد تقمص شخصية غير شخصيته ، وتكلم بلسان غير لسانه ، يحكي به لهجة لا يشرفه كسليل للعرب أن يتحدث بها إلى مواطنيه ، وكلهم يمقت منه هذا الهذر والأفن . قلت : دعنا من هذا ، وهات أمنياتك ، وأنت على هذا الارتفاع الشاهق تملأ رئتيك من هذا الهواء الصحي المنعش ، وتمتع ناظريك فيه بأجمل مناظر بلادك .

قال : تمنيت والله أن تعنى وزارة الصحة بإنشاء مصح عظيم للأمراض الصدرية يستروح المرضى فيه عبير الروائح العطرية تنبعث من هذه الأشجار وسط هذه الهضبة ، ويملأون رئاتهم بهذا الهواء الجاف النقي ، إذن والله لعاودتهم الصحة ، وبارح أجسادهم الداء دون تجرع الدواء .

قلت : إي والله ، إنها فكرة ما أجملها ! ثم ماذا :

قال : وليت وزارة المعارف تشيد لأبناء هذه الهضبة مدرسة تتدرج من ابتدائية إلى أن تأخذ سلم الرقي ، فتضارع أعظم كليات العالم المتحضر ، فإن في

---

(١) مجلة المنهل – جمادى أول ١٣٨٠هـ.

أبناء البادية ، وخاصة من كان في مثل هذا الجو الشعري ، ذكاء فطريًا .

قلت : إي واللّه ، ليته يكون ذلك ، ثم ماذا ؟

قال : وليت وزارة المواصلات تعنى بتعبيد الطريق وسفلته وتوسعة منعطفاته وإدخال تعديلات عليه ؛ ليكون أكثر روادًا ، وأعظم فائدة ، وعائدة تعود على أهل الشفا إلى جانب إنشاء مركز للبريد ، وآخر للاسلكي .

قلت : واللّه إنها فكرة جميلة أشبه بخيال مجنح وحلم معسول ، ثم ماذا ؟ ولا تسبح بعيدًا في خيالاتك ، بل اقصر أمنياتك على واقعنا ومجال رحلتنا ، فذلك أكثر إمتاعًا بالنسبة لنا ، وأكثر مؤانسة نزجي بها وقتنا .

قال : نعم واعتدل في جلسته ، وقال : نعم ، ليت معنا شاعرًا يصف لنا تناجي النبات ، وتعانق الأدواح[١] ، وخرير المياه في الجداول ، وانسيابها في المزارع ، وتغريد البلابل ، وصدح الحمام على الآيك ، ويسجل انطباعاته في باقات من الشعر العذب السهل الممتع ؛ فتكون خير سجل لرحلتنا ، وخير إمتاع يأنس به السُّمار ، ويلتذ بترديده عشاق الأدب ويطرب له هواة الشعر .

قلت : إي واللّه ، ليته كان ذلك ، ثم ماذا يا صاح ؟

قال : وليت معنا (جيولوجيا) يحدثنا عن طبقات الأرض ، والجبال وتمايزها ، وعن توهج الذرات الذهبية أشعتها . قلت : نعم ، ثم ماذا ؟ وأوجز .

قال : وليت معنا عالمًا مختصًا بالنباتات ، إذن لحدثنا عن كل نبتة وزهرة ، تعبق بالعبير الفواح ، وتكسو هذه الروضة باللون الزمردي ..

قلت : إي واللّه ، ليت . ثم ماذا ؟

قال : لا شيء إلا آلة تصوير تسجل كل مشاهداتنا ، وهي أسهل تناولًا بالنسبة لنا ، فقد كان أمرها ميسورًا لو تذكرناها إبان قيامنا من الطائف .

---

(١) الأدواح : جمع الجمع للدوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من أي الشجر كانت . « تاج العروس » :(د وح) .

وما أن وصلنا إلى هذا الحديث إلا وأشعة الشمس قد أصلتنا بحرها ، فعدنا أدراجنا ، يتقدمنا الأدلاء الخريتون ، ورغم أن الطريق أضحى لدينا مألوفًا إلا أن الحاجة كانت ماسة إلى الأدلاء ، لتخليصنا من الحراج- بكسر الحاء- وهدايتنا إلى أقرب المسالك وأسهل المنافذ ؛ لنصل إلى المواضع الذي أقمنا به .

وكان من أدب الأدلاء أنهم يسيرون خلفنا ، ويتركون لنا الحرية في اختيار الطريق ، وعندما يلحظون أننا سوف نتورط في مزلق أو نحيد عن الجادة المطروقة ، يوجهنا أحدهم بقوله في بساطة وسماحة : (من هنا يابا) بساطة وسماحة ، لا يعرفها أو يتعشقها إلا من سكن هذه الأجواء الفطرية الطليقة ، وعاشر أخلها ، وتذوق بذوقهم .

نسينا أو تناسينا يومها الألقاب ؛ إذ لم يطرق سمعنا طوال اليوم غير كلمة (يابا) فلا فضيلتكم ولا سيادتكم ، حتى ولا حضرتكم ، ولا شيء من النعوت التي أصبحت من مستلزمات الحضارة ، فذكرني ذلك بقول الأستاذ محمد عمر توفيق في إحدى كلماته في جريدة البلاد تحت عنوان (ذكرى) حين تحدث عن الألقاب ، ووصفها بطراطير توضع على رووسنا في بادئ الأمر ، ثم لا تلبث أن تغدو هذه الطراطير من مستلزمات حياتنا ، بحيث لو نزعت عنا لشعرنا بالنقص ، فما أسعدنا لو نزعنا هذه الطراطير من تلقاء أنفسنا ، وعدنا إلى عهود الفطرة ، وعشنا مع البساطة والسماحة ، وما أجمل أن يدعى المرء باسمه مجردًا ، وإن أوغلنا في التعريف أضفنا اسم الأب إلى الاسم أو الكنية ، ولن نحتاج بعد ذلك إلى إضافة طراطير جديدة .

وعدنا إلى موضع مقامنا تحت الدوحة العظيمة وبين مزرعة الخضروات ، وإذا بنا نفاجأ بقدوم الأمير مشعل بن عبد العزيز إلى الشفا للترويح عن النفس والإمتاع بمناظر الشفا ؛ وليقوم بمحاولة جديدة لتذليل ما يمكن تذليله من العقبات في الطريق ، لتيسير الوصول إلى هضبة الشفا ؛ خدمة إنسانية منه ، وغرض نبيل حفزه

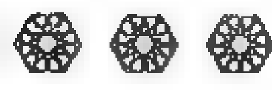
إليه شعوره .

ولكاتب هذه السطور مع الأمير مشعل وإخوانه من أبناء الملك عبد العزيز- رحمه الله -ذكريات جميلة ، إنها ذكريات أستذة وتلمذة ، ما أجملها من ذكريات في نفس كل من الطالب والأستاذ .

وكان مسك الختام جلسة هادئة مع سموه استعرضنا فيها معًا ذلك الماضي المجيد ؛ ماضي العلم والتعليم ، والصلة الروحية النزيهة من كل غرض ، البعيدة عن كل شائبة ، وبعد تناول الغداء مع الرفاق عدنا أدراجنا على نفس الطريق ، وكانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية على جداول المياه ، والرياح تداعب غصون الأشجار ، فينطلق حفيفها في الفضاء ، وكأنه يردد أنشودة البهجة والحياة الناضرة ، فتذكرت بيتًا من الشعر طالما كنت أردده في عهد الطلب يصور هذا المنظر الأخاذ :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وانتهت الرحلة بسلام ، وشد كل منا على يد صاحبه مهنئًا بنجاح الرحلة ، وإبداء التمنيات الطيبة والتوفيق إلى رحلة أخرى أكثر إمتاعًا وإيناسًا . فحقق يا رب آمالنا فما أحلى عودة أيام السرور واهتصار السعادة . إنك يا رب أكرم مسئول .



الحب في اللّٰه والبغض في اللّٰه[(١)]

في « الصحيحين »[(٢)] عن أنس ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّٰه ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا أنقذه اللّٰه منه ، كما يكره أن يقذف في النار » .

الإيمان تصديق الإنسان بجميع ما شرعه اللّٰه لعباده ، وعلى لسان رسوله ، من شرائع الدين وأحكامه ، مع يقين القلب بها ، يقينًا لا يتطرق إليه الشك والريبة ، ومع العمل والتزام كل ما شرعه اللّٰه من تعاليم الدين وفرائض الإسلام ، ولن يصح إيمان العبد إلا بذلك .

وحلاوة الإيمان : إشراق نفسي ، وتفاعل روحي ، يبدو أثره واضحًا في تجاوب المسلم مع تعاليم الإسلام ، وفي تلذذه وحبه لطاعة الرحمن ، وفي تحمله المشاق ، والصبر في سبيل ذلك ، فالمشقة والصبر في سبيل المحبوب مرغوب .

وكان يقول رسول الهدى ، والقدوة الأعظم ﷺ ، لمؤذنه بلال عن الصلاة : « أرحنا بها يا بلال »[(٣)] . وكذلك كل مؤمن صادق في إيمانه ، يجد الراحة في الطاعة ، ونعيم القلب ومتعته وانشراحه ولذته في القيام بما افترض عليه ، وتلك هي حلاوة الإيمان .

وقد تضمن الحديث المصدر به المقال ثلاثة أمور متلازمة ، كبرهان على صدق إيمان العبد ، ومبلغ إخلاصه فيه ، وتأثر نفسيته بعوامله .

---

(١) مجلة راية الإسلام – العدد الثاني – ١/١/١٣٨٠هـ .

(٢) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣) .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٨/٣٨ (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥) من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن رجل من خزاعة أو أسلم . وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٣٨٥١) .

الأمر الأول : تقديم محبة اللَّه ورسوله على محبة كل أحد ، بحيث يبدو أثر ذلك واضحًا في سلوك المؤمن واتجاهاته والاندفاعات التي يمليها عليه الحب ، ليدلل بها على تفانيه وصدق إخلاصه وكمال حبه ، وآية ذلك تقديم طاعة اللَّه ورسوله على طاعة أي أحد ؛ كائنًا من كان ، من ولي وصديق ووالد وولد وكل محبوب توثقت به صلة القربى ، أو ائتلفت بحبه المصالح ، ومن مستلزمات تقديم طاعة اللَّه ورسوله على عموم الطاعات إقامة شرع اللَّه ، والتزام أوامره ، واتباع رسوله ، والأخذ بسنته ، والعمل بهديه ، مهما كلف المرء ذلك من جهد ، أو عرضه للبلاء من خصوم الإسلام ودعاة الباطل وحملة معاول الهدم وأنصار التجديد المزيف .

ومن البراهين على صدق حب اللَّه ورسوله، والأخذ في حبهما : حب من أحبه اللَّه ورسوله من أهل طاعته ، وبغض من أبغضه اللَّه ورسوله من أهل معصيته ، وذلك هو الأمر الثاني الذي أشار إليه الرسول الكريم بقوله : « وأن يحب المرء لا يحبه إلا اللَّه » . أي : لا لغرض يزول الحب بزواله ، ولا لمصلحة مرجوة ، أو مطلب مرغوب في تحقيقه ، وذلك هو مدار البحث ، ومحور الموضوع ، فالحب في اللَّه والبغض في اللَّه ، كما جاء في حديث آخر : « أوثق عري الإيمان »[1] . وهو البرهان الساطع على كمال إيمان العبد ومبلغ شعوره بالواجب المفروض عليه من ضرورة التزام ولاء دائم بينه وبين المؤمنين ، يتمثل في التعاطف والتراحم والتكافل ، ويترجم عنه التناصح والتواصي بالخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أوضح ذلك رب العزة في غير ما آية من كتابه ، حيث يقول : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: الآية ٧١] الآية .

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٨٨ (١٨٥٢٤) من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنه . وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٩٨) .

وكما أفصح رسول الهدى عن واقع الولاء بين المسلمين، وأنه شعور متبادل، وعواطف تمتزج في جسد واحد، يتأثر جميع أجزائه بتأثر بعضه، وتلتئم الصدوع[١] فيه بشد رباط الولاء الجامع الشامل: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢]. «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٣].

وهذا الولاء الذي شدده[٤] الإسلام وأقام صرحه الدين، والذي يعبر عنه، كما عبر الحديث الشريف، «بالحب في اللّه»، وجعل الشعور به في نفس المسلم آية وجدان حلاوة الإيمان ـ هذا الولاء وهذا الحب في اللّه- على حد تعبير الحديث- يجب أن يكون مبذولًا بين المسلمين جميعًا؛ سراتهم وسوقتهم، أحمرهم وأبيضهم وأسودهم، شرقيهم وغربيهم، وشماليهم أو جنوبيهم، بعيدهم وقريبهم، أينما حلوا، وحيثما استوطنوا على رقعة الأرض، شريطة التزامهم للدين، وأخذهم بأحكامه جملة وتفصيلًا، فقديمًا ربط هذا الولاء والحب في اللّه في عصور المسلمين الذهبية بين قلوب المؤمنين، على ما كان من اختلاف جنسياتهم، وتباين ألوانهم وحيثياتهم، وقضى على الفوارق بينهم، فتقدم صهيب الرومي يصلي بسادة المهاجرين والأنصار بأمر من الخليفة الراشد عمر، حين طعن، وأصبح سلمان الفارسي بعامل الحب في اللّه والموالاة فيه، من أهل بيت النبوة شرفًا وفضلًا ورفعة، وأضحى بلال الحبشي لبلائه في اللّه وولائه لرسوله، مؤذن رسول اللّه، وبادله الرسول والمسلمون حبًّا في اللّه بحب، وولاء في دين اللّه بولاء.

---

(١) الصدوع: الشقوق. انظر «تاج العروس» مادة: (صدع).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له، من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٣)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه.

(٤) كذا، ولعلها: «شيده».

وهكذا كان المسلمون في أفضل عصورهم يضربون المثل العليا في تفانيهم في الحب في اللّه ، والموالاة فيه ، ورفع شأن أولياء اللّه ، يفادون فيه ، ويقيمون سلبًا دائمًا بينهم وبين أعدائه من سائر أهل الأديان ، وعامة خصوم الإسلام ، كما وصف رب العزة الواقع الصحيح للمؤمنين بقوله : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢] الآية .

وكما قص اللّه على خليله إبراهيم في تبرئة من أبيه ، وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] .

وجعل رب العزة خير الأسوة بخليله في البراءة من أعدائه ، قال تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمتَحنَة: الآية ٤] .

وفي ذلك إيماء إلى استدامة السلب بين المؤمنين وأعدائهم ؛ حتى يدخلوا في الإسلام ، فيكون لهم ما للمسلمين من الموالاة والمحبة في اللّه ، وخفض الجناح ، وكاهل الرعاية التي تجب للمسلم على المسلم ، كأخ في اللّه ، يحب له ما يحب لنفسه ، وذلك هو الحب الذي يبلغ أصحابه درجات المقربين إلى اللّه ، الذين يظلهم اللّه يوم لا ظل إلا ظله ، كما روي في الحديث : « سبعة يظلهم اللّه في ظله- وذكر منهم- رجلين تحابا في اللّه ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه »(١) .

والذي تنال به تولية اللّه لعبده ونصره ومحبته له وتأييده ، كما جاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : « من أحب في اللّه ، وأبغض في اللّه ، ووالى في اللّه ، وعادى في اللّه ، فإنما تنال ولاية اللّه بذمك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣) ، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا ».

الأمر الثالث : مما أشار إليه الحديث ، موضوع البحث ، أن يكره المسلم أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللّٰه منه ؛ ذلك لأن الكفر بعد الإسلام ضلال بعد الهدى ، وعمى بعد البصيرة ، وما أقبح الضلال بعد الهدى ، والعمى بعد البصيرة ، وبكل هذه الأمور الثلاثة مجتمعة ، يجد المرء حلاوة الإيمان ، فهي دعامات للإسلام ، وأصول يجب الأخذ بها بعين الاعتبار ، وإلا كان على المسلم نقص في دينه ، بقدر ما ترك منها ، وبقدر ما فرط ، أو داهن في الأخذ بها ، مهما تأول لذلك أو دلل بنصوص حملها ما لا يحتمله الواقع الصحيح لتفسيرها ، جريًا وراء مجاملات ومصانعات وعواطف لا يقرها الإسلام لأتباعه ، إذ يستوي بها تولي أهل الإيمان وأعداء الإسلام وليس ذلك بالمسلك السديد ، ولا النهج الرشيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النّساء: الآية ١٤٤] .

واللّٰه الموفق والهادي إلى سواء السبيل .



أدب النفس وأدب الدرس(١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

جميل جدًّا أن تعنى « مجلة قريش » الفتية بأدب النفس في طليعة ما تعني به ، فتطلب الإسهام بالكتابة فيه والتوجيه إليه وتصويره لقرائها ، كما تطلب ذلك من أدباء الدرس ، وإنها لخطوة مجيدة موفقة أن تقرن على صفحاتها بين الأدبين وتدعو إلى الاتجاهين ، لتحقق للقارئ متعتين مزدوجتين ، متعة للروح يجدها ماثلة في الخطوط العريضة المرسومة لأدب النفس ، والمستمدة من الوحيين ومتعة للنفس في أدب الدرس تصورها أقلام الأدباء اللامعين ، والكتاب الموهوبين من شباب الجيل وشيوخ الأدب في الوطن العزيز .

ولئن كان لأدب الدرس مقام ملحوظ في تصوير المشاعر والأحاسيس وتكوين الملكات للتعبير عن خلجات الفؤاد والتحدث عن الحب والجمال ، ومواقف الفراق ، ولواعج البعاد ، وبكاء الديار والأطلال ، فإن لأدب النفس أثره البارز في تزكية النفس وتطهيرها والارتفاع بها عن الإسفاف ومزالق الرذيلة ومهاوي الإثم والخطيئة ، وأخذها بالتكمل في كل اتجاه ، وتدريبها على السمو والمثالية في كل مظهر ، فهو بحياة الناس في عموم طبقاتهم ألصق .

وأن مما يطالعنا في هذه الآية الكريمة من أدب النفس– أو بتعبير أخر من أدب الدين– الذي يأخذ بالنفس إلى مدارج الكمال ، النهي عن السخرية في كل ألوانها ، سواء كانت بالقول أو الفعل ، أو بهما معًا ، فهي مظهر من مظاهر الكبر الذميم والتعالي الممقوت والكبر ، كما جاء تفسيره في الحديث : « بطر الحق ،

---

(١) صحيفة قريش– العدد ٤ في ١٣٧٩/٥/٢٢هـ .

وغمط الناس »[١] . غمط الناس حقوقهم المادية والمعنوية استهانة بهم واحتقارًا لنفسياتهم ، وتجاهلًا لشخصياتهم وازدراء لمقامهم ، كازدراء بعض الرؤساء لمرءوسهم والغض من حقهم واحتقار مجهوداتهم وكاحتقار البعض لخدمهم ، وتجبيههم وإسماعهم قارص اللفظ والتأنيب لهوانهم عليهم ، ولمزهم بالقول إمعانًا في السخرية والتجني ، ويشترك في هذه المعصية وركوب هذا الإثم الإناث والذكور من الأناسي ، وكثيرًا ما يلحظ سخرية من المرأة من ضرتها ، والتفكه بالحديث عن معايبها ونقائصها المزعومة ، بل ومن غير ضرتها أيضًا بدافع الجهل والغرور ، والبعد عن أدب النفس ، وعدم الأخذ به كمبدأ .

والسخرية بمعناها ومدلولها ، لا تختلف عن كونها تجنيًا مذمومًا ، ومنقصة محرمة بالنسبة للذكر والأنثى ، على حد سواء ، يجب أن يترفع عنها المسلم ، وأن لا تكون خلقًا له ، وأن لا يقرأها[٢] أو يقبلها من غيره بالنسبة للآخرين ، فهي منكر يجب إنكاره بين المجموع ؛ لأن المجموعة الإسلامية كتلة متحدة ، كما وصفها رسول الهدى ، كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو بأي عامل من العوامل تألم كسائر الجسد لألمه ، واشتكت سائر الأعضاء لشكاته[٣] .

وقد صورت الآية الكريمة قبح ما يرتكبه الساخر من وجهين ، الأول : أنه ارتكب محرمًا وارتكاب المحرم فسوق عن أمر الله ، وتعد لحدود الله .

والثاني : أن المسخور منه والمتجني عليه ، قد يكون خيرًا من الساخر ، وأكرم عند الله ، بل وعند الناس منه ، بما أودع فيه من المواهب والاستعداد للخير ، مما لا يكون شيء منه لدى الساخر ، وذلك مشاهد ملحوظ ، والأمثلة عليه لا تقف عند حصر ، فكم من فقير يجود بقوت يومه ، ويؤثر به الغير على

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : « يقرها » .

(٣) يشير إلى حديث النهاية بن بشير رضي الله عنه ، الذي أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

نفسه ، خير من ألف غني شحيح يتعالى بما له ، ويسخر بالآخرين من أجله ، وكم من عصامي كون نفسه بنفسه وشق الطريق معتمدًا على اللَّه ، ثم على جهوده الخاصة ، فأشرقت جوانبه بالعلم والمعرفة ، وأفاد منه واستفاد ، خير من مثقف يعتز بمؤهله العلمي ، ويشمخ به ويفخر على غيره ، ويسخر من العلماء وأفاضل الرجال ممن لا يحمل مؤهلًا ، كمؤهله ولم يبلغ من المناصب ما بلغه . وأردفت الآية الكريمة بالسخرية خلة أخرى ومذمة كبرى ، هي التنابز بالألقاب ، وهي أن يدعي المرء بغير ما سمي به ، أو بغير ما أصبح عليه علمًا من الألقاب الحسنة ، وذلك كمن يدعو الناس بعاهات ابتلوا بها كقوله : يا أعور- يا أكتع- يا أعرج- يا أبكم . أو يدعوه بمعصية من المعاصي كـ : يا زان- يا فاسق- يا كذا يا كذا . مما تستقبحه النفوس وتستهجنه العقول الراشدة ، ومن ذلك قول البعض : يا فاعل كذا ، ويا صانع كذا ، فذلك عدى أنه تنابز محرم ، فهو قذف يوجب الحد والاقتصاص من قائله .

كل ذلك من أدب النفس ، أو أدب الدين الذي أدب النفوس ، وارتفع بها عن الإسفاف صونًا لكرامتها ، وإجلالًا لآدميتها ، ونشدانًا للفضيلة في أعلا ذارها ﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١] من لم يتب من السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب والتعاير بالذنوب ، فقد ظلم نفسه بتعريضها للإثم والاقتصاص منها ، وظلم غيره بالسخرية والاستهزاء ، وغمط الحقوق ، ورمي الناس بالقبيح ، ونبزهم بسيء الألقاب ، أو همزهم ولمزهم .

وبعد ؛ فهذه كلمة موجزة من واقع أدب النفس ، صورته الآية الكريمة مدار البحث ، ورسمت بعضًا من خطوطه ، وكم لها من نظائر في كتاب اللَّه وسنة رسوله ، مما يرسم للسالكين طريقًا لاحبًا ، هو طريق السعادة ، والكمال النفسي ، والسمو الروحي .

دمعة حزين[١]

الموت وإن كان حقًّا محتومًا لا مفر منه ونزوله بساحتنا أمر لا مندوحة عنه، ولا بد من سلوك سبيلة. طال الأمد أم قصر، إلا أن فقد الأحبة فاجعة لها رنة.. في النفس وحزن عميق، بهما يحدث التصدع، والبلبال وفقد التوازن فتطغى العاطفة على العقل الرصين، ولا يبقى في القوس منزع لصبر أو تجلد، إلا أن يتدارك اللّٰه العبد برحمته، وينزل عليه السكينة، وفي هذا المعنى قول النبي ﷺ عند فقد ابنه إبراهيم: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»[٢].

حمل إلى البرق نعي شخصية كريمة عزيزة عليَّ، بل وعلى سكان بلد اللّٰه وجيران بيته، تلك هي شخصية فضيلة العالم العامل إمام الحرم المكي وخطيبه الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح- يرحمه اللّٰه- ولا أظن أن أحدًا من جيرة البيت وحجاجه، إلا ويشاطرني الأسى والحزن لفقد هذه الشخصية العزيزة على الجميع؛ ذلك لأن الفقيد كان مثالًا يحتذى، ورمزًا تجمعت فيه الفضائل والمزايا الحميدة، وخلال الخير من صلاح وزهد واستقامة وعفة، وما إلى ذلك، مما يستأهل به الإكبار والتجلة، ويجعل له في النفوس الحب والرعاية والتقدير.

عاش الفقيد صدر حياته في أرض الكنانة مسقط رأسه، وكان له ولع بالسنة والاشتغال بها ونشرها والتضحية في سبيلها، ومن ثم اتخذ كنية أبي السمح، علمًا عليه ورمزًا لأهدافه في نشر الشريعة السمحة، مقتبسة من معين الكتاب والسنة، وقد كان له أنصار ومتابعون يقابلهم خصوم مستبسلون ...[٣] عليه

---

(١) صحيفة البلاد السعودية - ١٩/٧/١٣٧٠.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه.

(٣) كلمة غير واضحة.

الغارة، وناصبوه العداء، وأوذي في اللّٰه فصبر، وكانت النتيجة أن أدال اللّٰه له من خصومه، وكتب له الظفر، شأن الحق ..[١] زيف الباطل وبهرجه، وقد سجلت تلك المواقف المنبوذة في ..[١] عامرة بدعوته الإصلاحية ومناظراته، يؤسفني أنها تبعد عليَّ الآن كثيرًا.

وكان للفقيد صلات وثيقة بصاحب المنار وتعاون في مدرسته دار الدعوة والإرشاد، وحجا معًا عام انعقاد المؤتمر الإسلامي بمكة، واشتركا فيه كعضوين من جملة أعضاء الوفود الإسلامية.

وأخيرًا وقع اختيار صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم على الفقيد إمامًا وخطيبًا للحرم المكي الشريف، فملأ المركز، ومثله أحسن تمثيل، حيث كانت تتوافر في الفقيد غزارة العلم، وسعة الاطلاع، وصحة الاجتهاد، مما سهل على وفود بيت اللّٰه أمر الفتيا، إذ كان يبل صداهم، ويرشدهم ويحل ما يعرض لهم من مشاكل في نسكهم ..[١] موجز، عار من التكلف والتعقيد، وبعيد عن التنطع و ..[١]، هذا إلى جانب ما وهبه اللّٰه من صوت رخيم، وحسن أداء في القراءة والترتيل، كان لها أبعد الأثر في الدعاية وجميل الأحدوثة، وطالما تزاحم المصدون بالمكالب على الصفوف الأول، ليتملوا من قراءة الفقيد، ويستمعوا إلى آيات اللّٰه تتلى عليهم بنبرات أخاذة، فيحفزهم ذلك إلى العظة والاعتبار والتدبر والعمل.

ولبث الفقيد في الإمامة والخطابة ربع قرن تقريبًا، إلى أن تقدمت به السن، وغلبته بملل الشيخوخة، فابتلى بمرض السكر، وضعف بصره، ودق جسمه، فكان يتردد على مصر من أجل العلاج، إلى أن وافاه الأجل المحتوم قبل منتصف شهرنا الجاري، وهو نزيل المستشفى بالقاهرة، عن عمر يربوا على الستين عامًا.

أسأل اللّٰه أن ينزل عليه شآبيب الرحمة والرضوان، ويلهم آله ومن رزيء بفقده الصبر والعزاء والسلوان.

(١) كلمة غير واضحة.

تصحيح الخطأ[١]

للذوق دخل كبير في الحكم على صحة الأشياء وإدراكها وتمييز الغث والسمين منها، وقديمًا يقول علماء البلاغة في معرفة التنافر اللفظي على الذوق السليم، مما يدل على ضرورة تحكيمه.

أقول: هذه المقدمة الوجيزة بمناسبة ظهور رواية (الانتقام الطبعي) والنزاع المحتم بيني وبين فريق ممن لهم واسع الاطلاع على اللغة العربية وتصاريفها.

فقد كنت- ولا أزال- أجزم بتصويب من ينسب طبيعي إلى طبيعة بدون حذف الياء، متمشيًا على قاعدة تحكيم الذوق معزفًا عما جاء في الألفية وقواعد اللغة وغيرهما من أن النسبة إلى فعيلة، وفعيلة تكون بحذف الياء، فطبعي، وفرضي.

وكان وفاقي يدلون بحججهم القاطعة ودلائلهم الناصعة الناطقة بتخطئتي ومجانبتي للصواب.

وأخيرًا ضقت ذرعًا بموضوع المناقشة، وعمدت إلى البحث والتنقيب في كتابات أساطين الأدب وحملة الأقلام من أبناء الضاد علّي أجد ما يثلج الصدر، ويبرد الغلة، فهداني البحث إلى مقالة للأستاذ مصطفى جواد منشورة في الجزء الثاني من السنة الثانية من المجلة «المعرفة» الغراء، تحت عنوان: «القواعد الجديدة في العربية». قال فيها ما نصه: لا تحذف ياء فعيلة- بضم الفاء وفعيلة- بفتحها- عند النسبة إليهما، إلا بكونهما علمين نحو جهيني ويجلى نسبته إلى جهينة، وبجيلة، فلا تحذف الياء في يديهي، وسليقي وطبيعي، وغريزي، وأمثالها. وكذلك فعل القدماء؛ أما تطبيق العلماء- شملهم الله بعفوه- القاعدة على (فريضة)، وقولهم: (الفرضي) نسبة إليها، فقد كان من ظنهم أن القاعدة

---

(١) صوت الحجاز- ١٣٥٤/٤/٨هـ.

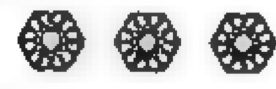
شاملة الإعلام ؛ بالاستقراء في تقريرها ، كان غير مستحكم الجزئيات ، وإنا نرى على ما قدمنا أمير الشعراء شوقي بك مصبًا في قوله برواية كلوبترا .

حياتك يا حابي كنيسية يشاكل أولها المنتهى

يقولون أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات

وهو عند غيرنا من الصرفيين مخطئ ، لماذا لم يقل : كنسية ولا بهيمية ، وخطؤه ضرورة عند جهابذة العربية . اهـ .

فتأكدت حينئذ من وجود فروق بين الأعلام وغيرها ، وإن حذف ياء فعيلة ، وفعيلة غير مطرد ، إلا في الإعلام ، كقريظة ، ومديرة ، وهأنذا اليوم أقرر ما سطره الأستاذ مصطفى جواد ، وأدعو اللّٰه حيث كنت مقتنعًا به ، وأرجو كل من له إلمام بهذه المسألة أن يوافينا بما عنده خدمة للعلم .



حول مقال بين المتناظرين(١)

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

اطلعت على ما كتبه أديبنا الفاضل الرامز لاسمه بـ (أنا) بصدد الرد الذي رددت به على مقاله: (ذكرى عام ١٣٥٠ السيئة) وتلوته ضاربًا صفحًا ما جاء فيه من ألفاظ السخرية والانتقاص والتهكم، والحط من كرامتي لدى قراء هذه الصحيفة.

وقد قابلت ذلك بصدر رحب وقلب ملؤه الإخلاص لأبناء وطننا المقدس، ونفس دأبها المسالمة، ورائدها الإصلاح، موطنة على الصبر، وعدم الانتقام لشخصيتها، يعرف ذلك مني من سبر غور نفسي، ووقف على أمري، بيد أني وددت لو أن حضرة الكاتب نزه قلمه عن أمثال تلك السفاسف، لأنه كما قيل: (النقد شيء، والشخصيات شيء آخر) أليس كذلك؟

ولقد يشم من مقاله رائحة تحامل شديد، لا أعلم الباعث عليه، وكأنه -وفقه الله للصواب- أخذ يستجمع قواه في كل هذه المدة الطويلة، وما أن سمع ابن جلا يطري الدهر ويحادثه بكلام لا جشبه كلامه، حتى رأيته تحفز وتجلد، ورمى بآخر سهم في كنانته، وفجر فنبلته، وشفى غلته.

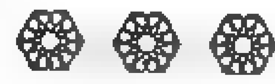
مهلًا أيها الكاتب، وعلى رسلك، وخفف من وطأة غضبك، فما هكذا تكون المناظرة، ولا يمثل ذلك بحسم الخلاف. وتعال معي أناقشك في فهمك الذي فهمته من مقالي، في جو هاديء، لا صخب فيه ولا جدال، تعال معي، وأرعني سمعك، دع التجادل جانبًا، إن كنت تبحث عن الحقيقة وتطلب النصفة، احسب أيها الأديب أن قد دار بخلدك أني قد أخرجتك من الملة، وجعلتك عاريًا عن الإسلام، وأنك لم تقصد بشتائمك ولعائنك غير الباري جل

(١) صحيفة صوت الحجاز (٣١) في ١٣٥١/٧/٨.

وعلا ، كلا ومعاذ اللَّه أن أقول ذلك ، وحاشا أن أرمي مسلمًا يؤمن باللَّه واليوم والآخر ، بمثل ما توهمت . غاية ما في الأمر : أنك قلت شيئًا أوغر الصدور ، كثير ممن لا يفهم قصدك ولا يعرف الخيال ولا التصور ما هو ..(١) فرموك بكل عظيمة ..(١) رموك بالزندقة واللادينية والإلحاد وو .. إلى آخر ما هنالك .

فعلى ذلك كثيرًا ، وأتمنى بصفة كوني ..(١) والمسلم يغار على أخيه أن يرمى بما ..(١) بريء ، وحجازيًا ، والحجازي يسوءه ..(١) ما من شأنه الغض من شرف قومه .

فقمت بكتابة ذلك الرد الذي أمس كرامتك فيه بشيء ، لتتولى الدفاع عن نفسك ، وتقوم بما قمت به اليوم ، فتظهر للملأ الحقيقة ناصعة ، هذا كل ما في المسألة . ولو أن حضرتك لم يحتجب عنا باسمه وراء رموزه ، لتفاهمنا معك بصورة غير تلك ، وسلكنا معك طريقًا آخر . بيد أنك احتجبت ، فكان ما كان ، وفي النهاية لا أخالك إلا مقتنعًا بما ذكرت ، فلا أطيل معك ، وأسئم القراء في معالجة موضوع طويت عليه الأيام كشحًا وقراءة دون مقالات ، كما تذكر دفنها يد النسيان ، وأسأل اللَّه تعالى أن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .



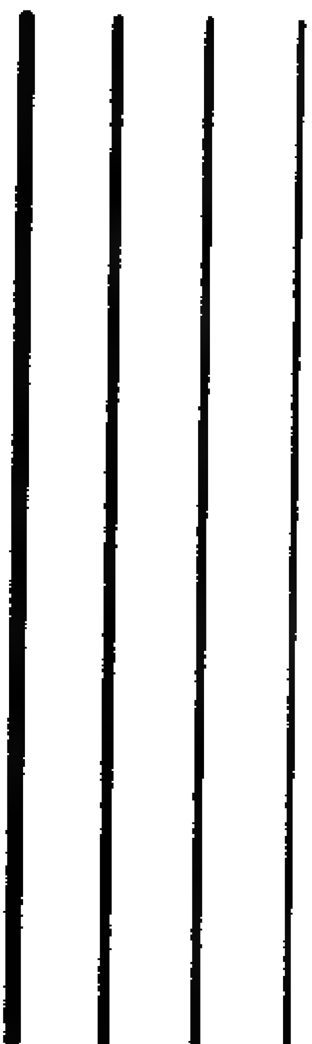
(١) كلمة غير واضحة .

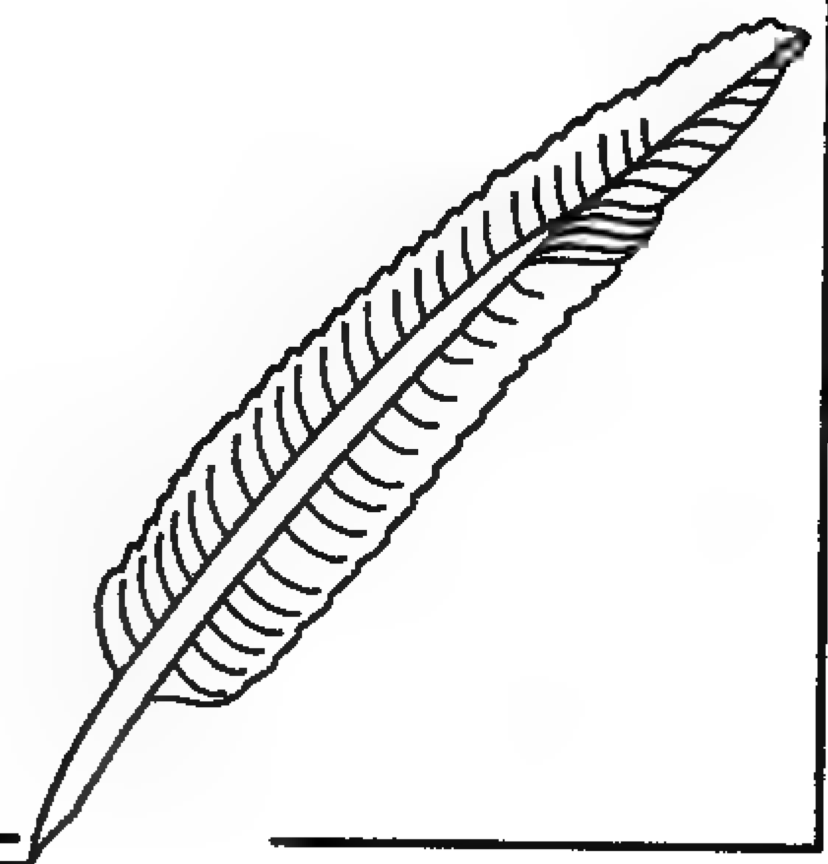


مقالات الشيخ

زيد بن عبد العزيز بن فياض رحمه الله

١٣٥٠هـ - ١٤١٦هـ





مقالات الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض(١)

(١) هو شيخنا العلامة الشّيخ زيد بن عبد العزيز بن زيد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن محمد بن ناصر بن فيَّاض، وهو تميميّ وهيبيّ، من المعاضيد من المشارفة.
وُلِد في روضة سدير عام ١٣٥٠هـ، وفي عام (١٣٦٢هـ) قرأ القرآن في سنٍّ مبكِّرة عند خاله عبد الله بن فوزان القديري، حتى حَفِظ القرآن وهو ابنُ عشر سنين، ثم أرسله والدُه إلى الرِّياض لطلب العلم، فالتحق بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم لدى عليّ بن عبد الله بن شاكر، ومحمد بن أحمد بن سنان، فقرأ القرآن بطريقة مُجوَّدة.
ودَرَس على عددٍ من العلماء والمشايخ، منهم: سماحةُ الشّيخ محمد بن إبراهيم آل الشّيخ، وأخوه الشّيخ عبد اللطيف آل الشّيخ، والشّيخ سعود بن رشود، والشّيخ إبراهيم بن سليمان، والشّيخ عبد الرحمن بن قاسم.
التحق بالمعهد العلمي الذي افتُتح عام (١٣٧١هـ) فتفوَّق فيه وتخرَّج من القسم الثانوي بالمعهد. وفي عام ١٣٧٦هـ تخرَّج من كلية العلوم الشرعيَّة.
وفي المعهد والكلّية درَس على عدد من العلماء، منهم: الشّيخ محمد الأمين الشنقيطي، وسماحة الشّيخ عبد العزيز بن باز، والشّيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد.
كان- رحمه الله- يحفظ القرآنَ الكريم عن ظَهْر قلْب، كما يحفظُ عددًا من الكُتب والرسائل والمنظُومات، منها: ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة، وكتابُ التوحيد، والعقيدة الواسطيّة، وزاد المستقنع، وألفية ابن مالك، وقطر الندى، والرحبية، والآجرومية، وأصول الأحكام، ونواقض الإسلام، والورقات، عدَا المحفوظات من الشِّعر لشعراء جاهليِّين وإسلاميِّين.
تولّى رئاسةَ تحرير صحيفة اليمامة، وقد تولّى من الأعمال أن عمل عضوًا بدار الإفتاء، بترشيح من سماحة الشّيخ محمد بن إبراهيم ، ثم رَغِب في التدريس، حيث انتقل إلى التدريس بالمعهد العلمي، ثم التدريس بكلية العلوم الشرعيَّة بالرياض. وفي١٣٨١هـ صدر قرارُ مجلس الوزراء بتعيينه عضوًا في رئاسة القضاة،، ثم عمل مديرًا عامًّا للمكتبات. ثم انتقل من وزارة المعارِف إلى جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، فكان يُدرِّس في كلية أصول الدِّين والشريعة، إضافةً إلى الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، ومناقشة رسائل الدِّراسات العُليا.
له تلاميذُ كثيرون، وخاصة حين درَّس في الجامعة، ومِن أبرز تلاميذه: الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشّيخ، والشيخ عبد الله التركي، والشيخ محمد العجلان، والشّيخ عمر بن سليمان الأشقر. والشيخ صالح السدلان، والشّيخ فالح بن مهدي. =

أشكال وألوان

أحاديث لا أصل لها[١]

أحببت أن أورد تحت هذا العنوان بعض الأحاديث المتداولة بين الناس، والجارية على ألسنة الكُتَّاب بكثرة، مع أنها لم تصح عن النبي ﷺ، وفي الأحاديث الصحيحة غنية عنها.

١- «اطلبوا العلم ولو في الصين» ما أكثر أن يتكرر هذا الأثر بين الكتاب والأدباء وفي الصحف، وهو لم يصح عن النبي. قال في «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب»: قال ابن حبان: لا أصل له. وحكم ابن الجوزي بوضعه، قال فيه إسناد[٢].

وقال في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»[٣]: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم». رواه البيهقي والخطيب وغيرهم عن أنس، وهو ضعيف، بل قال ابن حبان: باطل. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات». ورواه أبو يعلى عن أنس، بلفظ: «اطلبوا العلم ولو بالصين فقط». رواه ابن عبد البر أيضًا عن أنس، بسند فيه كذاب، بلفظ: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل

= مِن مُؤَلَّفَاتِه: «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية»، «نظرات في الشريعة»،«واجب المسلمين في نشر الإسلام»، «من كلِّ صَوْب»، «الوحدة الإسلامية».

تُوفي- رحمه اللَّه- ليلةَ الثلاثاء ١٤١٦/١١/٢١هـ، نسأل اللَّه أن يتغمدَه برحمته، وأن يغفرَ له ويرحمه. انظر ترجمته في «علماء نجد» (٢٠٣/٢)، وصفحة الشيخ على موقع الألوكة على الشبكة.

(١) صحيفة القصيم - العدد (١٦) في ١٨/٩/ ١٣٧٩.

(٢) كذا في الأصل: وفي مصدر التخريج «أسنى المطالب» ص ٥٨: «قال النيسابوري والذهبي: لم يصح فيه إسناد».

(٣) «كشف الخفاء» ١/ ١٣٨، ٢/ ٤٤.

مسلم ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب » . رواه ابن ماجه بزيادة : « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » قال في « المقاصد »[١] : ضعيف جدًّا ، بل اتهمه بعضهم بالوضع والكذب . قال ابن عبد البر : إنه يروى عن أنس من وجوه كثيرة معلولة ، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد . وقال البزار : إنه روي عن أنس بأسانيد واهية . وقال البيهقي : متنه مشهور ، وإسناده ضعيف ، وروي من جوه كلها ضعيفة . وسبقه إلى ذلك الإمام أحمد ، على ما نقله عنه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » إذ قال : لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء ، وكذا قال إسحاق بن راهويه ، وأبو علي النيسابوري ، ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح ، وتبع في ذلك الحاكم . ا هـ .

٢- « من تزوج فقد أحرز نصف دينه ، فليتق اللَّه في النصف الباقي » .

قال في « أسنى المطالب »[٢] : رواه ابن الجوزي في « العلل »[٣] وقال : إنه لا يصح .

وروى الحاكم وصححه : « من رزقه اللَّه امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق اللَّه في الشطر الثاني » . وتعقبه الذهبي بأن زهيرًا وثق ، لكن له مناكير . وعن ابن حجر : أنه ضعيف . اهـ . وهذا غير مستقيم سندًا ، ولا معنى ، فإنه ليس صحيحًا أن من تزوج فقد استكمل شطر دينه ؛ فإن الزواج يكون واجبًا ومستحبًا ومباحًا ، بحسب حالة الشخص ، كما فصل في كتب الفقه ، وفي الأحاديث الصحيحة ما يكفي ويفي عن هذا الحديث الموضوع .

٣- « من تعلم لغة قوم ، أمن مكرهم » . ليس له أصل .

---

(١) المقاصد الحسنة ص ١٢١، ٤٤١. وانظر السلسلة الضعيفة (٤١٦) .

(٢) « أسنى المطالب » ص ٢٦٦.

(٣) « العلل المتناهية » ٢/ ٦١٢.

٤- « ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال » . لا يصح عن النبي ، وإنما هو من كلام الحسن البصري رحمه الله[١] .

٥- « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد »[٢] . لا يصح عن النبي .

قال في « كشف الخفا ومزيل الإلباس » : ذكره في « الإحياء » قال العراقي : أخرجه ابن حبان في « الضعفاء » ، ولا يصح ، وذكره ابن الأثير في « النهاية » بهذا اللفظ ، ورفعه الأزهري ، وأخرجه غيره عن عمر موقوفًا .



(١) قال الألباني في الضعيفة (١٠٩٨) : موضوع . ثم قال : وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن موقوفًا عليه .

(٢) انظر كشف الخفاء ١/٤٥٧، والضعيفة (٣٢٦٧) .

السيرة العطرة[1]

في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول قبل ١٣٨٢ سنة هاجر المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة. وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول كان مولده ﷺ أيضًا، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء، وأفضل الرسل، وشريعته أكمل الشرائع، بعثه اللَّه إلى الناس كافة؛ لينقذ الناس من ضلال الشرك وظلمات الكفر ودياجير البدع إلى عالم النور والهدى، وإلى توحيد اللَّه وعبادته، وإلى وحدة إسلامية شاملة فيها التعاون على الخير والتناهي عن الشر.

دعا محمد ﷺ بالتي هي أحسن في تبليغ رسالة ربه، فلقى الصد والأذى، واستهزأ به المشركون، ورماه السفهاء بالحجارة حتى أدموا قدميه، وكان ذلك بإيعاز من قادتهم وتعنت المشركون في طلباتهم منه، حتى يصدقوه- فيما زعموا- فطلبوا منه أن يأتي باللَّه والملائكة عيانًا، وأن يكون له بيت من ذهب، وأن يرقى في السماء، ولن يؤمنوا لرقيه لو شاهدوه حتى ينزل عليهم كتابًا يقرؤه، وأن يفجر لهم ينابيع من الأرض، وأن يكون له جنة من نخيل وعنب فيفجر الأنهار خلالها تفجيرًا، وهو يتحمل منهم كل ذلك بصبر رائع وأناة عظيمة.

ويتلو عليهم القرآن، فيقولون: ساحر، ومجنون، وكاهن، وأنه تلقى هذا القرآن من البشر وليس من عند اللَّه، ويجمع قريشًا ويقول لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وإني لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا».

وذلك استجابة لأمر اللَّه في قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤] فيصيح عمه أبو لهب قائلًا: تبًا لك، أدعوتنا لهذا؟! ويذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى توحيد اللَّه ونبذ الشرك، فيغرون به سفهائهم يرمونه بالحجارة ويسخرون منه. فيقابل كل ذلك بحلم منقطع النظير، ويقول: «اللهم

(١) صحيفة اليمامة في ١١/٣/١٣٨٣هـ.

اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

ولا يريد إهلاكهم بل يقول : « لعل اللّٰه يخرج من أصلابهم من يعبد اللّٰه لا يشرك به شيئًا » .

وفي طريق عودته من الطائف يردد هذا الدعاء : "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، ورب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك" .

لقد دعا محمد ﷺ إلى الخير ، فقوبل من المشركين بالشر ؛ وقاطعوه ومن آزره ، وناصبوهم العداء ، وائتمروا في شأنه بدار الندوة ، فمن قائل بقتله ، ومن قائل بنفيه ، ومن قائل بسجنه . وأخيرًا اتفقوا على أن تشترك قبائل قريش كلها في قتله ، وأن يختاروا من كل قبيلة شابًا ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فلا تقدر بنو هاشم على الأخذ بثأره .

وليس هذا فحسب ، بل لقد عرض عليه كل المغريات ؛ المال حتى يكون أغنى رجل فيهم ، والسلطان بأن يملكونه عليهم ، وأن يزوجوه أجمل فتاة يختارها .

فرفض هذا الإغراء بإيمان لا يتزعزع ، وثقة في اللّٰه لا حد لها ، وتصميم على تبليغ الرسالة مهما كلفه ذلك من ثمن ، وصدع بأمر اللّٰه ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: الآية ٩٤] ، ولقد هاجر ﷺ فرارًا بدين اللّٰه ، وكان مثالًا في الأمانة والصدق والشجاعة والعفو .

فقد كان يلقب بالأمين حتى قبل أن يوحى إليه . وفي يوم حنين انهزم أصحابه ، فوقف ثابتًا في ساحة الحرب يردد : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد

المطلب » . وكانت مكة أحب البلاد إليه ، ومع ذلك ظل في المدينة وفاءً للأنصار ، وضرب أروع الأمثلة في العفو ، فحينما فتح مكة وقدر على من أذوه ومن دبروا قتله ، عفا عنهم وقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولم ينس لأصحابه سابقتهم ، فكان أبو بكر الصديق أحب الناس إليه . وقال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . وكان أحسن الناس خلقًا ، وخيارهم لأهله ، وكان يشق عليه ما يتعب المؤمنين ، وهو بهم رءوف رحيم . وكانت صفاته ﷺ كلها مثلًا رائعًا ، وخلالًا حميدة ، وقدوة عظيمة ، وكانت سيرته عطرة يفوح أريجها ، ونبراسًا يضيء للسالكين ولقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في اللَّه حق جهاده ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣] .



ذكرى الأمجاد[١]

وبدخول العام الهجري الجديد- تعود الذاكرة- لأيام مجيدة حافلة بالجهاد والصبر وحب الخير للبشرية جمعاء.

وهجرة المصطفى ﷺ رسول الله إلى الناس كافة وخاتم النبيين تبرز بأجلى معانيها وأظهر صورها مدى الثبات والتحمل، لقد دعا رسول الله ﷺ أهل مكة وأهل الطائف إلى دين الله ونبذ الشرك والخرفات والطغيان، وكان يعرض نفسه على القبائل يدعوهم للتوحيد وعبادة الله وترك العادات الجاهلية الحمقاء.

فلقي الكثير من الصد، والقليل من الاستجابة، وقذف بالحجارة حتى أدميت قدماه وألقى الأذى عليه وهو يصلي، ورمي بالإفك، وقيل عنه: ساحر، ومجنون، وكذاب، وغير ذلك من الاتهامات الباطلة.

وهو نذير لهم بين يدي عذاب شديد؛ يريد إنقاذهم من الشر إلى الخير، ومن الجود إلى العدل، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن عبادة اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى إلى عبادة الله وحده.

ولم يكتفوا بذلك، بل ائتمروا في دار الندوة في شأنه، وتداولوا الرأي في الخلاص منه؛ إما بقتله، أو نفيه من بلده، أو سجنه.

إن هجرة المصطفى ﷺ تمثل بروع معانيها: الثبات على العقيدة، وتحمل الأذى في سبيل تبليغ رسالة الله، وهداية البشر.

لو كان محمد ﷺ يريد جاهًا أو سلطانًا وثراء، لكان له ذلك دون أن يعرض نفسه لتلك المتاعب ويثير عليه سخط الكثيرين وإيذائهم.

لقد رفض المساومات وقال قولته الصريحة الجريئة: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، لم أدع هذا الأمر حتى ينتصر، أو أهلك دونه».

---

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/١/٧هـ.

وحين هاجر النبي ﷺ بعد أن أذن اللَّه له بالهجرة ، إنما كان هدفه انتصار الحق وإعلاء شأنه في موطن يجد فيه المجال الفسيح والترحيب بدعوته .

لقد انتصر الحق على قلة أهله على الباطل على كثرة أهله وشوكتهم وسلطانهم وثرائهم ، وكان العاقبة للمتقين وفي مدة ليست كثيرة ، كان الإسلام قد جاب آفاقًا بعيدة وأماكن قاصية ، وكلمة التوحيد تهيمن على قارات عديدة بينها آلاف الأميال ، والقرآن يدوي في مساجدها ومدارسها ، والإيمان يملأ قلوبًا كانت خرابًا يبابًا ، والشهادة في سبيل اللَّه أمنية تتوق إليها أفئدة طالما ران عليها الخمول والوثنية والخرافات والركون إلى ملاهي الحياة وملذاتها المبتذلة .

إن محمدًا ﷺ ومن آمن معه في مكة ، وقد لقوا الاضطهاد والتعنت ، كان لابد لهم من مأوى يجدون فيه ، متسعًا لنشر الإسلام ودخول الناس فيه ، وقد استعمل الرسول ﷺ الرفق في دعوته والإقناع بالحجة والبرهان ، وعندما قويت شوكة الإسلام وكثر أنصاره وحزبه خيره اللَّه في الجهاد ، فقال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٣٩] ، وبعد أن ازداد قوة وعرف الناس عنه ما كانوا يجهلونه وظل المعاندون والجاحدون في غيهم وعنادهم ، أمره اللَّه بالجهاد في سبيل اللَّه وحمل السلاح ، فكانت غزاته وحروبه ، وكان الجهاد في سبيل اللَّه ذروة الإسلام ، وفضله من الإسلام ومكانته السامية منه لا تخفى .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ١١١] الآية .

وفي الحديث : « من لم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » .

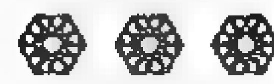
لقد جاهد الرسول ﷺ وصحابته والخلفاء الراشدون لنصرة الحق وإعلاء كلمة اللَّه ، فكان أن انتشر الإسلام انتشارًا لا مثيل له وأتوا بالعجب العجاب الذي

بهر العالم، واندهشوا أمام تعليله، لكنه سلطان الحق والإيمان، والدين الذي اختاره اللّٰه للبشرية جمعاء والشريعة التي جاءت لجميع الخلق شاملة كاملة.

وحينما جهل المسلمون تعاليم دينهم وتفرقوا شيعًا وتشتتوا وفقدت العزة والإباء من نفوس الكثيرين منهم، صاروا أذلة، تتكالب عليهم الدول، وتتداعى عليهم الأمم، كما تداعى الأكلة على قصعتها؛ وقودًا للحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ومصدر لثراء الدول المعادية وقوتها، بينما هم يرسفون في قيود المهانة واحتقار الأمم، وقد تبدد شملهم وتفرق جمعهم، يقتسم بلادهم الأعداء، وينهب ثروتهم المعتدون، ولا يحسب لرأيهم حساب، ومع ذلك يتشدقون بالسلام، ولكنه من نوع تلك القبيلة التي عناها الشاعر:

قُبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فهل يتعظ المسلمون ويفهمون الإسلام ومقاصده ويتخذون من هجرة سيد الخلق محمد ﷺ عبرة ودرسًا، ومن سيرته منهجًا وطريقًا؛ ليعود إلى الإسلام مجده، وإلى المسلمين عزتهم ومهابتهم، وللحق قوته ومضاؤه. ذلك ما يتمناه كل مسلم غيور.



فضْل الصحابَة[1]

لصحابة رسول اللَّه ﷺ فضائل مشتهرة، ومناقب مأثورة، وميزان معلومة، علم ذلك مما شاع وذاع، وعرفه الخاص والعام، ولا ينكره إلا جاحد معاند، قد أضله الهوى، واتبع طريق الغواية، وتنكب سبل الهداية، وغرق في الأحقاد والضغائن، وأعماه التعصب الذميم والتقليد الشنيع، وما ذلك الحاقد الجاهل إلا متعنت لا يبغي الحق ولا يهدف للإنصاف، وإنما يريد نصر مذهبه الجائر بالطعن في خيار الأمة وصفوة قرونها. وماذا يضير الشمس من جاحدها:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرًّا به الماء الزلالا

لقد كان صحابة رسول اللَّه ﷺ مثالًا رائعًا للإنسانية في أعز أمجادها، وكانوا بعد الأنبياء- عليهم السلام- خير البشرية.

وحسبهم فضلًا، نيلهم صحبة أفضل الرسل، وسيد ولد آدم. وكفاهم أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل اللَّه والدفاع عن دينه ورسوله، وأنهم نقلوا هذا الدين إلى من بعدهم نقيًّا خالصًا من الشوائب؛ ولذا استحقوا الإشادة بفضلهم، والتنويه بشأنهم في الأمة إلى يوم القيامة، إلا من فئة ضعيفة تظهر التشيع لأهل البيت، وهي العدوة اللدودة لأهل البيت، وغالبهم لبس ثوب التشيع؛ ليخفي غايته، ولذا كانت التقية قطب عقيدتها، والنفاق من عاداتها، كما أبان حقيقتهم علماء الإسلام والذابون عنه من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء اللَّه، ما فتئت طائفة من أمة الإسلام على الحق ظاهرين. وفي كلام المفسرين والمحدثين والمؤرخين والفقهاء الشيء الكثير عن بيان مذهبهم وكشف حقيقتهم.

هذا، وإن فضائل الصحابة لوضوحها مما لا يمتري فيها إلا باغٍ مكابر، وفي

(١) مجلة راية الإسلام- الأعداد (٦، ٧، ٨) السنة الثانية.

القرآن من فضائلهم، وفي السنة الصحيحة ما يشيد بأعمالهم وأمجادهم، ما هو من الوضوح بمكان جلي.

وذلك أمر معقول، فإن اللَّه لم يكن ليختار لرسوله أصحابًا أشرارًا ظَلَمة طغاة، بل هم في رأي بعض هذه الطائفة شر الأمة في جميع أدوارها- ومن يقول هذا الرأي- الكاسد- فهو يريد أن يقول في الرسول ﷺ: إنه شر الناس. ولذلك كان أصحابه أشرارًا. وقديمًا قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولذا كان بغض الصحابة بدعة أثيمة، ولكنها تسترت في ثوب آخر، ولكنها لم تخف على علماء الإسلام الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمَّد: الآية ٣٠]، فكان في فلتات ألسنتهم ما أبان نواياهم، وكلما ضعف أمر الإسلام انكشف من غاياتهم وآرائهم شيء كثير.

وسابُّ الصحابة مكذب للَّه ولرسوله والمسلمين، بل ومنكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وإذا كان داعية للرفض ناشرًا له، فإن جرمه أفظع، ويجب أن يعاقب العقوبة البليغة.

ونحن نورد بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في فضائل الصحابة عليهم رضوان اللَّه.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١١٧]. وقال: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ

اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية ١٨].

وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. وقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عِمران: الآية ١٥٩].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: الآية ١٠].

وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠] الآية .. وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].

ففي هاتين الآيتين بيان فضل الأمة الإسلامية، والصحابة رضي الله عنهم أولى الأمة بالدخول في ذلك.

كما أن النهي عن أذية المؤمنين وسبهم واغتيابهم يشمل من آذى الصحابة بطريق الأولى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]. وقال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: الآية ١٢].

وفي السنة ما جاء في «الصحيحين» عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق

مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[(١)] .

وعن عبد اللَّه بن مغفل[(٢)] رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « اللَّه اللَّه في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضًا من بعدي ، من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللَّه ، ومن آذى اللَّه فيوشك أن يأخذه » .

وفي « الصحيحين » عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق . من أحبهم أحبه اللَّه ، ومن أبغضهم أبغضه اللَّه »[(٣)] . ولمسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لا يبغض الأنصار رجل آمن باللَّه واليوم الآخر »[(٤)] .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « آية الإيمان : حُب الأنصار ، وآية النفاق : بغض الأنصار »[(٥)] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَد . وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون »[(٦)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤١) .

(٢) في الأصل : « معقل » . وهو خطأ ، والمثبت هو الصواب . وينظر تحفة الأشراف (٩٦٦٢) ، وأطراف المسند ٤/٢٤٦. والحديث أخرجه أحمد ١٦٩/٣٤ (٢٠٥٤٩) ، والترمذي (٣٨٦٢) من حديث عبد اللَّه بن مغفل رضي اللَّه عنه . وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٠١) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ، ومسلم (٧٥) .

(٤) أخرجه مسلم (٧٦) .

(٥) أخرجه البخاري (١٧، ٣٧٨٤) ، ومسلم (٧٤) .

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٣١) .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟ قال : « القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث »[(١)] .

وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من رأى مَن صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم »[(٢)] .

وفي « الصحيح » عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم »[(٣)] .

وفي الحديث الآخر ، عن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »[(٤)] .

وأما الكلام عن السلف في ذلك ، فهو من الكثرة ، بحيث لا يكاد يحصى .

قال ابن عباس : لا تسبوا أصحاب محمد ، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم ، وقد علم أنهم سيقتتلون .. رواه أحمد[(٥)] .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : الناس على ثلاث منازل ، فمضت منزلتان ، وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم كائنون عليه ، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٧، ٣٦٤٩) ، ومسلم (٢٥٣٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) .

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٣، ٦٥١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٧١٤) – ومن طريقه الآجري في « الشريعة » (١٩٧٩) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٢٣٣٩، ٢٣٥٣) ، وإسناده ضعيف ، فيه رجل لم يسم .

قال: ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: الآية ٨] فهؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩] قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَحِيمٌ﴾ [الحشر: الآية ١٠] . مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت يقول: أن تستغفروا لهم(١) .

وقال ابن عمر: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله. رواه اللالكائي(٢) . وقال عروة: قالت عائشة: يابن أختي، أمروا بالاستغفار لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم(٣) .

وقال ابن عباس لرجل سمعه يقول كلامًا يثلب به الصحابة فقال: أمن المهاجرين الأولين أنت؟ قال: لا. قال: فمن الأنصار أنت؟ قال: لا. قال: فأنا أشهد بأنك لست من التابعين.

وعن سلمة(٤) بن كهيل، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قال: قلت لأبي: يا أبت، لو كنت سمعت رجلًا يسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكفر أكنت تضرب عنقه؟ قال: نعم. رواه أحمد(٥) .

وروى الحكم بن جحل(٦) قال: سمعت عليًا يقول: لا يفضّلني أحد على

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٤، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢٣٥٤).
(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٥٠). وإسناده ضعيف، ففي سنده الحسن بن قتيبة الخزاعي المدائني.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٢١٨، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٣)، والحاكم ٢/ ٤٦٢، وإسناده صحيح.
(٤) في الأصل: «مسلمة». والمثبت هو الصواب. وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٣١٣.
(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه (١٣٣٤)، والآجري في الشريعة (٢٠٧١).
(٦) في الأصل: «حجل». والمثبت من مصادر التخريج، وتهذيب الكمال ٧/ ٩١، والأثر أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٩، ٣٨٧)، والآجري في الشريعة (١٨١٣).

أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، إلا جلدته حد المفتري.

قال عبد اللَّه بن إدريس الأودي الإمام: ما آمن أن يكونوا قد ضارعوا الكفار- يعني الرافضة- لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

وقال أحمد- في رواية أبي طالب- في الرجل يشتم عثمان: هذا زندقة.

وقال في رواية المروذي: مَن شتم أبا بكر وعمر وعائشة: ما أراه على الإِسلام.

وقال الإمام مالك بن أنس رضي اللَّه عنه: إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين. وروى ابن بطة عن مالك أنه قال: من سب الصحابة فليس له في الفيء نصيب؛ لأن اللَّه يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: الآية ١٠] الآية.

وصرح جماعات من الحنابلة وغيرهم بكفر المعتقدين بسب جميع الصحابة والذين كفّروا الصحابة، وفسّقوهم وسبّوهم.

وقال أبو بكر عبد العزيز: فأما الرافضي فإن كان يسب فقد كفر فلا يزوج.

وحكى القاضي أبو يعلى: أن من استحل سبهم فقد كفر بلا خلاف.

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه- في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ص٥٨٦- ٥٨٧. فقال:

«أما من اقترن بسبه دعوى أن عليًا إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك. وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سبهم سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق

التأديب والتعزيز، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك. وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقًا، فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أ ن زعم أنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم. فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة هي شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما[1] يعلم بالاضطرار من دين الإِسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق. وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت للَّه فيهم مثلات. وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك، وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في «النهي عن سب الأصحاب، وما جاء فيه من الإِثم والعقاب»[2].

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك ...».

وبذا يتضح ما في الطعن في الصحابة من المنكر، وما يجب أن يعامل به من

(١) في الأصل: «ما». والمثبت من مصدر التخريج.
(٢) «النهي عن سب الأصحاب» ص٢٢ وما بعدها.

استطال عليهم وتجرأ على ثلبهم، والتعدي على مقامهم الرفيع ومنزلتهم المكينة .. وفق اللّٰه حكام المسلمين وعلماءهم وعامتهم إلى نصرة الإِسلام والدفاع عن حملته ودعاته.



هذا العصر القلق(١)

يتميز العصر الحديث بالنهضة الصناعية الجبارة ، والاختراعات المدهشة ، ولكنه إلى جانب ذلك يتميز بالقلق النفسي ؛ نتيجة لكثرة متطلبات الحياة وتنوعها ، والتعقيد الذي يمر بالإنسان في كثير من الأحيان ، وقد أدرك ذلك علماء التربية والنفس ورواد الإصلاح وحاولوا علاج هذه الظاهرة الخطيرة التي قد تنقلب إلى فوضى وتخريب ، إن لم تنظم ويوفق صاحبها إلى توجيهها للأعمال النافعة ويكرس طاقته للإنتاج المثمر .

ومما لا شك فيه ، أن الشك والإلحاد وضعف العقيدة ، لها أثر في بلبلة الخواطر ، وإثارة القلق ، وليس كالإيمان والدين علاج للنفس وهدوء البال وصفاء الروح .

والإيمان بأن كل شيء بقدر من اللَّه ، وأنه كتب على المرء قبل خلقه ، مما يبعث الطمأنينة وانشراح النفس وراحة الضمير ، وفي حديث ابن عباس قال النبي ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

إنه الإيمان باللَّه وبقدره ، وعند وقوع المصائب يرشد إلى الصبر والتجلد .

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦] ، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٩] ، ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٠] الآية .

وإذا أبصر المرء من هو أعلى منه رتبة أو أكثر مالًا أو جاهًا ، فلا يحقد عليه ولا يحسده ، ولكن يقارن بين حاله هو ، وحال من هم دونه رتبة ومالًا وجاهًا : «لينظر

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/٤/٢٤هـ.

أحدكم إلى من هو أسفل منه ، ولا ينظر إلى من هو فوقه» . وليس معنى ذلك أن يخلد للكسل والخمول ؛ فقد ورد في الحديث عندما قال أناس : ذهب أهل الدثور بالأجور ؛ يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . فعلمهم الرسول ﷺ أدعية يقولونها . فعلم ذلك الأغنياء ، فدعوا بتلك الأدعية فقال الرسول ﷺ : « ذلك فضل اللّٰه يؤتيه من يشاء » . ولما قال بعض الصحابة : ألا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : « لا ، اعملوا فكل مُيسر لما خُلق له » .

وقد قرأت في كتاب يبحث في علم النفس عنوانه : «حقيقة النفس وأمراضها» هذه الجملة ورأيت أن أنقلها للقراء ؛ لفائدتها واتفاقها مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

يقول مؤلف الكتاب في صدد علاج مرض الحرمان :

"وبالنسبة للبالغين يكون علاج المرض بعقيدة يؤمن بها الشخص ، وهي أن الناس مهما بلغوا من ثراء أو جاه ، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون . وما كتب للإنسان من رزق فلابد أن يوفى عدد أيامه ، ولينظر الإنسان إلى من هو دونه ، عندما تخيب له ثورة شهوة ، ويضع نصب عينيه مستقبلًا سعيدًا ينتظره ، ويحاول جاهدًا أن يكون من أهل الطموح ، فالشخص الذي لا يعبأ بك في فترة من الفترات ، تستطيع أن تجعله يصفق لك إعجابًا وتقديرًا في وقت لاحق . فالأيام تمر ، وحاول أن تتقدم في كل يوم ، إن كنت طالبًا ، فضع نصب عينيك أن تكون من الأوائل ، وإن كنت موظفًا فبجانب عملك الذي تؤديه بإخلاص ، اجتهد أن تخترع أو تكتب أو تصنع شيئًا يرفع من قدرك ، ولو في محيط مجتمعك الصغير (الحي) الذي تعيش في وسطه».

فما أحوج أهل هذا العصر القلق المضطر إلى التداوي بأمثال هذه الأدوية الناجحة . فهل يوفقون لها ؟! ليستريحوا من عناء القلق وتشتت الخواطر وتراكم الهموم !!

علة تحريم لحم الخنزير(١)

قرأتُ ما كتبه الأخُ الأستاذ عطية محمَّد سالم في صحيفةِ «القصيم» العدد (٨) بعنوانِ (الإسلام والطِّب الحديث)، وهو بحثٌ قيم وفكرةٌ جميلة.

وقد أحببتُ المشاركةَ في البحث ؛ وذلك أنَّ العبارةَ التالية التي كتبها الأستاذُ تحتاجُ إلى إيضاحٍ وإتمام، وإليك العبارةُ المشار إليها :

يقول الأستاذ : « وقد حُرِّمَ لحمُ الخنزير لعللٍ أخرى قد شاهدنا آثارَ بعضِها في كلِّ من استحلَّه وتعاطاه أكلًا ؛ أمَّا العللُ الأخرى فمنها : أنَّه قد وقعَ العقابُ على قومٍ فمُسِخوا قردةً وخنازيرَ. وعلى هذا كيف تطيبُ نفسُ الإنسانِ بأكل من كان معهُ في جنسه ؟ ! أمَّا العلَّةُ الكبرى التي ظهرتْ آثارُها فهي أنَّه قد ثبتَ عند علماءِ الحيوان أنَّ جميعَ أنواعِه مشبعٌ بالغيرةِ الجنسية، وقوة الرَّابطةِ بين أزواجِه إذا تآلفا، وهذا مشاهدٌ فيما بين أيدينا من الحيواناتِ والطُّيور المستأنسةِ، وما هو معلومٌ عند الكثيرِ عن الحيوانات المتوحشة باختصاصِ كلِّ ذَكَرٍ بأنثاه، وربَّما وقعتْ مهارشاتٌ بينهم إذا حاولَ بعضُ أفرادِها الاعتداءَ على أنثى غيره، ما عدا هذا الحيوان الخسيس فإنَّه لا يبالي بهذه الغريزةِ ولا يمانعُ أو يدافعُ دون أنثاه. ولهذا قال بعضُ العلماءِ : إنَّ تناولَ لحمِه يؤثِّرُ على هذا الإحساسِ النَّبيل، ويضعفُ ذلك الشُّعورَ السَّامي، فيصبح صاحبُه إزاءَ محارمِه كهذا الحيوانِ إزاء أُنثاه. ولا غرابةَ في ذلك، فربَّما أثبت علمُ التَّغذيةِ شيئًا من ذلك ».

ويريدُ الأستاذ الفاضلُ أن يثبتَ هاتَين العلَّتَيْن لتحريمِ أكل الخنزير، وهذا غرضٌ رفيعٌ، إلا أنَّ التَّعليلَ الأولَ يحتاجُ إلى إيضاحٍ، فقد يخطرُ ببالِ بعض النَّاس أنَّ القردةَ والخنازيرَ الموجودةَ الآن من نسلِ تلك الحيوانات الممسوخة ! وهذا الظَّنُّ كثيرًا ما توهَّمه العامَّةُ ! وهو غلطٌ.

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (١٠) في ١٣٧٩/٨/٥هـ.

قال أبو حيان في «البحر المحيط»: «وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ الذين مسخهم اللهُ لم يأكلوا ولم يشربوا ولم ينسلوا، بل ماتوا جميعًا وأنَّهم لم يعيشوا أكثرَ من ثلاثةِ أيام».

وفي صحيحِ مسلمٍ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لمن سأله عن القردةِ والخنازير؛ أهي من نسل اليهود؟ فقال ﷺ: «إنَّ اللَّه لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا، وإنَّ القردةَ والخنازير كانوا قبل ذلك». وروى أبو داود الطيالسي في مسندِه وأحمدُ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: سألنا رسولَ اللَّه ﷺ عن القردةِ والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا، إنَّ اللَّه لم يلعن قومًا قط فيمسخهم فكان لهم نسلٌ، ولكن هذا خلقٌ كان، فلمَّا غضبَ اللهُ على اليهودِ فمسخهم جعلهم مثلهم».

وقال الضَّحاكُ، عن ابن عباس: يقول: إذ لا يحيون في الأرضِ إلا ثلاثة أيامٍ، قال: ولم يعشْ مسخٌ قط فوقَ ثلاثةِ أيام، ولم يأكلْ ولم يشرب ولم ينسل، وقد خلقَ اللهُ القردةَ والخنازير وسائرَ الخلقِ في الستَّة الأيامِ التي ذكرها اللهُ في كتابه، فمسخ اللهُ هؤلاءِ القومِ في صورةِ القردة، وكذلك يفعلُ بمن يشاءُ كما يشاء، ويحوِّله كما يشاء. انظر «تفسير ابن كثير».

وقال المناوي في كتابِه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج ٢، ص٢٥٤) في شرحِ حديثِ: «إنَّ اللهَ لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا»: وقد كانتِ القردةُ والخنازير قبل ذلك. يعني فليست هذه القردةُ والخنازير من أعقابِ من مُسِخَ من بني إسرائيل، كما توهَّمهُ بعضُ النَّاس. ثُمَّ استظهرَ على دفعِه بقولِه: وقد كانت القردةُ والخنازير قبلَ ذلك؛ أي: قبل مسخِ من مُسِخَ من الإسرائيليين، فأنَّى لكم في أنَّ هذه القردةَ والخنازير الموجودة الآن من نسلِ الممسوخ؟ هذا رجمٌ بالغيب. قال السهيلي: وفي الحديثِ ردٌّ على مزاعمِ ابنِ قتيبةَ أنَّ (أل)[1] في

(١) في الأصل: «اللَّه».

قولِه- تعالى- ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ يدلُّ على أنَّ القردةَ والخنازير من نسلِ أولئك الذين مُسخوا.

قال ابنُ العربي[1]: قولُ: الممسوخ لا ينسل. دعوى، وهذا أمرٌ لا يعلم بالعقلِ، وإنَّما طريقُ معرفتِه الشَّرع، وليس في ذلك أثرٌ يعولُ عليه. انتهى. وهو قول عجاب مع ثبوته في أصح كتاب.

ثُمَّ رأيتُ الحافظَ الزين العراقي قال: قال ابنُ العربي: قولُهم الممسوخ لا ينسلُ، دعوى. غلطٌ منهُ مع ثبوتِه في مسلمٍ. انتهى.

فظهَر أنَّ ما ذهبَ إليه القاضي أبو بكرٍ بنِ العربي من أنَّ الممسوخين قد عاشوا، وأنَّ القردةَ والخنازير الموجُودة الآن من نسلِهم، غيرُ صحيحٍ؛ للأدلة الثَّابتةِ في ذلك، وهذه النَّاحيةُ أحببنا التنبيهَ عليها لوقوعِ كثيرين في الخطأ؛ حيثُ يظنُّون أنَّ القردةَ والخنازير الموجودة هي من نسلِ الممسوخين، وفيها إتمامٌ للبحث الذي ذكره الأستاذ عطية.

أمَّا التَّعليلُ الثَّاني الذي ذكره الأستاذ؛ وهو أنَّ الخنزيرَ من بين سائرِ الحيوانات والطُّيور، لا غيرةَ عنده على أنثاه. فهو تعليلٌ جيد، إلا أنَّه يحتاجُ إلى التيقنِ من صحةِ وقوعه، فإنَّ هذا إخبارٌ، وحبَّذا أنْ يتفضَّلَ الأستاذُ فيفيدُنا عمن قال ذلك، أو من الذي شهده؛ ليكونَ الأمرُ يقينًا، وقد ذكر في «حياةِ الحيوان» خلافَ ما قال الأستاذ، أو هكذا يتبادرُ منه، فقد ذكر الدميري في «حياةِ الحيوان» (ج ١، ص٣٠٣) في الخنزيرِ البري ما يلي: «وهو يشتركُ بين البهيميةِ والسبعية؛ فالذي فيه من السَّبعِ النَّابُ وأكلُ الجيفِ، والذي فيه من البهيميةِ الظلفُ وأكلُ العشبِ والعلف. وهذا النوعُ يوصَفُ بالشَّبق. والذَّكرُ من هذا النَّوعِ يطردُ الذُّكورَ عن الإناثِ وربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه، وربما هلكا جميعًا».

(١) في الأصل: «رضي اللَّه عنه».

فكيف يطردُ الذُّكورَ عن الإناث وهو لا غيرةَ لديه ، وبماذا يعلِّلُ ذلك الأستاذ ، كما أنَّ صاحبَ « حياةِ الحيوان » يذكرُ أيضًا عن الخنزير أنَّه يأكلُ الحيَّات أكلًا ذريعًا ، ولا تؤثِّر فيه سمومُها ، فمن الممكنِ إذًا أنْ يُضافَ إلى التَّعليلاتِ التي ذكرَها الدكتور سعيد رباح والأستاذ عطية هاتان العلَّتانِ وهما : أنَّه موصوفٌ بالشَّبقِ ، وأنَّه يأكلُ الحياتِ ، فقد يتأثَّرُ آكلُه بالسُّموم ، أو يصاب بالشَّبَق ، فما رأي الأستاذ عطية ؟ وما رأي الأطباءِ المحترمين ؟



زائر كريم[١]

شهر رمضان الكريم موسم للخير والطهارة، وتزكية النفوس من الأوضار[٢] والشوائب، وفيه فرص عظيمة للإنابة إلى الله، وتلاوة كتابه، وتذكر أحوال إخوانه المسلمين الذين هم في حاجة إلى النصرة والمواساة.

ورمضان يتلقاه المؤمنون بفرحة واغتباط، ففيه مدد للطهر، وروافد لليقين. وعندما يهل شهر رمضان يتبادل الناس التهاني، وتبرز على ملامحهم الهناءة والابتهاج.

وإذا كان الناس طوال العام لاهين في أعمالهم ومشاغلهم، وقد يقع بينهم من الاختلاف والحزازات شيء، ويحصل منهم غفلة وتقصير، فإن في شهر رمضان مناسبة سعيدة للرجوع إلى ربهم وخالقهم، وفيه فرص للتسامح والعفو وإيثار المحبة على العداء، وفيه ما يدعو لتذكر ما ينبغي تذكره.

وخاصة حالة البائسين والفقراء الذين يعانون من الجوع والعري والمسغبة.

وفي رمضان- كما في موسم الحج- ما يذكر المسلمين عمومًا بما بينهم من الروابط، وما يجب بينهم من التآزر ومناصرة بعضهم لبعض، وأخذ الحق من الظالم وردع المعتدي، ففي الاتحاد في فعل الصوم وفرضيته ما يشعرهم بواجبهم نحو الاهتمام بأحوال إخوانهم المسلمين في شتى الأقطار.

ونحن في هذا الشهر الحالي عندما ننظر لحال المسلمين، نجد أن واقعهم لا يتفق وما ينبغي أن يكونوا عليه من تعاون واهتمام بمشاكل بعضهم.

فإن بعض من ينتسب للإسلام قد صرف جهودًا جبارة ضد المسلمين، بينما انصرف عن مشاكل المسلمين الذين يرزحون[٣] تحت نير الاستعماريين،

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٦٢) في ٩/٩/ ٨٢.

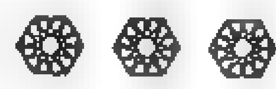
(٢) أوضار: جمع وَضَر، وهو الوسخ.

(٣) رزح فلان: ضعف وذهب ما في يده، وأصله من زراح الإبل: إذا ضعفت ولصقت بالأرض =

والمسلمون في روسيا والصين وقضية كشمير وأريتريا وفلسطين وأمثالها يجب أن تأخذ من اهتمام الدولة المنتسبة للإِسلام الشيء الكثير، حتى يحققوا أنهم متعاونون، كالجسد الواحد يتألم بعضه من ألم البعض الآخر، فيدعو تمزيق صفهم وتشتيت جهودهم؛ ليكونوا قوة صامدة أمام أعدائهم من الشيوعيين والمبشرين والصهاينة.

وعسى أن يكون في شهر الصوم شهر البركات واعظ، ومذكر بما يجب أن تكون عليه حالة المسلمين من اتحاد وتكاتف وقوة وتآلف، محكمين الشرع المطهر بدلًا من بعض القوانين الوضعية التي لا تتفق والدين والخلق.

إن الواقع الذي يعيشه المسلمون يدعو للأسى، ولو أنهم أخذوا على يد السفه، وردعوا الباغي، وآزروا المظلوم، وعملوا لما فيه قوتهم ومجدهم، لكانوا ذوي شأن، وجديرين بأن يكونوا مسلمين بحق، فاهمين لأسرار دينهم ومقاصده، وعسى أن يكون في رمضان مذكر وموقظ.



= فلم يكن بها نهوض. ويقال: ترازحت حاله، أي: ساءت. انظر: «تاج العروس»، و«المعجم الوسيط» مادة: (رزح).

شعائر العيد[(١)]

العيدان : الفطر والأضحى ، هما إحدى شعائر الإسلام ، وهما فرضا كفاية ، أو من العلائمة البلارزة لدى المسلمين ، وما زال لهما شأن منذ زمن رسول الله ﷺ ، فالخلفاء بعده ، فمن اقتفى طريقهم .

وفي القرآن : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: الآية ٢] ، وفي أيام العيدين يشرع التكبير والذكر لله بتأكد ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥] . وفي العيد آداب شرعية ، منها : الاغتسال ، والتنظيف ، والتطيب ، ولبس جميل الثياب .

وصلاة العيدين في المصلى ، والتبكير إلى صلاة العيدين ، والخروج ماشيًا إلا من كان منزله بعيدًا ، ويستحب خروج النساء إلى صلاة العيدين . ففي « الصحيحين »[(٢)] ، عن أم عطية قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى ، العواتق وذوات الخدور ، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة . ويشهدن الخير ودعوة المسلمين . قلت : يا رسول الله ، إحدانا لا يكون لها جلباب . قال : « لتلبسها أختها من جلبابها » .

ويسن تقديم صلاة الأضحى ليتسع وقت التضحية ، وتأخير الفطر ليتسع وقت إخراج صدقة الفطر .

قال أبو سعيد الخدري : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول ما يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف ، فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم[(٣)] .

---

(١) صحيفة اليمامة – العدد (٣٢٥) في ١٣٨١/١٢/٩هـ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١، ٩٧٤) ، ومسلم (٨٩٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٩٥٦) .

وقال جابر : شهدت مع رسول اللَّه ﷺ الصلاة يوم العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكئًا على بلال ، فأمر بتقوى اللَّه ، وحث على طاعته ، ووعظ الناس فذكرهم ، ثم مضى إلى النساء فوعظهن وذكرهن . متفق عليه[١] .

وقال جابر : قال رسول اللَّه ﷺ : « من ذبح قبل أن يصلي فإنا هو شاة لحم عجله لأهله ، ليس من النسك في شيء ، ومن ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه »[٢] .

وروى أبو هريرة : كان رسول اللَّه ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره[٣] .

وعن قتادة بن النعمان ، أن النبي ﷺ قام ، فقال : إني كنت أمرتكم أن لا تأكلوا لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ليسعكم ، وإني أحله لكم ، فكلوا منه ما شئتم ، ولا تبيعوا لحوم الهدي والأضاحي ، وكلوا وتصدقوا استمتعوا بجلودها ولا تبيعوها ، وإن أطعمتم من لحومها فكلوا ما شئتم » . رواه أحمد[٤] .

وقال أنس : قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : « قد أبدلكم اللَّه بهما خيرًا منهما ؛ يوم الفطر ، والأضحى » . رواه النسائي[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٨) ، ومسلم (٨٨٥) ، واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٨، ٩٧٦، ٥٥٤٥) ، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب ، وأخرجه البخاري (٥٥٤٦) ، ومسلم (١٩٦٢) من حديث أنس رضي اللَّه عنه بنحوه . وأخرجه أحمد ١٩٠/٢٣ (١٤٩٢٥) من حديث جابر رضي اللَّه عنه ، بلفظ : « أن رجلًا ذبح قبل أن يصلي ... ونهى أن يذبحوه حتى يصلوا » .

(٣) أخرجه أحمد ١٦٦/١٤ (٨٤٥٤) ، وابن ماجه (١٠٧) ، وابن خزيمة (١٤٨) ، وابن حبان (٢٨١٥) . وصححه الألباني في الإرواء (٦٣٧) .

(٤) أخرجه أحمد ١٤٧/٢٦- ١٤٩ (١٦٢١٠، ١٦٢١١) . وضعفه محققو المسند .

(٥) أخرجه النسائي (١٥٥٥) . وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٢١) .

أجل إن في العيد مظاهر رائعة، منها: إقامة ذكر الله، والاجتماع على الخير، والاستمتاع إلى الإرشاد النافع الموجه.

وإظهار السرور والطلاقة، وصفاء النفس من الضغينة والحقد، والعطف على المحتاجين والبائسين؛ لتكون البهجة شاملة، والشعور بالفرحة مشتركًا.

هكذا جاء الإسلام.. وهذا بعض ما دعا إليه في العيد، فما أعظم أن نعرف غاية العيد، ومقاصده السامية، وأهدافه الكبيرة التي لا تقف عنه حدود الذاتية والأنانية، ولكنها تمتد إلى الأسرة والمجتمع الصغير والمجتمع الإسلامي الكبير، لينعم الجميع بفرحة لقاء العيد، وليقيموا شعائره كما أمر الله.



شهر البركات[1]

لرمضان مناقب وخصائص، وفيه خيرات وبركات، وفيه نفحات ومكرمات. وقد اصطفاه اللَّه على الشهور. ففيه ليلة القدر خير من ألف شهر. وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: الآية ٦٨] فكما في البشر رسلًا- واللَّه أعلم حيث يجعل رسالته- وفيهم أنبياء وصالحون، وكما في الملائكة مقربون، وفي كل مخلوقات اللَّه- أمثلة تدل على القدرة الربانية والحكمة العلية- ففيها الفاضل والمفضول، وفي ذلك الحكمة البالغة.

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد كان لشهر رمضان نصيب وافر، وحسبه أن فيه نزل القرآن، وأن به ليلة هي أفضل الليالي، فكيف وفيه تصفد الشياطين، وعمرة في رمضان تعدل حجة.

ومن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كما كمن أدى فريضة فيما سواه.

من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.

وفي «الصحيحين»[2]: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال اللَّه عز وجل إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عن لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح السمك».

وفي حديث الحارث الأشعري، عن النبي ﷺ أن زكريا عليه السلام قال لبني إسرائيل: «آمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد الحادي عشر، السنة الثانية رمضان ١٣٨١.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤، ٥٩٢٧)، ومسلم في الصيام (١١٥١/١٦٤).

فيها مسك، فكلكم تعجبه ريحه، وإن ريح الصيام أطيب عند اللّه من ريح المسك»[١].

وشهر رمضان مجال متسع لأعمال الخير، من تذكر لحالة البائسين حين يشاطرهم الغني جوعهم وظمأهم .. وحث على البذل والإنفاق، ومجال للذكر بأنواعه وأعلاه، وأجله قراءة كتاب اللّه العظيم ونوره المبين الذي هو ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: الآية ٥٧] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: الآية ٢١] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٩].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول اللّه ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[٢]. وكانت حال السلف رضي اللّه عنهم الاجتهاد في دراسة القرآن في رمضان.

قال الحافظ ابن رجب[٣]: وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/٤٠٤ (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦، ١٩٠٢، ٣٢٢٠)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) «لطائف المعارف» ص٢٤٥- ٢٤٦.

إذا دخل رمضان قال : فإنما هو تلاوة القرآن ، وإطعام الطعام . قال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا دخل رمضان فرَّ من قراءة الحديث ، ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف . قال عبد الرزاق : كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة ، وأقبل على قراءة القرآن . وكانت عائشة رضي اللَّه عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت . وقال سفيان : كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه . وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان ، خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها ، فيستحب الإِكثار فيها من تلاوة القرآن ؛ اغتنامًا للزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره .

وإذا كانت الحسنات تتضاعف في هذا الشهر ، وهو موسم للأعمال الطيبة من ذكر ودعاء وصدقة وصبر وإمساك عن المحرمات ، فينبغي للصائم أن لا يضيع هذه الفرصة النادرة ، وأن يكثر فيها من العمل الصالح ، وليحذر الغيبة والنميمة والحقد والحسد . ففي الحديث : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للَّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »[١] . وفي الحديث الآخر : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر »[٢] ، فهنيئًا لمن صامه محتسبًا ، فقد جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »[٣] . وحيهلًا بشهر الصوم . شهر البركات .

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣، ٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه أحمد ١٤/٤٤٥ (٨٨٥٦) ، وابن ماجه (١٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨، ٢٠١٤) ، ومسلم (١٧٥/٧٦٠) .

رمضان والإِخوان المضطهدون[(١)]

في ليلة الأربعاء استقبل الناس ببهجة وحبور[(٢)] شهر الصوم والخير والبركات .. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] . شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . ومن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . تضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات .

من فطّر فيه صائمًا كان له من الأجر مثل أجره ، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ..

في رمضان كانت غزو بدر الكبرى التي فرق فيها بين الحق والباطل ، وانتصر فيها الإِسلام وانخذل الكفر .. وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر ..

وفي هذا الشهر يبتهل المسلمون إلى اللَّه ، ويتفرغون لتلاوة القرآن والتعبد ..

ويتذكر الغني حالة إخوانه الفقراء ، فيبذل لهم العطاء ، ويقدم لهم المعونات ، وعندما يمسه الجوع والظمأ بسبب الصوم يدرك أن له إخوانًا يبيتون على الطوى ، ويعجزون عن الكساء ، ويحتاجون إلى المأوى .. فيدعوه ذلك إلى أن يبادر بمساعدة إخوانه ومؤازرتهم ..

والمسلمون في هذه الأيام تمر بهم ذكريات كثيرة وعظات عظيمة ، فمن أحداث التاريخ وعبره ما يبعث على لمّ الشمل وجمع الشتات ، وتآلف القلوب بين المسلمين في شرق الأرض وغربها ..

وفي هذه الأيام بشائر تدل على أن المسلمين الذين جمدوا طاقاتهم ، ولعبت بهم الأهواء ، وشتتهم الاستعمار بأحابيله ومكره ، هؤلاء المسلمون قد بدأوا

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٥٣) في ٨٣/٩/٦.

(٢) الحُبُور : السرور . « مختار الصحاح » مادة (ح ب ر) .

يعرفون جدوى التعاون والتصافي .. وها هم الملوك والرؤساء العرب يجتمعون في القاهرة .. وتلك بداية أمل مشرق ، وعسى أن يتبعها تقارب وتعاون وثيق بين الدول الإسلامية ؛ لأن في وحدة المسلمين وتعاونهم قوتهم ومجدهم ..

إن رمضان الذي يصومه المسلمون امتثالًا لأمر اللَّه ، وما شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ خاتم النبيين ، لحري به أن يذكرنا بإخواننا المسلمين الذين يمتحنون في هذه الظروف ، ويتعرضون لمكائد وفتن قاسية ، والعمل من أجل تخليصهم مما يقاسونه من ويلات .

فهناك العرب المسلمون في الخليج العربي والجنوب العربي .. وهناك مسلمون في كشمير وفي أريتيريا وفي كينيا وفي الهند وفي قبرص .. وهناك الاضطهاد الوحشي للمسلمين في روسيا والصين الشيوعية .. وهناك المأساة الفظيعة في فلسطين .

كل هذه جديرة بأن تنال اهتمام المسلمين ، وتبعث فيهم النخوة والحمية الدينية والنصرة للحق ، ومؤازرتهم للنجاة مما هم فيه من أخطار ومصائب .

إننا ندعو اللَّه أن يوفق الحكام والشعوب إلى فهم هذه الحقائق ، والعمل من أجلها في جد وعزم وإقدام ، حتى يكونوا خير أمة أخرجت للناس .



الحج ومزاياه(١)

الحج الذي فرضه اللَّه على كل مكلف مرة في العمر، وجعله أحد أركان الإسلام ودعامة من دعائمه العتيدة. جعل فيه خيرات عظيمة، ونعمًا جليلة، يعي بها اللسان ويعجز عنها الحصر.

والحج سواء أكان أداء لفرض أو تطوعًا بنفل، فإن فيه من الفضائل والمزايا ما لا يُطاق حصره.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٥].

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧- ٢٩].

أوحى اللَّه لنبيه إبراهيم أن ينادي الناس للحج حبًا ورغبة في نيل المثوبة والزلفى من اللَّه «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» في الحج يعد العديد من الناس من كل حدب وصوب ومن كل لون وجنس من مشارق الأرض ومغاربها ليتجردوا من لباسهم إلا من ستره على هيئة هي المساواة العادلة التي يأتيها الإنسان طائعًا مختارًا مخبتًا؛ لأنها استجابة لنداء اللَّه في وحيه وعلى لسان رسله.

وفي السفر مشقات، وهو قطعة من العذاب، ومع هذا فهو مستعذب محبوب في سبيل اللَّه وقصد حج بيته.

(١) صحيفة اليمامة ٣٢٤ في ١٣٨١/١٢/٢هـ.

والراحة والاطمئنان الذي يجده الحاج ما لا يمكن التعبير عنه عندما ينشغل قلبه بتوحيد اللَّه والإخبات إليه ويعمر فؤاده الإيمان منصرفًا عن متع الدنيا ومشاغلها إلا بقدر محدود، ما أجلها نعمة، وما أعظمها منقبة.

والحج له مزايا كثيرة منها: أن يتعارف المسلمون ويتعاونوا على حل مشاكلهم وفهم بعضهم البعض الآخر.

وتعلم بعضهم من بعض من أجل مؤتمر وأخطر مجمع. أين منه المؤتمرات والمنتديات؟ وإننا ونحن اليوم على أبواب هذا الموسم العظيم لنتمنى أن يوفق اللَّه المسلمين لفهم مقاصد الحج، فيتعاونوا على البر والتقوى ويتآزروا لمحو الخرفات وإزالة الوثنيات ومحاربة الإلحاد بشتى صنوفه وجميع أشكاله، سواء الإلحاد الشيوعي الذي تجند له بعض الحكومات العربية اليوم طاقاتها وتعبئ أجهزتها لتحببه إلى النفوس والاستعاضة به عن هدي القرآن وسنة خير الأنام ونهج السلف الصالح باسم الاشتراكية الديمقراطية، أو الإباحية التي غزت كثيرًا من البلدان المنتسبة للإسلام.

أو كان حكمًا بغير ما أنزل اللَّه من القوانين الوضعية الغربية أو الشرقية أو غيرها من حكم الطواغيت.

كنا نأمل أن تبحث مسألة لها أهميتها هي في أوقاف الحرمين التي وقفها أناس أردوا الأجر والمثوبة وعملوا خيرًا بوقفها لعمارة المسجد الحرام، أو لمساعدة المحتاجين من سكان الحرمين أو لإنشاء مساكن يأوي إليها الحجاج، أو لحفر الآبار؛ ليرتوي منها الظمآن، أو لنشر العلم والتعليم في ربوع الحرمين.

كل أولئك وغيرها من طرق الخير وأبوابه الجليلة. ولكنها مع الأسف ذهبت سدى، أو كادت بفعل عقوق البعض، وبعض الحكومات قد استولت على هذه الأوقاف بغيًا وعدوانًا وطمعًا واستهانة بالدين. فعلى المسلمين في هذا الموسم الكريم أن يتعاضدوا لرد هذه الحقوق لأهلها الشرعيين، وأن ينددوا بمن يجترئ

على أكل هذه الأوقاف وصرفها في غير مصارفها المشروعة ، وإن الحجاج سيشاهدون ما بذلته الدولة والشعب السعودي في عمارة الحرمين وما بذل في ذلك بسخاء من أموال طائلة بلغت مئات الملايين مما يذهل الرائي وما ينفق في توفير راحة الحجاج من تعبيد الطرق وتوفير المياه والحرص على طمأنينتهم مما يشهد به كل منصف .

إن هذه الدولة وهي تنفق الأموال الكثيرة في هذه السبيل ، يجب أن يكون من الوفاء لها ومن القيام بالواجب حيالها على أقل تقدير : إعادة الحقوق المشروعة في الأوقاف على أهل الحرمين إليهم وهو مطلب عادل ، بل هو أداء لحق مفروض .

وبعد ، فكم في الحج من مزايا عظيمة مما يفوق الحصر والتعداد .



من أهداف الحج[1]

بعد أيام يقف المسلمون في عرفات مبتهلين خاشعين، وفي عيد الأضحى ينحرون الذبائح تقربًا إلى اللَّه، وأداء لنسك إسلامي وشعيرة من شعائره .. في أيام حافلة بالذكر والتلاوة والصلاة والطواف.

والحج- أحد أركان الإِسلام- فرض على المستطيع إليه سبيلًا من المكلفين، يفد إليه المسلمون من كل صقع، ومن كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم اللَّه في أيام معلومات.

يعبدون إلهًا واحدًا، يتجهون لقبلة واحدة، ويؤدون أعمال الحج في مظاهر يتجلى فيها الصفاء والمساواة والأُخُوة الصادقة، ويتدارسون أحوالهم ويتعرفون على مشاكلهم، ويتعاونون على البر والتقوى، ولذا كان الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

ما أعظمها من مشاعر وأقدسها من روحانيات، وأبهجها من ساعات أيام من الأيام لها وزنها وحرمتها وقداستها، تضاعف فيها الحسنات، وتزيد فيها المثوبة، ويربو فيها الأجر. وأماكن فاضلة مقدسة. وفي الحج أعمال واجبة تعلم الصبر والتحمل، وفي الحج تتلاشى الفوارق المصطنعة، والمفاخرات بالأحساب والأنساب، والأموال والرياش[2]، الغني والفقير، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى ..

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧].

---

(١) العدد (٣٨) في ٦/ ١٢/ ٨٢.

(٢) الرياش: اللباس الفاخر والمعاش. انظر «تاج العروس» مادة (ر ي ش)، «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٢/ ٢٨٨.

أجل إنها فضائل وخيرات، يوفق اللَّه لها من يشاء، وإنها حكم وأسرار عظيمة، يعقلها من أوتي بصيرة نافذة، وعقلًا لبيبًا، وفقهًا في الدين.

في الحج واجبات، وفيه محظورات، وفيه مندوبات؛ لينال المسلم الأجر، ويجتنب الوزر، ويحصل الغنيمة.

إن الحج تظهر فيه روعة الإِسلام بأحلى معانيها؛ فالفرد عليه تكاليفه ومسؤولياته تجاه نفسه، وعليه تكاليفه ومسؤولياته تجاه إخوانه؛ تجاه المجموعة. إنه يؤدي هذه الأعمال في أوقات معلومة ومع إخوانه. وعليه تبعة تقصيره وإخلاله بالواجبات أو فعل المحظورات، كذلك الحج ليس انزواء ورهبنة على طريقة العباد المتحذلقين[1]، وإنما هو عبادة لا تركن للانزواء ولا تمقت المكاسب الدنيوية المشروعة، وهو ليس حرجًا ضيقًا وإنما يمثل سماحة الإِسلام ويسره.

ما أعظم حكم الإِسلام وأجلها، وما أولى المسلمين أن يتدبروا، ويفهموا مقاصد الإِسلام وما يعنيه الحج، وما ينبغي أن تكون عليه حالة الحاج؛ وليتذكروا إخوانًا لهم لا يزالون يقاسون الآلام والتعذيب من الدول الاستعمارية الغربية والشرقية؛ دول الرأسمالية الطاغية والشيوعية المجرمة؛ ليتذكروا إخوانًا لهم في التركستان وبخارى وألبانيا، وفي الحبشة وكينيا، وليسعوا لما فيه صفاؤهم وإزالة الظلم عن إخوانهم، وليَدَعُوا السباب والشتائم وقول الزور ونهش بعضهم أعراض بعض، وطغيان بعضهم على بعض، ولينصروا المظلوم، ويمنعوا الظالم، وليسعوا لنشر الإسلام في أصقاع الأرض، ويكافحوا الشرور، ويحاربوا المبادئ الهدامة والآراء الملحدة والعقائد الزائفة، ليعملوا على ما فيه وحدتهم وجمع كلمتهم تحت لواء الإِسلام العادل، في وحدة إسلامية رائعة، وليتذكروا واجباتهم إزاء

(١) تحذلق: ادّعى أكثر مما عنده. ينظر «المعجم الوسيط» (حذلق).

إخوانهم البائسين والمنكوبين والمعوزين ، فيمدوا لهم يد العون والمساعدة ، كلٌّ بحسب طاقته ووفق اقتداره .

هذه بعض من واجبات ، عسى أن يكون في الحج مذكر بها للحجاج ، ليؤدوا ما عليهم على بصيرة ووعي . وفق اللّٰه ، وسدد الخطى .



مستقبل الإسلام[1]

نشرت مجلة رباط العالم الإسلامي في عددها الخامس الصادر في الشهر الحال (رجب) عام ٨٣ الخبر التالي : صرَّح رئيس وزراء الإقليم الشمالي عن نيجيريا السير الحاج أحمد بلدو بأنه من الأهمية لجميع المسلمين مهما كانت مراكزهم وأوضاعهم الاجتماعية ، أن يعتبروا أنفسهم إخوانًا ، ويجب عليهم أن يتضامنوا بروح من الإيمان وسلامة النية ؛ ليتمكنوا من الحفاظ على عزة وكرامة الإسلام الحنيف . وقد صرَّح رئيس الوزراء بهذه الكلمات أثناء خطاب وجهه لبضع مئات من أفراد قبائل الجويري الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا ، واهتدوا إليه .. إلخ .

وهذا الخبر وأمثاله مما تتواتر به الأنباء عن اعتناق كثيرين للإسلام يوميًا في أنحاء الدنيا وأطراف العالم ، ليدل دلالة أكيدة على المستقبل العظيم للإسلام . ولقد مرت بالإسلام أدوار خطيرة ومحاولات كبيرة لطمسه وإزالته من الوجود ، ولكن اللَّه تكفل بحفظ دينه ونصره وظهوره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وإنها لمعجزة باهرة ، أن تكون تلك العوامل الكثيرة والزعازع الفادحة ، قد مرت بالإسلام ، ثم ظل شامخًا كالطود راسخًا كالجبال الراوسي ، ورغم انتشار المبشرين النصارى ، ودعاوى المستعمرين المتعصبين ، وتزييفهم للحقائق ، وجهودهم العديدة لتنفير الناس عن الإسلام ، فقد ثبت هذا الدين قويًا ، مشرقًا تشع أنواره وتتلألأ أضواؤه مناديًا إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

وها هي الغشاوة تنقشع عن نفوس كثيرة طالما رسغت في قيود الضلال وتاهت في دياجير الباطل فتهتدي للإسلام عن علم وثقة واطمئنان ، فترتاح نفوسهم بعد قلق ، وتهدأ خواطرهم بعد تشتت وانزعاج ، ويستكينون إلى الإيمان والرشد .

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/٧/٢٣هـ.

من كل أصقاع الأرض تأتي الأخبار تترى عن مسلمين جدد ، وعن مؤمنين حديثي العهد بالإسلام ، يدخلون في دين اللَّه أفواجًا .

من أقطار إفريقيا وأمريكا وأوروبا .. ومن كل مكان ..

إن هذا الدين الذي اختاره اللَّه للبشر أجمعين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] ، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] هذا الدين هو الذي يلائم مقتضيات الروح والجسد ، والحياة والآخرة ، والعقل والنفس ، وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان . وما عداه من المذاهب والمبادئ مهما بدت مغرية جذابة ، لا تلبث أن يظهر عجزها وقصورها فيتفرق أصحابها بددًا ، وينكشف وهم سرابها .

لذا فلا بدع أن يعتنق الكثيرون الإسلام عن رضى واقتناع .

وأن على قادة المسلمين وعلمائهم ، مسئولية جسيمة في إرسال الوفود للدعوة للإسلام ، ومناصرة المسلمين في كل مكان ، وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها ، والمساعدة على إنشاء المدارس والمعاهد الدينية والمساجد . ويجب أن تقف الدول الإسلامية موقفًا حازمًا ضد الدول التي تضطهد المسلمين وتشردهم . إن مثل هذه الأعمال سيكون لها ثمار طيبة ونتائج حسنة بإذن اللَّه .



هذه البلاد والشئون الإسلامية(١)

لهذه البلاد مكانة في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لا تضاهى . وقد امتازت بأن فيها الحرمين الشريفين ومنها بزغ نور الإسلام ، وقام أنصار الإسلام من المهاجرين والأنصار ..

وما فتئت مأزرا للإيمان ، ومهوى للأفئدة وحصنًا للدين ، إذا فإن مسئوليتها تجاه المسلمين عظيمة وعبئها جسيم .

وإذا كانت هناك دول تنتسب للإسلام وتتقاعس عن نصرة القضايا الإسلامية ، وتركن إلى الانفصال عن الشئون الإسلامية ، وتلجأ إلى دعوات إقليمية وقومية ومبادئ مستوردة ، فإن هذه البلاد- حكومة وشعبًا- تعلن اعتزازها بالإسلام ، وتطبيق أحكامه ، وترى لها في ذلك الفخر كله والمجد كله . بل تدرك أن عزها وقوتها مرتبطان بالإسلام وحده ، وأنها لو تخلت عن ذلك- والعياذ بالله- فستكون عليها النكسة ولها البوار .

وحيث الأمر ما ذكر ، فإن واجب هذه البلاد تجاه القضايا الإسلامية كبير ، وينبغي أن لا يكون موضع جدل ، تأييدها للمسلمين في الصين وروسيا ويوغسلافيا وقبرص وغيرها ، الذين يلاقون الاضطهاد ، وتتحكم فيهم قوى تريد إبادتهم والقضاء عليهم بين عشية وضحاها ، ومحو الإسلام من نفوسهم ، وبذل المحاولات الفظيعة لفتنتهم عن دينهم وارتدادهم عنه . ولا نريد في هذه الكلمة أن نذكر الدوافع ؛ "الأحقاد التي يضمرها أولئك المسيطرون عليهم ، ولا نريد أن نبين ما فعله المستعمرون في هذا السبيل الذين تدفعه العقد الصليبية ، وحرصهم على تشتيت المسلمين وإضعافهم ، حتى لا تقوم لهم قائمة ، ولا يكون لهم شأن . كل ذلك لا نستغربه من هؤلاء المستعمرين الصليبيين .

---

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/٤/٢٨هـ .

ولكن الذي يحزن النفس ويجرح الفؤاد، هو حال المسلمين وواقعهم، فبالرغم من توالي التعدي والجرائم من أعدائهم، فإنهم لم يتعظوا، ولم يأخذوا دروسًا تنفعهم في مستقبل الأيام، وكأنهم فقدوا الأحاسيس والمشاعر، واضمحلت ثقتهم في أنفسهم، فصاروا لا يبالون بما يصيبهم من نكسات، وما يوجه إليهم من طعنات وركلات.

لقد كانت مأساة فلسطين كافية لتنبيه المسلمين وإدراكهم لما يحاك لهم، ولكنهم مع الأسف لم يقابلوا الأمر بجد وحزم، ولم يهتموا بما وقع.

ولقد كان من عوامل ضعف المسلمين: إخلادهم للراحة، ومداهنتهم لأعدائهم وتخاذلهم أمامهم.

وإن واجب هذه البلاد- حكومة وشعبًا- أن تنظر للقضايا الإسلامية نظرة جدية، وأن تناصرها بالقول وبالعمل، وأن تبرزها بقدر الإمكان، وتشرح غوامضها وملابساتها، وتوضح ما يلتبس منها؛ إسهامًا في قيامها بواجبها الديني، وضرورة ارتباطها بالعالم الإسلامي، ووقوفها بجانب القضايا الإسلامية، وإعلان رأيها صريحًا لا غموض فيه، ولا إبهام.

وإن كان العمل قد يصعب لظروف قاهرة، فلا أقل من التأييد بالقول (فليسعد النطق إن لم يسعد الحال) ولتبرزها الصحافة في صراحة ووضوح، لتعبر عن رأي الأمة- كما هو واجب الصحافة- وهذا أضعف الإيمان.

إنها مسؤلية خطيرة تحملها البلاد تجاه الإسلام والمسلمين فلعلها تنهض بها!!



كلمة للذكرى(١)

إن هذه الكلمة تجتاز مرحلة تختلف عن ذي قبل . وتهيئها لمستقبل يغاير كثيرًا ما هو مألوف في السنوات الماضية ، ومن حق المرء أن يبحث عن التطور والرقي صعدًا .

ولكن المفاهيم قد تتضارب حول نوعية التطور ، فهناك من يرى هدم القديم بخيره وشره ، بحسناته وسيئاته ، وينظر لكل جديد بإعجاب ولهفة ، حتى ما كان منه رديئًا وغير ذي جدوى .

وفي هذه النظرة كثير من التطرف ، وكثير من الخطر .

وهناك من لا يستسيغ أي جديد ، ويقسو في التشدد إلى حد سخيف .

ولكن النظرة الصائبة : هي الاستفادة من الجديد بكل ما فيه من منافع ، ورفض كل ضرر وما لا نفع فيه .

واعتبار المستقبل امتداد للماضي في أمجاده وحسناته ، وجعل الحاضر همزة وصل بين ما فات وما هو آت .

فالانتفاع بالجديد بعد إزالة شوائبه ، أمر لا مناص منه لأمة تصبو للعزة والمجد .

إن هذه البلاد لها ميزات خاصة ، ومكانة محترمة في نفوس المسلمين في شرق الأرض وغربها ؛ فمنها شع نور الإسلام ، وفيها المسجدان الشريفان ، وقبلة المسلمين ، ومثوى الرسول الأمين ، ومهبط الوحي .

وقد أنعم اللَّه عليها بخيرات تدفق من أرضها ، وتنفجر ينابيع من جوانبها ، وتلك نعمة عظمى ، ينبغي الاستفادة منها في التطور الصناعي والزراعي والحربي والاقتصادي ، وأن يكون حافزًا على مساعدة المسلمين ، والنهوض بالمواطنين ،

---

(١) صحيفة اليمامة العدد (٤٥٥) في ١٣/٩/٨٣هـ .

وبث المعرفة والعدل والألفة .

وإن كل من يريد التنكر لتاريخ الأمة الإسلامية وماضي هذه البلاد في تراثها الخالد وجهادها المقدس ، فهو يجر البلاد إلى نكبة فظيعة . ومن يحسب أن النظرة العصرية تعني تنكب الطريق الصحيح ، فهو يخدم المستعمرين أعداء الدين والوطن ، وهو معول هدم لكيان الأمة والبلاد ، وأن الشعور بالمسئولية يقتضي أن يميز بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح ، وإن يبذل كل غاية استطاعته ؛ لوضع الأشياء في مواضعها السليمة ، وإن لم يفعل فسيكون جانيًا على أمته وقومه ووطنه . هذه كلمة للذكرى وحسب ! !



من أجل الإِصلاح
مبدأ من أين لك هذا ؟[١]

كتب بعض الكُتاب في إحدى الصحف المحلية ، مقترحًا أن يطبق مبدأ : من أين لك هذا ؟ ! في البلاد العربية ، كوسيلة من وسائل الحيلولة دون الأخطار الشيوعية والمبادئ الهدامة التي لا تمت للإِسلام بصلة . وما دام أن العلاج قريب منا ومن صميم ديننا ، فلماذا لا نبدأ بتطبيقه في هذه البلاد التي يجب أن تكون الرائدة كجزء من واجبها تجاه دين الإِسلام العظيم[٢] .

وإن هذه الفكرة الجريئة جديرة بأن ينظر إليها بجد وعناية ، وأن تعطى من الدراسة والتنفيذ ما هي به قمينة[٣] .

إننا لا نريد أن نسير على سياسة النعامة التي تخفي رأسها في الرّمال ، حسبانًا منها أنها قد اختفت عن الصياد ، فما أسرع ما تسقط ضحية الصياد ! إن إغماض العيون عن واقعنا لا يعني إلا تراكم المشاكل واشتداد وطأتها على الأمة ؛ حكومة وشعبًا .

وقد يعقبها انفجار مدمر يصعب سدّه ويشق رتقه ، وأن من صميم ديننا الحنيف محاسبة العمال ومصادرة الأموال التي يأخذونها من طريق غير مشروع ،

---

(١) نشر في مجلة الجزيرة ونقلته صحيفة عكاظ العدد (٨١) في ٥/٧/ ٨١.

(٢) ثم صدر مرسوم ملكي برقم ١٦ وتاريخ ٧- ٣- ١٣٨٢هـ وفيه : على مجلس الوزراء، بناءً على ما تقتضيه المصلحة العامة ، أن يحاسب الموظفين عن مصادر ثرواتهم وثروات أولادهم القصر أو البالغين الذين لم يعرف عنهم التكسب وثروات زوجاتهم .
إذا عجز الموظف عن إثبات مصدر شرعي لما يملكه هو ، أو من ذكروا في المادة السابعة ، ما يثير الشك في أن اكتساب هذه الأموال كان بطريق الرشوة أو الهدايا أو استغلال للنفوذ الوظيفي ، فإن على مجلس الوزراء أن يصادر نصف تلك الأموال المشكوك في مصدرها ، وأن يحكم عليه بالعزل من وظيفته .

(٣) القمين : الخليق ، الحري ، الجدير . « تاج العروس » . (قمن) .

كم أن من يختلسون الأموال العامة أو الخاصة، أو المتلاعبين ببيت مال المسلمين أو بأموال الأفراد منهم، قد وضع الإِسلام لهم عقوبات، لو طبقت لكان للأمة الإِسلامية شأن، وأي شأن.

ولست أعرف سببًا قويًا يحول دون تطبيق ذلك المبدأ الزكي، الذي هدفه تحقيق العدالة الاجتماعية، ودرء المفاسد الناتجة عن الاختلاس، والاحتيال للاستيلاء على الأموال بطرق مشبوهة.

والذي يشعر الجميع أن قيمة المرء بعمله ونفعه، فلا يبقى في المجتمع عاطلون بالوراثة، يتفاقم أمرهم، وتتضخم مشكلتهم كل يوم، نتيجة طلباتهم المتزايدة التي يمليها الجشع والفراغ والاتكالية، ثم فيه تقوية لسلطة ولاة الأمور وهيبتهم، وفيه كسب لود الشعب، وتقوية أواصر المودة بينه وبين حكامه.

ثم فيه تنشيط للعمل المنتج المفيد، وسعي للقضاء على التبطل والكسل، وفيه تجنيب الأمة والبلاد من المبادئ المستوردة، والأفكار الضارة، والأخطار الكثيرة.

وإن من محاسن ديننا الإِسلامي العظيم، ذلك المبدأ الذي نطالب بتنفيذه، مبدأ «من أين لك هذا؟».

وقد قال العلامة شيخ الإِسلام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية» ص٢٠- ٢١:

«وما أخذ ولاة الأموال وغيرهم من مال المسلمين بغير حق، فلولي الأمر العادل استخراجه منهم، كالهدايا التي يأخذونها بسبب العمل، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: هدايا العمال غلول.. وروى إبراهيم الحربي في كتاب الهدايا عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «هدايا الأمراء غلول»[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٥٠٨ موقوفًا بلفظ: هدايا الأمراء غلول.

وفي « الصحيحين » عن أبي حميد الساعدي رضي اللّه عنه ، قال : استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد يقال له : ابن اللُّتْبِيَّة على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إليَّ . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا اللّه فيقول : هذا لكم وهذا أهدي إليّ ، فهلّا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه ، فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ؛ إن كان بعيرًا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تَيْعَر » . ثم رفع يديه حتى رأينا عفر إبطيه وقال : « اللهم هل بلغت » ثلاثًا[1] .

وكذلك محاباة الولاة في المعاملة من المبايعة والمؤاجرة والمضاربة ، والمساقاة والمزارعة ، ونحو ذلك من نوع الهدية .

ولهذا شاطر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه من عماله من كان له فضل ودين ولايتهم بخيانة ، وإنما شاطرهم لما كانوا خصوا به لأجل الولاية من محاباة وغيرها ، وكان الأمر يقتضي ذلك ؛ لأنه كان إمام عدل يقسم بالسوية .

وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود في « سننه » ، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من شفع لأخيه شفاعة فأهدي له عليها هدية فقبلها ، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا »[2] . وروى إبراهيم الحربي ، عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : السحت أن يطلب الحاجة للرجل فيقضي له فيهدي إليه فيقبلها . وروى أيضًا عن مسروق : أنه كلَّم ابن زياد في مظلمة فأهدى له صاحبها وصيفًا ، فرده عليه ، وقال : سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فرزأه[3] عليها قليلًا أو كثيرًا فهو سحت . فقلت : يا أبا عبد الرحمن : ما كنا نرى السحت إلا الرشوة في الحكم . قال : ذاك كفر[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٧، ٦٦٣٦، ٦٩٧٩) ، ومسلم (١٨٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد ٥٨٨/٣٦ (٢٢٥١) ، وأبو داود (٣٥٤١) . وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٤٦٥) .

(٣) رزأه عليها أي : أخذ منه شيئًا عليها . ينظر « لسان العرب » مادة (رزأ) .

فأما إذا كان ولي الأمر يستخرج من العمال ما يريد أن يختص به هو وذووه ، فلا ينبغي إعانة واحد منهما ، إذ كل منهما ظالم كلص سرق من لص ، وكالطائفتين المقتتلتين على عصبية ورئاسة ، ولا يحل للرجل أن يكون عونًا على ظلم ؛ فإن التعاون نوعان : تعاون على البر والتقوى ، من الجهاد ، وإقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وإعطاء المستحقين ، فهذا ما أمر اللَّه به ورسوله . ومن أمسك عنه خشية أن يكون من أعوان الظلمة ، فقد ترك فرضًا على الأعيان ، أو على الكفاية متوهمًا أنه متورع ، وما أكثر ما يشتبه الجبن والفشل بالورع ، إذ كل منهما كف وإمساك . والثاني : تعاون على الإِثم والعدوان ، كالإِعانة على دم معصوم ، أو أخذ مال معصوم ، أو ضرب من لا يستحق الضرب ونحو ذلك . فهذا الذي حرمه اللَّه ورسوله .

نعم إذا كانت الأموال قد أخذت بغير حق ، وقد تعذر ردها إلى أصحابها ، ككثير من الأموال السلطانية ، فالإِعانة على صرف هذه الأموال في مصالح المسلمين ، كسداد الثغور ، ونفقة المقاتلة ونحو ذلك من الإِعانة على البر والتقوى . إذ الواجب على السلطان في هذه الأموال ، إذا لم يمكن معرفة أصحابها ، وردها عليهم ولا على ورثتهم ، أن يصرفها ، مع التوبة إن كان هو الظالم ، إلى مصالح المسلمين .

هذا قول جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة وأحمد ، وهو منقول عن غير واحد من الصحابة ، وعلى ذلك دلت الأدلة الشرعية بما هو منصوص في موضوع آخر . وإن كان غيره قد أخذها فعليه هو أن يفعل بها ذلك ، وكذلك لو امتنع السلطان عن ردها كانت الإِعانة على إنفاقها في مصالح أصحابها ، أولى من تركها بيد من يضيعها على أصحابها وعلى المسلمين ، فإن مدار الشريعة على قوله

(١) أخرجه الخلال في «السنة» (١٤١٢) ، وابن بطة في «الإبانة» (١٠٠٢ ، ١٠٠٣) .

تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦] . المفسر لقوله : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٢] . وعلى قول النبي ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . أخرجاه في الصحيحين .. إلخ[١] .

هكذا ينبغي أن نستمد العلاج من الإسلام ، لا من أفكار مستوردة غريبة لا تتفق ودِيننا وأوضاعنا .

ونحمد اللّٰه أن عندنا من الكنوز الثمينة في ديننا ما يغنينا عن مبادئ الشيوعيين والرأسماليين وغيرهم .

فهيا لتطبيقه لنرقى صعدًا في معارج المجد ، ولنلاشي الفكرة المشوهة التي يأخذ بها الأجانب عن المسلمين من تخلفهم وتبطلهم ، ووجود فئات بينهم تلتهم كل شيء دون أن تعمل أي شيء .. وقطيع من البشر يساق بالعصا ، لا طوع له ولا وعي لديه ، لنطبق مبادئ ديننا الحنيف ، ولنقل لأولئك الأجانب : إننا بعكس ما زعمتم ، وها هي الحقيقة تفند مزاعمكم ، وهي نقيض ما توهمتم ، فعلى رِسْلكم .. وانظروا جيدًا ..



(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (٤١٢/١٣٣٧) .

من أين لك هذا[1]

نشرت بعض الصحف المحلية أن الحكومة ستصدر قرارًا بتطبيق مبدأ : من أين لك هذا ؟ على موظفي الدولة الذين أثروا ثراءً فاحشًا من طرق غير مشروعة ، وهذا الاتجاه مما تحمد عليه الحكومة ، وينبغي شد أزرها للوصول لهذه الغاية . وقد سبق أن كتبت مقالًا في مجلة الجزيرة بعنوان مبدأ من أين لك هذا ؟ ونشرته صحيفة عكاظ نقلًا عن المجلة الآنفة الذكر ، وعد بعض الناس ذلك المقال سابقًا لأوانه ، بل ذهب بعضهم إلى مدى أكثر من ذلك ، ومع هذا فإن ما تناقلته الصحف أخيرًا يبشر بأمل كبير .

إن هذا العالم المتطاحن ، والذي تصطرع فيه شتى المذاهب ، ومتباين النحل ، كل فريق يقدم ما لديه من مبادئ ومذاهب موشاة بألوان من الزخرفة والإغراء ، هو عالم قلق يريد أن يحصل على مبادئ ومثل تتفق ومتطلبات الحياة المتطورة الناهضة . وإن ما نشاهده من صراع بين الرأسمالية والشيوعية هو مثل لتصارع المذاهب المتناقضة .

ومحاولة كل مذهب السيطرة على المذهب الآخر واكتساحه ، ونحن مسلمون ندين بدين حق ، ولنا شريعة سمحاء مشرقة ، نكره الشيوعية لإلحادها واستهتارها بكيان الفرد ومعنوياته .

ومع هذا فلو أننا قاومنا الشيوعية بالرأسمالية لم نصنع شيئًا ، ولكننا نقدم ما هو خير من الرأسمالية : إنه التشريعات والمبادئ الإسلامية التي تحارب الربا والغش والخداع ، كما تمقت الإلحاد والكفر . وإن في دين الإسلام وتشريعاته الحكيمة درر الجواهر وكنوز المفاخر ، وفيه ما يقنع ويغني عن المذاهب المستحدثة والمبادئ المستوردة .

---

(١) صحيفة اليمامة– العدد (٣٣٧) في ١٢/٣/ ٨٢.

وعلى علماء المسلمين أن يفهموا الإسلام حق الفهم ، وأن يجهروا بالحق ، قيامًا بالواجب ، وعلى حكام المسلمين وذوي السلطان التطبيق والتنفيذ ، حتى نستطيع أن نقدم للعالم الدليل الناصع على ما لدينا من كنوز نفيسة ، وتشريعات سديدة حكيمة ، وأن نعرف تلك اللآلئ ونحترمها .

ومن ثم كان الاستبشار عظيمًا بتطبيق : من أين لك هذا ؟ لأنه قد يكون بداية لفهم عميق في دراسة الإسلام ، وإدراكًا للأخطار التي تهدد المسلمين في عقائدهم ومثلهم ، وتجد بعض الثغرات التي تلج منها ، وتموه على ضعاف البصائر بواقعها وأخطائها ، ولاسيما ناحية المال وتصريفه .

والإسلام الذي جاء نورًا وهدى ، بعدالته وسمو أهدافه ، قد حقق الأمل المنشود في هذا المجال وغيره .

ففيه تنظيم للأموال ، ودقة في التفصيل ، وعدالة في التوزيع مما يدحض مفتريات المفترين ، وتخرصات الجائرين .

وما قاعدة : من أين لك هذا ؟ إلا إحدى المثل ، وأنموذج للتشريعات السامية العادلة .

وفي قصة الرجل من الأزد ، وقد بعثه الرسول ﷺ عاملًا على الصدقة ، وجاء يقول : هذا لكم وهذا أهدي إليّ . وقول الرسول ﷺ : « هلا جلس في بيت أبي أو في بيت أمه ، فينظر هل يهدى إليه ؟ »[(١)] . وفي مشاطرة عمر لبعض الصحابة أموالهم مع استقامتهم وأمانتهم ، ما يعطي الدليل القاطع على أن تلك التشريعات الإسلامية لو قدمت للعالم على حقيقتها ؛ سالمة من التحريف والتأويل الجائر ، لقبلها فرحًا مسرورًا . ولأدرك أن ما يزعمه أعداء الإسلام عن الإسلام إنما هو كذب وتضليل ، وأن الدين الإسلامي هو دين الحق والعدل والإخاء ، لا تلك

(١) تقدم تخريجه قريبًا في المقال السابق .

المبادئ التي يطليها أصحابها بكلام كاذب وزخارف باهتة ..

إننا اليوم في خضم صراع مرير في المبادئ ، وعلينا أن نبرهن للعالم أن لدينا مبادئ هي أفضل مما لديه ، وأنها المبادئ التي تطمئن إليها النفس ، ويسكن لها الفؤاد ، ويرتاح بها الضمير ، وأن العالم المتعطش للهدوء والاستقرار هو في مسيس الحاجة لذلك الدين ، ولتلك التشريعات ، بل هي التي يجب عليه اتباعها ، بل إنه الدين الحق ، ورسوله خاتم الرسل قد بعث للناس أجمعين . وبعد ، فهذه خطوة طيبة تتلوها خطوات موفقة بإذن اللّه .



أموال الدولة يجب الحفاظ عليها[١]

يتصور بعض الناس أن أموال الدولة لا حرج في الحصول عليها بأي وسيلة، وقد يتقدم بعضهم بطلبات كاذبة؛ لينالوا شيئًا من المال، كأن يزعموا أنه أصابتهم جائحة أو خسارة، ولم يكن حدث لهم شيء من ذلك. ولبعض الموظفين الذين يتحايلون على تعويض عن نقل عائلته من جهة نائية، ويأخذ تعويضًا عن ذلك من مال الدولة، وهو كاذب، وربما بلغ التحايل ببعض الناس إلى أخذ الرشوة والسرقة، ولا يرى في ذلك جريمة، طالما أنه من مال الدولة.

وهذا التصور الفاسد ينتج مضارًا كثيرة، ومفاسد مستطيرة، وهو ينخر في جسم الدولة كما ينخر السوس في الخشب، ويهدم الكيان، ويقلب المقاييس.

والموظف الذي يساعد على هذه الأشياء هو مسيء، وأداة هدم في بناء الأمة ورقيها.

فمال الدولة هو ملك لكل الأفراد من الأمة، وما الموظف فيه إلا واسطة لإيصال الحقوق إلى أهلها، مهما علا مركزه وارتفعت مرتبته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية»[٢]: «وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم نواب ووكلاء ليسوا ملاكًا. قال النبي ﷺ: «إني والله لا أعطي أحدًا، ولا أمنع أحدًا وإنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت». رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه[٣]. فهذا رسول رب العالمين قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته، واختياره، كما يفعل في ماله، ذلك المال الذي أبيح له التصرف فيه، وإنما هو

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤١٣) في ١٤/٤/١٣٨٣هـ.

(٢) السياسة الشرعية ص٤٧.

(٣) أخرجه البخاري (٣١١٧) بمعناه.

عبد اللَّه يقسم المال بأمره فيضعه حيث أمره اللَّه تعالى . وهكذا قال رجل لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت على نفسك في النفقة من مال اللَّه تعالى . فقال له عمر : أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء ؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منهم مالًا فسلموه إلى واحد ينفقه عليهم ، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم ؟

وحمل مرة على عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه مال عظيم من الخمس . فقال : إن قومًا أدوا الأمانة في هذا لأمناء . فقال له بعض الحاضرين : إنك أديت الأمانة إلى اللَّه تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت رتعوا .

فهل يفهم أولئك المتجنون على الحقيقة : أن أموال الدولة أمانة يجب أداؤها على الوجه الصحيح ، وأنها ليست غنيمة ينهبها من يقدر على النهب ، ويتحايل في الاستيلاء عليها بشتى الطرق والوسائل ، ويبعثرها حسب هواه ومزاجه ..

إنها أمانة ، فمن فرَّط فيها فهو مقصر ، ومن بددها فهو آثم ، ومن نهبها فهو خائن يستحق العقاب الرادع ، والجزاء الصارم ..

إننا نأمل أن يرعوي أولئك الذين يحسبون أموال الدولة مباحة للمختلسين والخائنين ، وأن من وقعت في يده فهي ملكه يتصرف فيها بلا حساب .

وإذا لم يرتدعوا فسوف يأتيهم العقاب عاجلًا أو آجلًا ، وسوف لا يعذرون في خيانتهم ، وسرقاتهم وحيلهم المموهة ، فهل يعتبرون قبل أن يفلت الزمام ، ولات ساعة مندم ، لعل وعسى !!!



بيوت الأقارب وأموال الدولة(١)

في عدد فائت تكلمتُ عن وجوب الحفاظ على أموال الدولة، والموضوع متشعب الأنواع والأشكال، متفرع الغصون والعروق.

وهناك ظاهرة تستوجب العناية للوقاية من امتدادها وعدواها، وقد انتشرت بشكل يدعو للمبادرة إلى وقف ضررها وسريان خطرها، وهذه الظاهرة هي أن بعض المسؤولين يستأجرون دورًا «لأقاربهم» بأجور باهظة على حساب ميزانية الدولة، ويكون الدافع لذلك في الدرجة الأولى محاباة القريب، وإعطاءه إيجارًا كبيرًا يصل أحيانًا إلى ٥٠٪ من قيمة الدار، أو ٣٠٪ !!

ومن الطريف: أن بعض هؤلاء يحاول الإيهام والتضليل لإخفاء اسم قريبه، بحيث ينطلي على من يخشى اعتراضهم على ذلك التصرف عندما يعلمون بالحقيقة.

وغني عن القول أن هذا عبث بأموال الدولة، وخيانة للأمة، وتبذير لثروة الشعب.

ولسنا ندري عن موقف «ديوان المراقبة» حيال هذه المسائل، وهل سكوته راجع إلى عدم علمه بذلك؟ أو إيثار للسلامة؟! أو عمل بالكلمة المأثورة: «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب».

إننا نعلم أن «ديوان المراقبة» العامة يعترض أحيانًا على غلطة في قروش أو هلل، وتأخذ المعاملات دوراتها الروتينية، وقد تكلف الدولة كثيرًا من المال والجهد، فلماذا لا يعترض على استئجار بيوت «الأقارب» والشركاء؟!

ولماذا لا يكون لديه الوسائل الكفيلة بمعرفته لهذه الأوضاع؟ ولماذا لا يعلن رفضه لأمثال هذه الحالات التي تنم عن استهتار بالوظيفة، واستهانة بالأمانة،

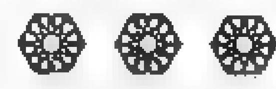
(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤١٨) في ١/٥/١٣٨٣هـ.

وعدم تقدير للمسؤولية ؟ !وليست هذه الأوضاع خفية ، بل هي مدار حديث كثير وتعليقات وهمسات .. « وما يوم حليمة بسر » .

إن الصحافة مرآة الشعب تبرز هذا الموضوع قيامًا بواجبها ، ونود أن نرى عملًا حازمًا من لدن المسؤولين في الدولة ، ولا سيما « ديوان المراقبة العامة » وما يتخذه من إجراءات في هذا الصدد .

والمواطنون يترقبون أن يؤدي هذا الديوان ما أوكل إليه بهمة وإخلاص ، وإن لم يفعل فسيكون متقاعسًا عن واجبه ، وسيفقد الثقة التي- لا نشك- أن المسؤولين في الديوان يحرصون على نيلها .

إن أموال الدولة ليست ملكًا لأولئك الذين يريدون توزيعها على أقاربهم بطرق ملتوية ! وأساليب مكشوفة ! حتى وإن تستروا بشتى الستائر واندسوا في الرمال .. فقد وضح النهار .. وبقي أن يعمل المسؤولون المخلصون لإيقاف هذه البادرة قبل تفاقهم أمرها ، وقبل أن لا ينفع فيها العلاج ، وإنا لمنتظرون .



أعيدوا النظر[١]

تطورت البلاد ، وقفزت في عدة مجالات ، ودبّ الوعي إلى الأصقاع النائية والمجهولة ، ومع ذلك فإن رواسب عميقة الجذور ما فتئت تقف حاجزًا كالأسلاك الشائكة ، وتسبب قلاقل وأخطارًا جسيمة مع أنها لا تتفق والدين والمنطق والحكمة . ومن الواجب إعادة النظر في إصلاح تلك الأخطاء التي تعوق التقدم المثمر ، وغربلتها ؛ ليعاد إلى جادة الصواب ما ند منها ، حتى تسير القافلة برصانة وهدوء .

وهذه قاعدة إجمالية .

ونحاول الآن أن نتحدث عن موضوع حساس : هو ما يسمي بالمقررات والمخصصات والعوائد والشرهات وأشباهها .

وهذه إن كانت صالحة فيما مضى من الزمن ، فإنه يجب إعادة النظر فيها حاليًا ، لترتكز على أسس سليمة ، بعيدة عن الارتجال والإسراف والأهواء . وعمل الدولة إزاء الضمان الاجتماعي يحفزنا إلى القول : إنه يجب إعادة النظر حيال هذه الأشياء .

وأن تعطي حسب الحاجة والعوز ، وأن تضاف إلى مصلحة الضمان الاجتماعي لتعطي الفقراء وذوي الحاجة ، دون الأغنياء ومن لهم موارد تكفيهم ، ومن يستطيعون العمل من التنابلة والعاطلين بالوراثة ، والكسالى .

إن الإسلام دين الحق والعدالة- والذي يفخر أبناء هذه البلاد حكومة وشعبًا أنهم من أنصاره وجنده- قد أمر بتوزيع الأموال توزيعًا صحيحًا ، وأن يكون سببًا لرفع مستوى الفقراء وسد ديون المدينين ، وأن يكون سلمًا لتحقيق الرفاهية والرخاء للجميع .

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٦٧) في ١٩/١٠/٨٢.

ولهذا نهى عن كنز الأموال والشح ، وحذَّر من الإِسراف والتفاخر بالأموال والتطاول على الناس بسببها .

وداعى الإِسلام إلى حفظ أموال المسلمين ، وأن يتصرف فيها بحكمة وعدل .

وإنه في هذا الوقت الذي تصطرع فيه الآراء والمذاهب المتنوعة ، جدير بنا أن نثبت للعالم أجمع أن الإِسلام جاء بالخير والرفاهية ، وإنصاف الفقير دون إضرار بالآخرين أو اعتداء عليهم ، وأنه هو الذي يحقق الطمأنينة للإِنسانية ؛ لا تلك المذاهب المستوردة ، والمبادئ الهدامة التي يتشدق بها بعض المخدوعين ، والتي تقوم على الدماء والفتن والعدوان ..

ومن ثم فإن الواجب إثبات ذلك عمليًا في كل مجال ، ولا سيما في الأموال ، حيث يفهم البعض خطأ أن الأخطاء التي قد تقع في هذه الناحية يقرها الإِسلام ويوافق عليها .. وقد يدفعه هذا الوهم إلى الارتماء في أحضان الشيوعية والمبادئ الهدامة . إن العناية بالفقراء والمعوزين قد بدا جليًا في البيانات الحكومية ، وإنشاء مصلحة الضمان الاجتماعي ، وهذه مساع حميدة إذا ما انضم إليها عمل حازم إزاء أموال الدولة– أو ما كان يسمى ببيت المال– لتحقيق العدالة والرفاهية ، وكذا إذا تعاون الأثرياء والتجار مع الدولة في هذا السبيل ، فإن النتائج الحسنة ستكون حليفة هذه المساعي بإذن اللَّه ، وسوف تخرس ألسنة طالما رددت الاتهامات ، وادعت الأباطيل ، وتشبثت بأخطاء تضيف إليها ألوانًا من الكذب وكثيرًا من الخداع ، وما أولى الحكومة والشعب أن يعملوا جميعًا لدفع الباطل ، وتحقيق العدل ، والعمل الإيجابي السريع في المشروعات النافعة والمقاصد النبيلة . وأن يشعروا بالعبء الجسيم والمسؤولية الخطيرة في هذا الشأن . وفي المثل :

صديقك من صَدَقك– بالتخفيف– لا من صدَّقك . واللَّه الموفق .



في شؤون الوظائف[١]

أشياء كثيرة تدور حول الوظائف ، ورغم النظم والاشتراطات والشهادات وإجراء المسابقات ، فإن هناك أقوالًا طويلة ولغطًا متشعبًا ، وقد لا يتعجل المرء في التصديق بكل ما يقال ، وما يتردد على الألسن ، ولكنه أحيانًا يصطدم بأشياء يقف مبهوتًا أمامها ، ويعجز عن حملها على حسن النية وإخلاص الطوية . ومثلًا لذلك : المصالح والدوائر ما إن يتعين لها رئيس أو مدير جديد حتى تبرز الوجوه الكثيرة في الوظائف من أبناء قرية المدير أو الرئيس أو من مدينته ، وبسرعة فائقة تمتلئ الدائرة أو المصلحة من أهل تلك المدينة أو القرية بالذات ، وتجري المسابقات وتعقد الامتحانات ، ويعلن عن الوظائف الشاغرة ، ويتقدم ذوو المؤهلات ، وفيهم الأقوياء والأكفاء وأهل الجدارة ، وتخرج النتيجة فإذا بالوجوه تشير إليها السهام أنها من النمط نفسه ..

ويتعجب المطلعون ، ويحزن المتأهلون الذين يعودون بخفي حنين ، ويتساءل الناس : ما الخبر؟ ما الحدث؟ هل هي عنصرية على أضيق نطاق وأسخفه؟ هل هي لجوء إلى انطوائية منعزلة ، وعصبية مقيتة؟

إنني لا أعرف التفاصيل والظروف التي من أجلها نجح أولئك دون هؤلاء في مسابقات الوظائف ، ولكن علامات التعجب لا تفتأ تبرز أمام الناظرين لتدل على السر الذي لم يعد خفيًا .

وعندما نتطرق لمثل هذا الموضوع فإنما لنجابه الحقائق ، ولا نتوارى عنها ، ولنسعى لإيجاد الحلول لها ، ما دامت صغيرة ، قبل أن تكبر وتتعقد ويستعصى علاجها .

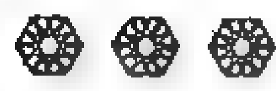
إنني أرجو أن تنال هذه الملاحظة عناية المسؤولين ، وأن يضعوا حدًّا لأمثال

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٤) في ٢٢/٥/٨٣.

هذه الأوضاع السيئة .. وما أحسب إدراك هذه الحقيقة يصعب كثيرًا .

إننا في بلاد قريبة من الفطرة ، ودينها أسمح دين وأعدله وأسماه ، دين لا يقر الظلم ، ولا يجحد المواهب ، ولا يستوي لديه المحسن وضده ، والعامل وعكسه ، والكفوء ونقيضه ، وهو الدين الذي يجب تحكيمه في كل شيء . « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »[1] . « من ولي على المسلمين امرءًا وهو يرى في المسلمين من هو خير منه فقد خان اللّٰه ورسوله »[2] . وبمثل هذه المبادئ السليمة والطرق القويمة تستقيم الأحوال . ويطمئن الناس . وتسير الأمور سيرًا معتدلًا ..



---

(١) أخرجه أحمد ٤٧٤/٣٨ (٢٣٤٨٩) من حديث أبي نضرة، حدثني من سمع رسول اللّٰه ﷺ... فذكره. وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٠/٣ من حديث جابر رضي اللّٰه عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه الطبراني (١١٢/٦)، والحاكم ٤/ ٩٢، والبيهقي ١١٨/١٠ من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما. وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٥٤٥).

خريج هندسة البترول
لا يجد عملًا في وطنه[1] ؟!

سمِّه خبرًا، أو لفتة، أو ما يحلو لك، فهذا لا يهمني في قليل أو كثير، وإنما الذي يعنيني فيه هو محتواه. وأكاد أقول جازمًا: إنه يهم كل مواطن في هذه البلاد، ولكن أليس هو خبرًا شخصيًا، فلماذا نشتغل بأمره ونكلف أنفسنا مشقة البحث فيه، واشتغال الصحيفة والقراء بشأنه. وأعود لأقول: إني وقفت طويلًا عند ذلك الخبر الصغير، على الرغم من أنه في زاوية من صحيفة- وفي الزوايا خبايا- (أو قد يكون في الزوايا رزايا) ولم أستطع إزالة مفاد الخبر من ذهني، حتى كتابة هذه السطور، وليست الخبر والحكاية شخصية فقط. إذا لم أتعب نفسي بالكتابة فيها ولم أحمل القاريء مشقة مشاركتي. وكأني بك- قارئي المبجل- وقد سئمت من هذه الرموز، ومللت من هذه المقدمة المضجرة.

وإليك خبرًا في زاوية من صحيفة اليمامة الغراء، بعدد (٢٤١) ولعلك تعذرني بعد قراءته: «لفتة ملكية كريمة»: منذ عشرين عامًا غادر مدينة الرياض شاب اسمه: فهد الحماد، تحدوه الرغبة الملحة في طلب العلم، وبعد درس شاق طويل، عاد من الولايات المتحدة الأمريكية، يحمل شهادة عالية في هندسة البترول. وكان الشاب يظن أنه سيجد الأبواب أمام مواهبه مفتوحة، ولكن أمله خاب وتطرق اليأس إلى قلبه، بعدما أنفق في مراجعة الشركات والدوائر الحكومية المختلفة، جهدًا لا يقل عن الجهد الذي بذله في تلقي العلم، ولكن يدًا كريمة امتدت إليه ونشلته من وهدة اليأس والقنوط، فما علم جلالة الملك المعظم بحالته، حتى أمر- حفظ اللَّه- بإيجاد عمل مناسب له في الخاصة الملكية.

وهكذا يثبت جلالته بأنه الأب الرحيم لأبناء شعبه الوفي.

---

(١) صحيفة القصيم (٤٣).

إلى هنا ينتهي الخبر الذي ذكر في صحيفة اليمامة بحروفه .

هل أدركت : لماذا اندهشت عند سماعي هذا النبأ ، مع أنه شخصي في ظاهره ؟ إنه لنبأ غريب ومثير في آن واحد .

شخص من أبناء هذه البلاد ، ذهب للدراسة في الولايات المتحدة ، ولا ندري هل هو على نفقة وزارة المعارف ، أو إدارة المعارف ، أو هو على حسابه الخاص ؟

ثم بعد عشرين سنة ، عاد يحمل شهادة عالية في هندسة البترول ، فوجد الأبواب موصدة أمامه . ولسنا نستغرب أن يعطف الملك على أحد رعيته ، وإنما الذي نشمئز منه ، أن توصد أبواب العمل والوظيفة أمام عصامي من صميم أبناء البلاد ، ولم أفهم تعليلًا لذلك ، ولم أكد أصدق الخبر ، لولا أنه يجبر على تصديقه وقوته .

إن بلادنا في أمس الحاجة لخريجي الجامعات ، ولا سيما البترولية منها ، فلماذا لم يجد حامل شهادة عالية في هندسة البترول عملًا فيما يتعلق باختصاصه ؟ ولماذا لا يجد عملًا في شركة أرامكو ، وهي المتسعة لأبناء سام وحام ؟ ولماذا لم يتوظف في مديرية الزيت والمعادن ؟ هل بدأت البطالة في بلادنا ؟ وبالنسبة لمواطنينا ، حتى في الجيلوجيا ، وهل ضاقت الشركات وجهات الاختصاص بهؤلاء لكثرتهم ، وكم لدينا من حاملي مثل هذه الشهادات ؟ !

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا تصايح الشركات وبعض الدوائر بأنه لا يوجد مواطنون فنيون ، فيفتح باب الوظيفة والأعمال لكل من هب ودب ، ثم تنصب الأسلاك الشائكة ضد المواطنين وحدهم ؟ !

لو أن هذا المواطن النشيط ، لم يذهب ليدرس في الخارج ، ولم يدرس أصلًا ، لكان من حقه على الدولة أن توجد له عملًا ، وعلى الأخص ما دام الأجانب من كل الجنسيات إذا دخلوا البلاد وجدوا الأعمال . كيف وقد غامر

وضحى تضحيات جليلة وأنفق عشرين سنة من زهرة عمره ؛ أملًا أن يخدم بلاده ، وأن يساهم بنصيب في تقدمها والنهوض بها في حدود اختصاصه ، وعلى قدر استطاعته ، بآمال عريضة باسمة ، ولكن يرى ما لا يخطر له على بال ، إنه يجد الرفض والإهمال في بلده .

عجبًا ، إن هذا الشاب لو أنه عاد فاشلًا قد رسب في دراسته وطلب عملًا ، لقلنا : من حقه أن يجد عملًا أيضًا ، فكيف وهو يحمل شهادة عالية ، وفي أي شيء؟ في هندسة البترول ! ولكن هذه الشهادة لا تشفع له لدى شركات الاحتكار الأجنبية .

والأدهى : إنه لم يجد من المسئولين المؤازرة والحماية ، فيفرضون على الشركات أن توظفه وظيفة لائقة بدراسته ؟ ! إنها مسألة محيرة ومسألة عميقة ، هي أعمق مما تبدو عليه لأول وهلة . إنها تتعلق بمصلحة البلاد ، وتهم كل أبناء البلاد . وإني لأعرف أن هناك طلبة يدرسون في أمريكا في الشئون البترولية ، فماذا ستكون حالهم حين يعودون حاملين شهاداتهم بعد دراسة مضنية ؟ هل سيقابلون كما قوبل فهد الحماد ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فمن الأفضل سحبهم من الآن لإراحتهم من عناء دراسة يضيعون فيها زهرة عمرهم ، ثم لا يجدون بعدها إلا الصد والتعطيل والضياع .

إنه ليس المهم أن يوظف المتخرج فقط ، ولكن أن تستغل مواهبه ، وأن يوظف وينتفع به في مجال اختصاصه .

ومرة أخرى إنا نطلب التحقيق في هذا الشأن[١] .

وتوظيف فهد الحماد ومن على شاكلته في وظيفة تتفق ومؤهلاته ؛ لمصلحة البلاد ، ولرعاية حقوق الأمة ، وحفظ كرامة أبنائها ، إنا لا نستدر العطف لهم ،

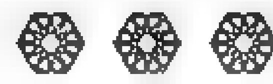
(١) في الأصل : « الشاب » . ولعل المثبت هو الصواب .

وإنما نطالب بإعادة حقهم إليهم . كما نرجو أن يتخذ من هذه الحالة درسًا يظهر ثمرته ، وتبرز نتيجته في المستقبل القريب .

فبلادنا أحوج ما تكون إلى تشجيع النابغين ، وتنمية مواهب المجدين ، وإفساح المجال أمام العصاميين .

إن ذلك خير وأجدى من هذه الحالة المزرية التي يعامل فيها النابغون البارزون تلك المعاملة الشاذة ، التي تثير الدهشة .

وقد يكون هناك من يعمل وراء الستار ، وعلى غرة من مسئول على تحطيم كل شاب غيور ، وكل نابغ موهوب ولأمر ما أجدع قصير أنفه . فلنحذر الدساسين والمدسوسين ، ولنقدم المصلحة العامة ، فذلك خير وأجدى ، وليكن في ذلك عظة وذكرى .



مأساة فرد .. أم مأساة أمة ؟![1]

يوسف عبد اللّه فالسي- هذا اسم إيطالي أسلم ، وكان اسمه سابقًا ماريو فالسي- نشرت مأساته جريدة البلاد بتاريخ ١٢- ١- ٣٨٣ وهي مأساة بحق .. كان يوسف يتقاضى مرتبًا قدره ألف ريال قبل إسلامه فلما أسلم منذ أربع سنوات ، ناصبه الإيطاليون المسيحيون العداء وفصل من العمل لدى ابن لادن ، وفتح ورشة وتسببت وزارة العمل في قفلها ، فأصبح عاطلًا فقيرًا ، فقد زوجه وأولاده وعمله ومصدر كسبه . والشخص شريف لا يريد صدقة ، إنما يريد عملًا ، هذا ملخص القصة .

وهي قصة تدمي القلب ، وتكلم الفؤاد ، وتثير في النفوس المؤمنة وفي الضمائر الإنسانية أشجانًا وأحزانًا .

وهي مأساة عميقة ، ليس بالنسبة لهذا الشخص الذي أوذي بسبب إيمانه ورجوعه إلى دين الحق وشريعة الإسلام والنور .

وإنما بالنسبة لمستقبل البلاد ، فهي تثير الشفقة والألم معًا ، أن يفكر من يدَّعون الوعي والثقافة- أو من يفترض فيهم هذا- ومن أنيطت بهم مسؤليات جسام بمثل هذا التفكير . وأن تبلغ بهم الاستهانة بدينهم وأواصر القربى مع أخ لهم يجب تأليفه والاستبشار بهدايته ، وتسهيل سبل العيش الكريم له إلى هذا الحد . هذا وهو لم يبد منه ما يثير الريبة فيه .

إنني ممن يقولون : إن أبناء البلاد أحق بمصالحها وأولى بالتقديم ، حيث إنهم يتحملون من الأعباء تجاه وطنهم والحرص على مصلحته ودرء الشر ، عنه أكثر من غيرهم- ولا أريد أن يصل التعصب إلى هذا الحد . ولا أن نتجاهل الظروف والأحوال الاستثنائية .

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/١/٢١هـ .

إن ديننا يعلمنا أن المسلم أخو المسلم ، ولنا في المهاجرين والأنصار أسوة ، وأن اللّٰه قد شرع حقًا مفروضًا في الزكاة للمؤلفة قلوبهم .

وإننا قبل ذلك- وبعده يجب أن نعتز بتعاليم ديننا وشريعة نبينا أكثر مما نعتز بقوانين وضعية ، قد تصلح لبلاد غير بلادنا ، ولأوضاع غير أوضاعنا . وإن حققت لأهلها مصلحة ، فقد تجني علينا بلاء ، وحتى الدول التي وضعت هذه القوانين والأنظمة ، لا تخلو نظمها وقوانينها من حالات استثنائية .

وفي بلاد أوربية وأمريكية يجد العامل والوافد مجالًا للعمل والتكسب ، وخاصة في ألمانيا ، وفي أمريكا الجنوبية ؛ حيث يوجد عدد كبير من العرب هناك ، يشتغلون في أعمال شتى ، ويزاولون مهنًا مختلفة . ومع هذا فهم يختلفون عن أهل تلك البلاد الأصليين في أشياء كثيرة قد تكون اللغة أو الدين أو الرأي ، ويجدون مجالًا رحبًا .

ولا أريد أن يفهم من كلامي هذا ، أني أريد تقديم العامل السعودي وتفضيله ، بل على العكس ؛ نظرًا للأسباب التي ذكرتها مقدمًا .

وإنما أريد أن تراعى الظروف والأحوال ، فلكل حالة لبوسها ، ولكل مقام مقال ، وقل أن تسلم قاعدة من استثناء .. واللّٰه المستعان .



صور من استغلال النفوذ[١]

قال لي : كتبت عن أموال الدولة التي يبذرها البعض في سبيل أغراضه الخاصة ، وتتحمل خزينة الدولة غرمها ، وعددت بعض الأمثلة .

ولكن هناك أشياء كثيرة لا تزال في حاجة إلى تشخيص ، ومعاجلة من استغلال النفوذ ، والتلاعب بأموال الدولة من بعض من لا يقدرون المسؤولية ولا يهمهم الواجب .

فمثلًا بعض ذوي النفوذ يستخدمون أشخاصًا من موظفي الدولة الصغار من الفراشين والسائقين وأمثالهم في أغراضه الشخصية .

وقد تمر ببيت أحد الموظفين الكبار ، فتجد لديه حشدًا من الخدم والحشم ، وتستغرب من هذه الأبهة والمظهر غير الطبيعي ، وترتسم علامات استفهام ، وتكمن الحقيقة في أن هؤلاء الخدم ما هم إلا موظفون في الدولة ، يتقاضون مرتباتهم من ميزانية الدائرة أو المصلحة على أنهم موظفون بها .. ويعملون فيها ..

وقد يكون الواحد من هؤلاء لا يعرف الدائرة أو المصلحة إلا عند التوقيع على المسيرات وقبض الدراهم ، ولسنا نريد حرمان هؤلاء الموظفين الصغار من مرتباتهم ، ولكنا لا نريد أن يساء إليهم بمثل هذه الحماقات .

وهذا مثل صارخ لاستغلال النفوذ ؛ لا ندري كيف يطول السكوت عنه إلى هذا الحد ؟

ومع ما في هذا العمل من الكذب والخداع ، والقدوة السيئة لنشر هذه المثالب ، فإن فيه إجحافًا بالمصلحة العامة ، وتحايلًا على تبذير أموال الدولة في غير ما يجب صرف هذه الأموال فيه ، وينضم لذلك تضرر الدائرة والمصلحة بهذه التصرفات ، وشل الأعمال الرسمية ، وتعطيلها ؛ نتيجة النقص في أولئك

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٨) في ٦/٦/ ٨٢.

الموظفين الصغار؛ الذين أراد ذلك الموظف الكبير ضمهم لحاشيته لإشباع غروره واستغلال نفوذه.

ولا ندري بالضبط ما رأي المسؤولين في «ديوان المراقبة» وأشباهه في هذه الظواهر؟! وما موقفهم منها؟! كما لا نعلم برأيهم في سوالفها!.

إلا أنا نحسب أن إجراءات ستتخذ لوقف أمثال هذه التصرفات الهوجاء.. وإنا لمنتظرون.



سيارات الدولة[1]

وسيَّارات الدولة، التي أقصدها هي تلك التي تشتري لمصلحة الوزارة أو الدائرة أو الهيئة، وما شابهها من الدوائر الحكومية. ولأجل أن تستعمل في أغراض تعود بالنفع لتلك الجهات.

وقد يستخدمها الموظف من أجل المصلحة العامة المتعلقة بعمله الرسمي في حدود معلومة .. وإلى هنا والأمر معقول ولا غرابة فيه، ولكن الذي هو غير طبيعي ولا معقول، أن يتصرف فيها بعض الموظفين، وكأنها ملكه الخاص، ويستعملها في مصالحه الشخصية، ويسافر فيها بعضهم- مئات الأميال- في زيارته أو نزهته، ونقل عائلته وأصدقائه، ولا يرى في ذلك أي غضاضة أو حرج، هذا في نفس الوقت الذي يتقاضى فيه بدل تنقل من ميزانية الدولة، ثم لا يترك سيارات الدولة، بل يستخدمها في أغراضه الخاصة، ويسرف في ذلك بلا مبالاة ولا رفق.

إن الدولة تنفق الكثير، وفي كل وزارة ودائرة ميزانية خاصة لشراء السيارات، والدولة عندما تبذل هذا البذل فليس لكي ينتفع بها بعض أشخاص، ويسيئون التصرف، ويعكسون القصد من شرائها، ويهدرون المصلحة العامة في سبيل المصلحة الخاصة.

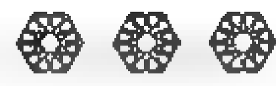
والدولة التي تريد سد المنافذ على العابثين، وتسعى لتصحيح المفاهيم المقلوبة، وتكافح الرشوة واستغلال النفوذ وأمثالها من وسائل التخريب للمجتمع الذي تنخر فيه، كما ينخر السوس في الخشب، لتقوض دعائمه وتمزقه أشلاء.

هذه الدولة- يمثلها «ديوان المراقبة العامة» وغيره من الجهات المعنية، جدير بها أن تولي هذه الناحية عنايتها، وأن تضرب بشدة على أولئك المستغلين

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٣) في ١٩/٥/٨٣.

لنفوذهم والمسيئين للتصرف في أموال الدولة وإيقافهم عند حدهم ، حتى يكون للعدالة حرمتها ، وللأمانة وزنها ، وحتى يدرك أولئك خطأهم ، ويحذر غيرهم السير على طريقتهم ، وبذلك تؤدى الأمانة في هذه الناحية ، ويحفظ مال الدولة من عبث العابثين ، ويفهم الآخرون أن أموال الدولة لها حمايتها وصيانتها ، فليست مجالًا رحبًا ، ومركبًا سهلًا لكل من يستهتر بالمسؤولية ويتلاعب بأموال الأمة ومقدراتها .

إن موضوع السيارات هذا قد كثر الحديث عنه ، وطالما انتظر الناس هبّة ويقظة من « ديوان المراقبة العامة » وأشباهه من الأجهزة المعنية ، ولكن الانتظار طال ، ولم يروا له وجودًا .. فهل يا ترى ستبرز أعمال حاسمة تحقق الأمل الذي أوشك اليأس أن يلقيه في عالم النسيان ؟ !



بدل نقل لصغار الموظفين[1]

في كلمتي السابقة، تحدثت عن سيارات الدولة وتصرف بعض الموظفين حيالها، واليوم نتحدث عن موضوع يعتبر مكملًا للأول؛ هو الموظفون دون المرتبة الخامسة، وكيف أنهم لا يأخذون بدل تنقل، بينما يأخذ موظفو المرتبة الخامسة فما فوق. وهذا الوضع نتج عنه شيئان مضران:

أولهما: إحداث فوارق وحزازات، كان من الممكن تجنبها بالتسوية في إعطاء الجميع بدل تنقل.

ثانيهما: أن بعض الموظفين استغل هذه الناحية استغلالًا غير حميد، فكثير من السيارات التي تشترى باسم صغار الموظفين لا يستفيد منها هؤلاء الصغار، وإنما يتصرف فيها بعض الكبار، وكأنها ملكه الخاص، وتدفع الدولة راتب السائق وثمن المحروقات، والإِصلاحات وقطع الغيار، وتكون فائدتها لذلك الموظف الذي يأخذ بدل نقل إضافة لذلك كله وغيره، وقد لا ينتفع منها صغار الموظفين إطلاقًا، وإن انتفعوا فبنزر قليل، وما حالهم معها إلّا كحال ذلك الخليفة العباسي الذي تؤخذ باسمه الدنيا جميعًا «وما من ذاك شيء في يديه».

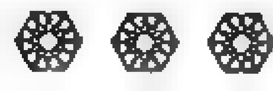
إن العدالة تقتضي أن يعطى صغار الموظفين بدل تنقل أسوة بكبار الموظفين، ومع ما في هذا من عدالة ظاهرة، وإشعار الموظفين الصغار بأهميتهم، والحرص على مصلحتهم، فإن فيه كذلك توفيرًا عظيمًا لأموال الدولة التي يذهب جزء كبير منها في شراء السيارات، وباسم من لا يناله منها إلا الرذاذ النزر.

والموظف الصغير أحق من الكبير في إعطائه بدل نقل، وهو أكثر حاجة وأولى برفع مستواه المعيشي.

وإني أقترح أن يعطى موظف المرتبة السادسة مائة وخمسين ريالًا بدل تنقل،

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٥) في ٢٦/٥/٨٣.

ويكون أقل ما يعطى لموظف هو سبعون ريالًا ، وأحسب أن هذا لو تحقق سيكون فيه فائدة كبرى ، وتقدير عادل فيه المصلحة والشعور بالعناية ، ولا شك أن الموظف عندما يرى الاهتمام به ، والحرص على مصلحته من قبل الدولة ومساواته بزملائه ، فسيبذل الجهد لأداء عمله على الوجه المطلوب ، وسيقدم إخلاصه وطاقاته راضيًا مرتاح القلب مطمئن الضمير ، وحري به عند ذلك أن يخرج عملًا مثمرًا بعيدًا عن القلق والشعور بالضياع والإهمال ، إننا واثقون أن الحكومة سوف لا تدخر وسعًا في إنصاف صغار الموظفين وإعطائهم ما هم به جديرون !



حاجتنا إلى الإِخلاص[(١)]

إذا كانت البلدان- مهما تطورت صناعيًّا وزراعيًّا وثقافيًّا- محتاجة إلى علم الآخرين وخبرتهم .

وبلادنا في حاجة إلى خبرة الخبراء وعلم العلماء ، ولكنها في حاجة قصوى هي أكثر بكثير من ذلك ، إنها في حاجة إلى الإِخلاص الذي يدفع المرء دفعًا إلى تقدير المسؤولية ، والأمانة في العمل ، والإِدراك للمصلحة العامة إدراكًا لا يقف عند حد ، ومن ينظر إلى كثير من الثغرات والفجوات ؛ يجد أنها في أكثر حالاتها ترجع في الدرجة الأولى إلى فقدان الإِخلاص ؛ لا إلى عدم الخبرة ، فهناك من ينظر للوظيفة على أنها سلم مريح لنيل الثروة وتكديس الأموال ، والظهور بمظهر الفخامة الزائفة ! ولو أضاع من أجل ذلك الحقوق وخان الأمانة . وهناك من يرى في قربه من كبار المسؤولين وسيلة لتحقيق أغراضه الشخصية ، ضاربًا عرض الحائط بالمصالح العامة ومهدرًا الحقوق .

وهناك من لا يعرف سبيل التعاون لهوى في نفسه ، فتضيع بذلك شؤون وأمور بسبب أغراض شخصية أو حزازات نفسية ، ويتحمل وزر غلطته وحماقته البائسون .

إننا نرفع الصوت عاليًا : نريد إخلاصًا .. نريد تعاونًا .. نريد أن يدرك الطبيب أن عليه مسؤولية جسيمة تجاه صحة المواطنين والعناية بهم والحنو عليهم .

نريد أن يدرك العالم أن عليه واجبًا ضخمًا في إبراز علمه ونشره لينتفع به الناس .

نريد أن يدرك الموظف بالزراعة أن عليه (عبئًا) في تقوية الزراعة وتنشيطها ، ومحاولة الاكتفاء الذاتي والتصدير أيضًا . نريد أن يفهم الموظف بوزارة المالية-

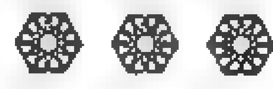
---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٤٧) في ٢٢/٥/ ٨٢.

أي موظف- أن من واجبه حفظ أموال الشعب عن العبث، وصيانتها عن الاختلاس، وضبطها عن البعثرة في الهواء.

نريد أن يفهم الجندي أن عليه حماية البلاد من الطامعين والأعداء ومثيري الفتن، ومن يريدون لبلاده الشر والدسائس والقلاقل، حريصًا على قوة الجيش وسلاحه وذخيرته.. نريد أن نتخلص من الغش والحسد والمكائد.. نريد أن يتطور الفهم إلى نبذ الغطرسة والكبرياء والأحقاد، والعمل بجد وحزم وأمانة وإخلاص لرفع مستوى البلاد، والنهوض بها دينيًّا واقتصاديًّا وصناعيًّا وثقافيًّا.. نريد أن يعم الصفاء والإِلفة، وأن نعمل متكاتفين لخير أمتنا وبلادنا، متبعين في ذلك قول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ...»[(١)].

وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[(٢)].



(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وليس عندهما: «ولا يكذبه».
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦)، ومسلم (٦٥/٢٥٨٥).

تغيير أسماء الشوارع[(١)]

كلما قرأت أو سمعت عن تغيير اسم شارع من الشوارع وجدتني مدفوعًا للتفكير في الفائدة التي يمكن أن تأتي من التغيير، وهل يعادل الربح فيها الخسارة؟ وفكرت فيما ينجم عن التغيير من ارتباك في وثائق العقارات، واختلاط العقود، وما قد يعرض للأوقاف من ضياع، وتمنيت أن تراعى مثل هذه الاعتبارات عندما يتقدم أحدهم باقتراح أو رأي بهذا الصدد، حتى لا تغير الأسماء المعروفة، وعلى الأخص إذا كانت أسماؤها جميلة، ليس فيها تنفير، ولا ضرر. أما إذا كان الغرض هو أن يقترن اسم الشارع بشخص ما، فليكن في الشوارع الجديدة التي لم تسم بعد، ففيها مجال واسع.

ومن ثم فإني أتخيل أن إعادة الأسماء المغيرة في الشوارع القديمة، وعلى الأخص إذا لم تحظ الأسماء الجديدة بالذيوع والاشتهار على الألسنة بشيء مناسب.

هذا وقد رأيت في مجلة المصور العدد- ١٨٨٢- كلمة للأستاذ فكري أباظة أعجبتني، قالها مجيبًا لمن سأله يقول: يسألني عن كثرة تغيير أسماء الشوارع، ونزع الأسماء القديمة ووضع الأسماء الجديدة. وأقول لحضرته: إن هذا خطأ وظلم ومخالف للاتفاقات الدولية.

أمَّا إنه خطأ، فلأنه لا داعي له مطلقًا، وأنه طغيان على التاريخ، فلكل اسم قديم تاريخه، تاريخه المرصود في الكتب، وعندما نمحو الاسم نمحو التاريخ، فإذا أراد مؤلف جديد يعيد التاريخ لم يجد الأسماء ولا الشواهد، وهو ظلم؛ لأنه طغيان على حق الأموات، ومن حقهم ذلك التخليد الذي لم يكن عبث عابث.

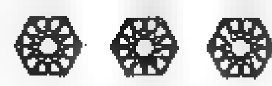
وأما مخالفة الاتفاقات الدولية؛ فلأن المؤتمرات البريدية قد قررت هذا؛

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (٤٢) ٦/٤/ ١٣٨٠.

حتى لا يحدث اضطراب ولا خلل في عناوين الخطابات والبرقيات وخصوصًا التجارية ، وما يترتب على ذلك من أضرار وتعويضات . ولا نريد بعد ذلك أن نبحث في قيمة ومكانة الأسماء الجديدة ، فكل نقابة تريد أن تجيء ذكرى أعضائها ، والمجال واسع في الشوارع الجديدة ..

هذه كلمة الأستاذ فكري أباظة ، وهي جديرة بالتأمل ممن يهمهم الأمر .



الشحاذون يوم الجمعة[١]

السّوالُ المحتاجون، والفقراء عمومًا يثيرون العطف والشفقة، وللفقراء حق معلوم في مال الأغنياء، ومن الواجب حمايتهم وإغناؤهم عن السؤال وبذل ماء وجوههم.

ويكثر الشحاذون يوم الجمعة، وفي مناسبة شهر رمضان المبارك، وبعضهم لا يكفيه أن يجلس في الطريق، وإنما يلج المسجد؛ ليلف ويدور على المصلين لسؤالهم! وهذا منظر مؤلم مضايق.

ويظهر أن هذا لم يكن جديدًا، بل هو قديم جدًّا، فقد جاء في كتاب «المنتقى من أخبار الأصمعي»[٢] عن أبي يزيد المدني قال: كان عكرمة إذا رأى السوَّالَ يوم الجمعة سبَّهم، فقلت له: ماذا تريد منهم؟ قال: كان ابن عباس يسبهم إذا رآهم. فقلت له كما قلت لي[٣]. فقال: إنهم لا يشهدون للمسلمين عيدًا ولا جمعة إلَّا للمسألة والأذى، فإذا كانت رغبة الناس إلى اللّٰه عزَّ وجلَّ كانت رغبتهم إلى الناس.

ويذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة الإمام المؤرخ المفسر محمد بن جرير الطبري حكاية طريفة. قال[٤]: وقد أراد الخليفة المقتدر في بعض الأيام أن يكتب كتاب وقف، تكون شروطه متفقًا عليها بين العلماء، فقيل له: لا يقدر على استحضار ذلك إلا محمد بن جرير الطبري. فطلب منه ذلك، فكتب له فاستدعاه الخليفة إليه، وقرب منزلته عنده، وقال له: سل حاجتك. فقال: لا حاجة لي. فقال: لابد أن تسألني حاجة أو شيئًا. فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السوال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع.

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (٤٢) ٦/٤/ ١٣٨٠.

(٢) «المنتقى من أخبار الأصمعي» للربعي ص ١٤٠.

(٣) في الأصل: «فقلت لهم كما قال لي».

(٤) «البداية والنهاية» ١٤/ ٨٤٨.

أين إنجازات مجلس التخطيط ؟[١]

يتساءل الناس وحق لهم التساؤل ، أين إنجازات مجلس التخطيط منذ تأسس حتى هذه الساعة ؟ !

إن المفهوم من مثل هذا المجلس أن يبرز أعمالًا كبيرة ، ومشروعات عظيمة يلمسها الناس ويجنون ثمرتها .

وأن يحس الجميع بأن مشروعات لها تأثير على مجرى حياتهم ، وتطورها قد خرجت إلى حيز الوجود ، لتنقلهم من طور التخلف إلى طور التقدم والنهوض ، وسمع الناس عن وفود الخبراء القادمين والذاهبين ، وعن الدراسات تلو الدراسات ، والمستشارين ، وعن الملايين الهائلة المرصدة للمشروعات ، وبقي للتنفيذ والمشروعات المتحققة الملموسة .

وبدت ظاهرة الإِبطاء في تنفيذ المشروعات ، ولسنا ندري هل السبب هو استكمال الدراسات كما يذاع وينشر أحيانًا ؟ ربما ، ولكن هل من الضروري أن يتوقف تنفيذ المشروعات على تلك الدراسات ، وعلى حضور أولئك الخبراء ؟ لا أظن ذلك ، بل إن هناك من الدراسات والتقارير ما وصل درجة التخمة ، فبعض الجهات الحكومية كلما تغير وزيرها أو رئيسها قام سوق الخبراء والدراسات والتقارير .

حتى إذا ذهب وجاء خلفه ليكرر الدور من جديد ، وأين تلك الدراسات والتقارير التي عملت في زمن سلفه ؟ لعلها في زوايا النسيان .

وأين الأموال التي صرفت من خزينة الدولة بسبب استقدام الخبراء ودراستهم وتقاريرهم ما دام أنه لم يستفد منها ؟

وأشياء كثيرة تدور حول هذه العمليات ، وظنون وتخمينات ، ومع هذا فالكل

---

(١) صحيفة اليمامة– العدد (٣٦٤) في ١٣٨٢/٩/٢١.

يسأل: أين ما أنجزه المجلس من أعمال تتفق وما ينتظر منه؟

وبدأ الاستغراب من أن بعض من لهم دور كبير في المجلس قد ناءت كواهلهم- علاوة على واقعهم- بما أنيط بهم من أعمال، فمن وظائف رسمية، إلى اشتراك في اللجان العديدة، إلى ..

ومرة أخرى تبدو الغرابة، كيف يستطيع من يقوم بمثل هذه المشاغل أن يخطط لمجلس التخطيط، ويستوعب الدراسات والتقارير والمناقشات؟ ثم هل من الضروري أن يحمل شخص فوق طاقته، وتناط به شتى المسؤوليات الجسمية التي ظهرت نتيجتها في الواقع الملموس. إن البلاد لم تعد قاحلة من المثقفين والمتخصصين لهذه الدرجة؟

ثم هل من اللازم أن تسند أمور كهذه لمن أثقل بالأعباء وأغرق بالمشاغل، وما السر في هذا التناقض العجيب؟

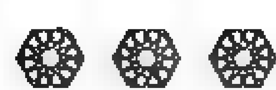
إن الناس ينتظرون من مجلس التخطيط أعمالًا جبارة، يظهر أثرها جليًا في قفزة البلاد ونهضتها صناعيًا وزراعيًا وعلميًا واقتصاديًا.

ومن ثم، فإن الإنجاز للمشروعات والتفرغ من جانب موظفيه شيء لا بدّ منه، إذا ما أريد له أن يحقق ما يؤمله منه المواطنون، أما أولئك الذين يكونون في المجلس دبابيس وأشواكًا، وحجر عثرة في طريق المشروعات والنهوض بالبلاد، وتعطيل المشروعات، وشل حركة المجلس، فإن من الواجب تطهير المجلس منهم والبحث عنهم- إن كان الأمر يحتاج للبحث- ليزالوا من طريق التطور النافع الذين يقفون أمامه حاجزًا..

إن مجلس التخطيط يجب أن لا يقتصر على الدراسات والاجتماعات، بل يتعدى ذلك إلى العمل الجاد المثمر، وإنفاذ المشروعات التي تعود على البلاد جميعها بالخير والازدهار.

وإننا لنرجو أن يولي سمو الأمير فيصل ولي العهد ونائب جلالة الملك، هذه

الآمال عناية خاصة ، حيث إنها آمال أمة ، ورغبات شعب متطلع إلى مستقبل أفضل ، وعلى اللَّه الاتكال[١] .



(١) صدر بعد ذلك مرسوم ملكي بإلغاء هذا المجلس وتحويله إلى هيئة فنية للتخطيط مرتبطة بمجلس الوزراء .

الوظيفة خدمة لا استعلاء[(١)]

الوظيفة محك يظهر بها عقلية الشخص وفهمه وإدراكه للواجبات أو عدمها.

والنفس العالية لا تنظر للوظيفة إلا على أنها شعور بالمسؤولية وخدمة للصالح العام، ومن ثم فإنك ترى هذا الشخص متواضعًا لم يزدهه المرتب ولم تنفخه المظاهر، ومهما علت وظيفته وكبرت فإنه لا يزداد إلا تواضعًا وتفانيًا في القيام بواجباته وتقديرًا لظروف الناس وأحوالهم، وعلى العكس ترى تافه الشخصية ينظر للوظيفة من زاوية أخرى، فهو يراها وسيلة للاستقلال والخيانة، ووسيلة للاستعلاء والغطرسة واحتقار الناس الذين نكبوا بأمثاله واضطروا لمراجعته. ولا شك أن مثل هذا الشخص، مهما بلغ من ارتقاء الوظيفة، فإنه يزداد بغضًا وحقارة، وهو يسيء إلى الدولة أعظم إساءة، وقد يجر النقمة إلى أقاربه وأسرته. ومثل هذا داء وبيل[(٢)] يجب التخلص منه، وعلى الدولة الواعية أن تزيله من طريق الناس حتى تسلم من شروره وسلاطته وتوجّه النقمة عليها بسببه.

وإن الوعي الذي سرى إلى البوادي والحواضر، وإلى سكان القرى والصحاري ورواد الكهوف، لم يعد يستسيغ أن يوضع في طريق حاجاته وبينه وبين مطالبه من ملكه أو رئيس وزرائه- مثلًا- من ابتلي بمركبات النقص، والعقد النفسية المتراكمة ليقف متعاليًا على الناس، محتقرًا لهم يسلقهم ببذيء القول، وفضول الكلام، مهدرًا لكراماتهم، مهما علا منصبه وارتفع نسبه.

وإن إساءة مثل هذا للدولة لا تقف عند حد، بل هي معول هدم في كيانها، وأداة تحطيم لبنيانها من حيث يشعر أو لا يشعر، إذ إن هذا وأمثاله يزرعون الضغينة والكراهية في النفوس، ويبعدون القريب، ويحولون الأصدقاء إلى أعداء،

---

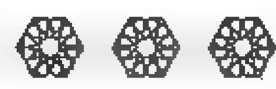
(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٦٣) في ١٦/٩/٨٢.

(٢) الوبيل: الشديد، والوخيم. انظر «تاريخ العروس»، و«المصباح المنير» مادة: (وبل).

وقد يرى فيهم الناس- خطأ- صورة مجسمة للدولة ، ومن الصعب نزع مثل هذا التصور من الأفهام عندما يبذر بذوره .

إن الدولة عليها واجب- هو في مصلحتها والمصلحة العامة على حد سواء- أن لا تسمح لمريدي إذلال الناس واحتقارهم بتبوّءِ المناصب ، حتى لا تفتح ثغرات على نفسها ، هي في غنى عن فتحها .

إن الشعوب التي وعت وعمها العلم ، وتفتحت آفاقها إلى مجالات رحيبة ، وأدركت ما يجري في العالم القريب والبعيد ، لم يعد يلائمها تسلط موظفين من ذوي العقليات المتحجرة الذين يزدرون الناس ، ويتخذون من الوظيفة سلمًا للاستطالة على الشعب وإهدار كرامته بسبب عنجهيتهم ورعونتهم ، وإن الصحافة مرآة الشعوب ، وقد أعطيت هنا فسحة لتقول وتنتقد رغبة في الإِصلاح ، من واجبها أن لا تكتم الدولة هذه الحقيقة ، بل تنبه وترشد الدولة التي تريد أن تعمل في جد ونشاط ، من أول واجباتها إدراك هذه الحقيقة التي قد ينتج عن الغفلة عنها أو التجاهل لها مضاعفات سيئة وردود فعل خطيرة ، واللَّه المستعان .



ضريبة المتخرجين[١]

من المعروف أن في البلاد عددًا لا بأس به من المتخرجين من الجامعات والمعاهد ، سواء في داخل البلاد ، أو ممن ابتعث فدرس في الخارج ، ثم عاد إلى وطنه يحمل شهاداته ويعرض خدماته .

ومن المعروف كذلك أن وزارة المعارف وغيرها من المؤسسات العلمية تستقدم عددًا كبيرًا من المدرسين كل عام من الجمهورية العربية المتحدة وغيرها .

وتتحمل عبئًا جسيمًا في جلبهم ، وفي شراطهم ، ومرتباتهم ومصاريفهم .

كل هذا مفهوم ، والذي أريد أن أخلص إليه من هذه الفذلكة ، هو أني أرى أن يحتم على كل متخرج من أبناء هذه المملكة ، أن يدرس لمدة ثلاث سنوات على الأقل ، وأن يكون هذا أمرًا إلزاميًا ، وذا أثر رجعي ؛ بحيث إن من يشغل الآن وظيفة غير التدريس ، مهما كانت ، يكلف بأداء هذه الضريبة ، إن كان لم يسبق له أداؤها . وأن يكون لوظيفته في التدريس أثر في رفع مرتبه عندما يقوم بمهمة التدريس بصفة جيدة . وأقترح أن يصدر أمر عام إلى الدوائر والوزارات والشركات وغيرها ، أن لا تقبل توظيف متخرج لديها ، ما دام لا يحمل شهادة التدريس بعد تخرجه لمدة ثلاث سنوات فأكثر . ومن الممكن اتخاذ إجراءات ضد من يتأبى عن قبول هذا الأمر ، تكفل انصياعه وقبوله .

على أن الغرض من ذلك هو أن يؤدي هذه الخدمة العلمية النبيلة ويسدد تلك الضريبة لأبناء وطنه . ثم هو يركز معلوماته ويقوي معارفه ، ويظهر موهبته واتجاهه ، لكي يوضع بعد ذلك في الوظيفة التي يمكن أن يكون فيها أكثر نفعًا وأغزر نتاجًا .

---

(١) صحيفة القصيم العدد (٦٧) في ١١/١٠/١٣٨٠هـ .

وما أظن أحدًا يتأبى قبول هذه المهمة السامية والانتظام في سلك التعليم، مهما كان مركزه.

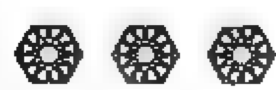
ثم إننا بهذه الطريقة نصيد عصفورين بحجر- كما يقولون- أداء المتخرج الضريبة التي عليه نحو أبناء وطنه من جهة؛ والاستغناء بقدر الإمكان عند انتداب عدد كبير من البلاد الأخرى من جهة ثانية.

وغير خاف أن فائدة كبرى تحصل عندما ينفذ هذا الاقتراح، فمن المفهوم أن أبناء البلاد أقدر على فهم نفسيات الطلاب هنا.

وهم من ناحية العقيدة والفكر أسلم ممن ينتدبون من الخارج؛ نظرًا لتشبع بعض أولئك المنتدبين بآراء متطرفة، أو أفكار منحرفة، أو عقائد مبتدعة. ولعل وزارة المعارف والإدارة العامة للكليات والمعاهد وغيرها من الجهات التعليمية والتثقيفية، تعرف من مشاكل المنتدبين ومن انطباق الأمثلة التي أشرنا إليها، الشيء الكثير.

وذلك مما يسهل تقبل مثل هذا الاقتراح الذي قد يبدو ولأول وهلة غريبًا، وقد يقول قائل: إن تنفيذ هذا الرأي فيه صعوبة ولخبطة، ولكن من الممكن تنفيذه على مراحل، على أن تفكيرًا هادئًا، وتأملًا للموضوع من جميع نواحيه، حري أن يكشف أن ما قد يتوهم من تلك الصعوبات يمكن تذليله وإزالة الأشواك والعقبات من طريقه.

فما رأي جهات الاختصاص؟ آمل أن أعرف رأيها حيال الموضوع، ومن اللَّه نستمد العون والتوفيق.



البادية والقرية(١)

البادية وهي تمثل القطاع الكبير من هذا الشعب ، والقرية وهي تمثل جزءًا كبيرًا منه ما زالا متخلفين بشكل واضح ، بل إن نصيبهما من العناية الرسمية ما فتئ ضئيلًا جدًّا .

وهذا العدد الضخم الذي يبلغ ٩٠٪ من السكان تقريبًا لم ينل بعض حقه ، وما هو به قمين من المشاريع الحيوية التي نالت المدينة قسطًا- لا بأس به- منها .

إن الكثيرين من البوادي وسكان القرى يحتاجون إلى عناية خاصة وسريعة ؛ بتوفير المياه لهم ، والرفع من مستواهم المعيشي ، ونشر الوعي بينهم ، ومساعدتهم على التكيف مع الحضارة الصناعية والقدرة على الاستفادة منها .

فالفلاح في القرية يعاني من كساد محصوله نتيجة المزاحمة الخارجية لمنتوجاته ، وهو في مسيس الحاجة إلى مده بالقروض المجانية ، وبنك التسليف الزراعي أمل منعش للفلاح . أما القرية فينقصها الماء- في عدة جهات من بلادنا- كما ينقصها بصفة عامة الكهرباء ، والبلديات ، وربطها بوسائل المواصلات الحديثة من تعبيد الطرق وسفلتتها ، والسكك الحديد ، والاتصال البرقي والبريدي .

قد تكون بعض القرى حظيت بشيء من هذه الوسائل ، ولكن البعض الآخر يحلم بأن ينال هو الآخر كما نال غيره .

والبادية وهي جزء مهم وعظيم ، ما برحت متخلفة في كل النواحي ، ولم تنل عناية عملية حتى الآن ، وإن كان هناك مشاريع تدرس لإِنعاش البادية والنهوض بها ، إلا أن حالتها كالقرية ، تستدعي السرعة في تحقيق المشاريع النافعة ، فلا يقف « الروتين » البغيض في وجه تقدمها وسرعة النهوض بها .

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٠٠) في ١٣٨٣/٢/٢٧هـ .

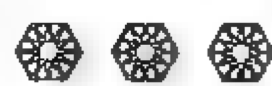
والبادية في حاجة إلى تشجيع كبير من الحكومة، وذلك بحفر آبار ارتوازية لهم، ومؤازرتهم على إنماء الثروة الحيوانية، وفتح المدارس المتنقلة عندهم، وجعل منهج لها يتلاءم وظروفهم وأوضاعهم ليكون تنقلهم تدريجيًا، وتقديم المعونات العاجلة لهم؛ ليحيوا حياة كريمة منتجة.

إن من يفكر في حالة البادية قديمًا، وحالتهم الراهنة يصاب بالذعر لما وصلت إليه البادية من تخلف اقتصادي فظيع، وقد توالت سنوات الجدب والمحل وقلة الأمطار، فكان أن تشتتت البادية، وفقدت البلاد ثروات هائلة من الإبل والغنم، والسمن والإقط، وفقدت البلاد أهم من ذلك، وهي الطاقات البشرية لدى البادية، فإنه لم يكن لهؤلاء نصيب من التعليم يمكّنهم من مجاراة العصر الصناعي.

فظلوا حيارى مندهشين، هذه صورة للأغلبية من البادية، ومن ثم فإن من الواجب العناية بهذه القطاعات الكبيرة من الشعب، وإيلاءها ما تستحقه من رعاية، ورفع مستوى.

إن مقارنة بسيطة بين التطور في المدينة وبين التخلف في القرية والبادية، تظهر البون البعيد بين الاثنين، وأن المسافة ليست قريبة ولا معقولة.

وصحيح أن المدينة لم تقنع بما وصلت إليه من تطور، وما من شك أنها تحتاج إلى أشياء كثيرة، ولكن من الإنصاف أن لا يغفل جانب القرية والبادية في غمرة المطالب بالتطوير للمدينة، والمطالبة بنيل الرغبات الفردية التي لا تقف عند حد ولا يخمد لها أوار[1] !! إننا في عصر صراع، ولن يستطيع الصمود فيه إلا من كان التعادل والاعتدال منهجه، والتوازن رائده، والسرعة في الإصلاح طريقه.



(١) الأُوار، كغراب: حرُّ النار، ووهجها. انظر «لسان العرب»، و«تاج العروس» مادة: (أور).

للتقريب بين الطبقات[1]

هذا رأي أقدمه، بالرغم من أنه شائك ودقيق، وقد يغضب أشخاصًا، ويتذمر منه أناس، ولكن واجب الصراحة، وما يتطلبه الموقف يقتضي أن يقال، وأن يجهر به.

وثقتي: أن من يتناول الموضوع سيهدأ ويزول غضبه عندما يفكر بإنصاف ويتطلع إلى آفاق أوسع!

وهنا نقطتان نريد بحثهما بصراحة ووضوح، بقدر الإمكان!

أولاهما: الفوارق الهائلة في الوظائف؛ صحيح أن المواهب مختلفة، والكفاءات متباينة، والإنتاج متفاوت، ونحن لا نريد أن يغمط صاحب الفضل فضله، ولا أن يجحد جهد المجد، ويكتم تقوى المتقدم، ولكن نريد أن لا تكن الهوة ساحقة، والتفاوت في المرتبات شاسعًا على حد بعيد جدًا.

وإذا أمعنا النظر في صغرى الوظائف وكبراها، وجدنا الهوة الساحقة التي قد ينجم عنها أخطار يصعب تلافيها.

ولو نظرنا على نظام الموظفين بصفة عامة لوجدناه في صالح كبار الموظفين قطعًا دون صغارهم، وعسى أن يكون في النظام المرتقب ما يزيل تلك المساوئ، أو يقلل منها على الأقل.

ومثلًا، راتب الوزير ووكيل الوزارة لا يتناسبان وما تعتزمه الدولة من إصلاحات وتطوير، ونهوض بالمشاريع الكبيرة.

إن عشرة آلاف ريال شهريًا كراتب للوزير، شيء كثير، كما أن راتب وكيل الوزارة وهو خمسة آلاف ريال كثير أيضًا.

ومن الممكن أن يكون راتب الوزير خمسة آلاف شهريًا، وراتب الوكيل

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٥) في ٢٦/٥/٨٣.

أربعة آلاف مثلًا ، وفي الوقت نفسه تعدل رواتب صغار الموظفين بما يرفع مستواهم ويعطيهم دخلًا معقولًا .

هذه واحدة .

أما الثانية : فهي المخصصات والعوائد وأشباههما . وهذه يجب إعادة النظر فيها على وجه سليم حسبما يقتضيه الشرع والعقل ، وما تدعو إليه المصلحة العامة ، وما تتطلبه العدالة والحكمة ، إن الدولة تخطط وتسعى لإقامة المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والبناء على أسس صحيحة متميزة بالعمق والفهم ، ومتحلية بالعدل والصراحة ، حتى تشيع الثقة بين الفرد والمجموع ، والشعب والحكومة ، وحتى يأخذ الشعب أمثلة حية من التضحية والعمل الإيجابي ، ومن واجب الدولة أن تنظر للصالح العام ، وأن لا تستمع للمثبطين « من هيئة المنتفعين » ممن لا يهمهم إلا المصلحة الشخصية مهما نتج عنها من مصائب . هذا وإنا لنثق أن الواعين المدركين سيكونون سندًا للحكومة فيما تقدم عليه من أمثال هذه الأعمال التي تتسم بالعدل والإنصاف ، ولو فاتت بعض مصالحهم الخاصة ، إننا نرجو أن تتخذ خطوة حازمة شجاعة في هذه النواحي ، وأن تأتي الاستجابة سريعة بشكل عملي ، لا تقف دونه المثبطات والموهنات .

ومن واجب الشعب أن يساند حكومته فيما تعمله من أجل الصالح العام ، بما يتماشى مع الشرع والعدالة ، وما يصحح الأخطاء ويعود بالمياه إلى مجاريها الصحيحة .

إننا لا يصح- منا أبدًا- أن ندفن رؤوسنا في الرمال وندع معالجة المشاكل الحساسة جانبًا ؛ لأنا إن فعلنا ذلك لم نقم بواجب الصحافة ومتطلباتها ، ولم نؤدِ الأمانة التي تحملنا مسؤوليتها .

إن هذا العالم الصاخب والممتلئ بالنظريات والدعايات البراقة ، يجب أن لا نغمض عيوننا عنه ، وإنما نقابله بأعمال نستمدها من ديننا ومبادئنا ، حتى تسد

الطريق على المتقولين والمتربصين .

وكل ما يتطلبه الأمر إرادة قوية منفذة ؛ تنبذ التسويف والتردد ، وتسير مع الحق والعدل إلى شاطئ الأمان غير هيابة ولا وجلة .

هذه كلمة نرى من الضروري قولها ، ومن واجبنا أن نجهر بها ، وليس الدافع لها ملء فراغ الصحيفة ، أو محاولة للتسلية ، كلا ، ولكنها حقيقة ، قد يجد البعض طعمها مرًّا ، ومع ذلك فمن الخير له أن يتجرعها كالدواء المر تمامًا . أخيرًا ونرجو ونأمل أن نوفق جميعًا حكومة وشعبًا إلى الخير والسداد .



من كل صوب[١]

قارئ العداد :

قال لي : وما رأيك في قارئ عداد الكهرباء ؟ قلت : لست أعرف ما تعني . قال : أظنك توافقني على أن وقت الضحى ليس وقتًا ملائمًا لحضور قارئ العداد ، فإن هذا الوقت هو وقت عمل الموظف ، وذهاب التاجر والمتسبب وكل ذي حرفة إلى حقله . قلت : بكل تأكيد . قال : وإذًا فالكل- إلا ما ندر- يكون قد خرج من بيته ، وإذا حضر سيادة القارئ للعداد ، فإنه في الغالب لا يجد صاحب البيت ، ثم إننا شعب محافظ ونعتز بذلك ، وليس من شيمتنا أن يدخل في بيوتنا أجنبي في غيبتنا . قلت : وأنعم بها من شيم . قال : ولكن لماذا يختار قارئ العداد هذا الوقت بالذات ؟

وإذا لم يفتح له البيت يكيل الشتائم والسباب ، ويهدد بقطع التيار عن البيت ، وينذر ويتوعد . قلت : نحن في عصر العجائب . قال : وهل يظن قارئ العداد أننا في بلد أوربي ، وهل هو لا يعرف تقاليدنا ومروآتنا ؟ قلت : إن كان هذا أو هذا ، فإن من الواجب ، أن يوقف ذلك الشخص ، ومن يسير على منواله ، عند حده ، وأن يضرب على يده ، وأن يحدد له وقت يقوم فيه بعمله ؛ كبعد الظهر ، الذي يكون فيه جل الناس في بيوتهم .

ثم إن مدير الشركة ، إن كان هو الآمر ، فقد أخطأ ، وتلك بادرة غير محمودة ، فهو يعلم أن الناس لم يقتطعوا جزءًا من دخلهم لإدخال التيار الكهربائي ، إلا ليرتاحوا . أما أن ينغص عليهم ويؤذيهم قارئ العداد ، ويكيل لهم السباب ، فهذا فيه مدعاة للعجب ، ولا نظن سيادة المدير يرضى بذلك .

وكل ما في الأمر أنه ينبغي أن يلقن مثل ذلك الساعي أصول الآداب واللياقة ،

---

(١) صحيفة القصيم - العدد (٤٦) في ٥/٥/ ١٣٨٠.

وإذا لم يرتدع، فما أكثر من يقوم بعمله بدون منغصات ولا مشاكل. قلت: سأكتب شكواك على صفحات الجريدة، وما إخال مدير الشركة إلا مستجيبًا. وها أنذا قد بلغت، بعد أن ضممت صوتي إلى صوته، فهل يستجيبون؟

مكتبة قديمة:

روى الحافظ ابن كثير في «تاريخه» في ترجمة العاضد العبيدي آخر خلفاء العبيديين في مصر، عن ابن أبي طي قال: ووجد خزانة كتب في مخلفات العاضد، ليس لها في مدائن نظير، تشتمل على ألفي ألف مجلد، قال: ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون مجلد من تاريخ الطبري، وكذا قال العماد الكاتب: كانت قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد. وقال ابن الأثير: كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة، مائة ألف مجلد، وقد تسلمها القاضي الفاضل، وأجد منها شيئًا كثيرًا مما اختاره وأنتجه.



خبر له مغزاه[1]

وجد العريف يعن الله بن عبد الرحمن العمري ، والجندي سعيد بن ناصر القحطاني ، وهما من قوة المرور مبلغًا يزيد على أربعة آلاف ريال ، وسلماه إلى إحدى مناطق الشرطة في الرياض ، وهذا خبر قد يكون عاديًّا بالنسبة لبلاد تنعم بالأمن ، وتأمن على أنفس أهلها وأموالهم وأعراضهم كبلادنا ، ولكنه مع ذلك يستحق التأمل ، ويستثير الإعجاب بشجاعة الرجلين ، وأدائهما للأمانة ، وفهمهما لواجبهما حيال الأمن والمحافظة على حقوق الناس .

ولقد أبدى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض تقديره للرجلين بأن دفع لهما مبلغ أربعمائة ريال وشكر لهما .

وهذا التقدير من الأمير يذكر فيشكر ، وهو معنى سام للتقدير النبيل للمحسن ؛ ليضاعف من جده وإخلاصه وقوة عزمه ، وليكون « قدوة » صالحة لغيره في فهم الواجب ، والحرص على أداء الأمانة ومراعاة الحقوق .

إن لهذا الخبر أكثر من معنى ، وأكثر من دلالة ، وبلادنا- بحمد الله- لا تزال بخير ، فهي قريبة من الخير ، والتمسك بالدين ، ويقظة الضمير ، والتربية الكريمة .

وما هذا الخبر ، إلا مثل لما يتمتع به أبناء هذه البلاد من أمانة ، وما يتحلون به من مثل رفيعة ، عجزت مدنية القرن العشرين عن السمو إليها ، وتقاصرت همم تلامذة الغربيين عن الوصول لها ، وظلت أملًا يداعب أخيلة المفكرين ، وأمنية يحن إليها الغارقون في الحضارة الحديثة والمدنية العصرية في بلاد كثيرة .

إننا- على مفترق الطرق- بين عوامل شد وجذب ، ودفع وصد ، وإقدام وإحجام ، ومن الخير ، التثبت فيما نأخذ من صالح ، وما نذر من طالح ، فلا ننبهر

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٠١) في ١/٣/١٣٨٣.

بالأضواء اللامعة والدعاوي المضللة ، فتكون الكارثة ، ولا نقف جامدين مترددين « كالمنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى » نعض بنان الندم حيث لا ينفع الندم .

مرة أخرى : إننا نحيي الرجلين على أمانتهما ، ونحيي أمير منطقة الرياض على تقديره لهما ، ونطلب بإلحاح أن يكرم هذان الرجلان من قبل وزارة الداخلية والأمن العام .

وأن يكون هناك بند لتقدير أمثالهما بالمكافأة- مثلًا- أو بالترفيع أو بالأوسمة .

إن عملًا كهذا ، يغرس في النفس الشعور بالحب للقيام بالواجب ، والتفاني في تأدية العمل الجميل .

وهو تقدير للقدوة الطيبة ، وتحية رائعة تدفع للإخلاص والمعاني السامية .

وهي عنوان وفاء لمستحق الوفاء، ووسام شرف لمقدري الشرف ، والفاهمين لما للأمانة من أثر عظيم في نفوس الناس ، وما يكنونه للأمناء من إعزاز وتبجيل ، وما ينطوي عليه أداء الأمانة من رضا اللَّه وحب الناس وراحة الضمير ..

وأخيرًا لا يسعنا إلا أن نكرر التحية من الأعماق لكل مخلص أمين .



الصحافة ووزارة الإِعلام

أنا والصحافة[١]

عرفت الصحافة قارئًا .. ثم مساهمًا بنشر بعض كلمات كنت أحسبها هادفة ، وعلى هذا الاتجاه فهمت أن الكتابة لا تعني الأسلوب الجذاب والكلام المنمق والزبرقة[٢] الخاوية ، وتمنيت أن يشارك طلاب العلم في الصحف مشاركة فعالة ؛ حتى يؤدوا واجبًا ، ويوجهوا الوجهة السليمة . وأبديت رأيي في أكثر من مجلس وأكثر من منتدى .

وكتبت كلمات توخيت فيها أن تكون مثمرة ، مع هذا اختلفت المفاهيم حولها ، فمن راضٍ معجب ، ومن ساخط ناقم ، ومن عاتب متألم .

وعرفت الصحافة عن كثب عندما رغب إخوان أعزاء أن أكون عضوًا في أسرة تحرير صحفهم ، وعرفت أن الصحافة لا تقل أهمية عن أي سلاح فاتك قد يوجه إلى نحر العدو الغادر ، وقد يضرب بها على غير هدى ؛ فتكون وبالًا وشرًّا مستطيرًا .

وإنني اليوم في هذه المناسبة أسمح لنفسي بالتحدث عن الصحافة ؛ إذ إن هذا الحديث وإن كان شخصيًّا في مظهره ، فهو مثل على حالات تمر بكتاب كثيرين .

وإذا كان ما يعنيني في السابق هو الكتابة أحيانًا ، فإنني الآن قد دخلت في طور أشد إيغالًا ، وهو خوض غمار الصحافة والتقلب في معمعتها .

وإنني لأشعر بخطورتها ، وثقل مسؤوليتها ، وأعلم أن الآراء متباينة ، وأن كلًّا

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣١٨) في ١٩/١٠/ ٨١.

(٢) زَبْرَق : زبرق ثوبه زبرقة : وإذا صبغه بحمرة أو صفرة . والزِّبْرِقان بالكسر : القمر . « القاموس المحيط » ، « المعجم الوسيط » مادة : « زبرق » .

قد رسم صورة في نفسه ؛ ليرى الصحيفة المثالية في زعمه عليها ، فإذا ما غايرت تلك الصورة اشمأز وابتعد .

وهل يمكن أن يرضى الناس جميعًا « ورضى الناس غاية لا تدرك » وهل يكون الإجماع على حب شخص وقد أبغض أناس الأنبياء ، وآخرون قتلوهم ، والمصلحون لقوا من البلاء والأذى الشيء الكثير .

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عِمران: الآية ١٨٦] :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه

وما أجمل قول الزهاوي :

ولا يعدم الإنسان طول حياته صديقًا يواسي أو عدوًّا يعاكس

لقد تطاول أناس وأسرفوا حتى قالوا : « إن اللَّه فقير ونحن أغنياء » . والناس بعد أصناف ، وآراؤهم شتى ، فمنهم الغالي ، ومنهم الجافين ومنهم المتطرف ، ومنهم المعتدل ، فهل سيرضى هؤلاء المتناقضون عن شخص ، أو مقال ، أو صحيفة ! ؟ إن هذا ضرب من المستحيل ، إذن فهل نحن نتوخى رضا الناس كلهم ، أو نود إرضاء فئة معينة ؟ إننا في الواقع نسعى إلى أن تجتذب الصحافة أكبر عدد ممكن من القراء ، لا على حساب عقائدنا ومبادئنا التي ندين بها ونعتز بها . وبعد ، فإن هذه الصحيفة ستكون- بحول اللَّه- مشعلًا وضَّاءًا ينير الطريق ومنبرًا مدويًا ، يدعو إلى الخير في حكمة ، وإلى العمل في حزم ، وإلى التقدم في غير ما تخبط .

وصحيفة اليمامة بعد ، هي للجميع ، ترحب بكل كتابة من شعر ونثر ما دامت هادفة قويمة .

وزارة الإِعلام[1]

خطوة جديرة بالتقدير، ووثبة لها مغزاها أن تطور الدولة مديرية الإِذاعة والصحافة والنشر فتجعلها وزارة للإعلام .

وقد أسندت الوزارة إلى رجل سبق له أن عرف مشاكل الإِذاعة وخبرها عن كثب[2] .

وإن كنا من المتفائلين بأن الوزير- جميل الحجيلان- سينهض بهذا المرفق الهام، وسيجعل من إذاعتنا إذاعة قوية، ومن وسائل الإِعلام أجهزة حية متوثبة تتفق وما يؤمله المواطنون ويترقبونه من تطوير لا يقف عند المظاهر السطحية، ولا يسير مع الآراء المتطرفة، ولا يكون غايته الوقوف عند إذاعة الأغاني الرخيصة المبتذلة، كما قد يفهمه بعض المتهورين .

ولكنا لا نريد استباق الحوادث، ونريد أن نضيف على الأمل التذكير والترقب وإبداء الرأي الهادف .

ونحن مع ذلك نعرف خطورة المسؤولية وجسامة العبء في وزارة الإِعلام، وما يتطلبه النهوض بها من جهد عظيم .

وإننا نرجو أن يكون لهذه البلاد صوت مسموع في أنحاء الدنيا، وأن يكون هذا الهدف قبل غيره نصب عيني الوزير، وكل من يتحمل مسئولية في هذا الجهاز الهام .

إن البلدان تكسب- بالصوت المسموع والدعاية القوية- مكاسب مادية .



(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٧٤) في ١٤/١١/ ٨٢.
(٢) الكثب : الجمع من قرب . يقال : كثب القوم : إذا اجتمعوا . «تاج العروس» . (كثب) .

الأغاني في الإِذاعة السعودية[١]

أثير في الآونة الأخيرة جدل حول الأغاني في الإِذاعة السعودية ، فمن محبذ للأغاني ؛ لأنها في زعمه تسلي وتروح عن النفوس ، ووجد هؤلاء من بعض الموظفين استجابة ، فراحوا يكيلون لهم المديح ، ويخلعون عليهم ألقابًا ضخمة ، وبطولات لا يحلم بها كبار القادة وعظماء التاريخ .

وتصدى بعض الغيورين للرد على تلك الآراء الخاطئة والمزاعم المضللة ، فكتب مسلم غيور في صحيفة الندوة يندد فيها بفكرة إذاعة الأغاني الخليعة من الإذاعة السعودية ، ويوضح أنه لا ضير على الإذاعة السعودية أن تكون الوحيدة من بين إذاعات العالم التي ترفعت عن المجون والخلاعة ، بل إن هذا مدعاة للفخر والإِعجاب ، وفيه ثبات محمود ومثل عالٍ يجب أن يحتذى .

كما كتب فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، وفضيلة الشيخ حسن بن عبد اللَّه ، مبدين استياءهما من هذه الفكرة ، قيامًا بواجب النصيحة ، وقد أجادا فيما كتبا . نعم إن إذاعة الأغاني المائعة من مكة المكرمة ، أشرف بقعة على وجه الأرض ، وأقدسها ، ومن إذاعة حكومة إسلامية لها طابع خاص ونظرة خاصة نحو الإِسلام . ودولتها لم تقم إلا على أساس الحكم الديني ، دون نظر إلى التقليد والانسياق وراء الأهواء والكثرة الضالة ، أقول : إن إذاعة الأغاني الماجنة من هذه الإِذاعة فيه استخفاف واستهانة لا نظن أن ذوي الرأي الصائب في حكومتنا يرضون بهما . إن هذه الدولة قامت على أساس الدفاع عن الدين والحفاظ على الشعائر الإِسلامية والمقدسات المفضلة ، ودولة هذا شأنها لا يليق بها أن تجعل من إذاعتها وسيلة لهدم الأخلاق ، وتلويث النفوس بالتبذل والميوعة ، والتقليل من وازع الدين والخلق بدعوى ترويح النفس وترفيهها كما يحلو لبعض المتشدقين ،

(١) مجلة راية الإسلام ، العدد الثاني والثالث من السنة الثانية محرم وصفر عام ١٣٨١ .

فالأسماء لا تغير الحقائق ، فإذا سمي السم شهدًا ، والعلقم عنبًا ، فالحقيقة لن تتغير بذلك الاسم المنحول .

إن تلك الأغاني التي تذاع من أكثر إذاعات العالم ، والتي يطالب البعض بإذاعتها من الإِذاعة السعودية ، هي أغان خليعة مائعة ، ووسيلة من وسائل الرذيلة ، وداعية من دعاتها ، ولو سميت بالفن والطرب ، وإن قيل : إنها لمشاهير المطربين وكبار الفنانين .

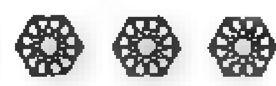
وليت شعري ، ما الذي يجنيه السامعون من أمثال هذه الأغاني السخيفة ، التي عزّ على البعض وكبر في نفسه أن تخلو منها الإذاعة السعودية ، وأن تظل إذاعة واحدة في العالم سليمة من وباء الأغاني المتهتكة ، مترفعة عن ذلك الانحطاط ... وراحوا يسلقونها بألسنة حداد ، ويعولون ويدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور لماذا ؟ لأن الإِذاعة السعودية متخلفة لم تجار الإِذاعات المتطورة التي تذيع للفنانين والفنانات .

وليتهم عندما تصايحوا متباكين على تخلف الإِذاعة السعودية طالبوا بتقوية جهازها ، أو بتنويع برامجها ، أو بإدخال ألوان من النشاط المحمود فيها ، إذًا لكان الأمر معقولًا ، ولكن لم يهتم الكثيرون من هؤلاء إلا لشيء واحد هو إدخال الأغاني في الإِذاعة السعودية ، لكي تتطور الإِذاعة .

وإننا لنعجب عندما نسمع كلمة التطور تقحم في أشياء لا تتصل بها ، لقد كان الأجدر بأولئك أن ترتفع أصواتهم عندما بدأ بعض الأثرياء يخرج أمواله إلى بلدان أخرى ، ولم تكن المصلحة الإِسلامية هي التي أملت عليه ذلك الفعل ، ولكنه الجشع والاستهانة بمصالح هذه الأمة ، وحرمانها من فوائد ثروات نمت في وسط بلادهم ، بل فضلوا أن يتقوى بها الأعداء . أقول : في ذلك الحين لم نسمع لدعاة التطور والنهضة لسانًا يتكلم ، ولا رأينا لهم أقلامًا تنادي بالإِصلاح والتطور ، وإنهاض البلاد اقتصاديًا وزراعيًا ، ولكن طبيعة من همه الانطلاق من ما

يسميه : بقيود الدين الثقيلة ، يطلب جوًّا مرحًا تنمو فيه الرذيلة ، وتستطيل على الحق وأهله ، فلا يجد بدًّا من المطالبة بترقية الإِذاعة ورفع شأنها بالمجون واللهو والميوعة ، ولكن ليس كثيرًا على من يتمنى أن تكون بلاده مثل أوروبا ، لا في صناعتها وقوتها المادية ، ولكن في ميوعتها وانحلالها وتفسخها ، أن يسمي الميوعة تطورًا ، والمجون تقدمًا ، إن هؤلاء- وإن خفيت مقاصدهم بعض الوقت- فإنها ستنكشف حتمًا ، ويرون أن تمويههم قد بطل ، وتضيق بهم الأرض بما رحبت ، وينتصر الحق وأهله ، وتتقدم إذاعتنا حتى تكون منبرًا يتطلع إليه العالم الإِسلامي ، ويستضيء بما يشعه من نور الهداية الإِسلامية بإذاعة أحاديث إسلامية ، ومواضيع من سياسة الإسلام ، وتربيته الاجتماعية ، ونظامه في الحكم ، وفي تدبير المال واستعماله بما يرضي الرب ، وتجعل وسيلة إلى نشر الإسلام وإعلاء كلمته ، وسحق الباطل والقضاء عليه ، ومن الباطل : الأغاني ودعاتها .

وختامًا فلنذكر الحكمة القائلة ، خذوا على أيدي سفهائكم ، يبارك لكم في أعمالكم . واللَّه ناصر دينه ، وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين .



الصحافة لسان الأمة[١]

الصحافة مرآة الشعوب وترجمان الأمة ، والواسطة بين المسؤولين وأصحاب المطالب ، وهي لذلك قد تتطرق لأَشياء كثيرة من أعمال المسؤولين ، وتوجه لها النقد حينًا ، والتحبيذ حينًا آخر ، وتنقد لتشحذ الهمم ، ولتتعاون مع الغافل والمقصر ، وتنحى باللائمة حينًا ، وقد يكون في الأسلوب الذي تعالج به مشكلة ما بعض القسوة .

ومع هذا كله ، فالناس يختلفون في وجهة نظرهم تجاه الصحافة ، فمنهم من يريدها مديحًا وإطراء ولا شيء غيره ، ومنهم من يرتفع بنظره إلى مجال أوسع ؛ ليرى فيها رسالة ينبغي أن يضطلع بها على خير وجه ؛ لما فيه مصلحة المجموع وما يعين على تأدية الواجبات ، وأنها إذا جبنت عن النقد الهادف ، وقصرت عن لفت نظر كبار المسؤولين ، وأخلدت إلى الملق[٢] والهلع ، فهي صحافة تافهة غير جديرة باسم الصحافة ، وهناك فئة أخرى ترى أن الصحافة يجب أن تكون صريحة حتى تصبح أداة هدم وتشنيع وطمس للمحاسن وإظهار للمساوئ ، وفي هذه النظرة كثير من التطرف والجنوح ، ومن الناس من يرى أن الصحافة ينبغي أن لا تنشر عن جهة ما إلا ما يوافق مزاجها ، وأن تستقي الأخبار من لدنها ، وهي بلا شك ، سوف لا توافق إلا على نشر ما يعجبها مهما كانت الحال .

وإن المنطق المعتدل يقتضي أن تكون الصحافة وسيلة للتعاون ، وطريقًا إلى الوصول لحل المشاكل ، والعمل لما فيه المصلحة العامة ، وقد تغضب أفرادًا في سبيل أمة ، وتسخط أشخاصًا من أجل شعب ، وهي مع ذلك قد تخطئ وقد

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٤٦) في ١٥/٥/٨٢.

(٢) الملق ، محركة : الود واللطف الشديد ، وهو أيضًا : أن تعطي باللسان ما ليس في القلب . «النهاية في غريب الحديث» ٤/٣٥٧، ٣٥٨، و«تاج العروس» : (ملق) .

تصيب ، والمهم أن يكون الهدف سليمًا ، وأن يكون التحري والدقة بحسب الإِمكان ، وأن تكون صحافة شريفة مترفعة عن الدنايا والسفاسف .

ومما تحمد عليه حكومة هذه البلاد : أنها قد رفعت الرقابة عن الصحف ، وحملت رؤساء التحرير المسؤولية في النشر . وهذه يد كريمة وعمل جليل ، ويبقى بعد ذلك أن يدرك البعض هذه الحقيقة ، وأن يعلموا أن الحكومة أفسحت المجال للصحافة حتى تنقد وتنبه في حدود الصالح العام ، ومن أجل رفعة البلاد والنهوض بها في شتى المجالات . فهل نعي هذه الحقيقة ، وندرك أن من الخير التعاون في القيام بها على نحو أفضل ؟



الصحافة مسؤولية[١]

الصحفي تتنازعه عوامل شتى، وضروب مختلفة من الأحاسيس والمشاعر، وهو- بحكم مهنته الصحفية- يلقى صنوفًا غريبة ومشاكل عديدة، فالقارئ يريد منه أن يجعل من صحيفته مرآة صادقة تعكس آلامه وآماله، وأن ينهج الصراحة والجهر بكلمة الحق في غير مواربة[٢] أو مجاملة، ولكن ذلك قد يغضب آخرين، ويثير فيهم السخط على الكاتب والصحيفة حيث انتقدوا في الصحيفة. ويبلغ ببعض الناس النقمة على الجريدة على حد مناصبتها العداء ورفع الشكاوى ضدها والتهجم الشديد، وقد يوقف الإِعلانات عن الصحيفة إمعانًا في التشفي.

ومع ذلك فإن من حق الصحفي أن يكون له حماية حتى يستطيع أن يجهر بكلمة الحق، ويلبي رغبات القراء العادلة، ويكون همزة وصل بين الجمهور والمسؤولين، كما هو واجب الصحافة.

إن الصحفي الذي يريد أن يرضي ضميره، لا بدّ أن ينتقد بعض الأوضاع، سواء في الدوائر الرسمية، أو في الشركات، أو في أمور اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها.

وقد لا يكون كل مسؤول أو موظف عنده الاستعداد لتحمل النقد وفهم رسالة الصحافة النزيهة.

بل ربما فسر بعضهم الكلام بما لا يحتمل، وظن ظن السوء بالكاتب والجريدة، ورماهما بكل ما شاءت له نفسه! وصب عليهما جام غضبه.

وهذا النمط من الناس لا يفهم الصحافة إلا أنها تطبيل وتزمير، وكيل مديح بدون حساب، حتى لمن ليس بذلك جدير.

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٠٧) في ١٣٨٣/٣/٢٢هـ.

(٢) المواربة: المخاتلة والمداهاة. قلت: ينظر «لسان العرب»، و«تاج العروس» مادة: (ورب).

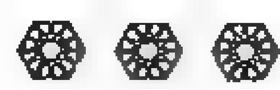
إن الصحفي يتعرض للمتاعب المختلفة ، من الإِنصاف أن يحمد له موقفه إذا ما صدع بقوله الحق ، مع اقتناعه أنه قد يساء إليه شخصيًّا ، وقد يكون عرضة لخسائر مادية ، ومن العدل أن يكون للصحافة حماية حتى لا تتحكم فيها الأهواء ، ولا تكون ألعوبة في يد من يريدون الثناء الزائف ، ومن لا يطيقون النقد الهادف البناء .

وحري بوزارة الإِعلام أن تقف إلى جانب الصحافة النزيهة الصريحة ضد من يريدون لها التحطيم ، كرهًا للنقد ، أو لحاجة في نفس يعقوب ، فيتخذون لذلك شتى المعاذير وألوان الذرائع ، ولا ريب أن الحكومة ستؤيد وزارة الإِعلام في هذا .

إن رئيس الحكومة والكثيرين من المسؤولين لا يكتمون ترحيبهم بحرية الصحافة النزيهة وامتنانهم من صراحتها المعتدلة .

إلا أن هناك أناسًا لا يرضيهم مثل هذا الموقف العادل ، فيقفون ضد الصحيفة ، ويهددون ويرعدون ويبرقون ، ويدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور للصحيفة وكتابها ومحرريها ، إذا ما وجه إليهم أي نقد ، فهل من المعقول أن يكون الصحفي ضحية لهذه المهازل المضحكة .

إننا لا نشك في أن الحكومة لا ترضى بهذه السخافات التي يريد البعض فرضها على الصحافة المجاهدة ، ونأمل أن نرى حدًّا لأمثال هذه الأشياء التي لا تتماشى ومنطق العصر والعقل والضمير .



الصحافة النزيهة[١]

الصحافة لها دور كبير في التوجيه والقيادة، وهي بحكم أنها مرآة تعكس الواقع، وتحاول إصلاح المعوج، واستمرار المستقيم وصلابته.

فهي لهذا تنتقد، ومن مهماتها الأساسية النقد، ولكن يجب أن يكون بناءً هادفًا بأسلوب مترفع عن التبذل والشتيمة، والصحافة لا تقتصر في تناولها على فئة دون فئة، ولا فريق دون فريق، وقد تغضب أناسًا ويتضجر منها آخرون؛ لأنها تقول الحقيقة التي ربما كانت مرة في حلوق. (تنكر طعم الماء من سقم).

والصحفي بحكم عمله تتنازعه عوامل شتى واتجاهات عدة، فهو يريد أن يرضي ضميره ويؤدي واجبه العظيم، وهو في هذه الحال لابدّ وأن يتألم من قوله بعض الناس؛ لأنه لم يأت بما يلذ لهم من نغمة الإطراء وكاذب المديح، وقلب المساوئ محاسن، وهو يعلم أنه بهذا الصنيع سيتعرض لمتاعب وأذى كثير، وهو من جهة أخرى يلوح أمامه عامل الإغراء، والركون إلى الراحة النفسية واللذة المادية، والسلامة من المشاكل.

ولكنه يدرك أنه إن آثر هذه الناحية، فقد خان رسالته، ولم يؤد الواجب المناط به، ثم إنه سيفقد ثقة الشعب به، وسينظر المواطنون له على أنه بعيد عن أحاسيسهم ومشاعرهم، وأنه لم يفهم واجبه في التعبير عن آمالهم وآلامهم، ولم يكن همزة وصل بينهم وبين المسؤولين عن شؤون بلادهم.

والصحفي أيضًا، إن لم يشعر بأهمية رسالته فسوف لا يسير مستقيمًا.

وقد يطلب منه الكثيرون أن ينحرف عن واجبه، وأن يشبع نهمهم بأقاصيص منحطة، وأخبار بذيئة، وصور خليعة.

ونرى في بعض الصحف في البلدان العربية هذه المصائب، حتى لجأت

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٣٤) في ٢٧/٦/٨٣.

بعض الصحف هناك إلى الشعوذة والدجل، وقراءة الطالع وأحداث النجوم من بقايا خرافات الجاهلية ووثنيتها.

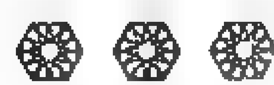
وكل ذلك؛ لأن هؤلاء لم يؤدوا واجبهم العظيم، وآثروا السلامة والكسب المادي، وإشباع غريزة المراهقين وأشباههم.

وإذا نظرنا لصحافة بلادنا وجدناها نظيفة نسبيًّا، فهي لا تسقط إلى الحضيض، ولا تسف في النقد إلا نادرًا، ولا تنشر الصور الخليعة والحكايات الماجنة، ولا تبتذل في أسلوبها.

وتعبر بقدر الإِمكانيات المحدودة عن رأي الأمة وآمالها وآلامها، وعلى حد استطاعتها!!! رغم كل الصعاب والمشاكل، وهذه الصحيفة قد ساهمت بقدر ترى أنه بعض واجبها.

والقائمون عليها لا يدعون أنها وصلت إلى حد يرضيهم، ولكنه يسيرون في الطريق إلى تطويرها والنهوض بها.

ولا نريد أن ندعي لأنفسنا دعاوي عريضة، ولكن حسبنا أن ضمائرنا مرتاحة بما قمنا به من مجهود متواضع، نعتقد أنه واجبنا دينًا ووطنية وإخلاصًا، ولا نقول: إننا معصومون عن الأخطاء. فكلنا بشر والبشر خطَّاءون، وإننا نترك لضمير القارئ وحسن تقديره الحكم على ما قدمناه لهم، وكل ما نتمنَّاه أن يكون حكمًا بعيدًا عن الهوى والشطط.. وما توفيقنا إلا باللَّه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



خطوة في دنيا الصحافة[١]

بعد سنة من كفاح مرير في دنيا الصحافة ، وملاقاة المشقات والمصاعب ، تغلبت العزيمة على الوهن ، والصبر على الدعة ، والإقدام على الخمول ، وفي مطلع سنة جديدة- من عمر صحيفة- يبزغ فجر جديد في تطور « اليمامة » المكافحة ، وذلك بصدورها نصف أسبوعية مؤقتًا ، وعسى أن لا يطول الانتظار لتكون يومية ، تسهم بنصيب وفير في صحافة بلادنا الناهضة ، وتكون مشعلًا ينير الطريق .

وإننا لنذكر المراحل التي مرت بهذه الصحيفة خلال عام ، ولا يتسع المجال لسردها ، وإن كان المرء يشعر بالاعتزاز إذا ما أدى عملًا نافعًا نحو دينه وبلاده وأمته ، أو قام بمجهود أدبي أو مادي في هذا السبيل ، وعندما تحوي هذه الصحيفة مادة دسمة وثقافة هادفة واقتراحات إصلاحية ، فإننا نحس براحة ضمير وتفاؤل بالقيام بواجب الصحافة على قدر الطاقة ، أو المحاولة على الأقل .

ونذكر بالتقدير موقف الإخوان الذين أسهموا بكتاباتهم وآرائهم وثقتهم في صحيفتهم .

ونحن ندرك أن إرضاء الجميع هو رابع المستحيلات ، ومع هذا فنتمنى أن تكون الصحيفة وسيلة للصلات الطيبة ، ولن نيأس أو نقطع الأمل ، من أولئك الذين لا يرضون عن صحافة بلادهم ، ولا يقدرون الجهود المبذولة ، والذين لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب ، من هؤلاء من هدفه سام ومرامه كريم ، ويريد النهوض والتطور في الصحافة ، ولكنه يجهل المصاعب والإمكانيات ، ومن هؤلاء من هو مندفع لغايات خاصة أو لاتجاهات أخر ، أو من فقد الثقة في نفسه ، وفي وطنه ، وأمته ، فلا يعجبه إلا ما يأتي من خارج الحدود ، ونذكر بيت الزهاوي :

ولا يعدم الإنسان طول حياته صديقًا يواسي أو عدوًّا يعاكس

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٦٦) في ٢٦/١٠/٨٢.

وقول البوصيري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وبعدُ ؛ فلعل من حسن الحظ أن يكون موعد صدور اليمامة نصف أسبوعية ، في وقت يبشر بنهضة عظيمة لهذه البلاد الغالية ، فمشروع إذاعة الرياض- عاصمة البلاد- سينتهي قريبًا ، وسيدوي صوت البلاد عاليًا مجلجلًا ، وهي فرحة عامرة طالما تلهف لها المواطنون ، وها هي تباشير النهضة الصناعية تلوح فتبسم الآمال .

فها هو رئيس الحكومة يعلن في خطابه في الدمام : « عزم حكومة صاحب الجلالة على أن تؤسس مصانع في البلاد ، وأولها مصنع للمشتقات الكيميائية من الغاز الطبيعي ، يكون في هذه المنطقة ، ومعهد للبترول والمعادن يكون كذلك في هذه المنطقة ، وستسعى حكومة صاحب الجلالة باستثمار المعادن الموجودة في بقية أنحاء المملكة ، وستنشئ مصنعًا للحديد والصلب في القريب العاجل إن شاء اللَّه ، وبدأت الدراسات والتنقيب عن الثروة البترولية في المنطقة الغربية ، ونحن مجتهدون للوصول إلى استخدام الذرة ، وإنشاء أفران ذرية بعد أن تتم الدراسات التي بدئ فيها من الآن » .

إننا لا نريد أن نزعج القارئ العزيز بمشاكل الصحافة ومتاعبها ، ولكنا نقول : إن لنا مبادئ ومثلًا ندافع عنها ونذود عن حياضها ، وإنا لنتعشم[1] أن القارئ لا ينكر أن هذه الصحيفة تسير على هدى واضح وطريق لاحب[2] ومبادئ ثابتة .

ونطمع أن يكون التعاون وثيقًا بين الصحيفة والقارئ بإبداء الرأي والتوجيه والنقد والملاحظة ، فتلك وقود الصحيفة وعوامل تقدمها ونجاحها ، هذا وإنا لنرجو من اللَّه العلي القدير أن يوفقنا جميعًا ، وأن يقي هذه البلاد الطيبة الشرور والمكائد ، وأن يوفق أبناءها- شعبًا وحكامًا- إلى ما فيه مجدها وازدهارها .

---

(١) نتعشم : نتطمع ونتأمل . قلت : ينظر « لسان العرب » ، و« تاج العروس » مادة : (عشم) .

(٢) لاحب : مضى . قلت : لاحب : الطريق الواضح والواسع المنقاد الذي لا ينقطع . ينظر « لسان العرب » ، و« النهاية في غريب الحديث » : (لحب) .

الموظفون والصحف والقراء[1]

أثار القرار الذي تبلغته الصحف منذ أيام ، والذي يعني منع الموظف العمومي من نقد الحكومة في الصحف والنشرات ، تساؤلات كثيرة ، وسبب ارتباكًا لا في أوساط الصحفيين ورؤساء التحرير وحدهم ، وإنما في أوساط الكُتاب والقراء والجمهور أيضًا . فمثلًا رئيس التحرير ، أو من ينوب عنه ، كان القرار بالنسبة له مفاجئًا لم يحسب حسابه ، سيما بعد أن أكد رئيس الحكومة غير مرة ترحيبه بالنقد النزيه والاقتراح الهادف ، وتعاون الصحافة مع الحكومة في الملاحظة والإرشاد ، وما إلغاؤه الرقابة على الصحافة وزفه البشري بنفسه إلا دليل قاطع على أن الصحافة قد فسح لها المجال ، وفتح الطريق واسعًا أمام الكُتاب بما فيهم الموظفون ؛ ليقولوا رأيهم الموجه صريحًا بلا وجل ، وأصحاب الصحف بعد ذلك قد وقعوا في حيرة ، نظرًا لغموض القرار المبلغ لهم من قبل المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر. فهو لا يدري التحديد لكلمتي نقد- وموظف عمومي . وما هو النقد الذي لا يدخل في مرامه ، ثم هو أما الكاتب والقراء في موقف حرج . فالقراء يتلهفون للكتابات المتجاوبة معهم ، وعلى النمط الذي يعالج مشاكلهم الواقعية ، وللكُتاب الذين هم همزة الوصل بينهم وبين المسؤولين في الإعراب عن احتياجاتهم ، وينطقون بلسانهم ؛ ليبلغوا ما يعجز أولئك عن التعبير عنه .

والكاتب يبعث بعصارة أفكاره ، وما يحس به في مجتمعه ومشاكله للصحيفة لنشره ، تدفعه رغبة ملحة في المساهمة في إيجاد حلول للمشاكل ، وتعاون مع السلطة في التخفيف من المتاعب .

ولكن صاحب الصحيفة يقف متلكئًا- بين نشر المقال- وهو بذلك يرضي

---

(١) صحيفة القصيم ٩/٢/ ١٣٨٠.

الكاتب والقراء، ويتجاوب مع الشمس في مطالبه وآماله، وبين إهمال المقال وإيداعه سلة المهملات (وهما أمران أحلاهما مر).

إن النقد إذا لم يكن متطرفًا، والاقتراح إذا كان في حدود معقولة، وبأسلوب معتدل، وضمن دائرة الدين الكريم والخلق القويم، فمن الخير أن يقال وينشر، وكم فكرة غفل عنها كبير، فانتبه لها صغير، ورأي سديد وجهه إليه مغمور، وكم مسؤول منشغل بأعماله الضخام، ومسؤولياته الجسام، هو في حاجة إلى من يمحضه النصح، ويبدي له الحقيقة بلا مجاملة تطمس الواقع وتشوه الحقائق، فلا يجدها عند كثيرين من مريدي المنفعة الشخصية، وذوي التزلف والملق، ولكنه قد يجدها في كلمة كاتب تدفعه غيرة كريمة، وإخلاص مكين، في زاوية من صحيفة!

ومرة أخرى: إن الغموض في القرار يسبب القلق؟!

وإليك أمثلة لذلك: لو كتب موظف يطلب، ويلفت نظر وزارة الزراعة إلى حدوث وباء في مزرعة ما، أو لو كتب موظف يطالب الوزارة- المحترمة سالفة الذكر- أن تهب لنجدة بلاد مهددة بالموت من الظمأ، كما هي الحال في سدير، فهل يعتبر مثل هذا نقدًا أو اقتراحًا محظورًا في رأي المديرية العامة؟!

ولو أن موظفًا حكوميًا عرض وجهة نظره، في تصرف مقاول تحمل فوق ما تنوء به العصبة أولو القوة من المقاولين، ثم تباطأ في عمله، أو لو أنه أقصى أبناء البلاد واستبعدهم من العمل؛ ليقرب أجانب غيرهم، لحاجة في نفس يعقوب.

فهل هذا الكاتب يعد قد تخطى حدود القرار، أم أنه داخل أسواره؟! ولو أن موظفًا حكوميًا في شرقي مدينة الرياض، كتب في صحيفة محلية يدعو أمير مدينة الرياض لزيارة المحلة؛ ليرى بنفسه قلة الماء، وتوقفه أيامًا عنهم، بينما المياه في أماكن أخرى- ولأناس مخصوصين- تنفق بإسراف. ولو أنه نبه إلى مضار الأوساخ، وتراكم القاذورات في الشوارع والأزقة، وما يمكن أن ينجم عنه من

أخطار تهدد صحة المواطنين ، هل يكون ذلك خروجًا على ما رسم ، أم أنه لم يقل إلا ما يستوجب الاستفسار ، لا السخط ؟ !وقل مثل ذلك عن أشياء كثيرة .

إننا نكتب هذه الكلمات المتواضعة ، وكلنا أمل أن يزول القلق والارتباك ، والله نسأل أن يوفق الجميع حكومة وشعبًا إلى ما فيه الخير والفلاح .



هل جنت الصحافة على التأليف[1]

عندما يسمع الإنسان بقصص العلماء الأقدمين ومؤلفاتهم الكثيرة ، في شتى الفنون يأخذ منه العجب مآخذ ، ويكاد لا يصدق ، وهو يقرأ التاريخ أن ذلك العالم قد ألف هذه المؤلفات كلها ، ومنها ما يعجز عن تأليفه عدد كثير من العلماء .

ونتساءل : هل إن للصحافة في العصر الحاضر أثرًا في تضاؤل حركة التأليف ؟ وإن شئت فقل : العجز عن التأليف بالطريقة التي يمتاز بها كثير من مؤلفات الأقدمين في الإفادة والجودة ؟ ولكننا لا نعدم في هذا العصر بعض علماء لهم آثار قوية ، أو أن هناك أسبابًا أخر .

إنني أدهش عندما أعلم بمؤلفات الإمام أحمد وفتاواه ، وأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ؛ المعروف بابن الجوزي ، الذي قيل : إنه سئل مرة عن مؤلفاته ، فقال : إنها زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا ؛ منها ما هو عشرون مجلدًا ، ومنها ما هو كراس واحد .

ومنهم : أبو الوفاء علي بن عقيل ، من مؤلفاته كتاب « الفنون » الذي يقع في أكثر من مائة وخمسين مجلدًا .

وابن عروة الحنبلي شرح « المسند » بكتاب سماه : « الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على صحيح البخاري » في أكثر من مائة وخمسين مجلدًا .

وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، قال الذهبي : ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد ، بل أكثر .

وقال عنه تلميذه محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، بعد أن ذكر له نحوًا من ثلاثمائة وخمسة وستين مؤلفًا ، بين صغير وكبير ، وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدم ذكره ، يشق ضبطه وإحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه .

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٦٣) في ١٩/١٠/٨٣.

وجلال الدين السيوطي زادت كتبه على ثلاثمائة كتاب ، وياقوت الحموي له « معجم البلدان » ، و« معجم الأدباء » ، وغيرهما ، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » ، وأبو محمد بن حزم ، الذي قال عنه ولده أبو رافع : إنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة .

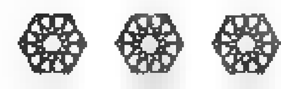
ومحمد بن جرير الطبري في كتابيه في « التفسير » و« التاريخ » ، والحافظ ابن كثير ، والحافظ ابن حجر العسقلاني شارح « صحيح البخاري » ، فقد بلغت مصنفاته أكثر من مائة وخمسين مصنفًا ، والزَّبيدي صاحب « تاج العروس »- شرح القاموس- وحسن صديق خان تزيد مؤلفاته على مائتي كتاب ، ومن علماء الهند أيضًا الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي ، ومؤلفاته نحو مائة وعشرة كتب ، ومولانا أشرف علي التهانوي له تسعمائة وعشرة كتب ، ومحمود حسن خان التونكي ؛ له مصنف سماه « معجم المصنفين » كدائرة معارف ، يقع في ستين مجلدًا ، يحتوي على عشرين ألفًا من الصفحات المطبوعة ، وعلى تراجم أربعين ألفًا من المصنفين ، منهم ألفان باسم أحمد ، والدكتور سليمان الندوي ، له مكتبة كبيرة من مؤلفاته في السيرة النبوية ، والتاريخ ، والشريعة الإسلامية ، والأدب .

ومن العلماء الذين لهم جهود في التأليف كبيرة محمد فريد وجدي صاحب دائرة المعارف . وعباس محمود العقاد الذي تقارب كتبه الثمانين كتابًا ، وغير هؤلاء من الأقدمين والمحدثين .

إن هؤلاء العلماء مع كثرة مؤلفاتهم فإنك تجد فيها غزارة العلم والحرص على الدقة والتحقيق .

ولكن كثيرين من الكتاب والأدباء في هذا العصر يغلب عليهم في تأليفهم السطحية ، وتقرأ الكثير من كتبهم ، فلا تخرج بنتيجة واضحة ، وقد يكون لتنميق

الأسلوب ، وللسرعة التي هي طابع العصر ، أثر في ضحالة الإنتاج وقلة العمق .
ومرة أخرى أتساءل : ما السر في ضعف التأليف ؟ وهل للصحافة أثر في ذلك ، أم أن طابع السرعة في العصر وكثرة متطلبات الحياة العصرية ، لا تدع للإنسان مجالاً للتفكير والبحث ، يستطيع بعدهما أن يزود القارئ بثمار مفيدة ممتعة ؟



ومضى عام[1]

منذ أن صدرت اليمامة نصف أسبوعية انقضى عام، فبعد أن كانت أسبوعية صارت نصف أسبوعية؛ كخطوة لجعلها يومية، وكانت هناك آمال جسام، فقد كنا ننوي مفاجأة القراء بصدورها يومية بعد مضي عام من صدورها نصف أسبوعية، وكانت أفكار وتقديرات ومباحثات مع بعض أصحاب المطابع، لإخراج الفكرة إلى حيز الوجود.

بل كان أكثر من ذلك مشروع استيراد آلات طباعة، وآلات تنضيد الحروف من ألمانيا وبريطانيا، وكادت تتم الصفقة، وبقي فتح اعتماد بواسطة أحد البنوك، وجرت مفاوضة مع أحد البنوك الكبرى؛ لأخذ سلفة من البنك، وفي هذه الأثناء، طلع بيان وزارة الإعلام بإلغاء امتيازات الصحف فتجمد المشروع، لقد كنا نعمل في صمت دأب؛ لإخراج اليمامة يوميًا، تلتقي بالقراء مع طلوع الشمس من كل يوم، وليكون توزيعها على نطاق واسع في جميع البلاد العربية والإسلامية.

مع زيادة عدد المراسلين زيادة كبيرة، ليكونوا في عدد من العواصم، هذه آمال كنا نحلم بها ونسعى حثيثًا لتحقيقها.

وقد استقلت من عملي كعضو في رئاسة القضاء من أجل تحقيق هذه الأهداف والتفرغ للجريدة.

واليوم نرى أن من حق القراء أن يعرفوا هذه الأشياء التي كنا نؤثر العمل لتحقيقها في صمت، لتكون مفاجأة سارة لكل غيور على تقدم بلاده ونهوضها في اعتدال ورسوخ.

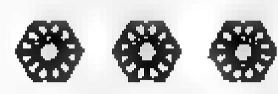
ومن حق القراء أن يعرفوا أن هذه الجريدة قد أوقفت عن الصدور قبل ثلاثة

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٦٢) في ١٥/١٠/٨٣.

أشهر ، ثم سمح لها بالصدور ، ولا أريد التحدث عن العقبات والمشاكل ، فإن رسائل القراء ومشاعرهم الكريمة ، وما نؤمن به من سلامة الاتجاه والشعور بخطر المسؤولية ، واعتقادنا أن ميدان الصحافة ميدان جهاد لمن أخلص النية ، كل أولئك تخفف من قساوة العقبات وصعوبة المشاكل التي نلاقيها .

إننا ندرك أن الصحافة كالتأليف ، ومن ألف فقد استهدف ، والصحفي كالقاضي لا يمكن أن يرضي جميع الأطراف المتنازعة ، ونعلم أن الصحافة سلاح ذو حدين ، قد يستعمل في أهدافه السليمة ، فيكون خيرًا ورشدًا ، وقد يطعن به البريء ، فيكون ضارًا وخاطئًا .

وإننا نشعر براحة ضمير- على ما ننشره بحسب الاستطاعة- من دعوة إلى حق ، وترغيب في خير ، وإسهام في إصلاح ، هذا مع اعترافنا بالنقص ، وعجزنا عن التمام وضعف الإمكانيات ، وبعد فماذا أقول ؟ تحية للقارئ الكريم وتمنياتنا للجميع بالسعادة .



المجال رحب[1]

إن المرء الذي يود أن يخدم عقيدته وبلاده سوف يجد المجال الرحب ، والمكان المتسع ، سواء عن طريق الصحافة بنشر الآراء الحرة والأفكار البناءة ، أم بطريق التأليف ، أم بواسطة الإذاعة ، أم بتأسيس المشروعات النافعة والعمل المثمر ، إن المجال واسع . وإن الصحفي مكانه الطبيعي هو الصحافة ، ولكنه إن تخلى عن الصحافة فأمامه أيضًا ، أكثر من سبيل وطريق ، يستطيع بها الإسهام في بناء وطنه ، وخدمة أمته ، والذود عن عقيدته ، ونحن اليوم على أبواب تغيير جذري في نهج الصحافة وأسلوبها ، ولا ندري ماذا ستكون عليه بعد هذه التغييرات ؟ ! وإن كنا متأكدين أن هناك من سيتخلى عن المشاركة في الصحف كمساهم بماله ومسؤوليته ، ولكنا لا نشك أن أولئك الصحفيين الذين لهم يد طولى ، وباع مديد ، وجهود تذكر فتشكر سوف لا يدخرون وسعًا في المساهمة الأدبية في الميدان الصحفي ، والإذاعي .

وسوف لا يألون جهدًا في المشاركة الفعالة في خدمة بلادهم بشتى الطرق والوسائل ، وأن منهم من يجد التقدير البليغ والإعجاب الكثير ، سواء كان صاحب صحيفة أم غير ذلك ، وإن كنا ندعو إلى أن تكرمهم الدولة ، وأن تقدر جهودهم وجهادهم ، وأن تستبقيهم في الصحف للاستفادة من توجيهاتهم النافعة ، وليكون حافزًا لهم على مواصلة الجهاد والصبر على المشاق .

إن حكومتنا أولى الناس بأن تكرم ذوي الفضل والعلم ، وأن تضعهم في طليعة الموجهين .

إنها مسؤولة عن هذا الشعب وهي متحملة الأمانة ، وواجبها أن تجعل وسائل

(١) صحيفة اليمامة– العدد (٤٦٥) في ١٦/ ١٠/ ٨٣.

التوجيه فيمن يهدي على الخير. أما من يريد نشر المبادئ الهدامة، والآراء الفاسدة فجديرة بها أن تقصيه عن ميدان التوجيه.

إن ذلك واجبها، وإنها لذكرى، نقولها في وقت يكاد يكون فاصلًا بين عهدين.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريات: الآية ٥٥].



الصحافة السعودية ومجلة روز اليوسف[1]

نشر في مجلة روز اليوسف العدد (١٦٩٤) بقلم ممدوح رضا ما يلي :

« بعض الصحف السعودية تلجأ إلى أسلوب جديد للتهجم على الجمهورية العربية المتحدة . إنها تهاجم الصحف في إقليمي الجمهورية ، وتهاجم كتاباتها وتهاجم كتابها . كل الصحف بلا استثناء حظيت بهذا الشرف . أريد أن أسأل : هل يفهم السادة (الكتاب) السعوديون ما يكتبونه ؟ » .

هذا ما نشرته المجلة المذكورة ، وكان من المفروض أن يكون الرد من أصحاب الصحف السعودية ، وإبداء رأيهم حيال هذا الزعم ، وسأبدي رأيي دفاعًا عن الحقيقة ، أما أصحاب الصحف السعودية أو بعضهم ، على حد تعبير كاتب « روز اليوسف » ، فهم من قوة البيان والقدرة على دحض مثل هذه التخرصات بحيث لا يحتاجون على أن ينبري للدفاع عنهم أحد .

ونحب أن نطمئن « روز اليوسف » وكتابها ، إلى أن الصحف السعودية لا تهاجم الجمهورية العربية المتحدة ، فليس بين المملكة والجمهورية ثارات أو عداوات حتى يكون هجوم ودفاع ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية : فإن الصحف السعودية لو كانت تريد مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة لهاجمتها صراحة بلا لف ولا دوران . وما الذي يدعوها لذلك الاعتساف حتى تهاجم الصحف كوسيلة لمهاجمة الجمهورية ، كما فهم هذا الكاتب المتعمق !

أما أن بعض الصحف السعودية تهاجم بعض الصحف في إقليم الجمهورية العربية المتحدة وتنتقد طريقتها ، وتحذر منها فهذا صحيح ، ولكن ليس على ما فهمه الكاتب في « روز اليوسف » ، بل إن هناك أسبابًا غير ما ذكره- حسب اعتقادنا- هي ما تحتويه تلك الصحف من خلاعة سافرة ومجون

(١) مجلة راية الإسلام ، العدد التاسع- السنة الأولى- شعبان ١٣٨٠.

متهتك ونبذ الدين والقيم، وما تموج به صفحاتها من أخبار الخلاعة، والسهرات الحمراء.

من أجل هذا وأمثاله، يحذر بعض الكُتاب السعوديين الغيورين من بعض الصحف المصرية التي تحمل في طياتها السم الفاتك، ومن بينها بكل حال مجلة «روز اليوسف»، ووصيفاتها التي تسير على ذلك المنوال الذي وصفناه، وليس فيما نقوله ما يدعو للاستنتاجات التي زعمها كاتب «روز اليوسف»، وكأنه اكتشف مخترعًا هائلًا.

ولعل الكاتب المبجل يتذكر ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر عند تأميم الصحافة المصرية حين قال: إنها انحرفت عن رسالتها، وإنها تسعى لإثارة الغرائز طمعًا في الكسب دون نظر للقيم والاعتبارات السليمة، قال هذا الكلام أو ما يقرب منه، وهو عين الحقيقة.

أما إن كان الكاتب يقصد مهاجمة فكرة معينة، وأن بعض الكُتاب السعوديين يهاجمونها؛ لأنها لا تتماشى مع الشريعة الإسلامية الغراء فنعم، ولكن الذي نعرفه أن أولئك الكُتاب يهاجمون الفكرة مع قطع النظر عن مصدرها.

فهم يهاجمونها، سواء جاءت من الجمهورية العربية أم من غيرها، وليس لهم غرض خاص في الجمهورية العربية.

وقد قرأت في صحيفة محلية انتقادًا لصحيفة مصرية؛ لأنها نقلت منها تحقيقات صحفية دون أن تشير على أنها نقلتها من الصحيفة السعودية، بينما الصحف الأجنبية قد أشارت للمصدر، فإن كان كاتب «روز اليوسف» يعني أن هذا مهاجمة للجمهورية، فما علينا إلا أن نقول: (عاشت الأفهام العبقرية).

أما معظم الكتابات التي قد تنشرها بعض الصحف السعودية، فهي لا تخرج عما ذكرنا.

وبقيت كلمة أخيرة، وهي: لماذا اختار الكاتب ذلك التزوير، فزعم أن بعض

الصحف السعودية تهاجم الصحف في إقليمي الجمهورية العربية المتحدة بلا استثناء .

ففي هذه الجملة تجن على الحقيقة ، فالذي نعلمه أن الصحافة السعودية لا تهاجم الصحف في الإِقليم الشمالي ، بل إنها لا تهاجم كل الصحف في الإِقليم الجنوبي من الجمهورية العربية ، وإنما تنتقد بعض الصحف في الإِقليم الجنوبي لما تحويه من سموم وشرور ، فهي تنتقد مجلة « روز اليوسف » ، وآخر ساعة ، والجيل ، وأمثالها .

وتنتقد كتابات إحسان الرفيعة صاحب « أدب السرير » على حد تسمية الأستاذ الكبير أحمد عبد الغفور عطار .

ومؤلف « الوسادة الخالية » ، « ولا أنام » ، وغيرهما .

وبعد ، فقد كنا نود لو أن كاتب « روز اليوسف » فهم ما يريد الكُتاب السعوديون أو بعضهم من نقد لهذه الصحف ، فسعى بما يطيق لتوجيهها الوجهة الصحيحة ، وأن يقدم نصائحه لتلك الصحف علها تستقيم ، بدلًا من إشغال ذهنه ، وكدّ مخيلته ليصل لذلك الاستنتاج الغريب ، على أن ختام كلمته أشد غرابة ؛ إذ يقول : هل يفهم السادة الكُتاب السعوديون ما يكتبونه ؟ ولا ندري ما رأيه هو ، فهل يظنهم يكتبون وهم في غيبوبة ، أو يحسبهم ينقلون من كتب الإِنشاء المدرسي ! والعجيب أن « روز اليوسف » ومثيلاتها لا تذكر للصحافة السعودية مواقفها وكتاباتها الكثيرة جدًّا في التأييد والمناصرة ، ولكنها تكتب بأسلوب يجافي الحقيقة ، وهذا ما يذكرنا ببيتي شعر قديم :

إن يسمعوا سبة طاروا بها فرحًا　　عني وما يسمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرًا ذكرت به　　وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا[(١)]

---

(١) ينظر « سمط اللآلئ » للميمني ص ١٠٢، و« شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي ١/ ٤٤٤، وشرحه للتبريزي ٢/ ١٨٧.

وبعد ، فإن مما يشرف الصحافة السعودية أن لا ترضى عنها مجلة « روز اليوسف » ، ولنردد مع المتنبي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأني فاضلُ[1]



(١) ديوان المتنبي ص ١٢٢.

حاربوا هذه الصحف(١)

إن من يتصفح المجلات والجرائد التي تزخر بها المكتبات التجارية ، يلاحظ أن عددًا كبيرًا منها من مجلات وجرائد هي من نوع رخيص مبتذل ، لا يصح أن يسمح بدخوله هذه البلاد التي ما تزال محافظة إلى حد ما . ولا تزال تعلن أنها تحكم بالشريعة الإِسلامية ، وتعتز بأنها هي الوحيدة في العالم ، بما فيه المنتسبون للإِسلام ، المحكمون للقوانين الوضعية المنافية للشريعة ، تعتز هذه البلاد بأنها تقيم حد الزنا والخمر والسرقة ... إلخ . غير عابئة بالحملات الكلامية التي يشنها الصليبيون وأذيال المستعمر . إن بلادًا هذه حالها لا يليق أن تسمح بدخول تلك المجلات والصحف الماجنة التي تفنن أولئك الخلعاء في جعلها جذابة مغرية ومثيرة للغريزة الجنسية ، وداعية للانحلال والرذيلة ، إنها تحمل السم الزعاف ، وتنشر الصور العارية ، وأشباه العارية ، لمن يدعونهن : نجوم السينما ، وفاتنات ، وملكات الجمال ، والتعليقات الماجنة الإِباحية ، وغيرها من قصص الغرام والحب والهيام ، وألوان الانحطاط والسفالة . كل هذا وغيره تزخر به أمثال تلك الصحف والمجلات التي تصدر من بعض البلاد العربية ، ثم تجد السوق الرائجة في بلادنا ، دون أن توقف وأن تعاد من حيث أتت . إن الناظر في حال هذه الصحافة ، يستشعر أن غزوًا منظمًا ، من أخطر أنواع الغزو وأشدها فتكًا ، غزوًا ثقافيًا ، للأفراد والجماعات ، للشباب والشابات ، إنه غزو إباحي وإلحادي .

إنني كلما تأملت وضع هذه المجلات والصحف ، وانتشارها في هذه البلاد ، أزداد عجبًا واندهاشًا : كيف يسمح بدخولها ؟ وكيف لا ترد من حيث أتت ، ويقال لأهلها : هذه بضاعتكم ترد إليكم وأنت أحق بها ؟ !

لست أدري ، هل هذه الصحف تمر على مراقبي الكتب والصحف ، ثم

(١) مجلة راية الإِسلام، العدد الثاني- السنة الأولى- محرم ١٣٨٠.

يسمحون بدخولها ، ويسهمون في نشرها بإذنهم وموافقتهم على انتشارها ؟

أم إنها تمر من طريق خاص ليس يعلم به أولئك المراقبون ؟ ثم هل من حق المراقب أن يقتصر في مراقبته على ما يعرض عليه فقط ، أم أن وظيفته تتعداه إلى مراقبة المكتبات التجارية ؟ أم أن الأمر موكول لضمير أصحاب المكتبات ، وفيهم من همه الربح المادي ، مهما نتج عن تصرفه من مفاسد وانحلال ، ونشر للرذيلة ، ومساعدة على إفساد الأخلاق ؟

إن كان ذلك فهو عجب ! أما إن كان السماح لها يتعلق برأي المراقب وموكولًا إلى حسن نظره ، وقد رأى أن لا ضرر من السماح بأمثال هذه المجلات الخليعة والصحف الداعرة ، فإنه ينبغي أن يعاد النظر في هذه الثقة ، وفي مناقشة أصحابه .

أما إن كان هناك أمرًا بعدم التعرض لمثل هذه الصحف ، وهو ما لا نظنه ، فليعلم الجميع أن الواجب الديني ، والأدبي ، وما يمليه الضمير الحر والمصلحة العامة ، ومقتضى القيام بالأمانة وأدائها على وجه صحيح .

إن هذه الأشياء كلها تقضي بمنع هذه الصحف منعًا باتًّا ، وإرجاعها من حيث أرسلت- غير مأسوف عليها- ولا ينبغي أن يكون للمجاملة والمداراة في ذلك أي تأثير ، فإن المصلحة العامة أهم بكثير ، والواجب الديني والأدبي أدعى إلى التقديم من إرضاء حفنة لا تحترم مشاعر المسلمين ، ولا يهمها مصلحة عامة ، وإنما هي تسير وراء مصالح شخصية ، وكثير من تلك المجلات تمول من مؤسسات تبشيرية ، ومن سفارات دول متعصبة على الإِسلام والعرب ، وتود أن تقضي على الإسلام والمسلمين في طرفة عين ، ومن ثم فهي لا تفتأ تعمل كل وسيلة لتحطيم المسلمين ، والقضاء عليهم ماديًّا ومعنويًّا .

إنها كلمة مخلصة نقولها صريحة بدافع من غيرة . وإن أسخطت بعض ذوي الأطماع الذين لا يعبأون إلا بمصلحتهم الذاتية ، غير مكترثين بما تجره من مفاسد ، وما ينتج عنها من أضرار .

لجنة مراقبة[1]

نظرة واحدة إلى أي صحيفة من صحفنا المحلية ، تعطينا فكرة عن احتياجاتنا الشديدة إلى العمل الجديد السريع ؛ العمل الذي لا يعرف التواني ولا التسويف ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كنا متخلفين قرونًا من الزمان ، واليوم يشعر المواطنون والمسؤولون على السواء بمدى هذا التخلف المروع ، وكل مخلص يود من صميم فؤاده أن يرى ما بين غمضة عين وانتباهتها بلاده وقد شقت طريقها صعدًا ، وخطت خطوات جبارة في ميدان الرقي والتقدم ، ولها من إمكانياتها الوفيرة ما يؤهلها لأن تكون في طليعة البلاد المتطورة ، إذا ما أحسنت استغلال خيراتها ، واستعملت في وجوهها المثمرة ، وإن الإخلاص هو ما تريده البلاد في الدرجة الأولى ، والتعاون المشترك بدافع من الغيرة الوطنية والشعور بالمسؤولية ، وأن على الصحافة- مرآة الشعوب- أن تساهم بنصيب كبير في تنوير الأذهان ، والإشارة إلى مواطن النقص ؛ لكي تتلافى ، وإلى ما ينبغي تقديمه من المشاريع ليسبق الأهم المهم .

وأن الصحافة قد أدت كثيرًا من واجبها ، ويجب أن تقدم أكثر ، والمهم أيضًا أن يدرك المعنيون بالأمر فائدة التعاون والتجاوب معها .

ومع هذا ، فإن هناك حقيقة ملموسة لا سبيل إلى تجاهلها ، وهي أن بعض الدوائر التي توجه إليها الملاحظات والاقتراحات لا تجد لها صدى لديها ، وما فتئت تسير وئيدًا ، وتمشي مشيًا سلحفائيًا ، وكأنها لا تكترث بما ينشر ، ولا تعبأ بما يقال ، بل ربما فسرت تلك الملاحظات المخلصة تفسيرات !



(١) صحيفة البلاد ١٦/١٠/١٣٧٨.

تقوية المواد الدِّينيَّة في المدارس[(١)]

هذه المملكة لها طابع خاصّ، وأوضاع متميِّزة عن أكثرِ دول العالَم، بل وحتى دول الجامعة العربية، وللأوضاع المغايرة اعتبارٌ يأخذ به المسؤولون، ويقدِّره الآخرون، وإنَّ هذه المملكة حين تسلك مسلكًا مغايرًا لِمَا تقرُّ دول عديدة وصديقة، فليس في ذلك أيَّة غرابة، بل هذا هو المنطق والرأي الصائب.

ولو أنَّها أغمضتْ عينيها، وسارت تلقائيًّا مع غيرها، وظلَّت "إمعة"، لوقعتْ في هُوَّة سحيقة، قد لا تنهض منها إلى الأبد.

ومن واجب المسؤولين أن يَستفيدوا من أخطاء الآخَرين، الذين أُعجِبوا بما جاء عن طريق أوربا باسم الحضارة والرُّقي، دون أخْذ اعتبار بالفوارق، وكانتِ النتيجة تخبطًا وارتباكًا مضحكَين[(٢)].

وإنَّ الناحية التعليميَّة هي الأخطر، والأشدُّ حساسية، ومِن ثَمَّ فإنَّ مِن الواجب التثبُّتَ فيما يُؤخذ من نُظم وبرامج، وأن يُمحَّص تمحيصًا دقيقًا؛ ليؤخذَ الصالح، ويُنفى ما سواه.

فهذه البلاد قد رضيتْ بأن يكون حكمها القرآن، فلا ترضى بالتحاكُم إلى القوانين، ولا ترغب أن تنصرفَ عن دعوة الإسلام السمحة إلى النعرات والدعوات الزائفة، أو الوطنيَّات والقوميَّات التي لا تهتم بالدِّين؛ ولذا فإنَّ تقوية المواد الدينية، واعتبارها موادَّ أساسيَّةً في جميع مراحل الدراسة، والاهتمام بها- هي من أوليات الواجبات على المسؤولين في وزارة المعارف، وغيرها من الدوائرِ والمؤسَّسات الثقافية.

---

(١) جريدة القصيم، العدد (٧٣) في ١٣٨٠/١١/٢٤هـ.

(٢) العبارة في الأصل: «باسم الحضارة بالفوارق وكانت النتيجة والرقي دون أخذ اعتبار تخبطا وارتباكا مضحكين».

وإن كانت هناك فِئاتٌ كثيرة في الخارج، ولاسيَّما متعصِّبو النصارى وتلامذتهم والملحِدون لا يُعجبهم هذا العمل، فلا بدَّ من الصمود أمامهم، وسدِّ جميع الثغرات التي يسعَوْن جاهدين للولوج منها، حتى وإن قالوا: أنتم رجعيون، وجامدون، وأنتم تمثِّلون إنسانَ القرون الوُسْطى، أو عصور الظلام.

وبهذه المناسبة فإنِّي أُبدي هنا ملاحظة، وإن كانت يسيرة، إلَّا أني أودُّ إبداءها، وأرجو أن تجدَ التنفيذ من المسؤولين، وملاحظتي هي: حول الدِّراسة والامتحان في شهري رمضان، وذي الحجَّة، وإني أرى أن يجعل هذان الشهران عُطلةً دائمة في جميع السِّنين، وألَّا يكون فيهما دراسة ولا امتحان لجميع المدارس، ابتدائية كانتْ أم ثانوية، أم عالية.

ومن الواضح أنَّ شهر رمضان شهرٌ ينبغي أن يتفرَّغ فيه المسلِم لدراسة القرآن، ومراجعة كتب التفسير، وتفهُّم معانيه، والحرص على حِفظه ممن لا يحفظه، اقتداء بالنبي ﷺ وبالسلف الصالح الذين كانوا يتفرَّغون في رمضان لتلاوةِ القرآن، والعناية به.

أمَّا شهر ذي الحجَّة، فهو شهر الحَجّ، وينبغي فيه إفساح المجال للطالِب وللمدرِّس؛ ليتمكنَ من الحج إذا كان يرغب، ففي ذلك تعاونٌ على البرِّ والتقوى.

أما إذا جُعِل في هذا الشهر دراسة أو امتحان، فإنَّ في ذلك تعويقًا عن الحج، وقد يكون المسؤولون في وزارة المعارف راعوا توحيدَ الزمن الدراسي مع البلدان العربية، ولكن الأمر الذي يجب أخْذُه بعين الاعتبار ليس هو مراعاة دول عربية، أو غي عربية، ولكن مراعاة أوضاع البِلاد وطريقتها في الحياة، والمنهج الذي اختارتْ سلوكه، وبالتالي: التعاون على البِرِّ والتقوى.

هذا، وليس بخافٍ أنَّ مناهج الدِّراسة في بعض البلاد العربية قد خططتْها دول الاستعمار إبَّان استعمارها لتلك البلاد، أو اقتبسها تلامذةُ الغرب، دون مراعاةٍ للأحوال والأوضاع.

اللغة العربية
نريد مجمعًا لغويًّا[(١)]

التعليم في هذه البلاد ينتشر بسرعة، والثقافة تنمو حثيثًا، وتنوع المعلومات والدراسات العليا والتخصص أشياء لا بدّ منها لأمة تريد النهوض والتطور، وهو ما تلاقت فيه الإِرادتان الحكومية والشعبية على حد سواء.

وهذا ما يدعونا للمطالبة بإنشاء مجمع لغوي يدرس ويبحث ويؤلف وينشر، ويعني بلغة القرآن؛ لغة العروبة والإِسلام، حتى تقف صامدة أمام التيارات الغربية، والألفاظ الدخيلة، والعجمة الركيكة.

مجمع تتضافر فيه الجهود، وتجتمع فيه قوى مفيدة نشطة.

وعندما يطالع المرء اللوحات المعلقة على أبواب المعارض والمتاجر والمؤسسات، ويصطدم بالألفاظ الدخيلة على لغتنا العربية، لا شك سيبادر إلى تأييد هذا الرأي، وعندما يسمع الكلمات الأجنبية تقحم في المخاطبات، وتلوكها الألسن، عن معرفة أو جهل، فسيقول: نريد مجمعًا لغويًّا، نريد حماية للغة الإِسلام من الضياع واللكنة، وفي الصحافة كلمات تتردد على أعمدة الصحف بكثرة، وهي من الأعجمي الطارئ، حتى ألفت فيها الكتب، وللموظفين كلمات ينطقون بها، وتمر على ألسنتهم، وهي ليست من العربية في شيء، وبين التجار ألفاظ لا تمت للعربية بصلة، ولدى العمال ورجال الجيش وسائر الطبقات من هذه الألفاظ أشياء كثيرة.

ولا أحسب هؤلاء يريدون للغة القرآن شرًّا، أو يسيئون بها قصدًا، أو ينوون عنها تحولًا، إنما اضطروا إليها اضطرارًا، أو آثروا الراحة على البحث والتدقيق.

ولا شك أنه من اللوازم، العناية بلغة القرآن، والحرص عليها من الشوائب،

---

(١) صحيفة اليمامة– العدد (٣٩٢) في ١٣٨٣/١/٢٨هـ.

وتطهيرها من الأضرار ، ولكن كيف السبيل ..؟ إنه لا بدّ من شعور قوي ، ومن عمل جاد ؛ لتكون النتيجة سليمة مفيدة .

إنه ينبغي أن يكون هنا مجمع لغوي ، يكون في مقدمة أعماله تأليف قاموس موسع ، يحتوي على ما استجد من مبتكرات العلم والاختراع ، ويضع أسماء عربية بدل الأسماء الأعجمية ، ويكون فيه مصطلحات تتفق والذوق العربي ، والسهولة في النطق والمفهوم معناه من الألفاظ ، بلا تكلف أو تحذلق .

وقد يقول قائل : ولكن لماذا لا يبحث كل مثقف بنفسه ، ويجعل بدل كل كلمة أعجمية كلمة عربية ؟ ويكون الصحفي والكاتب والتاجر والموظف والعامل مكلفين بالبحث عن الألفاظ العربية ليضعوها بدل الألفاظ الأعجمية ، ما داموا متعلمين ، ولديهم من الثقافة ما يمكنهم من الرجوع إلى كتب اللغة ومشتقاتها ، وقواميسها ومعاجمها .

وهذا القول ضرب من المستحيل ، إذ إن الصحفي والكاتب والموظف والعامل والتاجر ، ليس لديهم الوقت الكافي للرجوع لأمثال هذه الكتب والبحث فيها على نحو مُرضٍ .

وإن كلفناهم بالاستنتاج ووضع المصطلحات وارتجال الأسماء ، فهو الشطط والعسف .

ومع هذا ، فنطلب منهم أن يحرصوا على لغة القرآن ، وأن يعنوا بها بقدر ما يطيقون ، وأن يتعاونوا لدرء الأخطار عنها ، ودفع المحاولات الشريرة لإذابتها بين أمواج اللغات الأجنبية الدخيلة . وقد يقول قائل : ولكن أين من يستطيعون القيام بهذه المهمة الشاقة ؟ وأين المثقفون ثقافة لغوية واسعة في بلادنا حتى يتكون منهم المجمع اللغوي ؟ وأقول : إن في هذه البلاد- بحمد اللّه- من تتوافر فيهم هذه الشروط ، وتلتقي فيهم تلك الصفات ، وقد يتألف المجمع بطريقة مختصرة ، وبعد ذلك يتسع ويكبر ويرافق- المجامع اللغوية- في بعض البلاد العربية .

هذه فكرة تعمل في نفسي منذ زمن ، وقد أثارها من جديد تساؤل كاتب في صحيفة « عكاظ » : كيف أن كلمة غير عربية وقعت في جريدة « اليمامة » فلم أجعل بدلها كلمة عربية ، وإني إذ أقدر للكاتب شعوره النبيل نحوي ، أحييه إذ أتاح لي فرصة نشر هذا الاقتراح الذي طالما تمناه الكثيرون ، ورأوه ضرورة لا غنية عنها لبلادنا .



التجديد في أسلوب الخطب[1]

الخطيب البارع هو ذلك الذي يختار لكل مقام مقالًا ، ولكل قصة أسلوبًا ، ولكل حادثة ما يوائمها ، فيحرك شغاف القلوب وأوتار النفوس .

ولقد اشتهر خطباء مصاقع من العرب في جاهليتهم وإسلامهم .

فَقسٌّ بن ساعدة الأيادي من الجاهليين ، وسحبان بن[2] وائل من المخضرمين قد اشتهرا بخطبهما البليغة .

ومن الإِسلاميين :

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد اللّٰه بن الزبير ، وعبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهم ، والحجاج بن يوسف ، وزياد وغيرهم .

وهناك عدد من الخطباء المشاهير في كل عصر ، يثيرون الإِعجاب بفصاحتهم ، كان هؤلاء الخطباء يلقون خطبهم ارتجالًا في الأغلب ، وقد ينشئون الخطب ويكتبونها وينقحونها ، ثم يلقونها بعد ذلك ، ولكنهم لم يكونوا يعتمدون على خطب قديمة يحفظونها عن ظهر قلب ، أو يقرأونها مكتوبة ، كما هي بنصها وفصها ، ويتداولونها مئات السنين .

وإنما جرى ذلك حين انتشر الجهل وركد العلم ، فألف ابن نباتة وأمثاله خطبًا لأئمة المساجد .

وقد يحدث عندما يخطب أحد المقلدين أن يثير ضحكات الناس وسخريتهم ، فقد يدعو بالنصر للخاقان الأعظم الذي مات منذ مئة سنة ، أو يشتم سلطانًا كان مخلوعًا ، ثم عاد إلى سلطانه ، ويتحمس لتأييد دولة قد انصرمت منذ

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٣٢) في ٢٠/٦/ ٨٣.

(٢) سقطت من الأصل.

عشرات السنين ، وهكذا دواليك من المضحكات المبكيات التي سببها الجهل والعجز ، وعندما ننظر إلى تاريخنا المجيد ، نجد أن الرسول ﷺ وصحابته وخلفاءه ، والخطباء في العصور الإسلامية المزدهرة ، كانوا جميعًا يأتون بخطب جديدة في أسلوبها ، وإن كان مشاهير الخطباء قد يوردون اقتباسات من القرآن والحديث والأمثال والشعر ، إلا أن ذلك يعرض بأسلوب مشوق وطريقة رائعة ، تتخالف كليًّا مع أسلوب- المقلدين المكررين- ويتناقض معها تمامًا . ونحن إذ نشيد ببعض الخطباء الشباب الذين شقوا طريقهم في الخطابة فأثروا في النفوس ، وأحسنوا التوجيه ، ووضعوا الشيء في موضعه المناسب ، وكان لكلامهم وزن ولأسلوبهم أثر جميل .

فإنا نعجب من تمسك بعض الخطباء بطريقته القديمة في حفظ خطب مضى عليها مئات السنين ، وتغير كثير من المشاكل التي تعالجها ، وجدت أحداث ومذاهب ومشاكل تحتاج على أسلوب آخر ، غير المحفوظات التي يسبق الأطفال الخطيب في قراءتها ؛ لكثرة ما ترددت على مسامعهم .

ومن العجب أن بعض الخطباء « هؤلاء » عندما تند عنه سجعة من السجعات في الخطبة المحفوظة يرتج عليه ويضطرب ، ويكرر تلك الجملة حتى يعثر على سجعته المفقودة بعد أن يقع في حيص بيص .

إنه يوجد- بحمد اللَّه- جامعيون يجيدون الخطابة ، ويحسنون الارتجال ، ويعرفون مشاكل مجتمعهم وحلولها ، فلماذا لا يستفاد من هؤلاء ، ويسند إليهم أمر الخطابة ، ويفسح لهم المجال ؛ لكي يقوموا بهذا الدور الخطير ، فلمثله قد تهيَّأُوا ، وأمضوا السنوات الطوال في التحصيل والتدريب ، لكي يوجهوا ويؤثروا . هذه كلمة لا أحسبها في حاجة إلى مزيد من البراهين ، وليس الاقتناع بها صعب لوضوح الفكرة واستيعابها ! ومن ثم فإن تحقيقها سيكون عاجلًا ، بمعونة اللَّه ، وللمسلمين في رسول اللَّه ﷺ وصحابته أسوة .

ما قولكم في هذه الألقاب ؟[1]

أهل هذه الجزيرة أقرب الناس إلى الفطرة ، وأبعدهم عن التكلف والمظاهر الفارغة ، وكان هذا واضحًا وملموسًا إلى وقت قريب جدًّا ، ولكنهم بعد أن اختلطوا بأهل هذه الألقاب ؛ بحكم صلاتهم بالخارج ، واحتكاكهم بشعوب أخرى ، طرأت تغيرات على طريقتهم في الحياة وعلى عاداتهم وتقاليدهم . وهي وإن لم تصل إلى درجة « الأزمان » فإن التغير الملحوظ يبدو واضحًا ، ولهذا التعبير حسناته في حالات ، وسيئاته في حالات .

ومنذ وقت قريب كان كثير من هذه الألقاب المتداولة لدينا حاليًّا غير معروفة ، وفجأة أصبحت هذه الألقاب تكاد تكون شعارًا مميزًا لبلادنا خاصة ، وانعكست الآية ، فقد صار الكثير من هذه الألقاب في بلاد العالم كله تقريبًا في ذمة التاريخ ، وفي خبر كان ، يذكرونه للعبرة أو التندر .

وتحولت رواسب هذه الألقاب لدينا ، رغم مجافاتها لطبائعنا ، ونتيجة لذلك أوشكت حرارة الصدق في نطقها ، والاقتناع بحسن اختيارها تذوبان في خضم التقليد الرواسبي ، الذي جمع نفايات هذه الألقاب لدينا بطريقة غامضة .

دول تصدر مراسيم وأوامر لإلغاء الألقاب الطنانة الرنانة ، فتسلم من نفاق وترهات هذه الألفاظ ، بينما تصبح بلادنا مأوى لها ومآلًا .

شيء عجيب !

وعندما نرجع للتاريخ نجد أن هذه الألقاب لا تسري في مجتمع إلا وتنذر بزواله ، وتشعر بتلاشيه واضمحلاله .

ونجد شاعرًا عربيًّا يتأفف من هذه الألقاب الجوفاء ، ويكاد يشهد مصرع بلاد عزيزة على النفوس ، نذكرها فلا نملك إلا ذرف الدموع الساخنة عليها ،

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٩١) في ١٣٨٣/١/٢٥.

الأندلس الغالية، فيرسل هذا الشاعر نداء هو الرثاء العاجل:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد[(١)]

وهذه الألقاب المتداولة الآن- هنا- كصاحب المعالي والسعادة والسماحة والجلالة والفضيلة والسمو[(٢)]، كلها ألقاب دخيلة على هذه البلاد غريبة عليها، وكأني بمن تقال لهم هذه الكلمات ويلقبون بهذه الألقاب يتمنون محوها من الوجود؛ إذ إنها ليست أكثر من عبارات تقال آليًا كالأسماء الجامدة كما يسمونها- في النحو واللغة- ويمكن الاستغناء عنها بلقب الأمير والشيخ والأستاذ- مثلًا- وبلادنا، بحمد اللّه، لا تزال قريبة من الفطرة، قابلة للتخلص من الأشياء الدخيلة التي لا نفع فيها، والتي قد تثير من السخرية أكثر مما تثير من الإعجاب والوفاء، وأذكر أن ملك ليبيا إدريس السنوسي قد أصدر أمرًا بأن لا يلقب بصاحب الجلالة، وفي بلاد عربية أخرى ألغيت ألقاب الباشا والبك وأشباهها.

ونحن أحق بإلغاء الألقاب التي هي دخيلة على بلادنا وضد طبائع أهل البلاد بما فيهم من يلقبون بها.

إن الحب والولاء والتقدير ليست في حاجة للتعبير عنها إلى ألفاظ جوفاء صماء ومظاهر كاذبة.

إنني أدعو المسؤولين والصحفيين والجمهور أن يتعاونوا في التخلص من أمثال هذه الألقاب الفارغة، فهل يفعلون؟!

---

(١) ينظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٤/ ٤٢٨، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٤٤، و«نفح الطيب» ١/ ٢١٤، ٤/ ٢٥٥.

(٢) ألقى الملك فيصل خطابًا في حفل عام، وقال ما معناه: إنه لا يرضى أن يلقب بصاحب الجلالة أو الجالس على العرش.

بين اليأس والأمل[1]

لعل من فضول القول : إن الإنسان- أي إنسان- لا بدّ أن تعترضه أنواع من المتاعب ، ونماذج غير قليلة من المصاعب الشائكة . سنة الحياة الصاخبة في تموجها وضجيجها ، وعندما تتكاثف السحب الداكنة ، ويتلبد الجو بالغيوم يتشعب الطريق ، إلى طريق تشاؤم ، وطريق تفاؤل ، وشتان ما بينهما من بون شاسع ومسافة بعيدة الأطراف . فالمتشائم ينظر الحياة والناس بمنظر أسود ، ويجعل من الحبة قبة ، وتراه لأتفه الأسباب وأدناها تثور ثائرته ، وتعلوه الكآبة ، وتستبد به الهموم كأن قد أطبق على رأسه جبل شاهق ، أو كأن الدنيا قد « انقلبت رأسًا على عقب » ، والتضجر والتبرم ، والآلام المضنية والحزن الدائم ، كل هذه صفات ملازمة له ، لا تريد عنه فكاكًا ، ولا يروم عنها حولًا ، لا يحس من الطعوم إلا المر ، ولا يتذوق من الأشياء إلا الحنظل ، ولا يجني من الأشجار ، ولو كانت وروداً إلا الشوك ، الحياة في رأيه ظلمة أزلية أبدية ، لا وميض من نور فيها ، والخلق أشرار أبالسة ، قويهم يفتك بضعيفهم ، وجلدهم يلتهم رقيقهم ، وكأن لا عطف لديهم ولا رحمة فيهم ، وما الدنيا في ناظره سوى سلسلة من المتاعب وحلقة مفرغة من الشقاء ، خلو من الهناء والسعادة ، وخراب يباب من ينابيع الخير وآثار الفضل والحنان ، يطرب لرأي متشائم سابق :

تَعُبٌ كلها الحياة فما أعـ ـجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ[2]

ويهتف مع القائل :

وكأن الزمان أصبح محمو لًا هواه مع الأخس الأخس[3]

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٩١) في ١٥/١/١٣٧٧.

(٢) ينظر « نشوار المحاضر وأخبار المذاكرة » للتنوخي ٥/ ٢٢٣، و« وفيات الأعيان » لابن خلكان ١/ ٤٥١، و« تاريخ بغداد » ٤/ ٢٤٠.

(٣) « ديوان البحتري » ص ٧٢.

والأناسي في ميزانه ، مجموعة من ذئاب كاسرة ، وأحمرة نافرة ، وثعالب ماكرة .

فتراه أبدًا مستكينًا خوارًا لا حركة فيه ولا حس ولا شعور ، من أحياء الأموات أو أموات الأحياء . قد فقد الوعي ، واستسلم للمذلة ، وخيمت على نفسه التعاسة والبوار ، وأصبح اليأس والفشل حليفين له في كل حركة يتحركها أو خطوة يسيرها ، هكذا كان يتخيل في نفسه حتى غدا أمرًا مقطوعًا به في نظره مسلمًا لا يقبل الجدل . قد رضي بالخمول وقنع بأن يظل في سلة المهملات وزوايا النسيان ، غير آبه بشيء ، ولا مشتاق لحاجة ما ، لا يحفل بأمر ، ولا يعني بما يدور حوله أو بعيدًا منه ، الألماس والخزف والذهب والنحاس والعظماء الأشاوس وأرذال السوقة ، لا يفصلهم في عرفه فاصل ولا يميزهم مميز . وبالجملة فهو إنسان متشائم مرتبك قد أغمض جفنيه وفقد الوعي والإِحساس . هذه بعض خطوط « التشاؤم » العريضة ، وقد تأتي منه ألوان مغايرة ونزعات أخر ، وقد تجتمع وقد تفترق ، ولكنها بكل حال أدلة « جلية » على النزعة التشاؤمية ، وبرهان ساطع على مرض اليأس الخطر .

وفي الجانب المقابل تشهد شخصًا « مناقضًا تمامًا » للشخص الآنف الذكر ، فهنا شخص مرح طروب ينظر الأشياء في جمالها وبهائها ، ويبصر الإِنسانية في عطفها ووفائها ، ويدرك ما في الأشياء من روعة وحسن وصفاء .

إنه لا يشط عن محيطه ، ولا يتلهى بالأحلام الجميلة ، والأماني العذبة ، ولا يغرق في الخيال فينسى واقعه الذي يعج بالأشياء الغريبة المتناقضة .

ولكنه يهتبل فرص السعادة في إقبالها ، فلا يدعها تفلت من بين يديه ، وينتزع الكأس بمهارة إذ يقدم له عذبًا ، أو عندما يستطيع تناوله ، ويطبع أعماله بالخير ما استطاع .

وإذ يصطدم مع الحياة في مشكلات عويصة ، تراه بادي التفكير الهادئ ،

رابط الجأش ، ثابت الجنان ، حصيف الرأي ، يحاول التخلص بحل معقول بلا طيش ولا توتر ولا هياج .

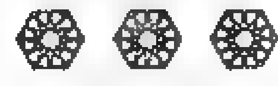
وسرعان ما يسيطر على الموقف ؛ ويجد مناسبة الخلاص واضحة للعيان .

وهو يحب الحياة ، إذ هي مزرعة خصبة للخير والعمل الدائب المثمر ، وحقل طيب للإِنتاج الصالح المفيد ، وهو يدرك من خلال الأجيال والعصور مواقع الشهامة ومغارس البطولة ، ورصيد السير المجيدة في صفحات التاريخ الناصعة .

ومن سنة الحياة الصدمات العنيفة التي تعترض كل إنسان حي ، وتجعل الرأس في دوار عاصف ، وتثير في النفس موجات من الفزع ، وتفكك الأوصال ، فيقف كالطود الشامخ حتى تذوب الثلوج ، وتهدأ الأمواج الصاخبة ، ويعود كل شيء وادعًا رقيقًا ، ومن ثم يتطلع بسهولة ودون إعياء أو قلق إلى الجمال والصفاء والوداعة ، يعلم سلفًا أنه قد يظلم الليل وتطول دكنته ، ويشتد الحر وتعلو حرارته ، ويتلبد الجو بغيوم سود تنذر بالطوفان والغرق ، وقد تعصف العواصف الهائجة ، وتثور البراكين بنيرانها الجبارة ، وقد يقسو الواقع ، وتؤلم الحقيقة ، ويبدو المستقبل غامضًا معمى ، ولكن المتفائل لا ينقاد لليأس ، ولا يستسلم للمخاوف ، ولا يفقد الأمل الباسم ، ولا ينزع من نفسه الإِيمان ، وإنما يهتف في قرارة نفسه : إن الغد جميل ، والمستقبل زاهر ، والضياء ينير الطريق ، ومن خلال السحب الكثيفة الحمر ، أو الدكن ، يبصر الضباب الأبيض الرقيق ، ومن شفافيته يترقب المطر الهادئ والجو الجميل ، وبعده تزهر الأشجار ، وتثمر ثمرًا حلوًا شهيًا ، وتتفتح الرياحين الشذية ، والورود الرَّخْصَة[1] الحبيبة ، وسيشرق الغد ، وسينير الطريق ، وينتشر النور في كل مكان ، ويضيف لهذه السجايا النظر في العواقب ، والتبصر في الأمور ، وأخذ الحيطة والحذر ، والتفكير العميق ليتجنب

(١) الرَّخْصَة : اللينة الناعمة . ينظر « لسان العرب » مادة : (رخص) .

مخاطر التهور، ومزالق الارتجال الأرعن[1]، ويوقن أن الخطب مهما اشتد فإنه سحابة صيف عن قريب تقشع، وبمثل هذه الخلال بإمكاننا نعت هذا النوع من البشر بالمتفائل المتزن، الذي يسير بخطًا ثابتة وعزم أكيد إلى أهداف واضحة وغايات نبيلة، وحري به أن ينال مبتغاه، ويظفر بتحقيق مقاصده وأمانيه.



(١) الأرعن: الأهوج. «تاج العروس»: (رعن).

أثرياؤنا والثقافة(١)

الأثرياء في كل أنحاء العالم تقريبًا ، لهم صولات وجولات في ميادين العلوم والثقافة ، فمنهم من يؤسس المعاهد والمدارس والنوادي ، ويعمل أعمالًا مجيدة في الإسهام بنصيب وافر في نشر العلم والمعرفة ، ومنهم من يرصد الأموال الطائلة لتنفق على البحوث المختلفة ، أو تدفع على صفة جوائز لمن يبرز في ميدان علمي نافع ، وما زالت المؤسسات العظيمة التي أقامها هؤلاء الأفراد تشهد بما صنعوا وتخلد اسمهم ، ولكنا نعود لنتحسس صنيع تجارنا في هذا المجال وذوي الملايين ، ومن دون أصحاب الملايين ، فنصطدم بالحقيقة المرة ، ولا نرى شيئًا يذكر ، بل قد لا نجد شيئًا إطلاقًا !

إن للوطن ضريبة على هؤلاء الذين اغتنوا بعد فقر ، وأثروا بعد إملاق ، يجب أن يؤدوها بدافع من ضمائرهم ، وما يمليه عليهم دينهم من مؤازرة على الخير ، وتعاون على البر ، وليدركوا أن أعمالًا كهذه ستخلد ذكراهم ، وتغرس لهم سمعة نبيلة ، ثم انتظار الثواب الجزيل . ولقد صدق الشاعر إذ يقول :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال(٢)

وكما قال ابن دريد في « مقصورته » :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعى

إن الأثرياء في هذه البلاد يتمتعون بحماية طيبة من الدولة ، وقد أفسح لهم المجال ليحصلوا الأرباح الطائلة التي نالوها بسهولة ، وبقليل من التضحيات التي يبذلها زميلهم الثري في البلاد الأخرى ، ولكن مع الأسف لا مجال للمقارنة بين أثريائنا وأولئك الأثرياء ، لأن أثرياءنا كأنه لا يعنيهم إلا الربح وما يدخلونه في

(١) مجلة الخليج العربي- العدد (٥٠) في ١٣٧٩/٢/٨هـ .

(٢) ينظر « يتيمة الدهر » للثعالبي ٢٥٨/١ وفيه : « قاته » بدل : « فاته » .

جيوبهم ، أما أن يساهموا في دفع عجلة التطور ، ويقدموا لوطنهم الضريبة ، ويؤدوا واجبهم الذي لن يعفوا منه ، مهما تهاونوا وتقاعسوا فإن الأمة ستطالبهم به ، وسيكونون مقصرين إذا لم يفوا به .

إننا نريد أن نرى مؤسسات علمية وثقافية ، وجوائز ثمينة ، وبعوثًا تبعث على حساب هؤلاء الأثرياء في بلادنا ، مما يكسبهم جدًا وذكرًا خالدًا ، وما يشعر به المواطنون من أنّ هؤلاء الأثرياء لم ينسوا واجبهم حيال البلد الذي يعتزون بالانتساب إليه .

نريد أن نرى ونسمع أن معاهد ونوادي وغيرها من وسائل الثقافة وتشجيع النوابغ من الطلاب يقوم بها أثرياؤنا . فمعهد يحمل اسم الشربتلي ، وآخر الكعكي ، وثالث التخيفي ، ورابع الراشد ، وخامس ابن لادن ، وسادس باخشب ... إلخ . إنهم عند ذلك يستحقون أن يفخر بهم ، وأن تباهي البلاد بأثريائها كما تباهي البلاد الأخرى . إنه لمؤسف حقًّا أن نبقى إلى اليوم لا نرى من أمثال تلك المؤسسات النافعة ، من يضطلع بها من الأثرياء هنا في هذه المملكة ، وماذا نقول في تعليل ذلك . لا نحب أبدًا أن نقول : إنه عدم تقدير من حضراتهم للعلم والثقافة ؛ لأنهم لا يأبهون للعلم ، ولا نريد أن نقول إنه عدم شعور بالمسؤولية منهم تجاه شعبهم النبيل ، ولا أنه الجشع والبخل إلى هذا الحد المزري ، فذلك ما لا نحب أن نقوله ، أو نصدقه لو سمعناه ، إن هذه الكلمة بعثتها للذكرى ، والأمل قوي أن نرى ونسمع عن مساهمة أثريائنا في المجالات الثقافية والعلمية والأدبية ما يطرب ويبهج ، ويعيد الثقة في إخلاصهم لوطنهم الحبيب .



هل أدى الأثرياء واجبهم[1]

إذا كنا نطالب الحكومة بأن تنشئ المصانع، وتؤازر الفلاح، وتنهض بالبلاد في جميع المجالات، فليس معنى ذلك أن المسؤولية تقع على الحكومة وحدها، ولا أن موقف الأثرياء السلبي سليم، بل على العكس، فإنه ما لم تتضافر الجهود من قبل الحكومة والشعب. فمثلًا في الأعمال الفردية وجهود الشركات والأثرياء ومختلف الطبقات مضافًا إلى أعمال الحكومة ومسؤولياتها، فإن العمل من جانب واحد سيظل مشلولًا، ولا يمكن أن تنهض الحكومة بكل شيء ما دام الأثرياء يقفون هذا الموقف الغريب، والذي يتجلى في السلبية والانطوائية.

إن أثرياءنا قد أمسكوا عن الإقدام على المشروعات النافعة، وقبضوا بيد من حديد على النقود، أو هربوا أموالهم خارج الحدود.

وقد ذهب كثير من تلك الأموال في موجة التأميمات في مصر، وراحت عشرات الآلاف لبعض الناس، وملايين ومئات الملايين لأناس آخرين.

ولم يلقوا جزاءًا ولا شكورًا من قبل البلاد التي أودعوها أموالهم وشجعوا اقتصادها، وحرموا بلادهم من جزء هام من ثروتها التي كان يجب أن تبقى فيها، بل إن بعض هؤلاء قد أسس مطابع ضخمة في مصر ثم أممت، وصار يطبع فيها الكتب والنشرات التي تشتم هؤلاء المؤسسين، وتذكر من مثالبهم ومساوئهم ما يندى له الجبين خجلًا، وقد يكون بعض تلك الأقاويل مؤتفك لا أساس له من الصحة، ولكنهم على أي حال لقوا جزاء سنمار، وانعكست عليهم الآية، فلم تسلم أموالهم ولا دفعت عن أعراضهم.

ولسنا نقول هذا شامتين- ولكن للذكرى- ولا سيما وأن أولئك لم يأخذوا عبرة مما حدث، فما فتئوا منصرفين عن إنشاء المصانع وتأسيس المشاريع

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤١٢) في ١٠/٤/٨٣.

المثمرة في بلادهم ، ومنهم من يبحث لاستثمار أمواله في بلدان أخرى .. عربية أو أوروبية .. وربما دول عدوة للإِسلام والمسلمين والعرب .

ونحن نقول لهؤلاء : على رسلكم ، فما هكذا يا سعد تورد الإِبل ! وما هذا بعمل مشرف لكم ، فبلادكم أحق بثرواتكم وأضمن ربحًا ومالًا ، وستجدون من التسهيلات ما لا تجدونه في البلاد الأخرى ، وإذا كان هناك ما يعترض طريقكم في استثمار أموالكم من عقبات وصعوبات ، فتقدموا على الحكومة بمقترحاتكم ووجهات نظركم ، وما نحسبها إلا مقدرة لكم ذلك ، وستأخذ به إذا كان فيه مصلحة عامة ونافعة للبلاد .

إن ظاهرة السلبية- مع الأسف- قد تفشت في مجتمعنا ، وكاد يصبح مجتمعًا اتكاليًا ، كل شيء يريده من الحكومة ، وكل مشروع فلا بدّ أن تنهض به الحكومة ، وكل أمر مهما كان صغيرًا أو تافهًا فهو من واجب الحكومة .

إنني لا أقول هذا دفاعًا عن الحكومة ، ولا أدعو إلى إعفاء الحكومة من مسؤولياتها الجسيمة ، وواجباتها الضخمة ، فبلادنا ذات موارد عظيمة ، وثروات هائلة ، واحتياجاتها كثيرة ومتنوعة ، ولا بدّ للحكومة من العمل الجدي السريع في كل ناحية ومجال ، مما يعود نفعه لهذا الشعب العظيم وللأمة الإسلامية جمعاء ، وأي توانٍ في ذلك فإنه سيجر الكوارث والمشاكل على الأمة حكومة وشعبًا ، ولكن ذلك لا يعني السكوت عن هذه الظاهرة المؤسفة ، وهي سلبية الأثرياء وموقفهم الغريب من بلادهم ، وحرمانهم وطنهم من استثمار ثرواتهم فيه ، وعدما لقيام بواجبهم حيال وطنهم وأمتهم ، وإصرارهم على ارتكاب هذا الخطأ والتمادي فيه !

هذه كلمة للذكرى . فهل تجد استجابة ؟ أرجو وآمل .



عاملون ومخذلون[١]

هناك من يعمل في سبيل طيب ، ويقدم ما يستطيع في خدمة دينه وأمته ، وقد يكون طالبًا مثابرًا على درسه ، يريد أن يبلغ أمان كريمة ، فيها نفع ومصلحة ، أو باحثًا منقبًا يربط الماضي بالحاضر ؛ ليستفيد الناس من التجارب ، ويضيفوا على خبرتهم خبرة الأقدمين ويوفروا بذلك جهودًا كثيرة ، أو أنه عالم دين ينير للناس سبل الخير ، ويخشى عليهم التردي في مهاوي العطب ، وأخطار الزلل ، وإما لأنه صحفي ناجح يقدر المصلحة العامة ، ويؤثر كلمة الحق على رضى الظلمة والخفافيش ، يتجنب التبذل في قوله ، ويفهم الصحافة على أنها غرض سام نبيل ، تبث الوعي ، وتبصر بألاعيب السياسة ومزالقها ، فلا يتورط فيها جاهل يودي بحياة أمة ، أو يضيع حق شعب ، أو يمالئ استعمارًا ، أو احتكارًا جائرًا ، صحافة تنصح وتحذر وتخدم الدين والأمة والوطن ، هؤلاء وأمثالهم من العاملين بإخلاص وجد ، ينظر إليهم الكريم فيشد من أزرهم ، ويقوي من عزيمتهم ، ويشجعهم ليسيروا قدمًا ؛ لأنه يشعر بواجبه ، ولا يقف عند حدود مصلحته الشخصية ، وإنما يتطلع لشيء أكثر سموًّا ، إنه يهتم لمصلحة إخوانه ، وبالتالي يرى لزامًا عليه معونة كل من يسعى في هذا السبيل .

وهذا هو الإنسان الكريم ، أما الإنسان الحاسد فهو الذي يستاء لمرأى رجل عامل مجد ، فيضع العراقيل في طريقه مهما أمكنه ، ويصير حجر عثرة في طريق الإصلاح والمصلحين . يشعر بعجزه وبلادته فيغتاظ كذلك ، ولكنه لا يحاول أن يكمل نقصه ، وإنما يرى الوسيلة الوحيدة لشفاء غله ، هي تنقص العاملين ، وتشويه كلماتهم وأعمالهم ، وهؤلاء نكبة على الأمة إذا لم يثوبوا[٢] إلى رشدهم ،

---

(١) صحيفة البلاد- في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٩.

(٢) ثاب الرجل ، يثوب : رجع بعد ذهابه ، ويقال : ثاب فلان إلى الله وتاب ، بالثاء والتاء ، أي : عاد ورجع إلى طاعته . «تاج العروس» مادة : (ثوب) .

ويحاولوا العمل المنتج المثمر بدلًا من الطعن والغمز . والمجتمع وما أدراك ما المجتمع ، إنه إن كان واعيًا لم تلق هذه الطفيليات فيه استجابة وإصغاء لهرائهم ، ولكنه يظهر اشمئزازه منهم واحتقاره لطرقهم المعوجة ، ويقول لهم في صراحة : اعملوا أو اصمتوا .

ولقد كانت كلمة للدكتور طه حسين في إهداء بعض كتبه ، جميلة جديرة بالفهم ،

قال : إلى الذين لا يعملون ويسوءهم أن يعمل الناس أهدي هذا الكتاب . والشاعر العربي قد سبق إلى هذا المعنى الذي أرسله شعرًا رائعًا يلقم المتعنتين أحجارًا :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا[١]

إن هذه الرواسب التي تبدو جلية في مجتمع متخلف ، حقيقة بأن تجد صيحة قوية تعيد لأربابها صوابهم ، وتعلمهم أن قيمة المرء بعمله وإنتاجه ، وأن التحطيم والهدم ليسا وسيلة ناجحة ، وإنما النقد المقوم الموجه هو الذي نحتاج إليه . أما بعثرة الجهود ، وازدراء الناجحين وذوي العمل النافع فهذا أمر خطر ، يجب مكافحته . وفرق بين من يعمل وينتج ، ثم يسعى لتقويم الاعوجاج والنقد النزيه ، ورائده طلب العلم والحقيقة ، وبين حاقد يريد أن يظهر نقص العاملين حتى يستر جهله ويحافظ على مصالحه الخاصة .

إن العاملين المخلصين هم الجديرون بالتقدير والتشجيع والاحترام ، لا أولئك العجزة الثرثارون ، الذين يشجعون البطالة ، ويحترمون العاطلين بالوراثة ومن لا نفع فيهم ، فمتى نرى وعيًا ، يجبر بقايا هؤلاء- وما أكثرهم- على تغيير موقفهم ، وبديل لهجتهم ؛ نصرة للحق وخدمة للأمة .

---

(١) ديوان ابن حيوس ص ٣٤٤، وديوان ابن زيدون ص ٢١٢.

الرثاء
رهبة الموت[١]

الموت هو ذلك الشبح الرهيب ، الذي ترتعد لذكره الفرائص[٢] وتهتز لتصوره المشاعر ، اهتزاز الذعر كأنه غول فاتك أو حيوان مفترس ، بمجرد مروره في الخيال تجري لحظات فيها كثير من القسوة ، وكثير من الرعب ، وتبدل الآراء والأفكار التي كانت قبل ساعات وثوانٍ مسيطرة على المرء .

فالخيال الجامح ، والأمل السابح ، والمنى الحلوة اللذيذة ، التي يتيه معها الإنسان في فضاء واسع ، ويشتط معها الوهم في بيداء عميقة ، لا تعترف بالحدود والقيود ، كلها تنكمش من هول ذكره .

بينما المرء سادر[٣] في الهوة ، غارق في أحلامه العسيلة والطروبة ، يتصور أنه في جنة خضراء وظلال فيحاء يتفيؤها ، وأنهار يمتع بها النظر ويتسلى الفؤاد ، وإذ كان يحدث نفسه واهمًا ، أن الأموال الطائلة التي عجز الثري- غير المأسوف عليه- قارون ، وروكفلر ، وفورد ، وأوناسيس ، والأغا خان ، عجز هؤلاء جميعًا البلوغ لرقمها ، قد صارت ملك يديه بين غمضة عين وانتباهتها ، والخدم والحشم والقصور التي يعجز خيال راوي ألف ليلة وليلة ، وناقلي أخبار مهرجات الهند أنها جنة تهزأ من جنة شداد بن عاد الغابر ، وأنهار فرعون الداثر[٤] ، قد انقاد له في جذل ، وطأطأت رأسها- أعني جنة صاحبنا الواهم- في خجل . فهي في حوزته يهنأ بمباهجها ، ويرتاح لمكيفاتها ، قد خبر بفوحة مصوناتها ، ووثير فراشها ،

---

(١) صحيفة البلاد- في ١٣/٤/١٣٧٩هـ .

(٢) الفرائص : جمع فريصة ، وهي : اللحمة بين الجنب والكتف . ينظر «لسان العرب» مادة : (فرص) .

(٣) سادر : تائه . «تاج العروس» مادة : (سدر) .

(٤) الداثر : الغافل ، الهالك . «لسان العرب» ، و«تاج العروس» مادة (دثر) .

وتمتع بمرأى ألوانها الزاهية وأنوارها الوضاءة وموائدها العامرة التي تحوي كل ما لذ وطاب ، وما يسيل له الريق واللعاب .

وبينما هو يحلم ويحلم أن سلطانه قد امتد حتى لم يجد حاجزًا يقف دونه ، أو كأنه البطل الذي وقف مرة على ساحل المحيط الأطلنطي ، يقول : لو علمت أن وراء هذا البحر ساكنًا لعبرته- مع الفارق طبعًا في الأهداف- وغرق في الخيال حتى أذنيه وهامته ؛ فظن أن الدنيا دانت له بلا رجوع ، وأعطي مفاتيح الجاه والمال ، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ، فلا الصحة مفارقة ، ولا العقبات واقفة في طريق مناه وأحلامه .

بينما هو كذلك ، إذ بالآمال تنهار فجأة ، والحصون تندك في لحظة ، والخيالات قد تضاءلت وتلاشت أو كادت ، ليدرك الواقع بدون رتوش(١) ، وليعي حقيقة نفسه ، كلمة واحدة توقظ النفس من سباتها لترجعها عن غيها ، كلمة الموت المخيفة ، يذكرها ويتصور فظاعة الموقف ، ليبدد تلك الثروات الطائلة ، التي احتواها على ضخامتها خياله ، وتهون عليه أن تذروها الرياح ، ويطيح بتلك القصور الشامخة التي بناها على رمال الأوهام ، ويطلق السلطان الذي خاله قد اتسع حتى لم يعد في حاجة إلى الاتساع .

يعود ليلتمس الحقيقة التي برزت له فجأة من خلال ذكرى كلمة صغيرة ، فيبدد الأوهام ، ويكبح جماح المنى الخادعة ، ويشعر بحقيقة نفسه فلا يطغى ولا يتجبر ، ولا يندفع راكضًا وراء أهوائه وشهواته ، أو منخدعًا بمال يملكه ، أو جاه يناله ، أو سطوة قد أوتيها ؛ ليتنبه لحقيقته التي جهلها ، أو تجاهلها ، حين انساق وراء المادة حتى كاد يتحجر قلبه ، ويفقد المشاعر الكريمة والعواطف الرحيمة ، ليعي إن كان محظوظًا أنه خلق من طين وسيعود إلى الطين- وكل الذي فوق

(١) رتوش جمع رتش : لمسات أخيرة يضعها الفنان على اللوحة . معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٨٥٥ (رتش) .

التراب تراب- وأنه مبعوث ليحاسب عما عمل ويجني ثمار ما غرس ، ألا ما أبلغها موعظة وأعظمها عبرة وأشدها هولًا ، ذكرى الموت التي تنبئ أن الاغترار بالحياة خداع ، والانسياق خلف المطامع وهم كبير ، والركون إلى الدنيا ركون إلى سراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور: الآية ٣٩] ، ولكن الفوز والمجد لمن عمل الخير وتدارك الخطأ وسعى لإسعاد المجتمع ، فبدل الأثرة إيثارًا ، والاحتجان[١] بذلًا ، والظلم عدلًا ، والشر خيرًا .

هكذا يعي المتبصر ويستخلص النتائج الصحيحة .

أما رهبة الموت فهي لا يمتاز بها صالح عن طالح ، أو محسن عن مسيء ، أو جاد عن هازل ؛ لأنها موعظة ، وأي موعظة لفظها نبي الإسلام في جمل وجيزة ، لكنها ذات مدلول كبير وعظيم « أكثروا ذكر هاذم اللذات ، الموت »[٢] موعظة الموت تؤكد صدق القائل :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه   ندامة وحصاد الزرع إبان

وقول الآخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس[٣]



---

(١) الاحتجان : الاحتواء ويعني به : البخل . ينظر « النهاية في غريب الحديث » ١/ ٣٤٨، و« تاج العروس » مادة : (جحن) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الألباني في الإرواء (٦٨٢) .

(٣) ديوان الحُطيئة ص ٤.

من الشاعر(١)

قرأت في صحيفة البلاد الصادرة بتاريخ ٢٠- ١٠- ١٣٧٩هـ تحت عنوان : « تراجم وسير » للأستاذ عمر عبد الجبار ، ترجمة الشيخ إبراهيم بن عبيد ، قول الأستاذ عبد الجبار : ومن شعره (أي الشيخ إبراهيم بن عبيد ، على زعم الكاتب) :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على العادات فعال

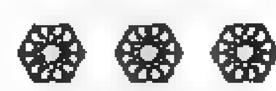
لولا المشقة ساد الناس كلهمو الجود يفقر والإقدام قتال

إنا لفي زمن قول القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

وفي البيت الأخير خطأ وهو : « إنا لفي زمن قول القبيح به » وصوابه : « ترك القبيح به » ، وهذا الخطأ مطبعي على ما نظن ، أما الخطأ المعنوي : فهو في نسبة الكاتب هذه الأبيات للشيخ إبراهيم العبيد ، وهو خطأ عجيب ، فإن هذه الأبيات شهيرة متداولة وهي من شعر أبي الطيب المتنبي ، ومن حكمه النادرة ، وهي من قصيدة طويلة رائعة قالها أبو الطيب سنة ٣٤٨هـ يمدح بها فاتكًا أبا شجاع ومطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال(٢)

أما الشيخ إبراهيم العبيد فهو ما زال حيًّا يرزق- وفقه اللَّه- وإنه لعجب !!



(١) مجلة راية الإسلام ، العدد الثالث ، السنة الأولى صفر ١٣٨٠.

(٢) « ديوان المتنبي » ص ١١٦. وانظر « الأمثال السائرة من شعر المتنبي » ص ٦٥.

الشيخ محمد بن مانع وعمر عبد الجبار[1]

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر- كما يقولون- فإن هذا يذكرنا بما كتبه الأستاذ عمر عبد الجبار أيضًا في ترجمة الشيخ الجليل محمد بن مانع- حفظه اللَّه- في جريدة البلاد الصادرة في ١٤- ١١- ١٣٧٨هـ وقال فيه: «كما حضرت دروسه في المسجد الحرام، فوجدت في كل ما ألقاه سلامة العقيدة، والدعوة إلى الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة، دون أن يتعرض لأحد بالتجهيل أو التكفير شأن كل داع إلى إصلاح العقول والنفوس بالنصيحة، والإِرشاد إلى سبيل الخير ومكارم الأخلاق». والشيخ الفاضل محمد بن مانع قمن بالثناء والتبجيل، وهو معروف لدى الجميع، ولكن الذي نستغربه هو ما زعمه الأستاذ عمر عبد الجبار ونسبه إليه من أنه لا يتعرض لأحد بالتجهيل أو التكفير، ثم تعليق عمر عبد الجبار على ذلك: بأن هذا شأن كل مصلح وداع إلى إصلاح العقول.

ووجه الاستغراب فيها أن يكونا لشيخ الجليل لا يتعرض لأحد بالتجهيل أو التكفير وأن هذا شأن المصلحين، فإن هذا الإِطلاق غير صحيح قطعًا وإلا كان مقتضاه أن لا يكفر- بكسر الفاء- الكافرين الذين ورد الكتاب والسنة بتكفيرهم، والذين أجمع العلماء على كفرهم، ولا يُجهِّل- بضم الياء وكسر الهاء المشددة- من جاء نعته بالجهل في القرآن والسنة وفي إجماع سلف الأمة. وهذا- لو وقع- وهو لم يقع من الشيخ ابن مانع، فليس مما يمدح به. وما دام لا يصح أن يكون قال ذلك؛ فمن الخطأ نسبة شيء إليه وهولا يعترف به.

فإن التعرض لأحد بالتجهيل أو التكفير لا يخلو؛ إما أن يكون من جهلوه أو كفروه مستحقًّا لذلك، بمعنى أنه قد ثبت بالدليل تجهيله أو تكفيره، فهذا

(١) مجلة راية الإِسلام، العدد الثالث، السنة الأولى صفر ١٣٨٠.

تجهيله وتكفيره من العدل ، ومن قول الحق ، وليس مما يمدح الإنسان بسكوته عنه أو بعدم التعرض له ، ومن أجل ذلك ذكر العلماء أبوابًا في حكم المرتد ، وقتال الكفار ، وأخذ الجزية ... الخ .

وإما أن يكون من نسب إلى الجهل أو الكفر لا يستحق ما نسب إليه ، ولم يثبت بالدليل ما يوجب ذلك ، فتجهيل مثل هذا أو تكفيره أو رميه بإلحاد أو زندقة ليس من طريقة المصلحين ، وإنما هي طريق الغلاة في الدين كالخوارج والمعتزلة الذين يكفرون عصاة المسلمين بالذنوب التي لا تخرج صاحبها من الملة ، ومما تقدم يتضح أن في عبارة الأستاذ عمر عبد الجبار إطلاقًا لا يليق ، ولا نحسب الشيخ الجليل ابن مانع يسكت عن تفنيده وإيضاح الحقيقة .. ومن ثم فإنا نرجو أن يقول كلمته إزالة للالتباس ودفعًا للشبهة .. واللّٰه الهادي الموفق .

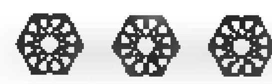


خداع العناوين(١)

في مجلة صدرت حديثًا في بعض الدول العربية، قال الأصمعي: رأيت أعرابيًّا جالسًا، والناس يصلون، فقلت له: يا هذا، لم لا تصلي مع الناس؟ فما كان جوابه إلا أن أنشد:

أيرضى إلهي أن أصلي عاريًا ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فأقسم ما صلّيت للَّه مغربًا ولا أختها الأخرى ولا مطلع الفجر
ولا الصبح إلا يوم شمس دفيئة فإن غيمت فالويل للظهر والعصر(٢)

هذه القصة التي أوردتها المجلة في مستهل أعدادها.. أنموذج لما يفكر به، ويعمل له بعض من يكيدون للإسلام ويهزأون به، وإلا فأية مناسبة تدعو لإيراد مثل هذه الحكاية لأعرابي جاف لم يرسخ الإيمان في قلبه، ويعترض على اللَّه في قضائه وقدره، ويسخر من الصلاة والعبادة، إني أخشى أن ينطبق على هذه المجلة ومثيلاتها عبارة خداع العناوين.



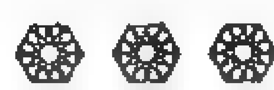
(١) مجلة راية الإسلام، العدد الرابع، ربيع أول ١٣٨٠ السنة الأولى.
(٢) ينظر «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي ٢/ ٥١١.

سرقة أدبية[١]

إنني متألم ومتأسف أن أرى كاتبًا يكتب في مجلة « راية الإسلام » في العدد الثالث تحت عنوان « الأمر بالمعروف » ، وقد سطا على كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس اللَّه روحه- المعروف بـ « الحسبة في الإسلام » ، فينقل منه معظم كلمته من عدة صفحات من الكتاب المذكور ، أجل ، نقل معظم كلمته بحروفها دون أن ينسب المنقول لصاحبه ، وانظر ص٤ وص٨ وص٦٤- ٦٥ وقابل بينها وبين الكلمة المشار إليها ؛ لترى كيف يحاول البعض الظهور على حساب الآخرين ، لتصوره أن القراء من الجهل والغباء بحيث لا يكتشفون الحقيقة ويرجعون الأمور إلى نصابها .

إنني عندما أكتب هذا ، فإنما لأُحذر من سلوك هذا الطريق المعوج ، وليكون ذلك موعظة لمن تسول له نفسه مثل هذه الجناية الأدبية ، حتى لا يقع في الغلطة التي تردى فيها كاتب مقال « الأمر بالمعروف » ، وإنه من الخير للإنسان أن يكتب بأسلوبه فيخطئ من أن يتعدى على كتب الآخرين .

ثم إذا كان عاجزًا عن الكتابة ، فما الذي يلجئه لمثل ذلك التصرف الذي لن ينال عن طريقه الرفعة ، وإنما ينال السخرية والخجل .



(١) مجلة راية الإسلام ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ربيع أول ١٣٨٠.

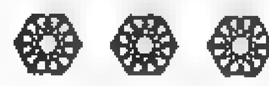
معقول[1]

قال أبو بكر الطرطوشي في كتابه « سراج الملوك »[2] : « وروي أن أعرابيًّا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال : أيها الأمير ، أتت على الناس سنوات ثلاث ، أما الأولى فأكلت اللحم ، وأما الثانية فأذابت الشحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم (سحقته) ، وعندك فضول أموال ، فإن كانت للّٰه فاقسمها بين عباده ، وإن كانت لهم فلِمَ تحصرها عليهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا إن اللّٰه يجزي المتصدقين .

فأمر هشام بمال فقسم بين الناس ، وأمر للأعرابي بمال فقال : الكل المسلمين منك مثل هذا ؟

قال : لا يقوم بذلك بيت المال .

قال : لا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين » .



(١) مجلة راية الإسلام ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ربيع أول ١٣٨٠.

(٢) « سراج الملوك » ص ٢٤.

للتسلية[١]

روى ابن الجوزي في كتاب « الحمقى والمغفلين »[٢] : أنه بلغه أن بعض العرب خطب في عمل وليمة فقال في خطبته : إن اللَّه خلق السماوات والأرض في ستة أشهر . فقيل له : في ستة أيام . فقال : واللَّه أردت أن أقولها ولكن استقللتها .

وروى في كتابه المذكور أيضًا[٣] ، عن عبد الرحمن بن داود قال : لقي تاجر تاجرًا ، فقال له : ما اسمك ؟ ولا تطوِّل . فقال : أبو عبدِ منزلِ القطرَ عليكم من السماء تنزيلًا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » فقال : مرحبًا يا ثلث القرآن .



---

(١) مجلة راية الإسلام : السنة الأولى ، العدد الرابع ، ربيع أول ١٣٨٠.

(٢) « أخبار الحمقى والمغفلين » ص ٩٥.

(٣) ص ١٥٧.

إلى وزارة المعارف
جمع شتات المكتبات[(١)]

المكتبات هي عنوان رقي الأمم ووعيها ، وبالرغم من انتشار الثقافة في هذه البلاد ، فإن المكتبات ما زالت مفقودة ، أو شبه مفقودة .

ويوجد عدد من المكتبات الصغيرة الفردية في الرياض ومكة والمدينة وغيرها ، ولكن لا يستفاد منها في الأغلب ؛ ذلك أنها تنقصها العناية والتنظيم ، وكثير منها تمضي عليه الشهور ، وربما السنين ، ولم يحرك منها ساكن ، وإنما هو مهمل قد تراكم عليه الغبار ، وترك طعمًا للدودة تعبث فيه . وإذا علمنا أن مدينة الرياض ليس بها سوى مكتبتين عامتين ، إحداهما ليس فيها إلا كتب قليلة جدًّا ، والأخرى تحتاج إلى عناية ، وإلى كتب وصحف ، الأولى دار الكتب ، والثانية المكتبة السعودية .

هذا مع الاحتياج الشديد والتطلع الكثير من قبل الشباب نحو التزود بالعلوم والثقافة وإرواء ظمأهم بالمطالعة ، وأمنيتهم أن يجدوا المكان الفسيح والجو المريح ، الذي تتوافر فيه أسباب الراحة والهدوء ، ويلقون فيه ما يرغبونه من كتب وصحف وتنظيم .

وجدة ليس فيها مكتبة عامة سوى مكتبة الإذاعة التابعة لوزارة الإعلام ، وهي مكتبة صغيرة ليس فيها إلا كتب يسيرة ، وبعض الصحف التابعة لوزارة الإعلام .

والمكتبة الأولى ينقصها الكثير من التنظيم والموظفين ، وإلا فإن كتبًا كثيرة ونادرة توجد فيها .

وفي المدينة : مكتبة شيخ الإسلام (حكمت عارف) ومكتبة الحرم ، والمحمودية ، وفي بريدة : مكتبة واحدة .

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٢٠) في ١٣٨٣/٥/٨هـ .

أما المنطقة الشرقية : فلا أعلم بها مكتبة عامة .

وهذا الواقع محزن ، ويدل على إهمال للمكتبات ، وعدم تقدير لهذه الناحية الخطيرة التي هي مقياس لرقي الأمم وتطورها .

وهناك أفراد وأسر لديهم مكتبات صغيرة ، ولكن لو ضمت إلى إحدى المكتبات العامة ، وجعلت في ناحية خاصة من المكتبة تحمل اسم صاحبها ، ولأمكن الاستفادة منها ، لتكون منها مكتبة كبيرة وذات فائدة عظيمة ، ولأصبحت المكتبات لدينا مفخرة من المفاخر .

ونتمنى أن يعمل أولئك بهذا الرأي .

إن هناك مكتبات متفرقة كما قلت ، فمثلًا لدى الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه اللّٰه ، مكتبة فيها كثير من المخطوطات ، والشيخ عبد اللّٰه العنقري رحمه اللّٰه ، كان لديه مكتبة ، والأمير عبد اللّٰه بن عبد الرحمن لديه مكتبة ، والأمير مساعد بن عبد الرحمن لديه مكتبة ، والمفتي لديه مكتبة ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد اللّٰه بن حمد ، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، لدى كل منهم مكتبة ، والشيخ محمد نصيف لديه مكتبة ، والشيخ إبراهيم السويح- رحمه اللّٰه- لديه مجموعة كبيرة من الكتب ، والأمير تركي الماضي لديه مكتبة ، وآل بسام ، وآل سليم ، وآل مبارك ، وآل عثيمين ، لديهم مجموعات من الكتب ، المطبوعة والمخطوطة .

وغيرهم ، ولو أن هذه المكتبات الفردية جمعت في مكتبات عامة ، لجعلت منها مكتبات هامة لها شأنها .

فهل تتحقق هذه الأمنية ، ويتطوع الذين يملكون هذه المكتبات بتقديمها هدية للمكتبات العامة ؛ لتساهم في رفع مستوى الأمة الثقافي والفكري ، ولهم المثوبة والأجر من اللّٰه ، إن شاء اللّٰه .

والمدرسون[1]

في عام ١٣٧٨هـ صدر مرسوم وقرار حكومي يقضي بأن يصرف بدل تنقل لموظفي الدولة لمن في المرتبة الخامسة فما فوق، وفعلًا نفذ الأمر، ومع قطع النظر عما قيل من أنه كان ينبغي التعميم لمن دون المرتبة الخامسة أيضًا، وهو شيء كان الأولى به أن يؤخذ بعين الاعتبار، وأن يطبق بالعدل- أقول مع ذلك- فإن أمرًا بدا غريبًا، ألا وهو توقيف صرف بدل التنقل عن المدرسين وهو أمر يسترعي الانتباه- والذي حارت البرية فيه- أن ذلك المنع لم يكن مصحوبًا بمبررات معقولة، ولم يكن للاستفسارات وعلامات الاستفهام أجوبة شافية، بل كل ذهب يعلل ويفسر بما توخاه، وطالت الحيرة .. وكان أمل أنه توقيف مؤقت لا يلبث أن يؤمر بصرفه للمدة الفائتة، ويؤكد على أن لا يتكرر مثل ذلك التوقيف، هذا ما كنا ننتظر، ولكن بدون جدوى.

وبعد، فإن المدرس وهو جندي في معركة الحياة، وهو الشمعة المضيئة، والذي يقوم بعبء كبير، ويحمل أنبل مهمة، يعرف ذلك كل من يعرف للعلم قيمة، وللنور منزلة.

هذا المدرس الذي يلقى في البلدان الكثيرة تقديرًا وتكريمًا، وتوفيرًا لأسباب الرخاء والاطمئنان، ويلاقي من التسهيل والمؤازرة ما يعينه على المضي في طريقه، فيرخص فيه البذل والجد، ويسليه عما يصادفه من مشاق، ومتاعب في البلاد التي عرفت خطر المدرس، وهو منشئ الأجيال ومربي العقول، وغارس المعارف، منحته الامتيازات، وبذلت له الكثير.

أما هنا، فإن أمرًا محيرًا لم نتوصل بعدُ على حل طلاسمه، وفك رموزه، عندما نرى أنه من بين موظفي الدولة- بقضهم وقضيضهم- قد حرم من حق عام

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٢٤٥).

فلم يسمح بإعطائه بدل تنقل .

إننا لا ندري على من يقع اللوم ، ولكنا لا نصدق أن الحكومة أو واحدًا من المسؤولين ينظر إلى المدرس نظرة إقلال من شأنه أوتهوين من مكانته ، ولا نحسب أن مسؤولًا يعمل على التنفير من التدريس ، ومن الانخراط في سلك التعليم . فذلك هو النتيجة الحتمية لحرمان المدرس من حقٍّ اعترفت به الدولة ، وأقرته لكل موظفيها ، مرة أخرى ، نطلب أن يصرف بدل التنقل لكل مدرس- أسوة بموظفي الحكومة- وأن ينظر المسؤولون لرجال العلم نظرة تقدير ، حتى لا يجترئ جاهل على غمط حق لهم ، واستهانة بشأنهم ، وإنا لمنتظرون .



الفراغ وكيف يستفاد منه ؟[١]

كلما جاءت العطلة الدراسية تناولت الأقلام ، وأسهبت الصحف في علاج مشكلة الفراغ لدى الطلبة ، وكيفية الاستفادة من الوقت الضائع هباءً ، وللفراغ خطورته ومشاكله ، ولذا يقول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجِدَة[٢] مفسدة للمرء أي مفسدة

وبون شاسع بين أن يوجه المرء في فراغه إلى وجهة مفيدة ، وأن يصرف هذا الفراغ لعمل نافع وأشياء مجدية ، وبين أن يخسره الإنسان ، أو يصرفه فيما لا طائل منه ، أو فيما فيه مضرة محققة ينجم عنها مفاسد .

وقد ألمح الرسول ﷺ إلى الفرق العظيم بين الحالين ، فهو يقول : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[٣] .

ولا شك أن الاهتمام بموضوع الفراغ لدى الطلبة هو شيء ضروري ، ولذا عني المصلحون ورجال التربية وقادة الفكر ببحث الوسائل التي تنفع في التخلص من مشاكل الفراغ ومضاره .

والمجالات رحبة فسيحة أمام الطلبة ، للاستفادة من الوقت الذي يغادرون فيه المدرسة ، حتى يعودوا إليها في السنة الدراسية القادمة ، ولكنهم بحاجة إلى تعاون جماعي من قبل الوزارات المختلفة ، ومن الشركات والمدرسين ، والآباء والطلاب أنفسهم ، وإن كانت وزارتا المعارف والشؤون الاجتماعية تتحملان القسط الأوفر من الواجب .

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٩٩) في ٢٤/٢/٨٣.

(٢) الجِدَة : كثرة المال والاستغناء . والبيت لأبي العتاهية ، ينظر « الأغاني » للأصفهاني ٤/ ٢٢، ٤٠، و« نهاية الأرب » للنويري ٣/ ٧، و« خزانة الأدب » للحموي ٢/ ٢٦٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٢١) من حديث ابن عباس .

ومن الممكن توجيه الطلبة إلى عدة نواحٍ نافعة ، فمثلًا : تعلم الرماية والسباحة وركوب الخيل وقيادة السيارات ، والقيام برحلات وجولات على البلدان المختلفة ، والمشاركة في مشاريع حيوية ، كمتطوعين في بناء السدود وتعبيد الطرق ، والإِسهام في تنير الرأي العام بفتح مدارس لتعليم الأميين ، وإلقاء المحاضرات والندوات في المدن والقرى ، والتوظف في الشركات والمصارف ، والتدريب على مختلف الأعمال ، وكالدراسة في ما يميلون إليه من العلوم ، لتوسيع مداركهم وزيادة حصيلتهم العلمية .

كل هذه وأشباهها يمكن بها معالجة مشكلة الفراغ لدى الطلبة ، ولا شك أن جهة واحدة لا تستطيع القيام بها ، وإذًا فلابدّ من تضافر الجهود والتعاون الجماعي لهذا الغرض النبيل ، حتى يؤتي ثماره طيبة ناضجة ، وأنه من الضروري مواجهة هذه الحالة وإعطاؤها ما تستحقه من عناية ، أما أن يترك أمر هؤلاء الطلبة في فراغهم الطويل دون إيجاد حل عملي له ، فهذا ما قد يسبب شرورًا أو مشاكل ، ويحدث أضرارًا جسيمة ، فمن الخير السعي الحثيث لحل هذه المشكلة تفاديًا لأخطارها . واللَّه الموفق .



أجل كرموهم[1]

كرموا هؤلاء الطلبة المتفوقين في دراستهم، شجعوهم، فالتكريم والتشجيع هما الوقود الذي يمدهم بالعزيمة، والإِقدام والمثابرة، إن المتفوق عندما يجد التقدير من الدولة؛ ممثلًا في جوائز رمزية، أو احتفالات، أو كلمة من مسؤول، فإنه يشعر بنشاط وحيوية تدفعانه للعمل، والجِدِّ، والسعي الحثيث؛ لنيل العلوم الكثيرة، وترقية مداركه، ومواصلة التفوق في جميع مراحل الدراسة.

والأمر كذلك بالنسبة للتشجيع الذي يلقاه في مدرسته، وبين أساتذته، وزملائه. كل هذه عوامل تشحذ الهمة وتحفز للمثابرة والاجتهاد، ثم نيل الدرجات الرفيعة والعلوم التي تنفع مجتمعه، وتطور بلاده في شتى المجالات ومختلف الميادين إذا وجد التشجيع، ومن ثم يحصل التنافس المحبوب والتسابق المرغوب، في إدراك وهضم المعلومات، وبالتالي تخريج عدد كبير قوي في معلوماته، واسع الثقة جيد الإِدراك.

إن ألوانًا من التشجيع من كلمة جميلة، وثناء كريم، وجائزة متواضعة تفعل فعلها العجيب في نفسية الطالب المتفوق، إنه يرى في ذلك تقديرًا لجهوده، ومثابرته، فيشعر أن عمله وجِده لم يذهبا هباءً، وأن الدنيا بخير، ويتيقن أن المحسوبية والوصولية والوسائل التي لا تتأتى عن طريق الكفاءة والثقافة لا قيمة لها ولا تؤثر في سير القافلة.

أما إذا تجاهل المجتمع- دولة وشعبًا- جهود المتفوق وعمل المجد، ولم يعبأ به، ولم يحظ بالتشجيع والتكريم، فإن هذا أقوى محطم لشخصيته ومفتت لعزيمته، وأخطر سلاح فتاك لتمزيق آماله، وقد يحصل عنده تراجع وفتور، وقد تنعكس الآثار السيئة على نفسه، ويكون عنده رد فعل للجحود الذي لقيه من

(١) صحيفة البلاد- العدد (١١٧) في ١٣٧٨/١١/١٧هـ.

المجتمع ، فيصير مزعزع الثقة بالناس وبنفسه ، وقد ينمي عنده الشعور بالرغبة في الانتقام ، وتتراكم عليه العقد النفسية ، فتكون النتيجة خطرة .

فإذا ما أردنا إخراج جيل عامل قوي الشخصية يعمل في جِد وتفانٍ ، فإن علينا أن نشجع المجدين ونشد أزرهم إبان الدراسة وبعد التخرج ، وأن يكرموا ويكافؤوا ؛ لأنهم جديرون بالتكريم ، فهم عصاميون نالوا مجدهم بالدرس والسهر والنصب ، دون أن يرتكزوا على نفوذ ، أو يعتمدوا على حسب أو جاه . بمثل ذلك يزداد المجدّ رغبة ، وينشط الكسلان فيحاول اللحاق ويندم ، إنها كانت نظرية آنذاك : من زرع حصد ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان ... إلخ . فهو الآن يفهمها جيدًا بعد أن طبقها عمليًا أن البلاد في حاجة شديدة لجيل نشيط مملوء حيوية وإخلاصًا وتفانيًا في خدمة المجتمع ، مزود بالمعارف المتنوعة ، والثقافات المركزة ، فيخدم المجتمع الذي ينتمي إليه ، والذي يشعر نحوه بالألفة والحب المكين ، والترابط الوثيق حتى يعمل في ثقة وعزم وتصميم وشعور بالمسؤولية المناطة به ، والأمانة الملقاة على عاتقه ، مرة أخرى : كرموا المتفوقين ، فهم أهل للتكريم .



الضرب في المدارس[(١)]

دهشت لما سمعت من تصرفات أحد المدرسين المنتدبين في قسوته ووحشيته ، وما يعامل به تلاميذه الذين هم في عمر الورود ، وبراعم في حاجة إلى التوجيه الحكيم والرفق وحسن المعاملة .

إلا أن هذا الأستاذ- الذي نكبوا به- يعاملهم بفظاظة ، ويربيهم أسوأ تربية ، ويضربهم بعنف ، ويصرخ فيهم بكلمات محمومة وألفاظ بذيئة ، وحتى وصل به الأمر إلى ضربهم بالحذاء ، هذا إلى خوضه في مجالات أبعد ما تكون عن أذهان الطلاب الصغار ، وليست من مصلحتهم أبدًا .

إني أعجب من أن يظل مثل هذا الشخص معلمًا .. ومربيًا . والأكثر عجبًا أن لا يرحل إلى بلاده ، ويقال له : عد من حيث أتيت ، فالبلاد بخير وليست في حاجة لأمثالك .

إنه إذا كان الضرب في المدارس قد تدعو له ضرورة ، فليس لكي تعطى لهذا وأشباهه حرية التنفيس عن أحقاده في أطفال أبرياء ، إن هذا- ومن على شاكلته- يسببون أكثر عائق في حب المدرسة ، وإقبال الطلاب على مناهل العلم وارتياد مرابعه .

إننا نريد من وزارة المعارف أن تكون على صلة بالمدارس ، تمكنها من معرفة من يضرون بالعلم ويقفون حجر عثرة في سبيل العرفان والوعي ، وأن لا تسمح- لهؤلاء- بالاستمرار في بث شرهم وأذيتهم .

إن المدارس لابدّ لها من رقابة دقيقة ، وعمل حازم ؛ لكي لا تحصل المفاسد ، ولئلا يجد المهرجون وذوو المبادئ الهدامة مجالًا يرتعون فيه ، وحتى لا يصبحوا نكبة على فلذات الأكباد الذين ينتظرون من المدرسة العلم الصافي

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٤٤٤) في ١٣٨٣/٨/٣هـ .

والتهذيب الجميل؛ لينشأوا نشأة كريمة فيها حب الخير، والحنو، وإشاعة الصفاء، والتزود من العلم بالقدر المستطاع، وهذا ما تنتظره منهم أمتهم، لا أن ينفروا من الثقافة، وتبغض إليهم المدرسة، فيشبون ناقمين على المجتمع يودون الانتقام منه، والتشفي على نهج مدرسهم، ليثأروا لأنفسهم جزاء ما ألحقه بهم من ضرر وأذى.

ورب قائل يرد: ما شانك بالمدرس والمدرسة، فإن عنها مسؤولين حريصين على مصلحتها.

فأجيبه: ولكن ذلك لا يعني عدم الاكتراث بالمدرسة والطلاب، فإن أمرها يهم كل واحد، والمسؤولون لا يستغنون عن التعاون ولفت النظر، ومسؤوليتهم أخطر مسؤولية، فهي لذلك لا بدّ لها من تضافر الجهود، واتحاد القوى للعمل سويًّا؛ لتكون النتائج مثمرة والبناء وطيدًا، والعمل إيجابيًّا.. حقق اللّٰه الآمال.



تطوير الصناعة والزراعة

أمران ضروريان[١]

هذه البلاد خطت خطوات واسعة في مجالات البناء والتعمير وفي مجالات عديدة، ولكن الزمن الذي نعيش فيه عصر السرعة والصاروخ، فلم يعد التأني فيه- إزاء المشروعات الإصلاحية- مجديًا، وأن من لا يدرك هذه الحقيقة فسوف يفوته القطار ويبقى متحسرًا يندب حظه العاثر، ويندم حيث لا ينفع الندم، وإن بلادنا في حاجة إلى مشاريع كثيرة نظرًا لسعة رقعتها، ولاحتياجاتها، ولما أفاء اللّٰه عليها من ثروات هائلة من الذهب الأسود (الزيت) ومشتقاته، ومن المعادن المتنوعة؛ سواء منها ما اكتشف واستفيد منه، أم ما بقي مطمورًا في جوف الأرض وفي جبالها ورمالها، وفي مياهها الجارية والمنخفضة، التي تريد حفارات عميقة لإخراجها متدفقة ثَرَّة[٢]، ينتفع منها الحاضر والباد.

وفي غمرة الاحتياجات والمشروعات يبرز جانبان هامان، بل هما ضروريان في الإسراع بهما، وإظهارهما عملًا جادًّا يسابق الزمن والصاروخ.

أولهما: الماء الذي به حياة الأمم والشعوب والبهائم والبساتين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]، وبلادنا هي اليوم أشد احتياجًا إلى الماء قبل أي شيء آخر.

وإذا ما ألقينا نظرة على بعض أنحاء المملكة، وجدنا أن مشكلة قلة المياه هي أكبر عقبة تقف في طريق تقدم هذه البلاد وتطورها.

ومن ينظر لما وصلت إليه حال أهل سدير، من فناء نخيلهم، وتهديد حياتهم

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٤٥) في ٨/٥/ ٨٢.

(٢) ثرة، يقال: الثرة من العيون: الغزيرة الماء. ويقال: عين ثرة، أي: واسعة. ينظر «تاج العروس» مادة: (ثرر).

من قلة المياه ، وكذلك ما يعانيه بعض سكان المملكة كالشعيب والمحمل ، والوشم عرف ذلك ، كما أن أهم مشاكل البادية حاليًا المياه ، وأن الضرورة تقضي بحفر آبار عميقة في كثير من أنحاء المملكة للبادية والحاضرة وأن يسرع في ذلك ، وأن تعبأ جهود الحكومة لإِعطاء هذه الناحية قدرها من العناية ، وأن لا يوكل أمر تنفيذ هذه المشروعات لأناس لا يعبأون بالمصلحة العامة ، كما حصل بالنسبة لمياه الرياض الجديدة ، التي لها مدة تزيد على ثلاثة أشهر ، والأنابيب الضخمة تصب لمدة عشرين ساعة في اليوم والليلة ، ولكن في أراضي جرداء تبتلع الماء ، وينتشر منها الضرر ، وقد تكون بؤرة للأمراض ، هذا في الوقت الذي تعاني فيه أجزاء من مدينة الرياض من قلة المياه ، ومن الظمأ .

وهناك أمر آخر ، يأتي بعد المياه مباشرة ، وهو : تعبيد الطرق ، وربط أجزاء المملكة بشبكة من الطرق البرية المسفلتة ومن السكك الحديدي .

هاتان الناحيتان جدير بأن توليان أكبر عناية ، وأن يبادر بتنفيذهما ، فهما خطوة لها شأنها في رفع مستوى البلاد والنهوض بها ، وإن أي تأخير في الإِسراع بهما له نتائج ضارة بالنسبة لمستقبل البلاد اقتصاديًّا واجتماعيًّا .

واللَّهَ نرجو أن يوفق المسؤولين لما فيه خير البلاد وازدهارها .



عصر الذرة ولكن[1]

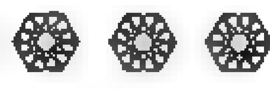
هذا العصر يسمى عصر السرعة، وتلك حقيقة لا شك فيها، فهو عصر الذرة والصاروخ والمخترعات المدهشة، ولكن رغم اعتراف الأمم والشعوب والحكومات الحاضرة بذلك نطقًا وبيانات وعملًا وتنفيذًا وتدعيمًا بالأرقام، والمصانع والمزارع، والتسابق الهائل في نيل أكبر قسط ممكن من الظفر بما يقوي البلاد، ويمكنها من المحافظة على استقلالها، ورغد أفرادها، وحماية مصالحها، وتعزيز كيانها؛ على الرغم من أن هذه حقيقة معروفة لدى الكثيرين، فإن واقع البعض يغاير كل ما يقال عن مثل هذه الأشياء الخطيرة. ومع أن الوعي والإدراك لما يجري بعيدًا، أو ما يحوط بالحمى وما يدور في وسطه ينتشر بسرعة مذهلة، فإن هناك من لا يحس بهذا الواقع، أو هو يدركه ولكنه يتمادى في تجاهله، وما ذلك إلا غشاوة الأنانية المستولية على نفسه، والمتحكمة في توجيهه حتى صار يرى الحقائق معكوسة فتخبط في سيره، وكان يضرب ذات اليمين وذات الشمال على غير بصيرة كأنما به مس. وكانت النتيجة أن تحالف مع الخمول والتجمد بالنسبة للمجموعة الكريمة التي تريد به خيرًا فيريد لها شرًّا، وكان أن ضرب الفقر أطنابه بينها، وسارت إلى الهاوية السحيقة هاوية الفناء التي بدت أكبر مميز، وسمةً واضحة تجسم بؤسها وآلامها.

ولم تكن الصرخات والهمسات والعصر الذري والتحذيرات المشفقة، لتجد سبيلًا لقلوب متحجرة قد أعماها الذات والمطامع الشخصية، واستسلمت للشكوك والأوهام، ولم تحاول أن تعمل الأعمال المشرفة التي ترفع قيمة صاحبها، وإنما ركون للقسوة وإصرار على تكرار الخطأ وتفضيل للسير المعوج على النهج الجلي الناصع، لم يعترفوا بأن أخطاء قد وقعت فعلًا، والواجب

(١) صحيفة البلاد- العدد ٢٢/٨/ ٧٢.

المبادرة للقضاء على أسبابها ، والسعي للخلاص من ورطتها ؛ ليتجنب نتائجها الوخيمة . ولم يريدوا أن يفهموا العلة والتشخيص والعلاج الناجع ، ولم يكن بهم رغبة للتفكير فيما حولهم وفيما يجري من أحداث ليست بالهينة لتكون عبرة بليغة .

كان الأجدر بهم أن يسألوا التاريخ ، عسى أن يقنعهم بجواب صريح ، أو يستنطقوا الأحداث القريبة ؛ ليروا بعيونهم وعقولهم ، لا ليندفعوا وراء عواطفهم ويستسلموا لأهوائهم وشهواتهم ، كان الأجدر التفكير السليم ثم يشمرون عن سواعدهم للعمل في غير كلل ولا سآمة للتعويض عن خمول الماضي ، وسخافات العادات ، ومهازل الهتافات التافهة ، واستبدالها بالأعمال المجيدة التي تخلدهم في صفحات التاريخ الوضاء ، فهل يتعظون ويدكرون ويثوبون لرشدهم؟ فذلك أجدى وأبهى !



وزارة وآمال[1]

عندما تغير وزارة وتأتي وزارة، فإن الناس يتطلعون إلى أعمال الوزارة الجديدة، ويبدون آمالهم التي يتمنون تحقيقها عن طريق أولئك الوزراء، وهم طبعًا، لا يهمهم في قليل أو كثير شكل الوزير وهيئته وأصله وفرعه، ولكنهم يبحثون عن إخلاص الوزير ونشاطه، وهل له ماضٍ مجيد في الإِنتاج والعمل المفيد والرغبة في خدمة الصالح العام؟

الكفاءة إذن للنهوض بالعمل المنوط به هي ما يبحث عنه المواطنون، ويستبشرون بتحقيقه.

ونحن في الوقت الذي نهنئ فيه الوزراء الجدد بثقة جلالة الملك وولي عهده فيهم، لا نكتم شعورنا إزاء خطر المهمة الجسيمة التي ألقيت على عاتقهم، ونأمل أن يوفقوا للنهوض بها، وأن يسددوا في أعداء المسؤولية الكبيرة.

وإن المواطنين ينتظرون بفارغ الصبر تحقيق المطالب التي يطمعون أن تتم على أيدي حكومة جلالة الملك في المجالات الصناعية والزراعية والمواصلات والثقافة والدفاع والشؤون الاجتماعية.

وبلادنا غنية- بحمد اللَّه- بثرواتها الهائلة من الزيت والحديد وأصناف المعادن، وفيها الأراضي الخصبة التي تنتج أطيب الثمار، وفيها النخيل الوفيرة، وفيها الخضر والفواكه والحبوب والعسل والقطن، وفيها الغابات والمصائف، وهي لن تحتاج إلا إلى عمل جاد وشعور بالمسؤولية لتؤتي أكلها طيبًا شاملًا، ومع ذلك، فإن نقصًا كبيرًا في هذه المجالات لا تزال تعاني منه البلاد، فالإِنتاج ضئيل- ما عدا حقول البترول- والزراعة في ركود، والصناعة متخلفة، والبلاد تستورد معظم حاجياتها من الخارج في المطعم والملبس والكماليات.

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٥٠) في ١٤/٦/ ٨٢.

وهذا التخلف يمكن دفعه بالعزيمة الوثابة والتعاون المثمر ؛ لنعوض ما فات من ركود وتأخر . والناس ينتظرون من الوزارة الجديدة أن تنهض بالزراعة ، وأن تستورد الحفارات العميقة ، وأن تساعد الفلاحين مساعدات قيمة ، وأن تقيم مصرفًا يقدم القروض المجانية للفلاحين ، ويمدهم بآلات الزراعة ، والدراسة ، ورافعة الماء ، والبذور ، والأدوية المبيدة للحشرات ، وغيرها ، ويريدون أن يروا الصناعة وقد تطورت ، وانتفع بالزيت ومشتقاته إلى أقصر[1] حد ، وأنشئت معامل التكرير الكثيرة ، وازدهرت الصناعة بنوعيها الثقيلة والخفيفة ليقاربوا الاكتفاء الذاتي ، بدل أن يبقوا عالة على الخارج في صناعته وزراعته .

ويريدون أن يجدوا الطرق الوعرة ، وقد عبدت ، وربطت البلاد بشبكة من الطرق المسفلتة ، والسكك الحديد ، يريدون أن يروا الأموال تصرف في طرقها الصحيحة بلا تبذير أو تقتير ، ويريدون أن يروا التعليم في كل صقع من البلاد ، التعليم النافع الذي يكون سلاحًا لنيل الحقوق والدفاع عن العقيدة ، والذياد عن الوطن ، ويأملون أن يروا الحالة الاجتماعية وقد ارتقت ، وقد أخذ بيد الفقير وأعطي حقه ليعيش عيشة كريمة لائقة .

ويطمحون إلى أن يروا جيشهم قويًا يحرس البلاد من طمع الطامعين ومن كيد المعتدين الحانقين ، مدعمًا بأسلحته الجوية والبرية والبحرية وكل أنواع الأسلحة ، حيث تقرّ به عين الصديق ويرهبه العدو .

يريدون استتباب الأمن ، وأن يعيش الناس في وئام وهدوء ، وأن تتحقق الآمال العظيمة التي يرنون[2] إليها ، ويطمحون إلى أن تكون حقيقة واقعة .

هذا بعض ما يرتقبه المواطنون من الوزارة الجديدة ، وهي آمال ستحقق بإذن اللّه .

---

(١) كذا في الأصل . ولعلها : « أقصى » .

(٢) رنوا : أدام النظر في سكون طرف . ويقال : أرناه حسن المنظر . جعله يرنوا . « المعجم الوسيط » (رنا) .

النهضة التي نترقبها[1]

إننا اليوم نجابه أخطارًا كثيرة سياسية وعقائدية، كما نجابه التكتلات العسكرية والاقتصادية.

ومن واجبنا أن نعمل لدرء الخطر كل ما نطيقه، فالدول اليوم تتسابق في صنع الصواريخ والأسلحة الذرية والهيدروجينية، إنها تركض في ميدان السباق، أما إلى أين؟ فهذا ما لا تسأل عنه، فيما يبدو إنها نشوة الظفر ولذة الإعجاب، أما ما ينجم عن الاختراع وما يسمونه بالتقدم العلمي فلا يهم.

وهذه الحرب الباردة التي جاءت على إثر الحرب العالمية الثانية قد اكتوى بلظاها الملايين من الناس، فكان القلق والهلع، ولم يعد أحد يثق في أولئك القادة والحاكمين الذين لا يفتأون يجرون المناورات، ولم يعد الناس متأكدين من أن أحدًا من هؤلاء الحكام سيسيطر على أعصابه فلا يفلت منه الزمام في نزوة طائشة تجر الكوارث والبلاوي على العالم أجمع.

لذا كان الاستعداد والعناية بالصناعة والزراعة والتجارة والمواصلات والتعليم وغيرها من دعائم التطور شعار كل دولة حسب إمكانياتها، اللهم إلا النزر اليسير من الدول التي لا تزال متخلفة، ونعيش نحن وسط هذا العالم الصاخب الملئ بالتقلبات والتطورات.

ومن واجبنا أن نعمل للنهوض بالصناعة والزراعة لمحاولة الاكتفاء الذاتي إلى جانب النهوض بكل ما هو صالح مفيد، والأخذ من الخسارة التي وصلت إلى كل شبر من الأرض بما يتلاءم ومعتقداتنا وتاريخنا وواقعنا.

ونحن في حاجة إلى التعاون الوثيق بين الحكومة والشعب، وبين صاحب رأس المال والعامل، وبين مختلف القطاعات، هذا إذا أردنا أن نحقق لبلدنا

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٢٣) ٢٥/١١/١٣٨١.

وأمتنا نهضة قوية.

إننا إذا لم نتصرف ونحن في سعة للعمل والتفكير، فقد تأتي اللحظة التي نخسر فيها الكثير ونتأسف على ما فرط.

ونحن بحمد اللَّه لنا من ديننا ما يغنينا عن أي مذهب مستورد أو مبدأ وافد، ولنا من تاريخنا ما يحفزنا للعمل الهادف الصائب، ولنا من ثروتنا الزيتية والمعدنية والمائية، ومن أرضنا الخصبة، ما لو أحسن استغلاله واستثماره لصالح المجموع وللنهوض العاجل الجاد لكنا في مصاف الأمم القوية المرهوبة، نعم إننا نسير، ولكن لا ينبغي لنا أن نقنع بالسير، وإنما نريد أن نركض لنجاري العالم الراكض، نريد أن نحث الخطى على بصيرة لئلا يفوتنا القطار، متعاونين متكاتفين، كل يقوم بدوره، نريد أن نتصرف بتعقل في الأموال فلا نبعثرها ذات اليمين وذات اليسار فيما لا نفع فيه، أو فيما هو ضرر محض، لا نحب أ، تكدس الأموال وتعطل المشاريع، ولا أن نهرب رؤوس الأموال إلى البلدان الأخرى بينما نحرم منها البلاد التي أنتجتها.

وبالتالي نريد عملًا، وإخلاصًا وتعاونًا، إذا ما أردنا درء الأخطار الشريرة التي تجتاح أنحاء عديدة من العالم، وتوشك أن تشعل نيرانها بهمجية مدمرة لتلتهم الرطب واليابس، واللَّه نسأل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.



أهمية الشورى[1]

أشاد الإسلام بالشورى، ورغب فيها، وبين ما لها من آثر فعال في تقوية دعائم المجتمع وثبوت أركانه.

ففي القرآن ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشّورى: الآية ٣٨]

وقال الشاعر:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن   برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

وقد كان من عادة العقلاء في كل أمة وجيل، وفي كل عصر وحين، استشارة ذوي العقول النيرة والتفكير السليم، واستشفاف ما يعتمل في نفوس الآخرين، ومقارنة الرأي بالرأي والحجة بالحجة؛ محاولة في الوصول إلى الحقيقة في وضح النهار؛ لتزول السحب الكثيفة والحجب المغطية للحق.

وقد كان من سجايا العرب في إسلامهم وجاهليتهم "التشاور" لاستجلاء ما تنطوي عليه جوانح العقلاء وذوي النهى من توجيهات سديدة. وقد يلتبس على المرء أشياء لا يميز فيها الحق من الباطل، أو لا ينكشف له حادث في ملابساته وظروفه.

فلا مندوحة له عن الشورى والاستعانة بآراء الثقات وتجاربهم.

ومن الخير للمسلمين أن لا يغفلوا هذه الناحية الخطيرة، وأن يضعوا نصب أعينهم ما في الشورى من خيرات وفوائد، ولا سيما مشورة هل العلم والدين المعروفين بالاتزان ورجاحة العقل والنصح المحض، وذوي الشوكة والمقدمين في قومهم، ولا سيما في جسيم الأمور وكبارها.

---

(١) صحيفة اليمامة في ١٣٨٣/٤/٢١هـ.

إن تطبيق مبدأ الشورى ، هو سبب لتجنيب الأمة كثيرًا من المشاكل والسير في طرق غير مأمونة العاقبة ، قد تؤدي إلى شر مستطير وخطر عظيم .

إن هذا المبدأ الإسلامي لولا ما فيه من مصالح وسعادة للأمة ، لم يأت به الإسلام ، ولم يأخذ به عقلاء العالم .. قاطبة ولن ينكر ما للشورى من أهمية بالغة إلا مكابر للواقع ومغالط في الحقيقة نفسه .

فهل آن لنا أن ندرك ما للشورى من عاقبة حسنة وأثر محمود وخير كثير .

إن المسلمين لو نهجوا الشورى ، وتركوا الإصرار على الرأي الخاطئ ، واستعانوا بمشورة الآخرين المؤهلين لذلك ، لكان حري بهم أن يتجنبوا كثيرًا من المخاطر والكوارث ، وأن يسيروا على طريق الأحب وسنة قويمة ، ولوفروا جهودًا عظيمة كانت تذهب عبثًا وتضيع سدى !!

فما أعظم الشورى ، وأكبر أثرها ، وأعم نفعها !



مجلس الشورى[1]

قرأت ما نشرته صحيفة اليمامة الغراء في عددها (٢٠٩) بعنوان : حول مجلس الشورى . وضرورة إجراء انتخابات نزيهة حتى يكون المجلس قد مثل الأمة تمثيلًا صحيحًا ، ويقوم بدوره الذي يرومه الناس من مثله .

وقد كتب كتاب مؤيدون لفكرة الانتخاب ؛ معللين بتعليلات معقولة ، وكتب آخر- وهو عضو بالمجلس- قائلًا : إن طريقة التعيين أفضل ، وجميل جدًّا أن يأتي في مقال اليمامة .

وعلى أي حال ، فما دام نصير الصحافة قد ضمن لها حرية الرأي والقول ، فإنه من الأفضل أن يبقى باب البحث والمناقشة مفتوحًا ، وأن يدلي كل برأيه ، حتى نصل إلى البناء الكامل .

إن أي تغيير في مجلس الشورى ، أو آية طريقة يسير عليها المجلس المشار إليه ، تهم كل فرد في هذه المملكة ؛ لأنه يتطلع بأمل كبير نحو مجلس له قيمته ، وهذا هو المفروض فيه ، وإذًا فإن فتح باب المناقشة هي وسيلة سليمة لمعرفة رأي الشعب في ممثليه والطريقة التي يرغب أن يكون عليها ، وأن الصراحة تقتضينا أن نقول : إن مجلس الشورى بوضعه الراهن لم يكن اسمًا على مسماه ، ولم يؤد المهمة التي نيطت به ، والتي تنتظرها الأمة منه ، وقد يكون لأعضائه المحترمين عذرهم ؛ وربما لأنهم يفضلون العمل في صمت .

وعلى كل فإن واقع التطور وانتشار التعليم ونمو الرعي ، لا يتناسب والصمت المطبق ، الذي يلف المجلس حاليًا ، ولا يقطعه إلا برقيات من طراز معروف . ونمط أقل ما يقال فيه : إنه إن لم يكن نتيجة عكسية لما يتوقع منه فهو ليس كل ما يترقب .

(١) صحيفة اليمامة- العدد ٢١٠ - ١٣٧٩/٨/٢٤ (الصفحة ١٠).

إن الأمة تتوق أن ترى إعمالًا جبارة تنفق وأما لها في المجلس ، ونحن مع هذا ، لا نشك أن لطريقة التعيين التي نسير عليها أثرها في هذا الركود ، كما أن للظروف المحيطة به وللأوضاع الحاضرة حكمها ، ومن ثم فأنا عندما نطالب بالانتخاب للأعضاء وتغيير الطريقة الحالية ، لا نعني التقليل من شأن أعضائه الحاليين ، ولومهم كثيرًا ما لم يتبين البرهان وإنما تعني المطالبة بذلك أن يكون للأعضاء مستند قوي . وتأييد شعبي من ناحية ، ومحاولة الوصول إلى تحقيق العدالة من ناحية أخرى ، وذلك عندما يكون من كل إقليم ممثلون يكونون عونًا للحكومة في تفهم مشاكل الإقليم ومطالبه الضرورية ، ومدى فعالية المساعدات التي تقدمها الحكومة وتقديم الأهم على المهم من المشروعات النافعة والمقترحات الهادفة التي يراد بها التقدم بالأمة إلى مستوى أفضل ، وعندما يكون الانتخاب ويؤتى بالعضو يشعر أنه مطالب ومسئول أمام الحكومة وأمام ناخبيه ، وبذلك يخفف من غلوائه في سبيل القناعة بالمصلحة الفردية ، لتسمو إلى مجال فسيح هو ميدان المصلحة العامة ، التي يتعدى فيها عمل العضو محيطه الذاتي ، وخوفه وقلقه ، إلى مجال المصالح الجماعية ، والعمل التعاوني بين الأعضاء باعتبارهم متنافسين تنافسًا شريفًا ، ليؤدي كل واحد لمن وثق فيه أكبر خدمة ، مع عدم الإضرار بمصالح الآخرين .

أما أن يقال : إن الانتخابات قد صارت كما يقول الأستاذ عضو المجلس ، ولكنها لم تنجح ، فليس ذلك دليلًا قاطعًا على عقم طريقة الانتخابات في بلادنا ، فلتكن طريقة الانتخابات تجربة ؛ لنرى ماذا تصنع ، ولتمر في دور الاختبار ؛ ليظهر صحتها أو سقمها ، كما أن سابقتها - طريقة التعيين- قد مرت بتجربة ثلاثة عقود من الزمن ، وأثبتت فشلها ، أو عدم جدوها . فمن العدل أن يجرب الانتخاب ، كما جرب التعيين ؛ لنستطيع الحكم عليه بعد ذلك ، وحتى نكون في الحكم على بصيرة .

هذا رأيي المتواضع أقدمه، وأنتظر نتيجة النقاش الدائر؛ راجيًا أن ينتصر الحق، وأن يغلب العقل على العاطفة، والمصلحة العامة على الفردية الضيقة، وأن نسعى متعاونين لما فيه خير ديننا وأمتنا وبلادنا، محققين قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: الآية ٣٨]. والله نستمد منه العون والتوفيق.



تطوير الصناعة والزراعة(١)

في خضم هذا العالم الصاخب الذي يتسابق إلى النهضة الصناعية في شتى صورها وألوانها ، والذي يسرع بخطى حثيثة للاكتشافات الهائلة ، فإن أية أمة تريد أن تنهض فلابدّ لها من العمل الجدي السريع ؛ لتعوض ما فاتها من تخلف اقتصادي وصناعي وزراعي .

وبلادنا وفيرة الخيرات ، غنية بموادها الأولية ، وثرواتها المطمورة ؛ ففيها (الزيت) الذي يتدفق بغزارة ويندفع بقوة ويصب في الأنابيب كالأنهار الجارية ليل نهار ، لتشحن منه البواخر الضخمة التي تجوب بحار العالم ، لتفيض من خيراتها على البلدان الفقيرة في هذه المادة .

ولدينا معادن الذهب والحديد والنحاس وأصناف المعادن الأخرى والتي يعرفها الجيولوجيون جيدًا ، وهنا في هذه الجزيرة الغنية الخصبة النخيل والزروع والبساتين ، وفي الإحساء والأفلاج والقصيم العيون المتدفقة والمياه الكثيرة . ولن يستطيع المرء الحصر أو التعداد في هذه المجالات .

ومع ذلك ، فلا نسبة بين ما تحويه أرضنا من خصب ورخاء ومعادن ، وما وصلنا إليه من تقدم صناعي وزراعي .

وإن الحيرة لتستولي على المرء عندما يرى هذا التخلف الصناعي والزراعي .

وأنه بشيء من حسن التصرف من جانب الأثرياء والمسؤولين عن الصناعة والزراعة ، يمكن أن ينقلب التخلف إلى تطور ، والتأخر إلى نهوض ، حتى نصل إلى درجة الاكتفاء الذاتي ، أو ما يقرب من الاكتفاء ، ومن العجب أن نستورد ما لا حاجة لنا فيه ، من كماليات ومنتوجات لها نظائر هنا وأجود مما يستورد ، وما فتئنا نسير على هذا النهج الذي لا يمكن معه أن تنهض الصناعة والزراعة ، فإذا ما

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٣٠) في ١٣٨٢/١/٢٢هـ .

أردنا التطور الصناعي والزراعي فلابدّ من تقليل الاستيراد ومؤازرة الفلاحين ، وفتح مصارف تعطي قروضًا مجانية .

واستيراد كميات من آلات استنباط المياه وآلات الذراية والدراسة وغيرها ، وبيعها للفلاحين بأسعار مقسطة ، ووقف استيراد الحبوب الهندية ، والفواكه والخضروات من البلدان الأخرى .

وبدلًا من تشجيع الاستيراد وإعطاء المستوردين مساعدات ومعونات ، فينبغي أن تصرف هذه المعونات للفلاحين ومنشئي الصناعات الجديدة .

كما أنه لابدّ للتطور : من تعبيد الطرق بأقصى سرعة ممكنة ؛ حتى ترتبط جميع أجزاء المملكة بطرق مسفلتة ، وإنا لنستغرب أن تتوقف سفلتة الطرق التي كان من المقرر تعبيدها ، بحجة أن بعض الناس طالب بمرور الطريق على قريته ، إن مثل هذا الطلب لا ينبغي أن يكون حائلًا دون العمل الجاد في تعبيد الطرق ، وإذا ما روعي فيها المصلحة العامة ، فإن طلب البعض بمرور الطريق عليه لا يصح أن يكون سببًا في تأجيل التنفيذ ، وإن الدخل الكبير للبلاد يكفي إذا ما وجه لأمثال هذه النواحي أن ينهض بالصناعة والزراعة في سرعة وقوة ، إذا توافر الإخلاص والعزيمة المضاءة .

وإننا في عصر سباق وصراع ، فإذا لم يكن الإسراع في العمل المثمر فإنا سنقف مبهوتين ، وسيبقى حظنا من النهضة الصناعية « التفرج » والأسف ، أما الأثرياء في هذه البلاد فإنهم لم يؤدوا واجبهم إزاء النهضة الصناعية والزراعية التي تؤملها الأمة منهم ، وليس لهم في ذلك عذر مقبول .

والقلة منهم هي التي عملت في المجالات النافعة والأعمال الناهضة ، وإن من مصلحتهم أن يعرفوا دورهم فيقوموا به .

وعلى كل ، فإن ما مضى ينبغي أن نجعله عبرة ، وأن نتلافى ذلك الغلط ، ونعمل حكومة وأثرياء ومفكرين في المجالات النافعة التي تنهض بالبلاد في شتى

مجالات وجميع طرقها المفيدة ، وأن تبذل الأموال بسخاء لهذه الغايات .

أما إنفاق الأموال في الكماليات والإِسراف ، وإعطاؤها أناسًا بلا مقابل يؤدونه للأمة ، والتفاخر في المظاهر ، فهذا ما لا يليق أن يرضى به راغب في ازدهار بلاده ورفعة أمته .



لمحـة[١]

كان سروري بالغًا وأنا أكرر النظر بين سطور دعوة كريمة تلقيتها من رئيس تحرير جريدة القصيم ، تدعوني للكتابة فيها . وشعرت وأنا أطالع الفقرات التي احتوتها الدعوة ، تشرح فيها أهداف الصحيفة والمواضيع المتنوعة التي تسعى لبحثها ، والمشاكل التي تريد وتأمل حلها .

لقد كانت هذه الأهداف مرامًا ساميًا . وكنا نتطلع بشوق ولهفة إلى صحيفة فيها حيوية وقوة يدفعانها إلى خوض غمار الحياة ، ولا سيما النواحي الاقتصادية والزراعية والتجارية والأدبية . والاقتصاد وهو عصب الحياة ، والثقافة التي كان من المحتم أن تكون في طليعة العلوم المقررة في المدارس مد اليفاعة ، تأخر ، وكانت النتيجة ما نشهده اليوم من تخلف في هذا المنحى . ولذا لا عجب أن كان السرور والابتهاج بصحيفة القصيم ، جاءت في ميعاد مناسب ؛ لتسد فراغًا كبيرًا في الثقافة العامة .

إن بلادنا هي أولى بدراسة ومعرفة نواحي الاقتصاد والتجارة والزراعة ، فهي بلاد واسعة مترامية الأطراف ، أرضها لا تزال بكرًا ، ومليئة بالخيرات الكثيرة ، فهي بجانب ما تضمه من ثروات هائلة من بترول ، فهي مكتنزة بالمعادن المختلفة ، والمواد الخام . وهي بلاد زراعية ، وهي إلى جانب ذلك كله لا تفتأ تستورد قوتها وكمالياتها من الإبرة وعود الثقاب والملح .

رغم وفرة المواد واستعبائها ، لو وجهت لها لفتات من قبل المسؤولين والأثرياء ، وليس ذلك وحسب ، وإنما تستطيع بسهولة أن تكتفي اكتفاءً ذاتيًا ، وتصدر الفائض ، لو وجدت عناية وإخلاصًا ، إنه من الممكن جدًا قيام صناعات متنوعة من معامل للغزل والنسيج والصناعات الخفيفة ، بل والصناعات الثقيلة .

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (١) في ١/٦/١٣٧٩.

والزراعة التي تسد الحاجة وتعلب الرائد من الفواكه والخضروات واللحوم .

ولكن قد يبدو في هذا القول كثير من التفاؤل ، وامتداد من الخيال المستغرق في التيهة والؤي ، ولكن أليس أحلام اليوم حقائق ما بعد اليوم . إن الذي أقوله ليس من تلك الأحلام ، وإنما هو أمر سهل جدًا ، لو وجد عملًا ورغبة .

لقد فرحت إذ سمعت النبأ الجميل ، صدور صحيفة تعالج مواضيع ، نحن في أشد الحاجة لمعالجتها وفهمها فهمًا يتفق والواقع الذي يدرك حقيقته وواجبه تجاه أمته وبلاده .

تصورتها صحيفة في ثوب قشب ، ولست أعني- أنها تهتم بالمظهر- وإنما تجمع بين المخبر والمظهر . وتصورتها تنصر بما يجب عمله تجاه أراض كثيرة ، تسطر يد الإصلاح ، لتخرجها من موات لا ينتفع به إلى حباب وأرقة الظلال تفيء بثمرها الجني ، وتفيض بركاتها خيرًا ونعمة ، فيستغنى عن مضراب أمريكا ، وعن حبوب كندا ، وعن تمور البصرة ، وتتحرك أيد طالما توقفت عن الحركة ؛ لا حبًا في الخمول ، أو ركونًا للرفاهية ، كما يشيع المغرضون ، وإنما لأنهم قد أصيبوا بشلل أقعدهم عن العمل ، لما انفتح الباب على مصراعيه ، وتركت الأسواق يعبث فيها ذووا الجشع ، ليملئوا جيوبهم ، ولا يهمهم بعد ذلك ، ارتفعت اقتصاديات البلد ورست دعائمها أو تقوص وانهار . وبقي الفلاح المسكين في حيرته ، يضرب كفًا على كف ، يرتقب الفرج ، ومصلحًا ينشله من وهدته ، ويواسيه في نكبته ، وظلت البلاد عالة على غيرها في كل شيء ؛ مهددة بأخطار فظيعة . ولكن اللّٰه سلم ، ومع هذا فمن يدري ماذا يخبئه الغد ؟ وإذا أردنا أن نعرف الحقيقة المروعة ، فلتتصور وقوع حرب تستمر سنوات ، ويتوقف فيه وصول البضائع والمواد الغذائية والكسائية .

وكل شيء ماذا ستكون حال البلاد ؟ إن تصور وقوع مثل هذه الحرب ليس حاليًا ؟ ولكنه محتمل ، حتى عند أشد المتفائلين ، وإذًا فالأمر خطير حقًا ، ونحن

في حاجة إلى موجة يوقظ من السبات وينبه للخطر قبل مداهمته ، وليقول في صراحة : يجب أن نعمل ، ويجب أن يقوم من أنيط به عمل إثم وجه ، وأن ترصد الأموال الطائلة للنهوض بالزراعة والصناعة ، وأن يوقف تيار الاستيراد الذي طغى ، إلى حد لا يحتمل ، كل ذلك لمصلحة أفراد على حساب أمة ، ولمسرة أشخاص ، وإن تضرر شعب .

إن التجربة القاسية التي مرت بها المؤسسات الوطنية الصناعية والزراعية لتعطينا فكرة عن جناية سيل الاستيراد الجارف ، الذي رأينا نتائجه السيئة ، لا على الفلاح وحده ، وإنما على الصناعات الحديثة التي قام بها عصاميون ، بذلوا الكثير ، وعامروا ، ودفعهم شعور نبيل إلى الإقدام في سبيل محفوف بالأشواك والعقبات ، فقد حاولت الشركات الأجنبية والتجار الطامعون محاربة الصناعات الوطنية في عقر دارها ، وكادت تلك البوادر الطيبة أن تفشل وتسبب خيبة أمل لكل من يريد أن يقوم بصناعة ترفع من مستوى بلاده .

إن بلادنا تنتج البترول ، ومع هذا فكم ضاع من أموال من الذهب الأسود ؛ نتيجة قصور ثقافي في هذه الناحية الاقتصادية الهامة ، وهكذا الحال بالنسبة لارتفاع العملة وانخفاضها . الذي يكاد يكون بالنسبة لكثيرين سرًا غامضًا ، بله المثقفين .

وبعد ، فإن بلادنا شاسعة الأرجاء ، مطمورة الخيرات ، تنتظر وثبة مباركة تقوم أودها ، وتنهض من كبوتها ، وها هي البشائر تطلع بسرور صحيفة تعنى بالاقتصاد والزراعة والثقافة بصفة شمولية .

فأهلًا بها من صحيفة تزف بشرى ، آملين أن نرى واقعًا بهيجًا ، وأن نشهدها صحيفة وضاءة ، كما تخيلناها وأكثر مما أملنا لها .



الاستيراد والإنتاج[(١)]

نستطيع أن نقول إن بلادنا، لا تزال مستهلكة ومستوردة، وأي نظرة يلقيها الإنسان على ما يأكل وما يلبس وما يستعمل من الأدوات، من صغير وكبير يجد الحقيقة المرة، فإلى متى سنظل هكذا؟ إن الأمل كبير في أن الحكومة والأثرياء سيعملون جنبًا إلى جنب في إيجاد صناعات تسد احتياجات البلاد أو أغلبها.

ولدينا من الإمكانيات الوفيرة ما يسهل لعمل صناعي قوي في وقت سريع، فهنا الزيت ومشتقاته، وأصناف المعادن الجيدة وغيرها، وأملنا كبير أن الزراعة ستطور، وينظر إليها نظرة عامة مجدة لتصبح البلاد مكتفية بإنتاجها الزراعي مستغنية عن الاستيراد، ومن العجب أن يفتح الباب على مصراعيه لاستيراد الخضروات والفواكه والحبوب وكل شيء، مع أنه كان من الممكن الاستغناء عن كثير مما يستورد، وتشجيع المزارع؛ ليزيد في كمية إنتاجه ويتخذ الوسائل ليكون ما ينتجه جيدًا.

وإذا كان الثري يتعلل عن الإقدام على إنشاء المصانع بمزاحمة الصناعات الأجنبية، فإنا نجزم أن الحكومة سوف تذلل العقبات التي تقف في طريق المستثمر بوسائل لا تجعل من صاحب المصنع متحكمًا في المستهلك ومحتكرًا، وإنما بالتقليل من المستورد، والاستغناء عن بعض المستوردات نهائيًا.

وعند هذا، سوف لا يكون للثري عذر في التأخير عن استثمار أمواله في النهوض ببلده صناعيًا وزراعيًا.

ولا نحسب بعد هذا أن الثري سوف يرضى بالربح السريع ويتخلى عن مسؤوليته إزاء النهوض ببلده ومحاولة الاكتفاء الذاتي.

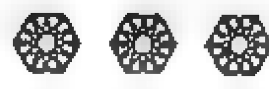
---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٥٥) في ١٩/٧/٨٣.

وإن العالم الذي يسير بخطىً حثيثة في نهضته الصناعية والزراعية ، وما تتطلع إليه بلادنا من نهضة كبرى ، كل أولئك جديرة بأن تجعل الأثرياء متعاونين مع الحكومة على إنشاء الصناعات الخفيفة والثقيلة والسعي للاكتفاء الذاتي .

وما نشهده في العالم من صراع وحرب باردة وحروب ساخنة ، حري بنا أن نعمل جاهدين على رفع مستوى النهضة الصناعية والزراعية في وقت عاجل ودون إبطاء ، وغني عن القول خطورة الوضع فيما لو قامت حرب عالمية بالنسبة لبلادنا . إن مجرد تصور هذا يكفي لأن يعمل ذي ضمير حي يملك الوسيلة لدفع مستوى الصناعة والزراعة وتطويرهما .

وبعد ، فإنا متفائلون بأن هذه النواحي وأمثالها مما هو نافع ومثمر سيتحقق قريبًا بإذن اللَّه .



خطوة موفقة[١]

قد تكون مررت بهذا الخبر- مر الكرام- وقد تكون استمعت إليه من المذياع ، فلم يسترع انتباهك ، وقد تكون مثلي قرأته في صحيفة ، فكانت فرحة عظيمة ؛ لأنه لا يعني ربحًا ماديًا فحسب ، وإنما هو إلى جانب ذلك إعادة حق إلى وضعه الطبيعي .

توقفت أمام الخبر مسرورًا ، ثم سرح بي الخيال بعيدًا ، ورحت أستعرض ماضيًا مطويًا وحاضرًا متوثبًا .

وأحاول أن أستشف مستقبلًا مشرقًا حافلًا بالهناء والمسرات .

وإليك الخبر مرة أخرى ، أنقله لك من صحيفتك البلاد ، الصادرة في ١٩/ ١٠/ ١٣٧٨ نقلًا عن راديو مكة : « قرر مجلس الوزراء الموافقة على أن يكون كل من سعادة الشيخ حافظ وهبه ، وسعادة الأستاذ عبد اللَّه الطريقي ، عضوين في مجلس إدارة شركة الزيت العربية الأمريكية ، وذلك بناء على الاتفاق السابق ، في أن يكون للحكومة السعودية عضوان في مجلس إدارة الشركة المذكورة .

كان اغتباطي لهذا الخبر ، حين اطلعت عليه في صحيفة البلاد ، كاغتباط مواطن يريد الخير لبلاده ، ويود لها أن تنال ما تصبوا إليه من رغد وازدهار ، ويقض مضجعه أن يرى إجحافًا ينالها ، أو تعديًا يصيبها من الآخرين ، أو غمطًا لحق لا يبرره منطق ، ولا يستند إلى قانون .

لقد كانت هناك اتفاقيات معقودة بين الحكومة السعودية وبين الشركة المذكورة ، ومع أن هذه الاتفاقيات تحتاج إلى تطوير وتعديل ، بحيث تحقق مصلحة البلاد المنتجة للزيت ، فإنها كانت تنص على أن يكون في مجلس الإدارة عضوان سعوديان ، وغني عن هذا القول ضرورة مثل هذا التنصيص ، وضرورة

(١) صحيفة البلاد - ٣٠/ ١٠/ ١٣٧٨.

تنفيذه أيضًا ، إلا أن التنفيذ قد تأخر لأسباب غير معروفة .

وقد كان سمو رئيس مجلس الوزراء صرح في مؤتمر صحفي ، بأن هذا سينفذ ، وها هو اليوم يخرج إلى حيز التنفيذ حقيقة عادلة ، فأعاد كثيرًا من الطمأنينة ، وقيل : إنه بارقة أمل تبشر بخير ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

والشعوب والحكومات المنتجة للبترول (الذهب الأسود) تطالب بنصيب وافر من ثروة بلادها ، وعدلت الاتفاقيات التي لا تضمن مصلحة بلادها قبل كل شيء ، بل وعملت ما هو أكثر من ذلك ، وإن بلدًا كالمملكة السعودية هي أحوج إلى أن تهتم بالبترول ، وأن تستفيد منه بقدر الإمكان ، وأن لا تفرط أو تتساهل في حق من حقوقها ، وبالتالي أن تكون يقظة حذرة لتأخذ نصيبها الشرعي كاملًا غير منقوص ولا مبخوس .

فالبترول أكبر مصدر للثروة الوطنية ، وينبغي أن يستغل استغلالًا حسنًا ، ليكون في صالح المجموع ، ومن أسباب الرفاهية ، ورغد العيش بدلًا من أن يكون سببًا في الإجحاف والظلم والاحتكار .

وبعد ، فإن هذا الخبر الذي نقلته لك في صحيفتك البلاد ، هو بشرى سارة ، وخطوة موفقة ، سيتبعها خطوات طيبة بإذن اللَّه .



من كل صوب
إعلانات التجار[١]

ما أكثر ما تحدثت الصحف المحلية عن إعلانات التجار في هذه البلاد، وركون بعضهم إلى الإعلانات في صحف خارج المملكة، دون أن يكون لهم عذر وجيه في هذا السلوك الغريب.

ويأتي في طليعة المعلنين: شركة أرامكو، التي لا تعطي الصحف المحلية إلا جزءًا ضئيلًا من إعلاناتها، أما البقية فهي تبددها في صحف خارج الحدود، مع أن نصف القيمة تدفع من حساب الحكومة السعودية، وهذا تحد للشعور العام من هذه الشركة، التي اعتادت المماطلة والاستخفاف بحقوق هذا الشعب الذي ملئت جيوب الأمريكيين من ثروته، ثم تنكرت لأبنائه وراحت تعاملهم باحتقار، وتهزأ بكل شيء له صلة بهذا الشعب. وما عملها في الإعلانات إلا حلقة من سلسلة طويلة جدًا، لها حساب طويل جدًا.

والتجار من أبناء البلاد الذين يؤثرون بخيرهم غيرهم، أمرهم عجب! ولا نعرف الأعذار والمبررات التي تجعلهم يضربون عرض الحائط بمصلحة وطنهم؛ ليتجاوزوه إلى بلاد تحافظ على ثروة شعبها وتقدم مصالح بلدها على أي بلاد أخرى.

لا نعرف عذرًا لهؤلاء التجار، إلا أننا نستنتج أنه الداء العضال، مركب النقص، الذي يشعرون به، وشيء آخر يلفت النظر في بعض أولئك التجار، وهو مؤسف حقًا، ألا وهو نشر الصور الخليعة، واختيار صور الفنانات العاريات وأشباه العاريات للإعلان عن بضائعهم، وهذا مخجل، وبجانب ما فوتوه من مال

(١) صحيفة القصيم – العدد ٣١ في ١٨/١/ ١٣٨٠.

البلاد ويجب أن يصرف في البلاد، فقد لوثوا سمعة البلاد بتلك الإعلانات السخيفة.

وما أحسبني محتاجًا إلى ذكر الأسماء، فهي معروفة، ومن أراد معرفتها فيطلع على تلك المجلات والصحف.

إن هؤلاء الذين بذروا الأموال وأنفقوها في الشر دون خجل، ينبغي أن تقوم السلطة المسئولة بإفهامهم باللغة المناسبة، حفظًا لكرامة البلد الذي ينتمون إليه.

وقد قرأت مرة ردًا لأحد التجار على كاتب مستنكر عزوف التجار عن الإعلان في الصحف المحلية، وقال ذلك التاجر: إنه يعلن عن أشياء غير مسموح بالإعلان عنها، وأن علماء بلد عربي قد أبرقوا له، يأملون أن يوقف ذلك الإعلان في شهر رمضان المبارك؛ احترامًا لهذا الشهر الكريم.

إلى هذا الحد وصل الأمر، إن الذي كتبه ذلك التاجر على سبيل التبرئة والتباهي، هو وصمة عار، قد ألصقت في جبين المملكة من هذا الجشع وأمثاله، ثم لا يجد من يوقفه عند حده، ولا ندري ما موقف علمائنا من مثل هذا التاجر المتفاخر، إننا نرجو أن يكونوا على علم بمثل هذه الأشياء، وأن يقوموا بواجبهم حيالها، قبل استشراء موضة الإعلانات الخليعة والصور الداعرة العارية، بحجة أوهى من خيط العنكبوت، ومن أناس أعماهم التقليد والجشع ومركب النقص، فراحوا يركضون وراء سراب خادع.



رأي في الزواج المبكر(١)

نشرت الصحف كثيرًا من الآراء، وتحدث الكُتَّاب وأطالوا الحديث، وتنوعت الآراء، وتعددت الأقوال، وتباينت وجهات النظر في موضوع الزواج المبكر، فمن مؤيد ومن معارض متشدد، ومن متوسط يحاول الوفاق بين الرأيين، فيعارض بحذر ويؤيد بمقدار، فلا يندفع ولا يبتعد.

ويجب أن لا تغيب عن الذهن عند البحث في موضوع كهذا: النواحي الدينية، والاجتماعية، والمادية، والنفسية.

ونحن عندما ندلي برأي في الموضوع، فإن هذه الاعتبارات غير مغفلة ولا مقصاة، وإن كانت الإشارة هنا هي ما يمكن، والقليل بدل الكثير، والاختصار محل التطويل.

ونقول: إن الزواج المبكر، رغم كل ما أبداه معارضوه من حجج، وما زعموا من براهين، فإن تأييده هو ما نراه راجحًا.

وأنه وإن كان فيه شيء من المضار، فإن المنافع فيه تربو على الضرر، والمصلحة فيه أكبر من المفسدة. وهذا ما تؤيده قواعد الشرع، والأسلوب المنطقي، والأدلة العقلية.

ومن قواعد الشرع المعلومة:

أنه إذا تعارضت مصلحتان قدمت كبراهما، وإذا تقابلت مفسدتان ارتكب أقلهما، ومن الأصول المعروفة: أن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح... هذه قواعد شرعية واضحة، وهي متفقة تمامًا مع العقل السليم، والفكر القويم، والرأي السديد.

ومن الأدلة الشرعية الخاصة: قول الرسول ﷺ: «يا معشر الشباب، من

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٩٦) في ١٣٨٣/٢/١٣هـ.

استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء »[1] . وقوله : « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »[2] .

وإذا تأملنا الحكمة المذكورة في الحديثين ؛ وهي غض البصر وإحصان الفرج في الحديث الأول ، والمباهاة بهم يوم القيامة في الحديث الثاني ، أدركنا بدون تردد ، حث الشريعة السمحاء على الزواج المبكر ، ثم هو مؤيد للقواعد الشرعية العامة في دفع المفاسد ، وأنها مقدمة على جلب المصالح .

وأما من الناحية الاجتماعية ، فإنه من المشاهد أن المجتمعات التي يكثر فيها الزواج عمومًا ، والزواج المبكر خصوصًا ، يقل فيها الفساد والرذائل ، وها هي أوروبا التي يتأخر فيها الزواج ، قد أصيبت بالانحطاط الأخلاقي ، وتفكك الأسر ، وانتشار الرذائل بشكل مفزع ، حتى ضج كثير من مفكريهم من هذا الواقع المؤلم ، وحتى امتلأت بلادهم بالبغاء واللقطاء .

ومن الناحية العقلية ، فإن وجود الغريزة الجنسية يستدعي التأييد للزواج المبكر ؛ لأنه لا بد من أحد أمرين : إما الطرق الشرعية المنظمة ، أو الطرق الفاسدة المنحرفة ولا خيار .

وأما التعليلات بإكمال الدراسة ، والحصول على وظيفة ، أو دخل محترم ، كما يعبر عنه البعض ، فإن بعض المتزوجين قد ينجح في دراسته أكثر مما ينجح غير المتزوجين ، وقد يكون دخله محدودًا ، ومع ذلك يشعر براحة وغبطة لا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ، ومسلم في النكاح (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي اللّٰه عنه .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) ، والنسائي (٣٢٢٧) من حديث معقل بن يسار رضي اللّٰه عنه ، وأخرجه أحمد ٦٣/٢٠ (١٢٦١٣) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني في الإرواء (١٧٨٤) ، وفي الصحيحة (١٧٨٢) ، وفي صحيح أبي داود (١٧٨٩) .

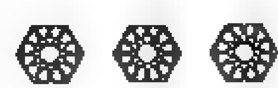
ينالهما من له مال وفير ووظيفة كبيرة.

أما من الناحية النفسية، فإن المتزوج غالبًا يكون أهدأ بالًا، وأكثر راحة، وأصفى نفسًا، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: الآية ٢١]. فالمتزوج حري أن ينفع المجتمع، وينتج ويكون عضوًا عاملًا أكثر من الأعزب.

وعلى هذا، فلا ريب عندي أن الزواج المبكر هو الطريق الأمثل. أما أن له مضارًّا فهذا ما لا أنكره، ولكنها قليلة بالنسبة للمصالح المترتبة عليه. ووجود بعض المضار في الشيء لا تعني عدم نفعه أو اجتنابه، فالغيث يترقبه الناس ويفرحون به، يجرف أناسًا، ويغرق أناسًا، والطائرات قد تسقط من الجو ويموت ركابها، والشمس كثيرًا ما يموت أشخاص بسبب حرارتها، والبيوت قد تسقط على أصحابها.

ومع هذا فلا يقال: إنه لا نفع في هذه الأشياء، أو إن عدمها خير من وجودها، وما أكثر الأشباه والنظائر.

وبعد، فها هي الأصوات ترتفع، والصيحات تعلو، والجمعيات تتألف في أوروبا وأمريكا، تدعو لما يقتضيه الدين الإسلامي الحنيف، وما يوافق العقل والفطرة؛ منادين بالزواج المبكر، بعد أن خبروا عن كثب، وعلموا بعد تجربة طويلة، النتائج غير السارة في تأخر الزواج، وما جر من مفاسد ومآس، ونحن أحق منهم بهذه الدعوة وأولى بها، وواجب تسهيل الزواج وتيسير سبله، وإزالة العقبات التي تقف في طريقه..



مشكلة لم تحل[١]

مشكلة مزمنة قد استعصت على العلاج، وتعقدت حتى كاد اليأس يغلب الأمل، وكاد الناس في هذه المملكة المترامية الأطراف يركنون لليأس، ويتجرعون مرارة الألم، ويسكتون على مضض، بعد أن بحت الأصوات، وذهبت الصيحات أدراج الرياح، كنفخة في رماد، أو صيحة في واد.

والحق أن الصحافة قامت في ذلك بدور رائع، يسجل لها بالفخر والتقدير.

ولكن تلك الأصوات قد ضعفت وأصابها الكلال والإعياء، إذ لم تجد تجاوبًا، وإنما لقيت الإهمال والسلب.

ومعذرة في هذه المقدمة، التي هي قليلة بالنسبة لموضوع شائك وخطير في آن واحد، وما هو الموضوع يا ترى؟ إنه مشكلة الزواج في هذه البلاد الواسعة، المشكلة التي أصبحت تهدد سكان المملكة في كل نواحيها بالفناء والانقراض.

وإذا قلت هذا، فليس ما أقوله ضربًا من الخيال، أو انسياقًا وراء عاطفة جامحة، وإنما هو نتيجة حتمية، أو واقع مرير. وإني أعني ما أقول، وذلك الرأي ليس ارتجالًا، وإنما بعد تأمل وتفكير ودراسة لأوضاع محزنة.

لقد تعقدت المشكلة، حتى انصرف العدد الأكبر من الشباب عن الزواج مكرهين، ووقفوا أمام بابه حائرين، يريدون الزواج، ولكن تقف الأسوار والسدود حائلة، فيرجعون متحسرين، ولسان حالهم يقول:

أهم بفعل الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان[٢]

ويقول مع الآخر:

---

(١) صحيفة اليمامة العدد (٢٣٤) في ١٤/ ٢/ ١٣٨٠.

(٢) ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٦٩، والأغاني للأصفهاني ١٥/ ٧٦، والعقيد الفريد ٥/ ١٤٤.

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء[1]

يهم بالإقدام، فيذكر الأرقام الخيالية والعوائد السخيفة، فيفضل الإحجام؛ لأنه يرى دون بغيته خرط القتاد.

لقد تضخمت المشكلة، وازدادت تعقيدًا يومًا بعد يوم. ومع ذلك فإننا لا نرى أملًا في معالجتها معالجة حكيمة، أو الاهتمام بشأنها ممن لهم القدرة على التوجيه وبيدهم سلطة التنفيذ، ولهم سلطة القوة ونفوذ كبير يمكنهم من العلاج الحاسم، وأعني بهم العلماء في هذه المملكة مجتمعين- وأخص منهم ذوي السلطة والمسئولين فيهم- فإن أمانة كبرى منوطة بهم، وأنهم متحملون مسئولية أجيال بكاملها. فماذا فعلوا بإزائها لمعالجة الداء واستئصال جرثومته؟

إننا نقولها صريحة، وكلنا أسف: إن كثيرين من توجه لهم الخطابات وتدبج لهم الكلمات في هذا الشأن، على أمل أن يستجيبوا لنداء الأمة، وأن يعنوا بأمر في غاية الخطورة.

لم تجد تلك الكلمات منهم آذانًا صاغية؛ فكأنها في واد، وهم في واد آخر. وإنا لنكتب هذه الكلمة، مذكرين، رائدنا السعي لما فيه الخير والمصلحة العامة.

وإن مشكلة الزواج هنا، قد تشعبت وتعددت مناحيها، وأبرز مشاكلها:

١- مشكلة غلاء المهور.

٢- ومشكلة التقاليد المشوهة التي تمنع الزوج من رؤية زوجته إذا ما خطبها، وغيرهما من المشاكل.

ومن واجب المصلحين الغُير أن يهبوا جاهدين لحلها، وأن يسعوا لإزالة أخطارها، فمشكلة غلاء المهور، وما يتبعها من عادات سخيفة، تزداد مع الأيام

---

(١) ديوان عبد الغني النابلسي ص٢٨.

حدة وضراوة، بحيث صار الزواج عند الفقير حلمًا من الأحلام، وما أكثر الفقراء، بل هم الذين يؤلفون السواد الأعظم في هذه البلاد. وأين للفقير آلاف الريالات يدفعها مهرًا، وآلاف أخر في أشياء سخيفة؛ تبعًا لعادات خرقاء، وتباعيًا أحمق.

وإذا علمنا أن كثيرين لا يجدون الحد الأدنى من القوت والكساء والسكن ودخلهم الضئيل لا يفي بسد حاجتهم، علمنا فداحة الخطب، وما يتعرض له هؤلاء البائسون من بؤس وألم وعجز عن تحمل أعباء الزواج وتكاليفه الباهظة.

ولو أجرى إحصاء لعدد العزاب والعوانس الذين تغص بهم البلاد، لظهرت النتيجة مروعة. وحسب المرء أن يبصر من حوله، ليدرك ذلك جيدًا، وليتصور الحالة يعيشها أمثال هؤلاء الذين باءت أمانيهم الجميلة بالفشل، بعد أن ارتطمت بصخرة الواقع. تمنوا أن ينعموا بحياة زوجية هادئة، بدلًا من حياة العزوبة القلقة، وأن يبنوا عشًا يأوون إليه، وأن ينجبوا ذرية تخلفهم، وبذلك يشاركون في بناء الأمة، ويشعرون أنهم عضو[1] هام في المجتمع، له قيمته وأثره، وأنهم ليسوا مهملين، أو أناس لا فائدة منهم، وأن هناك من يعني بهم، ويساهم في حل مشاكلهم، ويستريحوا من عناء العزوبة وأوصابها. أما يتركوا وشأنهم المحزن، تقف دونهم الحواجز والسدود؛ ليبقوا عزابًا إلى الأبد، أو إلى انتظار الفرج، أو مستسلمين لليأس القاتل، فهذا هو الخطر الداهم.

ثم إن الفتاة المسكينة ما ذنبها أن تبقى عانسًا، وماذا جنت لكل تظل حبيسة تعاني أحزانًا دفينة، وتقطع نفسها حسرات، وهي ترى زهرة عمرها تذبل، وشبابها النضر يصوح، وضحكاتها الرنانة المرحة تتحول إلى بكاء وحرقة، وتنقلب بسمتها الجميلة إلى دمعة حرى، ومرحها ينعكس إلى نار ملتهبة في صدر

(١) في الأصل: «عضوا».

المسكينة، وهي تكتم أحزانها، وتجرع مرارة الحرمان بحكم ظروفها وحيائها.

لقد وقف الشباب حائرًا، لا يطيق التقدم، وبقيت الفتيات محرومات، عزاب وعوانس، غلتهم قيود ثقيلة من التقاليد البالية، وأسرتهم عادات مجنونة، فكل منهما يطوي بين الضلوع مأساته، ويرسلها تأوهات حارة، وزفير محرق، وآنات مكبوتة. وآباء الفتيات وأولياء أمورهن سادرون في غيهم، سائرون في طريقهم المعوج، وهم في ذلك بين اثنين: رجل ضعيف الشخصية، هزيل التفكير، منقاد للعادات البالية في التغال في المهور، والمباهاة الجوفاء، والبذخ المقيت ورجل جشع قد أعماه الطمع، وأضله حب المادة، فهو لا يرى في فتاته أكثر من أنها سلعة في المزاد العلني، يستحقها من يدفع الثمن الأكثر.

نعم هذه الحقيقة، خالية من الرتوش[1] والتمويهات، وإن تجاهلها لا يفيد أحدًا، ولا يحل المشكلة، وإنما يزيدها ارتباكًا وتعقيدًا.

ولنتصور ما يمكن أن ينتج عن هذا الحرمان من مفاسد وأضرار، وما قد يؤدي إليه إذا استمر بشكله الراهن من جرائم وانحلال، وإن كانت هذه البلاد- بحمد اللَّه- لم تظهر فيها تلك المفاسد بالصورة المحتملة؛ نتيجة الوازع الديني والتأديبي، فإن هذا لا يعني استحالة انفجار البركان المدمر في وقت ما وانفلات الزمام، بحيث يصعب تدارك ما فرط. فمن الحكمة والقيام بالواجب، أن يقوم العلماء والمصلحون بجهود جبارة لحل هذه المشكلة الخطيرة قبل فوات الأوان.

وأما المشكلة الأخرى: فهي عدم رؤية الزوج لزوجته إبان الخطبة. وهذه المسألة لها طرفان ووسط، من الناس من يتجاوز الحد فيها فيبيح للخطيب الخلوة بمخطوبته، وأن يسرح ويمرح معها بلا قيود أو حدود، وهذا واقع أكثر بلدان العالم، وهذه إباحية مكشوفة، وفيها مفاسد واضحة للعيان. وعلى العكس من

(١) الرتوش: اللمسات الأخيرة، ويقال: وضع الفنان رتوشه على اللوحة. انظر «معجم اللغة العربية المعاصرة» (ر ت ش).

ذلك : من يفرط ويتشدد ؛ فيمنع الخاطب من رؤية خطيبته ويتعصب في ذلك ، ولو طلب الخاطب من كثير من الناس هنا السماح له برؤية مخطوبته ، لعدوا ذلك إهانة لهم ، وربما رموه بالخبل والتغفيل .

والحل الصحيح هو ما جاء به الإسلام من سنية رؤية الخاطب لمخطوبته ، كما قال الرسول ﷺ لرجل أراد أن يتزوج امرأة : « هل نظرت إليها » ؟ قال : لا . قال : « اذهب فانظر إليها »[(١)] .

وقد قيده الشارع بأن يكون بلا خلوة ، كما جاء في حديث آخر : « ما خلا رجل بامرأة ، إلا كان الشيطان ثالثهما »[(٢)] .

فبهذا عالج الإسلام هذه المسألة ، فلا إفراط ولا تفريط . وبسبب هذه المتاعب في الزواج من هنا فقد اتجه عدد كبير إلى الزواج من الخارج .

وهذا مما يزيد المشكلة تعقيدًا ، والذي يفعل ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فإن اختلاف العادات والبيئات والطبائع ، أسباب منغصة ، لا تتفق غالبًا ، وما يؤمل الإنسان من حصول الاستقرار والسعادة ، ومن ثم لا غرابة أن يكون نتيجة معظمها الفشل ، وهو بالتالي مما يضاعف عدد العوانس في هذه البلاد .

وبعبارة أوضح : فإن مقابل كل رجل يتزوج من الخارج ، تبقى فتاة عانسًا هنا ، وهذه مأساة حقًا .

وبعدُ ، فإن الزواج سنة طبيعية فطرية ، يقتضيها العقل والفطرة ، ويدعو لها الشرع ، وهو ضرورة اجتماعية ، وطريق الرسل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرّعد: الآية ٣٨] .

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ،

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤/١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

(٢) أخرجه أحمد ٢٦٨/١ (١١٤) من حديث عمر رضي اللّٰه عنه .

واحصن للفرج ». الحديث[١]. « تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »[٢].

وقال الرسول ﷺ: « ومن رغب عن سنتي فليس مني »[٣].

ولقد حث الإسلام على التزويج ورغب فيه بطرق مختلفة، كما أن تخفيف الصداق مطلوب للشارع؛ فقد روي عن عائشة رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة »[٤]. وزوج النبي ﷺ امرأة، وجعل صداقها أن يعلمها زوجها سورًا من القرآن، بعد أن قال له: « التمس ولو خاتمًا من حديد ». فلم يجد[٥]. وكان النبي ﷺ يصدق نساءه خمسمائة درهم، وأصدقت بناته أربعمائة درهم[٦].

وقال عمر رضي اللَّه عنه: ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى من عند اللَّه، كان أولاكم بها رسول اللَّه ﷺ، ما أصدق رسول اللَّه ﷺ امرأة من نسائه، خمسمائة درهم، وأصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأته، حتى يكون لها عداوة في قلبه، وحتى يقول: كلفت لكم عرق القربة. أخرجه النسائي[٧].

وعن أبي سلمة قال: سألت عائشة عن صداق النبي ﷺ؟ فقالت: اثنتي

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٦٣/٢٠ (١٢٦١٣) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه. وصححه الألباني في الإرواء (١٧٨٤)، والصحيحة (١٧٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٥٤/٤٢ (٢٥١١٩)، والنسائي في الكبرى (٩٢٧٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها. وضعفه الألباني في الإرواء (١٩٢٨)، والسلسلة الضعيفة (١١١٧).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٢١، ٥١٣٥، ٥٨٧١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه.

(٦) كما سيأتي تخريجه قريبًا من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٧) أخرجه النسائي (٣٣٤٩). وصححه الألباني.

عشرة أوقية ونش. فقلت: وما نشي؟ قالت: نصف أوقية. رواه مسلم[١]. والأوقية: أربعون درهمًا.

ورب قائل يقول: ولكنه ما هو الحل المعقول لهذه المشكلة، بل لهذه المعضلة؟

فأقول: إن الأمر ليس من السهولة، بحيث يمكن حله بكلمة عابرة، أو رأي شخصي، ومع هذا فإني أرى أن يجتمع العلماء في هذه البلاد ويتشاوروا في الأمر ويجتهدوا على أن يوفقوا لحل صحيح.

وأرى أن يبدأ بتنفيذ فكرة أولية، وهي أن يختار عدد من العلماء وذوي المقدرة الخطابية والعلمية لإلقاء خطب ومحاضرات في المساجد والمجتمعات حول هذه المشكلة، وكذلك يكتبون في الصحف، ويلقون كلمات وأحاديث في الإذاعة، ويحملون فيها حملة شعواء على التغال في المهور والعادات البالية التي ينساق الناس وراءها، وبيان ما في ذلك من وخيم العاقبة، وأنه يجب الرجوع إلى طريقة الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح، وما أمر به في ذلك، وهذا الاقتراح يمكن تنفيذه بسهولة، وقد يكون له الأثر الحسن في النفوس.

أما إذا لم تنجح هذه الفكرة، فليصار إلى ما لا بد منه، وهو تحديد المهور؛ درءًا للمفاسد، وعملًا بالطرق الشرعية المعروفة، من دفع كبرى المفسدتين، مع ارتكاب أخفهما.

وقاعدة: تفويت صغرى المصلحتين؛ لتحصيل كبراهما، والعمل بالاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها من القواعد المعروفة. وهذا رأيي أقدمه؛ راجيًا أن يجد تجاوبًا وعملًا ممن وجه إليهم. وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



(١) أخرجه مسلم (١٤٢٦/٧٨).

للادِّكار(١)

قرأت في جريدة « كل شيء » البيروتية العدد (٣٢٥) آراء لفتاة ، وصفتها الصحيفة بأنها : سمراء ، شابة في عمر الورود ، فيها سحر حواء وجمالها ، وفيها مناعة الماضي ورونق الحاضر ، وتدعى الفتاة بناديا أبي عاد . وتروي الكاتبة على لسان ناديا قولها : ما أحلى الماضي ، ويا ليتني عشت فيه .

وسألتها عن سبب هذه الأمنية ، وردت بحسرة كأنها تسترد تاريخ جداتنا مستشهدة بواقع اليوم ، قالت : فرق كبير بين الماضي والحاضر ، كانت الفتاة في الغابر تعيش للبيت وعمله ، كانت تحمر خجلًا إذا رآها ابن الجيران ، وتفاخر بحشمتها ، وتعتز بتقاليدها الشرقية . كانت تجد لذتها في حرمان الرجل منها وعدم وصوله إلى كلمة « مرحبًا » من شفتيها ، وكانت .. وكانت .. أما اليوم فقد باتت الفتاة تفاخر في الإِغراء وتتحدى العالم بقياسات صدرها وخصرها وأردافها ، باتت تعتز باقتباس العادات الأوروبية وبالمظاهر ، وبنوع قماش فستانها ، ولؤلؤ خاتمها ، وماركة سيارتها .

كانت جدتها توصيها بالحشمة ؛ فهي جاذبية الفتاة ، وكانت تعلمها الحياء والخجل ؛ لأنهما أقرب طريق للوصول إلى أعماق قلب الرجل . ثم تردف الكاتبة قائلة : إن الآنسة ناديا لا تقرأ كل ما يكتب في القصص ، فهو كلام منمق مرصوف ، ولا فائدة ترجى منه ، تقرأ فقط كتب المرأة القديمة ، وحبها للبيت ، ورغبتها في تربية الأطفال ، ووصاياها القوية التي كثيرًا ما تكون حكمًا تحتاجها فتاة اليوم ، وهي لا تتضايق من شيء إلا إذا رأت إحداهن تقود سيارة ، أو تركب دراجة هوائية ، أو تفاخر بمايوه قطعتين ولونه الخلاب . ولعل أغرب ما صادفته هو طلب المرأة بالدخول إلى البرلمان ، حيث تفقد الأنوثة والحياء والحشمة ، وهذه

(١) مجلة راية الإِسلام العدد السابع جمادى الثانية ١٣٨٠هـ.

مقومات جمال المرأة الشرقية وروعتها . وهي لا تعتقد بهذه الأشياء ؛ لأنها متأخرة التفكير ، بل تقول : « انظروا كم من مشاكل تقع فيها الفتاة الشرقية ؛ نتيجة تفكيرها الخاطئ وتمدنها السخيف ، وأنا أحب التمدن ولكنني أفهم التمدن على حقيقته ، وأفهمه في أشياء وأبعده عن أشياء أخرى » . وتستشهد على ذلك بأحد أقوال جدتها فتقول : كيف تريد الفتاة أن يتقدم الشاب لطلب يدها وهي تعطيه كل ما يسعى إليه في الحياة؟ كيف يتزوجها وهي تقول بفرحة : هربت من المدرسة لأقابلك . وكذبت على أهلي لأذهب معك إلى السينما ؟ ! كيف يتزوجها وهي تتلاعب بالكلام ، وبكل مفاهيم الفتاة لتمضي معه بعض الوقت في لهو قد يتعدى في أكثر الأوقات اللهو ؟ ! وبعد ذلك هل يأمن الزوج على زوجته بعدما عرف عنها الشيء الكثير ؟ وشاهد بنفسه الحيل التي تنتهجها لتقابله ؟

وتضيف السمراء الشابة قولها : الفتاة العذراء التي يحبها كل رجل ويتمناها زوجة له ، ليست الفتاة التي تحافظ على عفافها وتترك الباقي لمن هب ودب من الناس . الفتاة التي يتمناها كل رجل باتت قليلة الوجود ، وهذه مصيبة شرقنا ، الذي ينظر بحسرة على الرقي والتمدن العالميّين ، وسيأتي اليوم الذي نتحسر فيه على الماضي ، ونعرف أننا خسرنا أشياء حين تماشينا مع حضارة باريس وغيرها التي نرى في حضارتها عزة لنا وكرامة لأمتنا .

وختمت الآنسة كلماتها وهي تقول : « سأموت وفي نفسي حنين على ماضٍ لم أعش فيه . وفي قلبي حسرة على حاضر أعيش بعيدة عنه بعقلي وعاطفتي ، وأرى ضحاياه على الطريق الطويل الممتد عبر الأيام . وكل ما أمتناه مخلصة أن يديم لي جدتي ، وأن يعطي كل فتاة جدة فيها بركة الجدات . أمنية من يدري كيف تتحقق ؟ ثم تردف الكاتبة : ولكن يا ليت في شرقنا الكثيرات من أمثال هذه الشابة لكنا في القمة ، ولكانت فتاة أوروبا تزور بلادنا ؛ لتتعلم ما لم تعلمها إياه

الحضارة السخيفة ، يا ليت ! » .

هذا آراء فتاة مثقفة من بلد تبلغ نسبة التعليم فيه بين الرجال والنساء أعلى نسب بين البلاد العربية ، صورت فيها بعض واقع تلك البلدان المؤلم ، وفي قولها ذلك أكثر من عبرة ، وأكثر من ذكرى .

وليدرك من كان له قلب ، مدى النعمة التي حبا الله بها المرأة في هذا المجتمع ، فلم تتبذل ولم تخلع رداء الحشمة .. وبالتالي سلم مجتمعنا من كثير من الأوصاب والمشاكل التي جرها رقي المرأة وانخداعها بالعبارات البراقة التي في نهايتها العطب والدمار .

ومع هذا فإن هنا- مع الأسف- في هذا المجتمع من يصب جام غضبه ، وقارص قوله على المرأة التي لا تفتأ تحافظ على عزتها وإبائها . ويصمونها بالخمول والرجعية والتخلف ، وكأنما هم يريدون لها حياة كتلك التي عبّرت عنها فتاة جريئة ، لتكون في نظرهم بعد ذلك متحضرة راقية ؛ لأنها عند ذاك قد انحدرت إلى الهاوية السحيقة :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم



بذخ مقيت[1]

هذا الطابع الذي يكاد يكون مميزًا لمجتمعنا، وهو طابع البذَخ والتنافس في السبْق إليه حتى أصبح داءً مستحكمًا، وخطرًا يهدد بتَقْويض المجتمع، وهدْم أركانه؛ لأنه يدخل في مجالات كثيرة من محبة المظاهر الخادعة، والانسياق وراء أوهام كاذبة؛ تقليدًا لقوي، ومباهاة لندٍّ، وتخبُّطًا في فوضى، وإرهاقًا لا حدَّ له بعد ذلك، وما يجرُّه من نكبات وبلاوي تُثْقِل الكاهل بأعباء جِسام، دون أن تكون هناك نتيجة سليمة لهذا التهوُّر.

وليتنا نتباهى ونتسابق فيما يتسابق فيه بعض ذوي العقول الحصيفة، الذين يتبارون في إقامة المشاريع النافعة، والمصالح المشتركة المثمرة إذًا لكان مستساغًا ومستحبًّا، ولكن تسابق فيما لا يجدي، وتقاعس عن النافع المفيد.

إنك تجد في بعض البلدان أناسًا يعنَون بإقامة المستشفيات والمدارس والمصانع وإنشاء الملاجئ، والتعاون الحميد؛ لرفع مستوى أمَّتهم، والنهوض ببلادهم، ولكن أثرياءنا بدل أن يعنوا بهذه المحامد ويحلون في هذه المكارم، تراهم يتهافتون على مظاهر سخيفة، ويتفاخرون في البذَخ والإسراف حيث لا نفع فيها.

وتسأل عن هذه العادات البالية فيقال: إنها شِيَم عربية، وما هي إلا رواسب مقيتة، وتلح في السؤال فترى آخَر يقول: إنها العادات القاهرات. وتقول ألا نقوى على قهر العادات فلا نتركها تقهرنا؟ وهل نحن من الضعف بحيث نستسلم ونغمض أعيننا؟ وننقاد لعادات رعنا، نذوق من وَيْلاتها المِحَن، ونتجرَّع من وراء الانصياع لها كؤوسًا مريرة المذاق، إننا يجب أن لا نقف مَكتُوفي الأيدي أمام هذه المهازِل تتحكَّم فينا، ونسير معها أينما سارت

---

(١) «صحيفة القصيم» العدد (٥) في ١٣٧٩/٦/٢٩هـ.

قائلين مع الشاعر:

وما أَنَا إِلَّا مِنْ غُزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غُزِيَّةُ أَرْشُد

بل يجب أن يقوم العلماء والمصلحون بحملات شَعْواء لتحطيم هذه الرواسب التي تراكمت نتيجة جهل دامس، وظلام داجٍ، رزحنا تحت وطأته سنين عجافًا، وأن نحارب عادة البذَخ كما نحارب عدوًّا مهاجمًا، هذا إذا أردنا لمجتمعنا الرُّقِيَّ والتقدُّم حقًا، وإلا فسيبقى مجتمعنا مشلول الحركة، يتخبَّط في فوضى لا نهاية لها، ويتفاقم الشر وتستحكم حلقاته، وعند ذاك يستعصي العلاج على الطبيب.

إنني أدعو العلماء والمثقَّفين عمومًا ليقوموا بواجبهم تجاه دينهم وأمَّتهم، وينقذوا بلادهم من رواسب هذه العادات البغيضة، التي قد اكتوى بنارها الجميع، ولتزول هذه الوصمة التي أصبحت رمزًا للسخرية منًّا، وإن غالَط البعض فزعم أنها محمدة وحسنة فهو واهم أو مسفسط. وبالتالي حتى لا يبقى في أذهان بعض مَن لا يعرف حقيقة الإسلام أن الإسلام يأمر بهذه العادات، ولا يرعي المصالح ويدرأ المفاسد، والإسلام سبَّاق[1] لكل مصلحة نافعة ودارئ لكل مفسدة.



(١) في الأصل «سيساق».

الحياة ألوان[1] !

أحسبك لا تحتاج إلى تمهل أو تفكير، عندما تصادف هذا العنوان، أو ما يقرب منه، أو ما يحوم في فنائه، أو بعيدًا عنه بمسافات ومسافات. ستقول: وهل في ذلك ريب، وإن كل ما تشهده وتسمعه وتشمه وتذوقه وتخيله- أيضًا- ناطق بذلك أو مشير إليه. ترى في عالم البشر في سحناتهم، ووضائتهم، ودمامتهم، وفتوتهم، وخمولهم، وشجاعتهم، وجبنهم، وكرمهم، ولؤمهم، ووفائهم، وغدرهم، وغناهم، وفقرهم، وإنفاقهم، وإمساكهم، لأكبر دليل.

ثم نظرة لعوالم أخر؛ عالم الحيوانات الصامتة، قوة وهزالًا، نفورًا وطواعية، منافع ومضار. وعالم النبات، أليس فيه الحنظل والتفاح، والسعدان والورد، والحرمل والشيح، والسرو والعرار، والأثل والصنوبر، والطلح والنخيل.

والأرض: أرض صلبة تمسك الماء وتنبت الكلأ والخير الكثير، وأرض أجادب وأرض من الحجارة القاسية الصخرية، أرض تخللها المياه الرقراقة والأنهار الفضية. وأرض سوداء مكنزة بالزيوت والذهب الأسود الذي تمتليء من فيضه خزائن وجيوب ويرتفع من مطره الجوفي. أقوام كانوا في المجاهل، وهرع إليه بحاسة الشم القوية من أقاصي المعمورة أشكال وألوان.

وفي عالم الملائكة، أي في العوالم السماوية، أليس في السماء جبريل، وفيها مالك خازن النار.

إذن الأمر واضح، فلماذا يتمهل المرء عنده.

وهل مما يثير الدهشة أن يمر حافي القدمين، حاسر الرأس، يلفحه الهجير، وتضنيه السقام، ويبرح به الألم، ويكتم خلجاته، ويضرب حاجزًا على ما في نفسه من حسرة، لأمر بسيط؛ لأنه لا يجد من يعبأ به، أو يهتم لشأنه، أو يعنى

(١) صحيفة اليمامة- العدد (١٣٢) في ١٧/٣/١٣٧٨.

بأمثاله من البائسين. إنه في نظر البعض لا يساوي صفرًا في صفر، في فن الحساب طبعًا، لقد خيل للكثرة من بعض من أوتي قسطًا من مال.

على كلٍّ فكرة البعض: أن من لم يكن ثريًا- ومن نوع خاص- لا ينبغي أن يدخل في حساب (حضرات المحترمين).

وأما أن يخطر بباله أن يمتطي سيارة، وينعم بمسكن يصح أن يسمى مسكنًا، فهذا ما لا يخطر ببال، ألم يقل المتنبي لأمثاله:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده(١)

إنه إن فكر بمثل هذا التفكير، فسوف يكون محل سخط من يحافظون على سمعتهم. أليس هذا امتهانًا لهم، أن يحاول من دون العادي، أن يرتفع لمستواهم، أو يدنو من مضاهاتهم، لا: الناس منازل ومعادن وأشكال.

وفي الضفة الأخرى: إن صح التعبير- ذلك الذي نال الثراء والمجد وتنسم قمة العلا من ذروة رأسه- الأحسن أن يقال: من قمة رأسه- ولكن خوفًا من التكرار، جيء بذروة، فمعذرة- إلى أخمص قدميه، ومن أذنيه إلى ركبتيه، بالاختصار معان لا يحلم بمثلها عنترة، أو صلاح الدين الأيوبي. ولا أدري لماذا خطر ببالي عنوان قرآته مرة في جملة ما قرأت «الحمار المقدس» وتاهت لي الخواطر، وتأملت وفكرت، ولم أكن قادرًا على إزالة صورة الحمار المقدس.

هذه ولعل ذلك لوجود صنف معروض في الأسواق يعيد عصرًا نقضي بوجود (الشفر) و(الكاديلاك) وحتى (الونيت والقلابي) فكلها قد سببت فقدًا لذلك النوع.

وبعد كتابة ما تقدم من السطور الطويلة أو القصيرة، فقد تذكرت أن الذي يباع صور خيالية!!

---

(١) البيت في خزانة الأدب ٢٠٣/١، والأمثال السائرة من شعر: المتنبي للصاحب بن عباد ص ٥٩.

وعود على بدء، فقد كان موضوع الحديث هو: هل نرضى بالواقع مهما يكن؟ هل قام الأنبياء والمصلحون والثائرون على الفساد إلا بالسخط على بعض الواقع لإزالة ضرره وإبعاد خطره، فهل من يفهم الحقيقة فيعمل لها بجزم وصدق ومحبة للخير والمصلحة العامة.



الفئة المنعزلة(١)

يعيش بيننا في هذا المجتمعِ فئةٌ غريبة الأطوار، عجيبةٌ في مزاجها وطبعها، وهي فئة تدَّعي «التنور» و«الفهم» و«التقدمية» !! وربما سوَّلتْ لها نفسُها الأمَّارة بالسوء، والمشبعة بالغرور (أنها محتكرة التقدمية، والثقافة، وعلوم الأوائل والأواخر، وأنها قد حفظت الأوابد والشوارد)، وهي تنظر باستخفافٍ لكل جهد، وتحتقر كلَّ عمل مفيد، لا ترضى عن صاحبه، ولها تفسيرات خاصة تزعم فيها العمقَ والغوص إلى المعاني التي لم تَدُرْ بخلد القائل، ولم تطرأ على باله، والطريفُ في الأمر أن سوء الظن يسيطر على أفكار تلك الفئة، ويوجِّهها الوجهة الخاطئة.

ومِن ديدن هذه الفئة :أنها تؤول الكلام، وتحمِّله ما لا يحتمل، وتقسره قسرًا على المعاني التي تتفق ومزاجها المريض، ومن أبرز صفاتها أنها لا تُسَرُّ- أبدًا- أن يُذكَر امرؤ بخير، أو يثنى على مجهود، مهما كان نافعًا وعظيمًا.

وهذه الفئة، قد كان من الممكن أن تبرز مواهبها في مجالات نافعة، إن كان لديها مواهب؛ لتنشر ما لديها من ثقافة وعرفان؛ ليستفيد منها الناس- إن كان فيها فائدة- وتكون عضوًا عاملًا له خطره وأثره في المجتمع، وبكل أسف أنها آثرت سُبُلًا لا تؤدي إلى المصلحة، ولا تنفع المجتمع، وقنعتْ باللت والعجن، والقيل والقال، والتنقص لهذا، والطعن على ذاك، والهزء بفلان، والقدح في علان، وهذا قصدُه سيئ، وذلك غرضه غير نبيل، وهذا يريد معنى شريرًا، وإن كان ظاهر كلامه حسنًا وواضحًا.

وهكذا دواليك تسير قافلةُ هذه الفئةِ المريضة- مع الأسف- على هذا النهج، وتضيع أوقاتها الثمينة في مضغ الكلام المردد، وتكرير الألفاظ الجوفاء، بدون أن

(١) صحيفة اليمامة - في ١٧/٢/١٣٨٣هـ.

يكون منهم عملٌ مثمر ، أو أن يوجهوا توجيهًا سليمًا يخدم الأمة والوطن ، ويرضي الضمير .

إننا نتألم لهذا الواقع ، ونأمل أن يعود أولئك إلى السبيل الصحيح ، وأن يشاركوا بآرائهم وثقافتهم وأقلامهم ، وأن يقولوا للمحسن : أحسنت ، وللمسيء : أسأت ، في شجاعة وصراحة ، وهذا هو محل الفخر والإعجاب .

أما أن يقبعوا في الزوايا البعيدة ، والعزلة النائية ، ويكون همهم مضغَ الكلام ، واللت والعجن فيما بينهم ، وتفسير الكلام الصادر من مخلصين بما لا يحتمله[1] القول ، ولم يُرِدْه المتكلم ، وإساءة الظن بهذا ، والقدح في ذاك ، لا يعجبهم العجب ، ولا الصيام في رجب ، فهذا مما لا نرضاه لمواطنين متسمين بالثقافة والعلم .

وإن المصلحة العامة تقتضي مثل هذه الكلمة رغم قسوتها ؛ فعسى أن يغيِّر أولئك من أسلوبهم ، وأن تظهر ثمار مشاركتهم الفعالة بإبداء الرأي السديد ، والقول الصائب ، والتوجيه الرشيد ، والعمل الملموس ، كما هو واجبٌ عليهم حيال وطنهم وأمَّتهم ، وكما يقتضيه العقل والمنطق ، إنها أمنية ، فهل تتحقق ؟ !



(١) في الأصل : « غير بما لا يحتمله » .

نظرة إلى سياستنا الخارجية(١)

سياسة حكومة هذه البلاد هي حسنُ المعاملة مع جميع الدول، باستثناء الدولة التي نحن في حالة حرب معها- وهي دولة إسرائيل المزعومة- كردٍّ فعل لعدوانها.

وطريقة المسالمة هذه لها أنصارها ومؤيدوها، ولها حسناتها التي لا تنكر.

ولكن هل المسالمة وحسن المعاملة يكفيانِ لأنْ تكون الدولة قد نهجَتِ النهجَ الأمثل، وسارتْ في الطريق الصحيح؟. لا شك أنه في كثير من الحالات سيكون الجواب: أنْ نعم.

ولكن هناك حالات تختلف عن هذه القاعدة وتشذ عن ذلك القياس، فهناك دول قد شنتها حربًا شعواء على ديننا ومعتقداتنا، ولم تأل جهدا في نهب ثروات بلادنا، ووقفت إلى جانب أعدائنا من الصهاينة، تقدم لهم المال في سخاء والسلاح في إسراف، وتعلن تأييدهم في كل الأحوال والظروف!! فهل مثل هذه الدول جديرة بأن تعامل بالود والصداقة، ويسلك معها سياسة حسن المعاملة؟! لا أظن عاقلًا يؤيد ذلك. وحتى هؤلاء الذين تبذل لهم الصداقةُ الدائمة بكرمٍ حاتميٍّ، لا أحسبهم ينظرون لباذليها إلا باحتقار واستهانة. وقديمًا قال الشاعر العربي:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَا   مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ويقول الآخر:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْرٍ يُرَادُ بِهِ   إِلَّا الأَذَلَّانِ عَيْرُ الحَيِّ وَالوَتَدُ

ولا أريد ضربَ الأمثلة؛ حتى لا نثير حفيظة أحد، ولا نتعرض لمشاكلَ ومتاعبَ، ولكنني أقول: إن تلك الدول معروفة جدًّا.. ولم يَعُدْ أمرُها خافيًا حتى

(١) اليمامة، العدد ٤٢١، في ١٢/٥/١٣٨٣هـ.

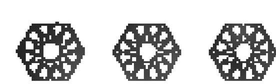
على غير المثقفين. والعجيب أن البلاد العربية والإسلامية تتعرض لألوانٍ من العنت والعدوان من هذه الدول، من الرسميين في المحافل والتصريحات، ومن أجهزة الإعلام من صحافة وتلفزيونات وإذاعة .. وهذه البلاد نالت قسطًا لا بأس به من صنوف الأذى، وفي نفس الوقت يطلب البعض أن تكون المسالمة لهؤلاء هي الطريق الواجب الاتِّباع، ويريدون فرض رأيهم بطريقة قسرية، على ما فيه من مجانبة للمنطق والواجب!

إن المعاملة بالمثل طريقةٌ منطقية شرعية، فلماذا لا نعامل تلك الدول بالمثل؟! ولماذا لا نقف منها موقفًا حازمًا حسب ما يمليه علينا دينُنا ومعتقداتنا؟! ولماذا لا نجبرهم على احترامنا باستعمال الحزم معهم؛ لئلا يتمادَوْا في غيِّهم وطمعهم واستغفالهم لنا؟ ولو بمقاطعتهم، وبيان عدوانهم وجرائمهم؟!

إننا نريد أن تكون سياستنا: حربًا لأعدائنا، وسلمًا لأصدقائنا، وأن نسعى لتكتيل الجهود الإسلامية؛ لنقف هذا الموقفَ الصامد؛ فالعدوُّ مشترك، وأطماع المستعمرين متشابهة «وكلنا في الهم شرق».

وحسبنا ما مرَّ من تجارب أثبتتْ أن اللين والمسالمة وحسن المعاملة، لا تكفي، ولا تناسب الأعداء والحاقدين.

إننا أقوياء عندما نعرف مصدر قوتنا، ونحسن الاستفادة من هذه القوة؛ فلدينا الثروات العظيمة، والمبادئُ القويمة. وهذه البلاد، والبلاد الإسلامية قد عرفت بالاستبسال والبطولات، فهل يوفَّق الزعماء والقادة فيها لإدراك هذه الحقيقة، ويعملون لإبرازها؟ ذلك ما نتمناه.



أمل في دنيا العرب[1]

زيارة الدكتور ناصر الحاني، والأستاذ عبد الخالق حسونة، للمملكة ومباحثاتهما مع الأمير فيصل ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، بخصوص قضية اليمن، جاءت في الوقت المناسب. واستبشر بها العرب والمسلمون، وأملوا آمالًا كثيرة، وسألوا اللَّه أن تكون عقباها خيرًا، ونعمة للأمة العربية والإسلامية.

والبيان المقتضب الذي صدر عقب الزيارة يبعث على الأمل وانتظار النتيجة الحسنة من هذه المحادثات، وأن الإشارة الواردة في البيان إلى ما يحيط بالأمة العربية من المخاطر وما يدبره الأعداء لتمزيق شملهم وإضعاف أمرهم، وما تبثه إسرائيل من شرور وعدوان، لخليق بالعرب أن يتناسوا خلافاتهم، وأن يقفوا صفًا واحدًا إزاء العدو المتربص، الذي يريد القضاء عليهم وتشريدهم من بلادهم.

وليس أحق من العرب والمسلمين بالتعاون والتآلف ووحدة الصف. فإن هذا ما يأمر به الدين، وما يقتضيه المنطق والمصير، وما فيه قوتهم وسلامتهم، ومما يؤلم المرء أشد الألم، أن يرى الإخوة يقتتلون ويتطاحنون على شيء ليس بذي بال.

وإن موقف الأعداء من هذا التقاتل وفرحتهم به وسعيهم لتمديده، ليسهل عليهم ابتلاع البلاد العربية والإسلامية ونهب ثرواتها، والاستيلاء على إمكانياتها بما لا يدع مجالًا للشك أن الاقتتال بين العرب، والمهاترات الجارية بينهم، إنما تخدم المستعمرين وأعداء العرب والمسلمين.

إننا نرجو أن يكون العرب قد أخذوا درسًا من تفرقهم وابتعادهم عن الجامعة الإسلامية، ولجوءهم إلى دعوات تفرق ولا تجمع، واستيرادهم لمبادئ ومذاهب غريبة على دينهم ومعتقداتهم وأمتهم.

---

(١) صحيفة اليمامة في ١٥/٥/١٣٨٣هـ.

فيثوبوا إلى وحدة إسلامية وتعاون إسلامي ، يسوده حسن النية ، ويوجهه الإخلاص للعقيدة والمبدأ والتاريخ والواجب الملقى على عاتقهم .

إن الأمة العربية والإسلامية تجتاز في هذه الظروف مصاعب كبيرة ، ودويلة الصهاينة ترسم مخططات عدوانية للانقضاض على البلاد العربية ، وإضاعة معالم القضية الفلسطينية وما لم ينبذ العرب خلافاتهم ، ويكونوا صفًا واحدًا ، فإنهم قد جنوا جناية عظمى على أمتهم وبلادهم . وسوف يكونون معرضين بلادهم وأمتهم لنكبات فادحة .

إن هذه حقيقة واضحة للعيان ، وأملنا أن الأمة العربية قد وعت واقعها ، وأدركت الأخطار المحيطة بها ، وأنها سوف تعود إلى جمع كلمتها وتتعاون في سبيل الخير ورعة الشأن .. لعل وعسى !



التعاون هو الأساس(١)

كل أمة تطمح للنهوض وتريد أن تتبوأ مكانة مرموقة بين الأمم، فلابد لها من التعاون المبني على الفهم، والمدرك لضرورة التكاتف لنيل النجاح. ولولا التعاون لم تبرز هذه المجهودات الجبارة، وهذه الثمرات الناضجة، التي يجتنبها المرء سهلة لذيذة.

فالدين والعقل والفطرة البديهية تنادي بأهمية التعاون، وتدعو إليه في إصرار وعزم، وتبين ما للتعاون من أثر بارز في قوم الأمم وإرساء دعائمها على أسس ثابتة تتحطم فوق صخرتها الصلبة عواصف الفتن، وهوج الزوابع.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: الآية ٢]، ويقول الرسول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا». وقد عبر عن ذلك أبو الطيب إذ يقول:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

والتعاون شيء لا مناص منه لأي فرد، وفي أكثر حالاته، وإن كان في حالات يمتاز به أشخاص دون آخرين، ويتفاوت في فهمه بعض الناس عن بعض.

فلولا التعاون لم يستطع إنسان أن يعيش، فما بالك بالمركب والمسكن والترفه، إن الأيدي الكثيرة والجهود العديدة تتضافر لتهيء الأكل وسائر وسائل العيش واللبس والسكنى، وسواها. ولن يقدر أي فرد أن يقوم منفردًا بتهيئة كل شيء بنفسه مما يحتاجه دون جهود الآخرين وعملهم.

إن هذا بديهي وليس في حاجة إلى التقرير، ولكن عدم إدراك بعض الناس لأهمية التعاون يجعل من الحديث عن التعاون شيئًا لا يستغنى عن التقرير وإبراز البراهين.

---

(١) صحيفة اليمامة العدد ٤٠٨ في ١٣٨٣/٣/٢٥هـ.

وعندما ننظر إلى واقع المسلمين، فلا نتردد أن نعلن عن حقيقة مؤلمة هي فقدان التعاون وعدم الشعور بالمسئولية إزاء المجتمع الكبير الذي تربطه العقيدة والعواطف والتاريخ الحافل والأمجاد العريضة.

وذلك مما سبب الانتكاس للمجتمع الإسلامي في كل عصر حلت فيه النكبة بالمسلمين، وليس أدل على هذا من التناحر، والتنابز بالألقاب، وإيغار الصدور، وتطاول بعضهم على بعض في هذا الوقت بالذات، بينما أعداؤهم يطربون لهذا التطاحن، ويبدون سرورهم وشتائمهم بأمة الإسلام التي يحقدون عليها ويتوارثون بغضها.

وإذا أعدنا النظر إلى مجتمعنا الخاص في هذه البلاد، فإنا نجد ظاهرة اللامبالاة بدا يستشري خطرها، وينمو صغيرها، وذلك لا يبشر بخير ولا تسر طلائعه، وقد تكون هذه «الأنانية» وفدت مع مدنية الغرب وحضارته، ولكن إذا كنا في حاجة قصوى إلى صناعة الغرب وبعض من حضارته، فإن من المهم جدًّا- ونحن في بداية الطريق- أن لا نغمض عيوننا عن محاسن الحضارة الغربية ومساوئها حتى ننتقي منها ما ينفع، وندع ما لا فائدة ترجى منه.

وإن من مساوئ الحضارة الغربية ما صاحبها من الغلو في الحرية الشخصية[1] والفردية الجامحة مما نتج عنه «أنانية بشعة» أصبح من جرائها تفكيك أواصر الأسرة، وانفصام عرى التكاتف.

وانتزاع الثقة بالمجتمع والعقائد والتقاليد الجميلة أمرًا بارزًا للعيان، ومن الخير للأمة أن يسودها التعاون، وأن تنظر له كشيء محبب إلى النفس، ولازم من لوازم الحياة، ودعامة للرقي والتقدم لتربط بين ماضيها التليد وحاضرها المتوثب، ومستقبلها المشرق بإذن الله.



(١) في الأصل: «الشخصة».

جهود يجب أن توحد[١]

في مصر جمعيات عديدة قامت باسم الدعوة للإسلام ، والدفاع عن مقدساته أن تنتهك ، وتطالب بتحكيم القرآن ، وإلغاء الربا والقمار ، والقضاء على المخدرات بأنواعها ، وتحارب الفسق والفجور والانحلال .

وتمقت الإلحاد والشيوعية وتنتقد الظلم والتعسف ..

ومن هذه الجمعيات جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية شباب محمد ﷺ ، وجمعية أنصار السنة المحمدية ، وجماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة كبار العلماء .

وهناك فئات كثيرة وإن لم تحمل اسم جمعية أو حزب كعلماء الأزهر .

وهذه الجماعات وغيرها كثير لها مكانتها واعتبارها في العالم الإسلامي ، وخاصة رجال الأزهر ، وجماعة الإخوان المسلمين .

وقد كان لهذه الجماعات صولات وجولات ، وكان لهم صحف قوية وعلماء يجوبون المدن المصرية والقرى ، ويعلنون مبادئ الإسلام في صراحة وقوة ، أما الآن فأين أولئك الأقوام ؟

لقد أعمل فيهم جمال وطغمته الإرهاب والبطش وسياسة (فرق تسد) فلم تعد ترى إلا أصواتًا خافتة وأنات مكبوتة .

فمنذ أن شنق جمال عددًا من زعماء الإخوان المسلمين وبطش بالباقين وأنالهم من صنوف التعذيب والسجون ألوانًا بشعة وهو يوالي حملته الباغية على بقايا علماء المسلمين وجماعاتهم المتحمسة للإسلام .

فقد استعمل إلى جانب البطش وسائل التفريق والإغراء والفتنة ، فعمل على انشقاق الإخوان المسلمين إلى فئتين . ثم قتل عددًا من زعمائهم ، واستمال

(١) صحيفة اليمامة العدد ٣٢٩- الأحد ١٥ محرم سنة ١٣٨٢هـ.

أشخاصًا منهم استعملهم لمآربه الشريرة، وعندما انتهى منهم لفظهم كما تلفظ النواة، ومثلًا لذلك الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري، الذي أوعز له بأن يخطب في المساجد ويؤلب على الإخوان المسلمين، ويبرر الفتك بهم، وتشتيتهم ثم ذهب للصين فأهدى الكنائس من ريع أوقاف المساجد- وكذب على اللّٰه ورسوله- إذ زعم أن الكنائس بيوت للعبادة، يرضى بها اللّٰه.

وأخيرًا نبذه جمال، وأطلقت الصحف المصرية سبابها البذيء في الشيخ الباقوري ونشرت فضائح نسبتها إليه.

وقد فرق جمال بين جماعات الإخوان المسلمين والأزهر وجماعة الشبان المسلمين وأنصار السنة وغيرها.

فرغم اتفاق أهداف هذه الجماعات في المسائل التي ذكرناها آنفًا وغيرها، فإن يد التفريق الباغية، قد استطاعت أن تجعلهم يتنافرون ويتخاصمون، ويبتعد بعضهم من بعض، ويتشكك بعضهم في بعض، وعندما تكلم الشيخ محمد الغزالي في المؤتمر الوطني أثار شجونًا وآلامًا، ولو كان الماضي يعود، لتمنى الغزالي أنه لم يختلف مع بعض زعماء الإخوان كالشيخ حسن الهضيبي وإخوانه. وأن ما وقع في المؤتمر القومي للقوى الشعبية في مصر هو امتحان دقيق لمواصلة الجهاد من الشيخ الغزالي وأمثاله، ويجب أن يكون نقطة البداية لعمل جدي في سبيل الإسلام ونصرته. يعمل فيه الجميع متآزرين متحدين لا فرقة ولا شقاق.

إن هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ المسلمين والعرب، يجب أن توحد لها الجهود المؤمنة، وتنصهر في بوتقتها الجماعات العديدة فيعملون يدًا واحدة.

حتى يستطيعوا أن يصدوا التيارات الإلحادية الجارفة، ويدافعوا عن الإسلام بقوة وحزم، وإن تكن الأخرى، فليتذكروا ما جرى على المسلمين في مختلف عصورهم بسبب الفرقة والخلاف.

وليتذكروا ما حل بإخوانهم في بلدان الشيوعية في روسيا والصين وألبانيا وبلغاريا وغيرها .

إنها مسألة خطيرة ، يجب أن يفهمها المخلصون قبل فوات الأوان ، وقبل أن تذهب مصر ضحية الشيوعية الماكرة وفريسة العدوان الإلحادي .

وقول اللَّه تعالى : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٤٦] .



وعد بلفور المنحوس[1]

كان يومُ السبت الماضي ١٥- ٦- ٨٣هـ اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » موافقًا لوعد « بلفور » المشؤوم بإعطاء اليهود وطنًا قوميًّا في فلسطين، وذلك باتِّفاق بريطانيا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا- منذ ستة وأربعين عامًا.

فقد كتب بلفور- وزير خارجية بريطانيا- إلى البارون روتشيلد- أحد زعماء اليهود- في ٢ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩١٧ يقول: يسرُّني أن أبعثَ إليكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي الذي ينمُّ عن العطف على أماني اليهود الصِّهْيَونيِّين، والذي رُفِع إلى الوزارة، ووافقت عليه:

«إنَّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسطين، وستبذل جهدها؛ لتسهيل تحقيق هذه الغاية، مع البيان الجلي أن لا يُفعل شيء يضرُّ الحقوقَ المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائفُ غير اليهودية المقيمة بفلسطين الآن، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتَّع به اليهود في البلدان الأخرى».

وقد أيدتِ الولايات المتحدة الأمريكية هذا التصريحَ قبل إعلانه، ببرقية بعثها الكولونيل هارس- باسم رئيس الولايات المتحدة ورد ولسون إلى الوزارة البريطانية في ١٦ تشرين الأول أكتوبر ١٩١٧، يعلمها فيها بموافقة الرئيس وحُكومته على نصِّ التصريح.

كما أيدت فرنسا التصريحَ في ١٤ شباط فبراير ١٩١٨، وأيدته إيطاليا في ٩ أيار- مايو عام ١٩١٨.

وقد أرادتْ هذه الدول اجتذابَ اليهود إلى جانبهم؛ ليكسبوا تأييدَهم الماديَّ والدعائيّ، وليقوموا بدور تخريبي ضد دول المحور، وخاصَّة ألمانيا لترجح كِفَّة

(١) صحيفة اليمامة - في ١٧/٦/١٣٨٣هـ.

الحلفاء في الحرب .

وقد تواطأتْ هذه الدول الاستعمارية مع الصهاينة على تحويل فِلسطين إلى بلد يهودي ، ووضعتْ بريطانيا وحلفاؤُها خطَّةً لاحتلال فلسطين في أواخر عام ١٩١٧. وفي ٢٢ تموز قررتْ عصبة الأمم وضْعَ فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وفرضتْ على عرب فلسطين صكَّ الانتداب فرضًا ، وعملت بريطانيا زمنَ الانتداب على فتْح فلسطين أمام النازحين اليهود ، وشجعتْهُم على الذَّهاب إلى فلسطين ، والاستقرار فيها ، وتزويدهم بالسِّلاح ووسائل القوة . وبالعكس من ذلك معاملتها للعرب ، حيث عملتْ على تشتيتهم وإضعافهم ، ولم يتغيَّر موقف بريطانيا من إسرائيل حتى اليوم .

وما يزال مليون لاجئ فلسطيني يعيشون مشرَّدين عن بلادهم بسبب الطغيان الاستعماريّ ، والمؤامرات الصِّهْيَونيَّة ، واختلاف الزعماء العرب والمسلمين ، وما فتئ الأخطبوط الصِّهْيَوني يتمادى في عدوانه وتوسعه ، على حساب البلاد العربية ، ويعمل لتحويل مياه نهر الأردن إلى النقب ؛ ليستقدمَ الملايين من الصهاينة ، وما برحتْ دول معينة تسير بلا تعقُّل في تأييد إسرائيل ، وتزويدها بالسلاح ، والقروض والمعونات ، والوقوف إلى جانبها في المجالات السياسيَّة والدوليَّة ، وينادون بمناصرتها وحمايتها .

وإنَّ من واجب المسلمين والعرب أن يغيِّروا من أسلوبهم في معالجة قضية فلسطين ، وأن يدركوا أنه لن يفلَّ الحديدَ إلَّا الحديدُ ، وأنَّ إعداد الفلسطينيِّين لخوض المعركة وتسليحهم ، هما أوَّل واجبات الدُّول العربية والإسلامية .

وينبغي أن تعطى الفرصة للفلسطينيِّين لإجراء انتخابات ، يكون من نتيجتها تشكيلُ حكومة فلسطينية في المنفى ، وإمدادهم بالمال والسِّلاح ، والدعاية لقضية فلسطين بواسطة أجهزة الإعلام ، وفي المحافل الدولية ، والمجتمعات السياسيَّة ، وخوْض المعركة إلى جانبهم بعدَ أن يكونوا طليعةَ الزحف ، ورُوَّادَ

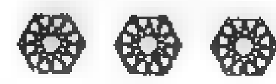
الاسترجاع لحقِّهم السليب .

ولا شكَّ أن العرب والمسلمين ، قد استفادوا عِبرًا من الماضي ، ومن واجبهم تلافي الأخطاء التي أدَّتْ إلى ضياع فلسطين ، ثم إلى هزيمة الجيوش العربية في الحرْب الفلسطينية ، وأهمُّ تلك الأخطاء حُسْنُ الظن بالإنكليز والأمريكان ، وظنُّهم أنَّ الحلفاء سوف يُقدِّرون للعرب موقفَهم !! ولا يطعنونهم من الخلف .

وهناك أوضاعٌ قد تغيَّرت في العالَم العربي والإسلامي بعدَ حرب فلسطين سوف تساعد على ردِّ العدوان الصهيوني ، والمؤامرات الاستعمارية .

وهنا وعيٌ سيكون له أثر فعَّال في إحباط مؤامرات الصهاينة وأنصارهم ، إذا ما أحسن العرب والمسلمون الاستفادةَ من قوتهم المادية والمعنوية ، ووحَّدوا صفوفَهم ، وأفهموا المستعمرين أن لا مهادنة ، ولا استغفال بعدَ اليوم .

إنَّ المشرَّدين ، والأطفال والثكالى ، والشيوخ العاجزين يستصرخون بكم أيها المسلمون ،ويُشهِدون العالَمَ على مأساة إنسانية ، وكارثة فظيعة ، تمثِّل العدوان في أبشع صوره ، والجريمةَ في أقبح مظاهرها ، والمؤامرةَ في أعتى طغيانها ، فهل تهبُّون لنجدة فلسطين ؛ لتعيدوا الحقَّ إلى أهله ، ولتطهروا الأرض المباركة من حثالات البشر ، ورمز الشر والعدوان ؟ ! عسى أن يكون قريبًا !



قضية فلسطين(١)

أشياء كثيرة في الأسبوع الماضي تستوجِب الكتابةَ ، وتستحقُّ التعليق عليها ؛ لأنها أحداثٌ لها أهميتها وخطرها .

فهناك ذِكْرى مرور خمسة عشر عامًا على إعلان حقوق الإنسانفي أن يعيش حرًّا كريمًا آمنًا على نفسه وماله ، وعِرْضه ومعتقده .

وإن كنَّا ما نزال نرى دولًا ما فتئت تستعمر شعوبًا وبلادًا أخرى ، ونرى بعضَ الدول ما برحتْ تمارس التفرِقة العنصرية ، وفي الكتلة الشيوعيَّة يلاقي المسلمون وذوو المعتقدات الأخرى- ما عدا المعتقد الشيوعي- الاضطهادَ الوحشي . وهناك أناس شُرِّدوا من ديارهم بغير حقٍّ ، وحلَّتْ محلَّهم عصاباتُ الصّهْيَونية يؤازرها الاستعمار الغربي .

كل ذلك برغم حقوق الإنسان ، ومواثيق الأمم المتحدة ، والشرائع والقوانين !

ومِن أحداث الأسبوع الماضي اجتماعُ رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ،والذي نودُّ أن نعلِّق عليه هو أنه إن كان من جِنس الاجتماعات المتكرِّرة في الجامعة العربية ، سواء أكان على مستوى اقتصادي ، أو سياسي ، أو عسكري ، فلن يَزيد عن كونه نُزهةً غير لطيفة ، وفرجة غير محمودة ، وعَدمُه خيرٌ من وجوده .

أما إن كان فيه تخطيطٌ وتصميم على إنقاذفلسطين من المغتصِبين اليهود ، وتطهير أرض مقدَّسة من رِجْس أثيم ، وغسل لعارٍ لطخ به تاريخ العرب ، فحَيهلًا به من مؤتمر .

فلقد تعِبْنا من الكلام عنفلسطين والمؤتمرات والخُطب ، وبقي أن ننتظر عملًا جديًّا حاسمًا ،فهل يتحقَّق ذلك ؟

(١) صحيفة اليمامة - في ١٣٨٣/٧/٣٠هـ .

وفي الأسبوع الماضي حصل حادثٌ مفتَعل هو استقالة عضو الشركة البريطانية للتأمين « مانكروفت » بضغط العرب في المقاطعة الاقتصاديَّة العربية المضروبة على إسرائيل والشركات المتعاونة معها ، بسبب ميوله الصّهيونية .

وقد عملت الصّهيونية على إثارة ضجَّة كبرى في بريطانيا ، وصوَّرتْه بحادث جَلَل ، ونريد أن نُطمئن الصّهيونية وبريطانيا معها بأنَّ المقاطعة العربية ستستمرُّ لإسرائيل كخطوة أولى ، وأنَّ الخطوة التالية هي تخليصفلسطين من شرورها ، وإعادة الحقِّ السليب إلى أهله ، فمن رضي ، وإلَّا فليفعل ما يشاء .

وإنَّ أيَّ ضغط مهما كان نوعه لن يؤثِّر على هذه السياسة التي يقتنع بها العرب ، وينهجونها حسبَ إرادة شعوبهم وتصميمهم عليها .

وهناك حَدَثٌ لا بدَّ وأن يثير الانتباهَ ، ألَا وهو طلب الملا البرزاني الاستسلام ، وهذا مما سيساعد العراق على الاستقرار والهدوء .

وهناك في المغرب بوادرُ تقارب بين دول المغرب العربي الثلاث .

إنَّ هذه الأحداث على ما يظهر بينها من تباعد ، إلَّا أنَّها تشكِّل حلقةً واحدة بالنسبة لقضيةفلسطين ، وهنا اجتماعات تبحث فيقضية تحويل مجرى نهر الأردن ، وهناك اجتماعات تُعقد من أجْل هذه القضية بالذات من جانب رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، وهناك ضغط من الصّهيونية والاستعمار لتصفية هذه القضية ، وهناك بوادرُ استقرار في العالَم العربي تساعد على الوقوف صفًّا واحدًا تُجاهَ هذه المسألة التي هي مسألة حياة أو موت بالنسبة للعرب والمسلمين ، وهناك حقوقُ الإنسان التي يعترف بها العالَم أجمعُ ، ولم تُنتهك هذه الحقوق فيقضية مثل انتهاكها من قبل الصهيونية ومَن يؤيدها في عدوانها الغاشم .

إنَّنا نترقَّب عملًا جادًّا من لَدُن العرب والمسلمين يخرج من نطاق التصريحات والاجتماعات والخُطب إلى حيز التنفيذ ، وعالَم الواقع .

هكذا تحرر فلسطين[١]

الدعوةُالتي وجَّهها الرئيس جمال عبدالناصر في الاحتفال بيوم النصر لملوك ورؤساء الدول العربية للاجتماع من أجْل البحث في قضيةفلسطين، وتحويل إسرائيل لمجرى نهر الأردن، كانت أمرًا لا مناصَ منه، بل كان من المفروض أن يكون مثل هذا الاجتماع قبلَ هذا الوقت بكثير، فإن الأخطار التي تهدِّد العرب، ولا سيَّما من ناحية المطامع الصِّهْيَونية التي تقف وراءها دولُ الاستعمار.. هذه الأخطار كانتْ قائمةً منذ زمن طويل، وفي كل يوم يزداد خطرُها، ويتفاقم شرُّها.

ولقد عودتْنا الأيَّامُ أنَّ سياسة المهادنة والضعف، وانتظار الإنصاف من حماة الاستعمار وأنصار الصّهيونية عبثٌ فارِغ،ووَهْمٌ قاتل، كم تجرَّع المسلمون والعرب منه كؤوسًا مريرة المذاق، وخيمة العاقبة.

إنَّ المسلمين في كل موقف يصمدون فيه يتجلَّى لهم الطريق اللَّاحِب، ويحصلون على مكاسبَ كبيرة، رغم الصعوبات التي تعترض طريقَهم، وضعف الإمكانيات التي كانت لديهم في كثير من الأحيان.

وهم اليوم أصلب عودًا، وأقوى شكيمة، وأكثر وعيًا واستجابة لنداء الحقِّ والضمير، وغسل عار الذلِّ والنكسات السالفة.

ومِن ثَمَّ فإنَّ واجبَ الحكومات والمسؤولين في هذه الظروف الدقيقة مسؤوليةٌ جسيمة سوف تكتب لهم صفحات مضيئة إذا ما أدَّوْا الواجب بأمانة وإخلاص، وكانوا على مستوى المسؤولية المُناطَة بهم.

وسوف تكون بعكس ذلك فيما لو تقاعسوا عن أداء المهمَّة الخطيرة، إمَّا ضعف أو خيانة.. وسوف يرتكبون جريمةً فظيعة لن تغفرها لهم الأمَّة جمعاء،

---

(١) صحيفة اليمامة - في ١٤/٨/١٣٨٣هـ.

ونحن اليوم نقف على مفترق الطُّرُق ، ومِن واجب المسؤولين أن يعملوا بجِدّ ، وأن يرسموا مخططًا سليمًا ، ثم يُنفِّذوه بصدق وشجاعة .

ولا بدَّ من تحقيق هذه الأعمال ؛ تمهيدًا للوصول إلى تحريرفلسطين ، ولضمان نجاح الخطَّة :

١- وقف الحملات الدعائية ضدَّ الدول العربية بعضها البعض .

٢- سحْب القوَّات غير اليمنيَّة التي تحارِب في اليمن ، وعدم التدخُّل في شؤون اليمن الداخلية ، وترك اليمنيين يُقرِّرون مصيرهم بأنفسهم ، ويختارون نوع الحُكم الذي يريدونه ، ووقْف جميعِ المساعدات العسكريَّة والدعائية عن جميع الأطراف المتنازِعة في اليمن ، ويُوكل الإشراف على إجراء انتخابات في اليمن بواسطة هيئة الأمم .

٣- سحْب القوَّات الدوليَّة المرابطة في صحراء سيناء حتى لا تكون درعًا يَحْمي إسرائيل .

٤- سدّ خليج العقبة في وجه السفن الإسرائيلية ، ومنْع وصول أيٍّ إمدادات لها ، وأيِّ سفن مِن أيِّ نوع كان عن المرور في خليج العقبة .

٥- اتِّخاذ خُطوة موحَّدة لإفهام الدول الضالعة مع الصّهيونية أنَّ أيَّ عمل عدائي تتخذه لصالح إسرائيل يُعدُّ اعتداءً صارخًا على حقوق العرب وحريتهم ، وأنَّه سيعرِّض مصالح هذه الدول للضرر البالغ .

٦- اتِّخاذ خطَّة إسلامية موحَّدة تُجاهَ قضيةفلسطين ، والقضايا الإسلامية الأخرى .

٧- إحلال الثِّقة محلَّ الشكِّ بين الدول الإسلامية والعربية ، وعدم الاستماع لدسِّ المستعمرين والصّهيونيين .

٨- إبراز الكيان الفلسطيني ، وتدريب الفلسطينيين على الأسلحة ، ووضْعهم في طليعة الصفوف لتحريرفلسطين ، وتطهيرها من رِجْس الصهاينة .

إنَّ هذه الأعمالَ التمهيدية ، لا مندوحةَ منها إذا ما أُريد لقضيةفلسطين النجاح ،وهي في رأينا الدعامات المتينة لسَحْق الصِّهْيَونية في أيَّة حرْب قادمة ، وليس تحقيق هذه الأعمال بصعب ولا متعذِّر ، وكل ما تتطلبه هو حسنُ النية ، والتصميم على العمل الجادّ .

أمَّا مجرَّد الكلام ، والخُطب والهدير ، فقد سَئِمها الناس ، وأصبحتْ ورقة خاسرة ، وأسلوبًا ممجوجًا ، وكفانَا عِبرًا بالماضي ، وما جرَّه الكسل والخمول والتشتت من نكبات ومصائب ، وفَّق اللَّه الأمَّة الإسلامية إلى ما فيه المجدُّ ، والعزُّ والازدهار .



الحل العملي لقضية فلسطين[١]

اليومَ يجتمع ملوكُ ورؤساء الدول العربية في القاهرةلبحْث تحويل إسرائيل مجْرى نهر الأردن بصفة خاصَّة ، وقضيةفلسطين بصفة عامَّة على ما نعتقد . وهذا حَدَثٌ له أهميته ، ونتائجه .

وعندما يجتمع هؤلاء الملوكُ والرؤساء العرب ، فلا نظنُّ أنَّ أحاديثهم ستنصرف إلى الماضي ، وإلْقاء التبعات ، فذلك ما لا تُريده الشُّعوب العربية ، وما لا ينسجم وخطورةَ الموقف ، ولكن الذي يتوقَّعه الجميع أنَّ المناقشاتِ ستتركز على ما يجبعملُه لتلقين الصّهيونية درسًا لا تنساه ، ولصدِّ العُدوان اليهودي الزاحف ، واستعادة الأرض المغتصبَة .

إنَّ إسرائيل قد رسمتْ مخططاتِها لكي تستجلب الملايين من اليهود المشتَّتين في أنحاء العالَم ، ورقعة الأراضي التي اغتصبتْها لا تستوعب اليهود ، وهي في هذه الحال ستعْتدي على أراضي الدول العربية المجاورة حتمًا ، ولن تقنع بما اغتصبتْه .

وكلُّ يوم يمرُّ دون أن يحزم العرب والمسلمون أمرهم للتخلُّص من هذا الخطر الصّهيوني ، ويقابلوا دويلةَ العصابات بالقوة ، فإنَّه يُتيح الفرصة لإسرائيل لتتركَّز ، وتقوى على حساب العرب .

إنَّ الأمر يقتضي الاستعدادَ والجدية اللائقَين بعظم المسؤولية وجسامتها .

إنَّ الشعوب تريد من حكَّامها في هذه الظروف أن يكونوا معبِّرين عن آمالهم وآلامهم ، وأن يعملوا ما تقتضيه الحالُ من حزم وتهيؤ .

يريدون نشاطًا سياسيًّا واقتصاديًّا وتأهُّبًا عسكريًّا ، وتدريبًا شاملًا على مختلف الأسلحة ؛ ليكونوا على مستوى الأحداث ، فإسرائيل تعمللتجنيد الإجباري

(١) صحيفة اليمامة – في ١٣٨٣/٨/٢٨هـ .

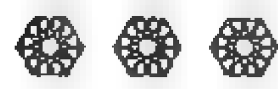
الشامل منذ سنين، وبقي أن نعملنحن بالمثل .

وإذا كانت الصّهيونية العالمية قد جعلتْ من وسائل الأعلام لديها قوّةً هائلة ، بل وتكاد تكون وسائل الإعلام في الدول الأوروبية والأمريكية أدواتٍ ناطقةً باسمها .. فيجب أن تقوم الدولُ العربية بنشاط ملحوظ في هذا الصدد ، وأن تنشر وجهات نظرها وحقائق الوضع فيفلسطين على الرأي العام العالمي بصورة واضحة .

إنَّ المسألة ليستْ في اجتماع يعقد ، وقرارات تصدر وخُطب تلقى ، ولكنَّه في استعداد وتهيؤ وتنفيذ ، إننا نتمنى مع ملايين العرب والمسلمين أن يوفِّق اللَّه قادةَ وشعوبَ العالَم الإسلامي للاعتبار ، وتلافي الأخطار ، وحَزْم الأمر ، والتنفيذ العاجِل ، حتى يُعيدوا للأمَّة مجدها وكرامتها .

ونذكر مرة أخرى : أنَّ كلَّ يوم يمرُّ دون ردٍّ الاعتداء الصّهيوني هو في صالح الصّهيونية ، وازدياد لخطرها على الأمَّة الإسلامية والعربية .

وبعدُ : فالكلُّ يترقَّب ماذا ستكون النتيجة من مؤتمر القاهرة ، وعسى أن يكون على مستوى الأحداث وأهميتها .. وإنا لمنتظرون !



على الهامش

إيران وإسرائيل[(١)]

كشف شاه إيران في مؤتمره الصحفي ، عن علاقة حكومته بإسرائيل ، وأعلن اعترافه بحكومة العصابات ، وعزمه على تبادل التمثيل السياسي معها ، وبرر موقفه غير الودي من العرب والمسلمين عمومًا ، ومن أبناء فلسطين المشردين بفعل أيدي مجرمي الصهاينة ، ومؤامرة الاستعمار بين الصليبيين بأنه قد اعترف بها مسبقًا ، ثم وقف السفير الإيراني في باكستان ، ليقول في جرأة وصفاقة : إن حكومته مصممة على الاعتراف بإسرائيل ، ولن تتراجع عن ذلك ؛ من أجل مراعاة شعور المسلمين .

وهكذا يسقط شاة إيران قناعًا كان يتستر وراءه ؛ ليبدو على حقيقته ، وليظهر عداءه للمسلمين ، وهو بذلك يتقرب للدول الاستعمارية التي يسير في ركابها ، ويتودد للأخطبوط الصهيوني ؛ لينال عطفه ، ويكسب رضاه ، في سبيل سخط مئات الملايين من المسلمين ، والدوس على القيم والأخلاق ، وطعن العرب والمسلمين في قضية ؛ هي قضيتهم جميعًا أينما وجدوا .

علاوة على أنها قضية العدالة المهدورة ، وأنها أبشع صورة لظلم حثالات الصهيونية ، ومن أقاموا- بما يسمونه- دولة إسرائيل ، وما هي إلا شذاذ الآفاق ، وسفاكي الدماء البريئة ، ولهم في ذلك التاريخ الأسود الطويل ، من قتل الأنبياء ، ومحاربة المصلحين ، والسعي في الأرض بالفساد ، وإشعال نيران الفتن والحروب .

إن هذه الطعنة المسمومة التي فعلها الشاه وحكومته ، وقبضوا عليها الثمن من الحكومات الاستعمارية ، ليملئوا جيوبهم ، وليودعوا الأموال الطائلة في مصارف

---

(١) صحيفة القصيم- في ١٦/٢/ ١٣٨٠.

سويسرا وغيرها. هذه الطعنة ستعود إلى نحر مرسلها، وسيكون الثمن غاليًا، عندما يحاسب شعب إيران الشاه وحكومته الحساب العسير، ويبرز إرادة الشعب ويطيح بمزيفي آماله وآلامه الناطقين بلغة اليهود والمناصرين الباطل.

ولعل الشاه قد طال شوقه وحسيسه، وعادت به الذكريات الحلوة مع نور السعيد، وجلال بايار، وسهروردي، وأمثالهم، فهنيئًا له بمستقبله القائم، وليهنأ باللقاء مع أعزائه في وقت قريب.

وبعدُ، فإن السؤال هو: ما هو موقف الدول الإسلامية والعربية من هذا التحدي السافر؟ وماذا سيتخذونه من إجراءات حازمة، تلقن من يناهض الحق والعدالة درسًا لا ينساه. ولتثبت أنها لن تصافح يدًا تصافح أيدي الصهاينة الملطخة بالدماء، حتى ولو زعمت أنها موالية للعرب والمسلمين، فإن هذا التصرف يناقض ذلك الزعم ومرة أخرى: إن واجب المسلمين كبير إزاء عمل حكومة إيران، وإن مقاطعة هذه الحكومة، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها من جانب الدول العربية والإسلامية، هو أقل ما ينتظر منها أن تفعله؛ نصرة للعدالة، ودفاعًا عن الكرامة، والمشاعر الإسلامية، ولا يفوتنا أن نذكر بمزيد من السرور والبهجة موقف حكومة الجمهورية العربية المتحدة، المشرف، وما اتخذته من عمل حازم عاجل، وهكذا يجب أن يكون.



على المكشوف
ما هكذا يا قوم[(١)]

حينما أقدم شاه إيران على الاعتراف بإسرائيل، وعطفه عليها، ضاربًا عرض الحائط بكل الاعتبارات الكريمة، متناسيًا الصلات والوشائج، متغاضيًا عن عدوان الدويلة الدخيلة. حينما أقدم الشاه على فعلته النكراء، كان من المعقول والمنتظر، أن يكون لهذا التصرف الأرعن رد فعل لدى الشعوب الإسلامية، والشعوب العربية جمعاء، وقد كان.

وهنا بدت أشياء تستدعي الاستغراب.

بدت وقاحة منافق، هو سفير الشاه في باكستان، الذي تحدى مشاعر المسلمين، إرضاءً لسيده، وسعيًا لنيل ثمن أكثر، ولا يكتفي بذلك، بل يقول في حمق؛ مستنكرًا موقف الصحافة الباكستانية، وتنديد الشعب الباكستاني بصنيع الشاه ذنب الاستعمار والصهيونية، يقول السفير: إن صحافة باكستان متحمسة لفلسطين أكثر من العرب أنفسهم، أو ما يقرب من هذه العبارة، ولا ندري ما الذي كان ينتظره هذا الدعي، أيحسب أن الباكستانيين[(٢)] سيصفقون فرحًا لخيانة الشاه، كما يفعل السفير، ثم أين الروابط الإسلامية، وأين نصرة المسلمين والإسلام الذي ينتمي له مثل هؤلاء الأدعياء، وهو بريء منهم؟ هذه واحدة.

أما الثانية: فهي الأسلوب الذي علق به بعض الكُتاب على انحراف شاه إيران وحكومته، أن بعض الكُتاب، ربما عن سلامة نية، قد استطردوا، وتعرضوا للشعوبية وللفرس. وقد يبلغ الانفعال ببعضهم أشده، فينكر فضائل موجودة، ويبالغ بالنفي، والتعميم.

---

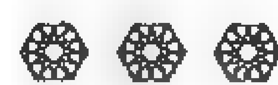
(١) صحيفة القصيم- العدد (٣٩) - ١٥/٣/١٣٨٠.

(٢) في الأصل: «الباكستانيون».

بينما الواجب التخصيص ، والله يقول : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: الآية ٣٨] إن أولئك الكُتاب الذين عمموا مخطئون .

إن تصرف فرد أو أفراد ، ليس ينبغي أن يؤخذ به شعب ، ثم إنه وإن كان التاريخ قد سطر أعمالًا كثيرة وأفعالًا شنيعة لأناس من فارس ؛ دخلوا في الإسلام نفاقًا ، وأرادوها كسروية شاهانية ، وعملوا المكائد والدسائس ، فإنه بجانب هذا الشر يوجد خير كثير ، وأنا لا أقصد الموازنة ، وإنما أريد أن لا يؤخذ امرؤ بجريرة غيره .

فقد كان من مسلمي فارس علماء وجهابذة في التاريخ واللغة والحديث والتفسير والبلاغة والفقه والأصول وغيرها ، وكان منهم مجاهدون في سبيل الله ، ودعاة للهدى . وليس من الإنصاف أن ننكر هذه الجهود النبيلة ، ولا أن ننسى الحسنات ، كيف والرسول ﷺ يقول : « لو كان الدين عند الثريا ، لذهب به رجل من فارس- أو قال : من أبناء فارس- حتى يتناوله » . وفي رواية : « لتناوله رجال من أبناء فارس »[1] . أما أن ينصرف عميل أو يخون رجل دولة ليرضي نزواته وتبذله وإسناده ، فلا يعني هذا الرضى من الشعب جميعه .



(١) أخرجه أحمد ١٣/٤٤٤- ٤٤٥ (٨٠٨١) ، ومسلم (٢٣٠/٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الصمت المريب[1]

موقف جمال عبد الناصر من قضية فلسطين، موقف تكتنفه أكثر من شبهة، وتحوطه أكثر من ريبة وترتسم حياله أكثر من علامة استفهام؟

ونعود بالذاكرة إلى ما قبل سنوات، ونقارن بين النتائج؛ لنرى الحقائق الرهيبة، فعندما كانت الأزمة الغذائية مستفحلة في مصر عام ١٩٥٦ أراد جمال أن يأخذ قروضًا (إنقاذية) لم يجد من أمريكا وحليفاتها إلا الجفاء والإهانة، وعندما أراد البنك الدولي إقراض مصر رفضت أمريكا، وأعلنت عدم ثقتها بالاقتصاد المصري.

ومنذ قيام الجيش المصري بالانقلاب، وجمال وأبواقه يرددون هتافاتهم بالانتصار لفلسطين ويتباكون لضياع فلسطين، ويعلنون أنهم الذين سيحررونها من الصهاينة المجرمين. ومما لا ارتياب معه أن محمد نجيب وكثير من الجيش المصري كانوا صادقين في قولهم، ولكن جمالًا بالذات تكتنفه ظلال من الريبة لم تعد خافية على أحد، فقد وجهت الأبواق الناصرية لشتم قادة العرب وزعمائهم؛ فقالوا عن حسين بن طلال: إنه سليل الخيانة. وعن قاسم: إنه مجنون، ومختبئ في وزارة الدفاع. وعن الحبيب أبو رقيبة: أنه فرنسي. ودبروا المؤامرات، وشتموا زعماء السودان، وسوريا، ولبنان، واليمن، والسعودية. واتهموا كثيرين من زعماء العرب بخيانة قضية فلسطين حتى أشد المناضلين فيها، وكان هذا جزء من مخطط رهيب، هو إثارة الفتن في البلاد العربية، وإشغال كل قطر بنفسه، حتى يكونوا هم الذين ينظر إليهم العالم، سواء في داخل البلاد العربية، أو خارجها، على أنهم الذين يحسنون قيادة العرب وتحقيق أمانيهم، وكان الهدف واضحًا فهو تحقيق مطامع عبد الناصر في رئاسة

---

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٢٨) الأحد ٨ محرم سنة ١٣٨٢هـ.

إمبراطورية ضخمة، ثم استيلاؤه على آبار الزيت والذهب الأسود، والعبث بدخلها. وبالتالي تصفية قضية فلسطين لقاء مئات الملايين من الدولارات واسلجنيهات والماركات.

لأنه سيكون المتحدث باسم العرب في زعمه. هذه الخطة وتلك معالمها، وعندما وقع العدوان على مصر عام ١٩٥٦ أمر الدكتاتور بسحب القوات المصرية من قطاع غزة وسيناء، وترك الأسلحة والمعدات الحربية نهبًا لإسرائيل، وترك الفلسطينيين لقمة سائغة للصهاينة، يفتكون بهم أفظع فتك، وقد اعترف بأن الجيش السوري قد رغب في دخول المعركة؛ دفاعًا عن بقايا فلسطين، وأن الحكومة السورية راغبة في دخول المعركة.

ولكنه رفض؛ تنفيذًا للخطة الشيطانية، وقد كان من الممكن أن يدخل الجيش السوري المعركة بصفة غير رسمية كمتطوعين، وانجلت معركة السويس، وجاء البوليس الدولي، ولا ندري لحماية من؟

وفتح لإسرائيل طريق مائي في خليج العقبة، وتساءل الناس: لماذا طال بقاء قوات البوليس الدولي؟ ولماذا فتحت إسرائيل ممرًا مائيًا على مسمع الجيش المصري وبصره؟ وكان الصمت المريب من جمال وعصابته.

وتبدل موقف أمريكا وبريطانيا، فبدأ التقارب والتصافي، وأعلن جمال اشتراكيته الحمراء، ولكن القروض الأمريكية، والمساعدات الأمريكية لا تزال تنهال على جمال عبد الناصر، رغم أن أمريكا العدو اللدود للشيوعية ومشتقاتها، ولكنها الصديقة المخلصة لبني صهيون، ولا يضيرها أن تدفع المال راحة لبال إسرائيل، وبريطانيا هي الأخرى بدت سخية باذلة لجمال ووزير اقتصاده- على خلاف عادتها- وتغيرت لهجة بريطانيا حيال جمال وعصابته، فصاروا يتحمسون للدفاع عنه. وحتى إذاعة إسرائيل خففت من (لذعاتها) لجمال وأبواقه وأتباعه، وهي تنسحب من عدائه بانتظام، وما بقي فهو لذر الرماد في العيون.

وعندما خطب جمال عبد الناصر في بور سعيد ، طمأن إسرائيل وصرَّح بما ينتويه إزاء قضية فلسطين فقال : إنه لن يحرر فلسطين حتى يقضي على الحكام العرب الذين قال : إنهم الطابور الخامس ، وحتى يقضي على الرجعية في البلاد العربية .

ومن هم الرجعيون ؟ إنهم الذين يرفضون اشتراكيته الحمراء .

وإذا علمنا أن الذين يرفضونها يقاربون التسعين في المائة- أو أكثر- أدركنا أنه قد تواطأ مع الصهاينة على إنهاء قضية فلسطين .

ومنذ ليال قريبة ، أذاع راديو إسرائيل ، حديثًا عن تمجيد الاشتراكية ، وبيان محاسنها ، والمعنى في نفس الشاعر ، كما يقولون .

وفي الحديث الذي نشرته صحيفة البلاد في عددها (١٠١٧) في ٨٢/١/١٤.

عن محاضرة المندوب الأمريكي تشتر بولز المندوب الشخصي والمستشار الخاص لرئيس جمهورية أمريكا كندي .

ونشرت صورة منه بالزنكو غراف ما يدل دلالة أكيدة على الاتجاه المنحرف الذي يسير فيه جمال ؛ لإذابة قضية فلسطين ، وقبض ثمنها عاجلًا . فقد قضى بولز أربعة أيام في مصر حافلة مع الرئيس عبد الناصر وبعض كبار مستشاريه الاقتصاديين والسياسيين ، وهو متفائل بنتائج محادثاته ، وبعد فقد قال بولز : وكذلك علاقتنا مع مصر ستظل مشروطة باعتقادنا الراسخ بأن استقلال إسرائيل وسلامة أراضيها ، يجب أن يحافظ عليهما ، فهذا هو الهدف إذًا ، وهذا هو الغاية من ذلك الود والتقارب بين الأمريكيين وبين جمال عبد الناصر فقد برح الخفاء .

وإذا كانت إذاعات جمال ما فتئت تذكر فلسطين ، فإنما لتؤكد أن جمالًا هو الذي يحق له البيع- بيع فلسطين- وقبض الثمن . وما أبخسه من ثمن ، وما أخسره من بائع .

وسيعلم المخدوعون ، أي زعيم مزيف ، ورائد ضال ، قد خدعوا به ، وبدعاواه الكاذبة ، وفي الأيام معتبر .

جمال .. وميثاقه الوطني(١)

وضع جمال عبد الناصر ما دعاه بالميثاق الوطني . وتدور فيه حاليًا مناقشات وخطب ، وأن من يستمع لذلك الميثاق والمباحثات الدائرة فيه- يدرك- بما لا يدع مجالًا للشك- أن جمال عبد الناصر قد صمم على تنفيذ المخطط الشيوعي ، وأنه قد رأى في الشيوعية الحمراء ضالته المنشودة ، وأنه قد أراد لمصر وللبلاد العربية- بأجمعها- أن تسقط في حفرة الشيوعية المهلكة . وقد صح ظننا فيه من أنه قد نهج منهج أستاذه تيتو الذي يعتنق الشيوعية كمبدأ ، وإن كان يختلف مع سياسية الكرملين أحيانًا .

وإن من يستمع للمناقشات الدائرة حول الميثاق الوطني- المزعوم- يتجلى له التناقض الغريب ؛ إذ إن الشعب المصري في وادٍ ، وحكامه الطغاة في وادٍ ، آخر .

وكأمثلة على ذلك ما تكلم به الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ أحمد الشرباصي ، على الرغم من تبعية الأخير وانقياده معهم .

فإنه بدأ في هذا المؤتمر البون الشاسع الذي يفصل بين الحكام وبين الشعب المصري ولا سيما بين علماء مصر وحكامها ، وفي ليلة الخميس الموافق ٢٧- ١٢- ٨١ تكلم الشيخ الغزالي فكان صريحًا جريئًا وكان حديثه يدمي الفؤاد ، ويبين للعالم مدى ما وصلت إليه الحالة في مصر ؛ من انسياق حكامها وصحافتها وراء الشيوعيين والملحدين . تحدث الشيخ الغزالي عن راسم الكاريكاتير القذر الذي سخر بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وقال : ده محمد افندي اللي متجوز ٩ .. والصحفي الذي قال : إن تقبيل الحجر الأسود من بقايا الوثنية . وعن الصحفيين الذين جعلوا ديدنهم الهزء بالدين وعلماء الدين .

وعن الحانات المفتوحة ليلًا ونهارًا لشرب الخمور وبيعها وعن البغاء ،

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٢٧) الأحد ١ محرم سنة ١٣٨٢هـ .

وتحدث عن دور الأزهر في الكفاح ضد الاستعمار والإلحاد والتفسخ، وكأنه يقول : حطمتم القلعة العتيدة للإسلام في مصر.

وقد سبق أن تحدث الشيخ الغزالي في ليلة سابقة في مواضيع مشابهة ولكن أمين المجلس «أنور السادات» كان لا يخفي ضيقه وتبرمه ومقاطعته للشيخ الغزالي ونفس الشيء كان بالنسبة للشيخ الشرباصي، عندما تحدث عن واجب الدولة في صيانة الأخلاق.

إن البون شاسع، والهوة سحيقة، بين حكام مصر الشيوعيين، وبين الشعب المصري، وعندما يتأمل المرء الفئات التي تتحدث في المؤتمر الوطني- كما يسمونه- يجدهم ما بين صادع بالحق معلن سخطه على الاتجاه الأخطر الذي يسير نحوه الحكام في مصر وأبواقهم وجواسيسهم، وما بين مغرر به، ومخدوع، فهو يتكلم ضد ما يريدون، ولكنه يظن بهم الخير، ويحسب أنهم سوف يأخذون بعين الاعتبار، آمال المسلمين في تحكيم الشرع، وتجنب المبادئ الهدامة والمذاهب المخربة.

وهناك فئة المأجورين والمنافقين الذين يسعون لتحقيق أغراضهم الشخصية من التافهين الذين لا يهمهم دين ولا يعنيهم مبدأ، وليس لديهم كرامة أو أنفة.

وإن من ينعم[1] النظر في سيرة جمال عبد الناصر وعصابته، يجد أن الحقد الأسود قد طغى عليهم، وخاصة بعد أن لقنتهم سوريا درسًا لن ينسوه، وأنهم لذلك يريدون إثارة الفتن والقلاقل، ولا يخفون غيظهم من تحكيم القرآن، وسخطهم على علماء الإسلام، وبغضهم للهدوء والاطمئنان.

إنهم يحيكون مؤامراتهم لإثارة الفتن وجر البلاد الإسلامية والعربية إلى هوة الشيوعية الحمراء. ومن واجب الأمة، الوقوف في وجههم، وتحطيم آمالهم

(١) يقال : أمعن النظر، وأنعم النظر. انظر «تاج العروس».

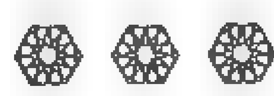
الشريرة ، وقد سمعنا عن مؤتمر اقتصادي عربي يعقد في مصر ، وإنا لنعجب أشد العجب أن يكون هذا . إن مثل هذا المؤتمر ليس في صالح بلادنا قطعًا ، وكيف يكون هناك وحدة اقتصادية عربية أو سوق عربية مشتركة وحكام مصر الحاليين هم المسيطرون على الحكم "ألم يكفنا ما سلبوه من أموال الشعب السعودي باسم التأميم والمصادرة ، وهو يقدر بمئات الملايين ؟ ألم يكفنا ما لفقوه ضد هذه البلاد ؛ حكومة وشعبًا ومفكرين وعلماء ، من أكاذيب وترهات ؟

«ألم يكفنا ما عرفه عنهم الخاص والعام من نقض للعهود ونكث للوعود ؟

ألم يكفنا ما رأيناه منهم من تدبير المؤمرات وأحداث القلائل والفتن .

ألا يكفي : أنهم قد اختاروا الشيوعية دينًا ، وليس للشيوعية دين أو خلق .

ألم يكفنا : أنهم لصوص فاقوا عصابات شيكاغوا في سطوهم ونهبهم ، إننا نقولها صريحة : كنا ننتظر أن ترفع شكوى ضدهم في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة لاهاي . بدلًا من الاجتماع معهم في مجلس يبحث الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة ، حتى مجرد اجتماع ، ولو لم يكن له أي نتيجة ، وحسبنا ما تجرعناه من أولئك الفراعنة بسبب اللين معهم والتسامح . فإلى متى هذه المراعات الزائدة عن اللزوم ؟ !



خطة لهدم الإسلام(١)

لقد عادت صحف القاهرة، وحكامها، وأبواقها، في الهزء بالإسلام، وتنقص الأنبياء والأديان، وبلغوا في ذلك شأوًا، فاقوا فيه كل من سبقهم في هذا الأمر، وقد رأينا في تلك الصحف، وسمعنا من تلك الإذاعات البكباشية، صنوفًا وألوانًا من التهجم على الإسلام والاستهزاء به، ومن نشر للخلاعة والمجون على أوسع نطاق. ورأينا كيف صنعوا بمن يدعو للإسلام ممثلًا في الفتك بالإخوان المسلمين، ثم إلغاء المحاكم الشرعية، ثم في تحطيم الأزهر وإبعاده نهائيًا عن هدفه الأساس، وإذابة شخصيته، بما زعموه من تطوير، هو الإفناء، فأدخلوا فيه العلوم الكثيرة بحجة توسيع الثقافة، وهو لهدف سيء، ومقصد شرير، ذلك الهدف هو القضاء على تعاليم الإسلام، ودراسة الدين دراسة عميقة فاهمة.

وجاءت دعوى العدالة الاجتماعية وتلتها الاشتراكية العربية الديمقراطية، وأعلنتها صحف القاهرة وإذاعتها حربًا على الإسلام، وتسمية من يناوئ الاشتراكية الشيوعية بالرجعيين والجامدين.

ورأينا كيف ينشر الإلحاد، ويختار الملحدون للمجالس التي هي بمثابة البرلمان لديهم، فنرى الرئيس المصري يخاطب خالد محمد خالد بأنه لم يعطل الحريات، والدليل أنه لم يمس خالد محمد خالد بأذى، ولم يعارض في أن يكون ممثلًا للأمة المصرية في اللجنة التحضيرية، مع أنه ألف كتابًا ينكر فيه وجود اللّٰه.

وفي كل يوم نقرأ ونسمع من الغرائب والعجائب، ما لا يصدقه العقل، أو يخطر بالبال، فقد تمادوا وطغوا إلى أقصى حد في الطغيان، وإلا فما معنى أن تنشر «جريدة المساء» المصرية ذلك التهكم البذيء وتلك الرقاعة والزندقة في

---

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٢١) الأحد ١١ ذو القعدة سنة ١٣٨١هـ.

صورة كاريكاتورية للنبي محمد ﷺ في صورة ديك، ويعلق عليه بكلام بذيء.. (ده محمد أفندي اللي متجوز تسع) إنه لتماد في الكفر، وإيغال في الزندقة والإلحاد، ثم يبقى الكاتب يسرح ويمرح مكرمًا.

وبعدُ؛ فما رأي علماء المسلمين في المشارق والمغارب في حكومة تشجع مثل هذه الكفريات وتوافق على نشرها في صحفها المؤممة، وتوعز بنشرها رغبة مجنونة في تحطيم الدين ومعاداته.

أليس مثل هؤلاء سبة وعارًا على العرب والمسلمين، وأن الإسلام منهم براء.

إن على المسلمين أينما وجدوا، أن يهبوا للدفاع عن دينهم، وأن يستنقذوا ما تبقى في مصر من الدين من مخالب أولئك الشيوعيين الملحدين، قبل أن تصير إلى تركستان أخرى أو ألبانيا ثانية.

إن على المسلمين واجب عظيم في جهاد أولئك المعتدين بالقلم واللسان والسيف والسنان، وإن لم يفعلوا فإن الأمر خطير ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: الآية ٧٣].



محاولات دنيئة(١)

محاولاتٌ دنيئة؛ تلك التي يقوم بها المبشِّرون بين الفلسطينيِّين، لقد جاء هؤلاء النصارى يدَّعون ظاهرًا أنهم يَخدُمون فكرةً نبيلة، هي: خِدمة المرضى، والعطف على المساكين والمنكوبين، ولكنَّها لم تكن لذلك الغرض الخلَّاب، وإنَّما جاءت لتحاولَ نَشْر النصرانية بين المسلمين، وتشكيكهم في دِينهم.

ولقد أحسن الأستاذ أحمد السباعيُّ إذ كتب في مجلَّة «قريش» العدد (١١) عن هذا الموضوع الخطير، وأطْلَع القُرَّاءَ على ناحية هامَّة لها وقْع مؤلِم في نَفْس كلِّ مسلِم.

وأنقُل إليك أيُّها القارئ بعضَ ما ورد في كلمة الأستاذ النشيط، قال:

كان صاحبي يُحدِّثني وهو يُشير إلى العيادة الطبيَّة التي أقاموها في مخيمات اللاجئين في الحروب، وتركوا ألوفَ المرضى يتجمهرون حولها في صُور تنطق بآلامهم، فقال: إنَّ هذا المستشفى تبشيريٌّ، اسمه مستشفى البركة، إنَّه يقدِّم خِدْماته للمرضى من اللاجئين، ويبثُّ تعاليمه فيهم، فيفرض عليهم الصلاة في كنيسة المستشفى، ويعلِّمهم العبادةَ حسب الطقوس النصرانية، لقد أنشأ هذا المستشفى مبشِّر إنكليزي قضى ١٥ سنة في السودان يعمل للتبشير، وتنفق عليه اليومَ جمعياتٌ خيرية.

أتدري؟ إنها جمعيات مسيحيَّة، تنتشر فروعها في أمريكا وبريطانيا، أيكفيك هذا؟

إن كان لا يكفيك، فاعلم: أنَّ وكالة الغوْث للأمم المتحدة تساعد هذا التبشير، وتُعين عليه، فتتبرَّع بتموين المستشفى مجانًا، ألا ترى أنَّ في هذا الخطر المحدِق ما يكفي للقضاء على عقائد إخوانٍ لنا نعتزُّ بإسلامهم، وأنَّ فيما يقاسون

(١) صحيفة القصيم، العدد (٩) في ١٣٧٩/٧/٢٧هـ.

من أنواع الحِرْمان والجوع والأمراض ما يُعرِّضهم للإبادة والانقراض ؟!» .

هذا ما دبَّجه يَراعُ الكاتب البليغ ، وهو كما يقول صادقًا في وصْف هذه الحالة المروِّعة عن فلسطين ، أصبحت مُعرَّضة لأهوال ما تتعرَّض له أمَّةٌ منكوبة .

هذه الكلمة التي جاءتْ نذيرًا للمسلمين ، ومحرِّكًا لهم لكي يعملوا شيئًا لإيقاف هذه الأعمال الشاذَّة ، والتصرفات الباغية ، التي تنتهجها دول الاستعمار ، وتَكِلُ أمرَ تنفيذها لمبشِّرين حاقدين على الإسلام والمسلمين ، والذين لا يفتأون يعملون ليلَ نهارَ في نشْرِ النصرانية في العالم ، وخاصَّة بين المسلمين ؛ إذْ هم يَرَوْن في الإسلام أكبرَ عقبة تقف في طريق انتشار النصرانية ؛ لِمَا فيه من شمول ورحمة وكمال .

إنَّ هذه الكلمة التي جاءتْ على لسان الأستاذ السباعي وصاحبه ، وحملتها صحيفةٌ في أقدسِ بقعة يجب ألَّا تذهب سُدًى ، ولو أن كلمة مثل هذه قيلت في خطر يتهدَّد النصارى أقل من هذا ، ونُشِر في بلد مسيحي لقامتْ قيامةُ الحكومات والمبشِّرين والكتَّاب ، ولبادرتِ الجمعيات برصْد الأموال الطائلة للمساعدة .

أمَّا هنا في أقدس بقعة في العالَم ، في مهبط الوحي ، وفي الحرمَين الشريفين ، وحيث شعَّ نور الإسلام وضاء ، ويحمل في طيَّاته الخير والعدل والرحمة ، وحيث قام سيِّد الخلق ﷺ صابرًا محتسبًا يؤدِّي رسالته السامية ؛ ليستظلَّ بوارف ظلِّها ملايين عظيمة- أقول : في هذه المواطن يجب أن يكون لكلمة السباعي دَوِيٌّ وأثر ، وأن تكون لها نتيجةٌ فعَّالة ، لا أن نقرأها كما نقرأ خبرًا عابرًا ، أو قصة خيالية تُمحَى من الذاكرة بعدَ قراءتها مباشرة !

إنَّنا ننتظر أن يقوم الجميعُ بما يستطيعون في هذا السبيل ، وأن نرى بصفة خاصَّة أثرَ هذا الخبر لدى العلماء الذين هم في مركز القِيادة ، والذَّوْد عن حِمى الإسلام ، والغَيْرة على الإسلام والمسلمين .

وأحبُّ أن أُضيف بهذه المناسبة كلمةً وردتْ في كتاب «التبشير والاستعمار

في البلاد العربية» (ص : ١٨١) ، وهي : أنَّ المبشِّرين كانوا جدُّ[١] مقتنعين بأنَّ جمع اليهود في فلسطين يُسهِّل لهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين ، من أجْل ذلك أرادوا أن يفتحوا أبوابَ فلسطين على مصاريعها لهجرة اليهود ، فليس من المستغرَب إذًا أن تجد سبعًا وعشرين جمعية تبشيريَّة مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا مَللٍ في فلسطين .

كما ورد في الكتاب نفسِه في فصل « التطبيب حِيلة للتبشير » : إنَّ المبشِّرين اتَّخذوا من الطب ستارًا للتبشير بين المرضى ، وقد كان أوَّلَ مَن غيَّر سُنَّة أبقراط الجميلة الأمريكيُّون ، حينما بدؤوا يُنشِئون عيادةً طبية في (سيواس) بتركيا عام ١٨٥٩م ، وهكذا نظر الأمريكيُّون منذ ذلك الحين إلى الطبِّ على أنه مُعينٌ على التنصير ، ومنذ ذلك الحين اعتبر الأمريكيُّون الطبَّ مشروعًا مسيحيًّا .

وعلى هذا قال الطبيب بول هاريسون في كتابه «الطبيب في بلاد العرب» (ص : ٢٧٧) : إنَّ المبشِّر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ، ولو بلغتْ منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها ، لقد وُجِدْنا نحن في بلاد العرب ؛ لنجعلَ رجالها ونساءها نصارى ، ولا ريب في أنَّ الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس ، حتى أولئك الذين لا يُخالِطون غيرَهم .

ولذلك قال المبشِّرون : إنَّ بإمكان الطبيب المبشِّر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يُعالِجهم ، ثم إنهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشِّر نُسخةً حيَّة من الإنجيل ، بإمكانه أن يُغيِّر الذين حوله ، ويجعل منهم نصارى حقيقيِّين ، أو أن يترك في نفوسهم أثرًا عميقًا على الأقل ، والمبشِّرون يصرِّحون بذلك .

كتب س . ا . موريسون في مجلَّة « العالم الإسلامي » التبشيرية ، يقول :

---

(١) في الأصل : « كما نواجد » .

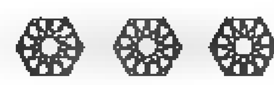
نحن متفقون بلا ريبٍ على أنَّ الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجِين في المستشفيات أن نأتيَ بهم إلى المعرفة المنقِذة ؛ معرفة ربنا يسوع المسيح ، وأن نُدخِلَهم أعضاءً عاملين في الكنيسة الحيَّة .

يقول رشتر : في هذه المناسبات مِن التطبيب في مُستوصَف أو مستشفى ، يمكن للطبيب أن يخاطبَ المسلمين بكلام كثير ، لو سمعوا بعضَه في مكان غير المستشفى ، ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظًا وغضبًا .

وقالت إيراهاريس- تنصح الطبيب الذاهب بمهمَّة تبشيرية- : يجب أن ننتهزَ الفرص ؛ لتصلَ إلى آذان المسلمين وقلوبِهم ، فنكرِّر لهم بالإنجيل ، إيَّاك أن تضيِّع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنَّه أثمنُ تلك الفرص على الإطلاق ، ولعلَّ الشيطان يُريد أن يفتنك ، فيقول لك : إنَّ واجبك التطبيب فقط لا التبشير ، فلا تسمع منه" .

هكذا يدأب المبشِّرون في نشْر النصرانية ، ووراءَهم الجمعياتُ والأثرياء ، والحكومات أيضًا .

أمَّا واجب المسلمين شعوبًا وحكومات ، وأمَّا واقعهم فأمرٌ يدعو للغرابة ! فمتى يهبُّون من غفوتهم الطويلة ؛ ليكافحوا الأخطار المحدقة بهم من كلِّ جانب ؟ !



انبذوا خلافاتكم أيها العرب(١)

تكرَّرت الاعتداءاتُ الإسرائيلية في الآونة الأخيرة على الحدود السورية والأردنية بصفة استفزازية ،وإثارة للأعصاب ، وقد ظنَّت إسرائيل أنَّ انشغال الدول العربية بخلافاتها ومهاتراتها سيجعل الفرصةَ مؤاتية لفرْض الصلح على العرب ، والاعتراف بالكيان الصّهيوني كحقيقة واقعة ، مثيرة انتباه العالَم ، ومستدرة عطفَه عليها ، في زعمها حرْصها على السلام في منطقة الشرق الأوسط ، بينما تقوم أمريكا وبريطانيا وفرنسا بالضغط على العرب ، وتهديدهم ، كلُّ هذا أمرٌ لا شكَّ أنَّ إسرائيل تريده ، وقد عملتْ له ، وبذلتِ الجهودَ في سبيله ، ولا ريب أنَّ العرب يدركون هذه الحقيقة ، وسوف لا يرضخون للضغط الصّهيوني وضغط حلفاء الصهاينة ، لفرْض الصلح على العرب ، ولن يقبلَ عربي بهذا ، مهما كلَّفه الثمن .

وقد كان موقِفُ العرب إزاءَ العدوان الصّهيوني على سوريا في الأيام القريبة وتأييدهم المطلق لسوريا يدلُّ بوضوح على تصميم العرب أجمعين على مقاومة الصّهيونية ، وردِّ عدوانها ، وحتى لو حصلتْ خلافات بينهم ، فإنهم ينسون خلافاتِهم إذا جدَّ الجِدُّ ، واقترب الخطر الأجنبي .

هذه حقائق .. واقعية ..

ولكن يجدر بنا أن نناقشَ الموضوع بهدوء واتزان ، ولنفرض أنَّ إسرائيل تهدف إلى توسيع رقعة الأراضي التي اغتصبتْها ، وقد تواطأتْ مع حليفاتها على هذه الخطَّة الآثمة ، وليس ذلك احتمالًا بعيدًا .

بل إنَّ أحلام الصهاينة ومخططاتهم ، وما يبدو من فلتات ألسنتهم ، تؤكِّد أنهم يبيتون خطَّةً إجرامية عدوانية ضدَّ البلاد العربية ،فما هو دَورُ العرب في ذلك ؟

---

(١) صحيفة اليمامة – في ١٣٨٣/٤/١٧هـ .

وما هي خططهم المدروسة بعقل وحُسْن تصرُّف واستعداد للطوارئ ؟

إنَّ التصريحاتِ المرتجلة ، والخُطبة الحماسيَّة ليستْ هي التي تَرُدُّ المعتدي ، وتهزم الجيوش ، ولكن العمل الإيجابي السريع ، والخطط المحكمة المدروسة والثقة القوية ، والإيمان باللَّه ، وأنَّه ينصر الحقَّ وأهله ، هذه الأشياء هي العواملُ الفعَّالة لسحْق العدوان ، واسترجاع فلسطين من الصهاينة المغتصِبين ، ومع الأسف فإنَّ واقع العربلا يشجِّع ، ولا يبعث على الاطمئنان ، طالما أنَّهم في شحناء وتناحر وسباب ، يقتل بعضُهم بعضًا ، ويشتم بعضهم بعضًا !

وكيف يخوضون معركةً واحدة وقد انتزعتِ الثقة منهم ، وكلٌّ منهم ينظر للآخر على أنه عدو لدود ، ومجرم خائن !!وكيف يرسمون الخططَ ، وينظمون الصفوف ، ويواجهون العدوَّ وهم على هذه الحال ؟ !

إنَّ الأمر خطير حقًّا ، ويجب أن يحسبَ له حسابه ، وإنَّ على عقلاء العربومفكِّريهم وقادتهم أن يُغيِّروا من نظرتهم لبعضهم البعض ، وأن يعملوا ما وسعهم الجهدُ على نبْذِ الخلافات ، وإزالةِ الأحقاد ، وبثِّ رُوح الصفاء والإخاء بين شعوبهم ؛ ليتهيئوا للدور الخطير الذي يُتوقَّع حدوثه ، حتى لا يؤخذوا على غِرَّة .

إنَّ واجبهم أن يدركوا أنَّ قضية فلسطين لا تخصُّ الأُمَّةَ العربية وحدَها ، وإنما هي قضية الأمَّة الإسلامية جمعاء ، وأنَّ المستعمرين الذين يناصرون الصهاينة إنما يعملون ذلك حِقدًا على الإسلام ، وتحطيمًا للمسلمين في شتَّى أقطارهم ، وتنوع أمصارهم ، وكفى مجاملةً وتزييفًا وخورًا !

ولسْنا في حاجة إلى ضرْب الأمثال ، وذِكْر الوقائع ، فالتاريخ البعيد ، والتاريخ القريب ، وواقع المستعمرين وفِعالهم الراهنة ، تبرهن بوضوح على أنَّ عقليتهم هي هي لم تتغيَّر ، وأن أحقادهم الدفينة تظهر عندَ كل حادث ، وما أحسبُ الأمَّة الإسلامية في درجة من البلاهة بحيث تَخفَى عليها حقيقةُ المستعمرين ودوافعهم .

فهل يعتبرون بالأحداث ، ويأخذون من الوقائع درسًا ينفعُهم في المستقبل ؟!

لحساب مَن هذه الخصومات ؟[1]

هذه الخصومات بين العرب ، وهذه المهاترات والتهديدات ، لحساب مَن ؟ ! ومن الذي يسعى لبقائها ، ويعمل على إثارتها ؟ !

وهذه التمردات والانقسامات في داخل بعض الدول العربية ، من أجل مَن تقوم ؟ ومن الذي يموِّلها ، ويحرِّض عليها ، ويطرب لها ؟ وبالتالي : من الذي يستفيد منها ؟

قد لا يكفي مقال أو عددٌ من المقالات لسرد العوامل والأسباب ، وشرح البواعث ، وتوضيح ما هو لازم لهذا المقام ، بحيث يضع النقط على الحروف ، ثم إنه لا بد من اللباقة في موضوع كهذا ، والتقيد بالأساليب الدبلوماسية ؛ حتى لا يقع المرء في ورطة هو غني عنها ! ولكن ما الحيلة والأمر يتطلب الصراحةَ والجدية إذا ما أريد الوصول إلى الحقيقة . ولا يعني هذا عدم اللباقة ؛ بل على العكس ، فما نريده هو اللباقة مع الصراحة .

ولقد رأينا هذه الخلافاتِ بين العرب تعصف بهم عصفًا ، وتستنزف الكثيرَ من مالهم ، ودمهم ، وعرقهم ، وسمعنا كيف يبذل في سخاء ما كان جديرًا أن يُبذل في وجوه الخير وسبل غير هذه السبل ليكون ذا نفع وجدوى .

إن الأمة العربية والإسلامية قد ذاقت الويلاتِ من الخلافات والتشتت وتمزيق بعضهم أوصال بعض ، وتكالَب عليهم الاستعمارُ والشيوعية والصهاينة والصليبية الحاقدة ، وكلٌّ أولئك يهمهم أن يستمرَّ النزاع بين المسلمين والعرب ؛ ليسهل القضاء عليهم ، ولينتقموا منهم ويشفوا أحقادهم الدفينة على الإسلام والعرب . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليسهل نهب ثرواتهم ، واستنزاف خيرات بلادهم ؛ ولينشروا مذاهبَهم بينهم بدون مقاومة ؛ وليمكنوا للصهاينة من الاستمرار

---

(١) اليمامة ، العدد ٤٢٦، في ١٣٨٣/٥/٢٩هـ .

في البقاء، وعدم تعكير صفوهم.

إن المخططات توضَع لتصفية القضايا الإسلامية والعربية، ولتقطيع أوصال البلاد الإسلامية والعربية، وإذا نظرنا إلى ما يجري في فلسطين وكشمير وأريتريا وإندونيسيا، والمؤامرات التي تحاك ضد المسلمين في هذه البلدان، وموقف أمريكا- زعيمة الصليبية الجديدة، والاستعمار بأسلوب اقتصادي- وتأييدها للبلدان المناوئة للإسلام بالمال والسلاح، والضغط السياسي والاقتصادي- علمنا أي مخطط جهنمي قد رُسم للقضاء على الأمة الإسلامية في شتى أقطارها وأمصارها، والصهيونية يهمها أن يبقى العرب والمسلمون متخاصمين متعادين؛ لتستمر إسرائيل في اغتصابها وعدوانها.

والشيوعية العالمية هي الأخرى تريد أن يظل المسلمون متخلفين متناحرين؛ لتنشر مذاهبها الهدامة، ومبادئها الإلحادية، وهكذا تتكتل جهودٌ كثيرة، وجهات متعددة ضد العرب والمسلمين، ومع الأسف إن العرب والمسلمين لم يشعروا بما يحاك لهم من شرور ومؤامرات، أو أنهم يتجاهلون ذلك على ما فيه من أخطار فادحة، ومصائبَ جسيمةٍ، وكلا الاحتمالين فظيع.

أيها العرب، أيها المسلمون: انبذوا الخلافات، واهرعوا إلى التصافي بينكم والتعاضد؛ فهذا واجبكم، وهذه مسؤوليتكم، فكفى خصامًا وتشتتًا، وحسبكم ما أصابكم من المستعمرين وأعداء العروبة والإسلام، فهل أنتم فاعلون؟!



إلى متى ؟![1]

إلى متى والعرب في انقلابات وثورات ودماء؟ !فما أن تهدأ ثورة حتى تعصف بها ثورة ، وما أن يحدث انقلاب حتى يطيح به انقلاب ، حتى أضحت الانقلابات والثورات في المحيط العربي وكأنها أمر عادي لا يثير كثيرًا من الانتباه .

مع أن الدماء تسفك بغزارة ، والضحايا بالمئات والآلاف وعشرات الآلاف ، والأرحام تقطع ، وأطفال يصبحون مشرَّدين بعد حنان الأبوين ، وثكالى يذرفْنَ الدمع بغزارة !! والعدو قرير العين ، قد وجد من يخدمه في تمزيق العرب والمسلمين ، ويظل هو بعيدًا عن مسرح الأحداث ، يحركها من بعيد ، ويترقب الفرصة ؛ ينقضّ على الفريسة المثخنة بالجراح بعد أن تسقط من الإعياء !! وإسرائيل- الخنجر المسموم في قلب البلاد الإسلامية والعربية- تطرب لهذا التناحر ، وتمضي هي في خططها العدوانية .

وهؤلاء القائمون بالثورات في البلاد العربية منصرفون بكل قُواهم إلى تثبيت دعائم حكمهم ، الذي ينهار قبل إرسائه .

إنني لا أقصد ثورة واحدة ، أو انقلابًا معينًا ؛ ولكنني أتساءل مع الكثيرين :ترى أليس هناك وسيلة للإصلاح- إذا كان الهدف الإصلاح- غير الانقلابات تلو الانقلابات ، والدماء تصطفق مع الدماء ؟! ومَن المسؤول عن هذه الأحداث التي تحطم كيان العرب ، وتهدُّ قواهم ؟!

ولو أن هذه الأموال التي تذهب في إحداث الانقلابات ، وتثبيت الحكم ، أقيمَ بها مشاريع ، وأُسستْ بها مصانع ، ورُفع بها من مستوى الفلّاح والفقير في العالم العربي ،أليستْ حينئذٍ أجدى وأنفعَ ؟! وهذه السواعد القوية ، والنشاط

(١) صحيفة اليمامة – في ١٣٨٣/٧/٥هـ .

المتدفق حيوية، لو صرفتْ إلى أعمال البناء والتشييد، ألم يكن أولى من بعثرتها في ثورات وانقلابات ؟!

وربَّ قائلٍ يقول: إن عسف المسؤولين عن الحكم هو الذي يسبب الانفجار ؟! ولهذا الرأي وجاهته، ولكن أليس من الممكن تلافي ذلك بإبداء الرأي، وانتقاد الخطأ، والمعارضة البناءة الهادفة ؟! وإن كانت هذه قد تفتقد في كثير من العالم العربي نتيجة لعوامل عديدة.

ولو أن أولئك الحكام أتاحوا فرصة التعبير لمن يريد النقد والمعارضة، وحاولوا تصحيح الأخطاء، لربما سلموا من مشاكلَ طويلة، وخلَّصوا الأمة العربية من هذه المآسي الدامية.

وإن كان هذا لا يكفي مبررًا لكي يقوم كلٌّ من له آراء بفرضها بالقوة والسعي؛ للاستيلاء على الحكم بالبطش والإرهاب وسفك الدماء.

إننا نتمنى أن تقتصد الأمة العربية في هذه الأحداث الفاجعة، وأن تخطط لمستقبلها على أسسٍ سليمة فيها نتيجة التجارب المريرة، والخبرات المتكررة «ولا يُلدَغ المؤمن من جحر مرتين»، وأن توفر إمكانياتها للعمل الجاد المثمر، والبناء الحكيم، وتقوية بلادها في جميع المجالات، في ثقافتها واقتصادها، وصناعتها وجيشها.

وفق اللَّه الأمة الإسلامية والعربية إلى ما فيه الخير والعز والازدهار.



درس من زنجبار[(١)]

إن ما تتناقله الإذاعات والصحف ووكالات الأنباء عن الانقلاب الشيوعي في زنجبار- هو شيء غاية في الفظاعة والوحشية، فهناك يُقتل العرب والمسلمون بالمئات في عملية إبادة جماعية، ومجزرة رهيبة، تبرز الحقدَ العنصري، والتعصبَ الإلحادي ضد العرب المسلمين، الذين نشروا النور والمعرفة، ودعموا اقتصاد هذه البلاد، فتألَّبتْ عليهم القوى الشيوعية محاوِلةً استئصالَهم نهائيًّا؛ حتى لا يبقى فيها عربي ولا مسلم، ومع ذلك فإنه كانت هناك بوادر سابقة لهذا الحديث الفظيع، وكان من الممكن أن يعمل العرب والمسلمون شيئًا لتأييد إخوانهم العرب المسلمين، إلا أن العرب والمسلمين- مع الأسف- كانوا غارقين في خلافاتهم، وحماستهم لمذاهبَ دخيلةٍ، ومبادئَ لا تتفق ومبادئَهم وعقائدهم وتاريخهم المجيد.. وكأن أمر المسلمين في زنجبار، وما يحف به من خطر محدق، شيءٌ لا يعنيهم في قليل أو كثير.

وفي الوقت الذي يوشك المسلمون على زلزلة كيانهم وسلطانهم في زنجبار، كانت الدعايات الطويلة العريضة تنادي بالتفكك بين العرب والمسلمين، بما تروج له من عنصرية وقومية، ونعرة وطنية، واشتراكية مستوردة؛ مما سبَّب الفرقة بين أبناء البلد الواحد، وباعَدَ بين المسلمين من العجم والعرب.

وغفل المسلمون والعرب عمَّا يفرضه واجبُهم الديني نحو مناصرة المسلم لأخيه المسلم، وجهاده في سبيل اللَّه بالنفس والمال، وبكل وسائل الجهاد.

ولقد كان جديرًا بالمسلمين أن يعتبروا بأحداث التاريخ القريبة والبعيدة، في الأندلس الضائع، والحروب الصليبية، وفي الاستعمار الغربي الحديث، وفي

(١) اليمامة، العدد (٤٥٤)، في ١٣٨٣/٩/٩هـ.

حرب السويس، وفي الاضطهاد الشيوعي للمسلمين في الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية، وغيرهما من الدول الشيوعية الماركسية.

وكان حريًّا بالمسلمين أن يتخذوا موقفًا حازمًا، وسياسةً حكيمة لأعظم هدف، وأسمى غاية، وهو نصرة الإسلام والمسلمين، ومؤازرة الحق والعقيدة السليمة، حيث تذوب الفوارق الجنسية والوطنية والقومية والشكلية.

إننا نسمع- مع أشد الحزن- باضطهاد المسلمين وتشريدهم، ونقرأ عن المجازر المتعمدة لإبادتهم في بلاد كثيرة، فلا يتحرَّك الزعماءُ في البلاد الإسلامية، ولا يعلنون غضبَهم واستنكارهم، ولا يقدِّمون معونتهم لإنقاذ إخوانهم المسلمين من المحن العصيبة، والفتن الكبرى.

بينما نجد الشيوعية العالمية تحتجُّ وتهدد عندما يتعرَّض بعض الأفراد الشيوعيين المخربين في أي بلاد إلى اعتقالات أو محاكمات، ونرى الدول الغربية تهبُّ في زمجرة وصراخ إذا سُجن أي فرد من شعوبها في أيٍّ دولة.

وعندما اضطُهد البوذيون في فيتنام الجنوبية أقام البوذيون الدنيا وأقعدوها؛ حتى أطاحوا بالحكومة التي كانت تمارس اضطهاد البوذيين.

أما العرب والمسلمون، فإن دولًا عربية بكاملها تمحى من الوجود، وتتعرَّض لأقسى أصناف التعذيب والاضطهاد الوحشي، فلا يحرِّكون ساكنًا؛ بل ويخجلون من تحدُّثهم باسم الإسلام، والدفاع عن إخوانهم المسلمين؛ حتى لا يقال عنهم: إنهم طائفيون ورجعيون.

عجب، وأي عجب لهذا الواقع المؤلم؟! إنه يجب أن يعيد الزعماء المسلمون النظرَ في سياستهم هذه، وأن يتخذوا مواقفَ موحدةً ثابتة، تقوم على أسس نصرة المسلمين المضطهدين في أي ناحية في العالم، وأن يعلنوها صريحة بلا تورية.

ولهم من القوة المادية والبشرية ما يكفل لهم الاعتبار الهائل، والكلمة

المسموعة ، والعلم المثمر- إذا ما توفر حسن النية ، وصدق العزيمة .

إن المسلمين في هذه الآونة يتعرضون لأقسى مؤامرة وحشية في فلسطين ، وقبرص ، والحبشة ، وعمان ، وعدن ، والتركستان ، وألبانيا ، وواجب المسلمين في كل مكان مناصرةُ إخوانهم هؤلاء المضطهدين بكل وسائل المناصرة .

وإن لم يفعلوا ، فسوف يأتي دورهم في التصفية والفتن والتشريد ، حسب المخططات المرسومة من أعداء العرب والمسلمين ، فهل يتعظون بما حدث ، أو أنهم في غفلتهم سادرون ؟! وكل ما نأمله أن يأخذوا العبرة مما جرى ، وفي بعضه كفاية .



لماذا هذا العنف ؟[١]

وقوع الأحداث في أي بلد أمرٌ عادي ، وتغيُّر الحكومات وتبديل الوزارات شيءٌ لا غرابة فيه ، ولكن سلوك بعض هذه الحكومات والوزارات غير إنساني وغير أخلاقي ، إننا نسمع باستمرار تغير الوزارات والرؤساء والحكومات في العالم ، دون أن يُثار الضجيج ، ويُستعمل السلاح ، وتُكال الشتائم ، يستقيل الرئيس أو الحكومة ، ويحل محلَّهما غيرُهما ، فلا ينتقم الخلف من السلف ، ولا تسيل الدماء وتنتهك الحرمات ؛ بل يظل السابق محتفظًا بكرامته وتقديره ، وقد يكون له أخطاء فادحة حصلت اجتهادًا ، فلا تنصب له المشانق ، ولا يسحل في الشوارع ، ولا ينعت بأقذع النعوت ؛ بل ينتقد ، ويقصى عن الوظيفة في هدوء ، وفي عدل .

ولستُ بحاجة إلى التشخيص ، ولكن على سبيل المثال : ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق ، الذي ارتكب جريمةً عالمية بإلقاء القنابل الذرية على اليابان ، إنه ما زال حيًّا ، له مكانته ، وإن انتُقد في تصرفاته ، ولقي الاستنكار لفعلته الشنعاء ، التي هي من أفظع الجرائم وأشدها همجية .

و« تشرتشل » ، لقد نيف على الثمانين من عمره ، وتعاقبت وزاراتٌ بعده ، ومع هذا لا يزال يلقى الاحترام من مواطنيه من خصوم وأصدقاء رغم أخطائه العديدة .

ولكن المؤسف أن يصبح طابعًا للعالم العربي هذا العنفُ والقسوة ، وسفك الدماء ، وإنه لشيء خطير أن تكون قاعدة مطردة أنه كلما غضبتْ فئة أو فئات من الشعب ، تثور على الحكومة الحاضرة ، ثم تنتقم من الحكام بطريقة فظة عنيفة يعرفها الجميع .

---

(١) اليمامة ، العدد ٤٠٣، في ١٣٨٣/٣/٨هـ يراجع .

وليت أولئك المنتقمين يعتبرون بسلفهم ؛ ليخفِّفوا من غلوائهم ، فلا يُمعنون في الانتقام والتشفي ؛ لأنهم سائرون على الدرب الذي نهجه سلفهم- ما داموا قد اتبعوا أسلوبه العنيف- وأي مأساة تقع إذا كانت الدماء تسيل أنهارًا بين من يختلفون في الرأي ؟! وأي نتائج ستجنيها الأمةُ العربية من هذه الأفعال القاسية التي يورثها الآباء للأبناء والأحفاد ؟! ولماذا لا يحتذي العالم العربي حذوَ غيره من الشعوب التي تغيِّر حكوماتها- إذا رأت مصلحة في ذلك- في هدوء واطمئنان ؟!

فالعرب أحقُّ مِن تلك الشعوب بهذا وأولى ، حيث إنهم يعتنقون دينًا سمحًا ، يدعو للإخاء والعدالة ؛ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: الآية ٨] ، دينًا يدعو إلى حفظ كرامة الإنسان ، والأمن على دينه وماله وعرضه ، دينًا يفتح باب الاجتهاد ، ويدعو للتسامح والمحبة ، ويوضح أن من اقترف إثمًا مهما كان ثم تاب ، فإن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا .

ولكن المحزن أن يصبح العالم العربي فريسةً للدول الأجنبية الحاقدة ، وأن يكون الشقاق والتناحر دَيْدنهم ، بينما أعداؤهم يشمتون بهم ، ويفرحون لواقعهم الأليم ، وهم يبعثرون جهودَهم وطاقاتِهم فيما يضرهم وينفع أعداءهم ، فمهلًا أيها العرب ! فما هذه بسُبُلٍ قويمة ، ولا طُرُقٍ سليمة ، وتذكروا عند القوة وسكرة الحكم قول الشاعر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ[1] عَلَى أُنَاسٍ   كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا   سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

إن أي عاقل في العالم العربي لا بد وأن يشعر بالألم والأسى لهذا الواقع الذي تردَّتْ فيه الأمةُ العربية ، ويرجو أن يهديَهم اللَّه إلى ما فيه خير الدين والأمة والشعب ، وما ذلك على اللَّه بعزيز .

---

(١) في الأصل : « مرَّ » .

ماذا دهاكم أيها العرب ؟!(١)

قِتالٌ في اليمن بين أبناء البلد الواحد، ومعارِك ودبابات وطائرات تقذِف بحممها على الآمنين الوادعين؛ لتمزِّقهم أشلاء متناثرة، وتطاحُن في المغرب، ودماءُ تُراق بغزارة، ونِساء تُرمَّل، وأطفال يَتيتَّمون؟ وفريق يعلن انتصارَ هذا وانخذال ذاك، وفريق ثانٍ يعكس القضية، ودولة تبتهج لأنَّ تلك القوات تقدَّم زحفُها، وثانية تُسرُّ لأنَّ هذه القوات توغلت في أراضي الدولة المتخاصِمة معها! فلماذا كلُّ هذا التطاحن والعداء بين عرب مسلمين؟!

أما كان الأجدر أن توفر هذه الجهود لمقاتلة الأعداء المتربصين؟!

أما كان الأحرى: أن تُصرفَ هذه الطاقاتُ في استرداد فلسطين المغتصبة؟!

إنه لشيء يؤلِم أشدَّ الألم، ويبعث على الأسى والحزن أن تكون فرحةُ الاستقلال والتخلُّص من نير الاستعمار في المغرب العربي حربًا يقتل المرءُ فيها أخاه، ويعتدي الجار على جاره، ويقطع فيها القريبُ أواصرَ القرابة.

وشيء محزِن أن تصبح اليمنُ مجزرة رهيبة بين إخوة اشتعلتْ بينهم نيران الفِتنة، واشتد ضرامها.

اربأوا على أنفسكم أيُّها العرب، ووفِّروا جهودَكم لرفع مستوى بلادكم، وتضميد جراحاتها الدامية، ومآسيها السالفة، واستعِدُّوا لقتال عدوِّكم الذي مزَّق الأمة العربية والإسلامية، والذي غَرَس شوكةً مسمومة في قلب بلادكم هي الصهيونية المجرِمة.

إنَّ الاستعمار ينظر لكم في قتال بعضكم بعضًا في جذل وغبطة، ويسلِّط بعضَكم على بعض؛ لتكفوه مؤنةَ قتالكم، وليسهل عليه نهبُ ثروات بلادكم، واستعادةُ نفوذه، والتمكين لدويلة الصهاينة من الاستقرار والتوسع.

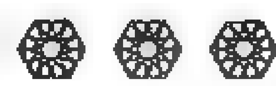
(١) صحيفة اليمامة – في ١٣/٦/١٣٨٣هـ.

وإنَّ واجبكم أن تُفوِّتوا على العدو الفرصةَ ، فلا تدعوا له منفذًا بينكم ، وأن تعودوا إلى صوابكم ، وتنبذوا الخلافاتِ التي تُضعفكم وتُشتِّت شملكم .

ومِن المآسي : وقوعُ خلافات بين الفلسطينيِّين أنفسِهم ، فالجامعةُ العربية والشقيري في طَرَف ، والهيئة العربية العليا ومؤيِّدوها في طَرَف آخر .

والصِّراع يزداد ويعنف ، هذا في الوقت الذي تتعرَّض فيه قضيةُ فلسطين لأخطر المؤامرات ، وتحاول الدولُ التي تبني صرح إسرائيل فرْضَ الصلح على العرب ، وإهدار حقوق الفلسطينيِّين بتوطينهم في البلاد العربية وأمريكا اللَّاتينية ، وإعطاء الفلسطينيِّين أو الحكومات المضيفة لهم تعويضاتٍ تافهة ؛ لتُمحى قضية فلسطين ، ولتكون « أندلس » أخرى !

أيها العرب ، كفى خصامًا وقتالًا ، ووحِّدوا صفوفكم ، واستعدُّوا لمقابلة أعدائكم من الصهاينة والمستعمرين ، واصرفوا طاقاتِكم لِمَا هو أجدى وأنفع ، ومن الخير أن يمدَّ العرب أيديَهم إلى إخوانهم المسلمين في شتَّى أصقاع الأرض ؛ ليكونوا يدًا واحدة ، وقُوَّةً صامدة ، فقد أعلنها الصليبيُّون الحاقدون حربًا شعواء على العرب والمسلمين ، ولن يصمدَ أمامهم إلَّا قوةٌ إسلاميَّة متحدة ، فهل يدرك المسلمون- زعماء وشعوبًا- هذه الحقيقةَ ، ويعملون لِمَا تتطلبه مِن تعاون وبذْل ، وتكتيل جهود ؟ ذلك ما نرجوه .



لماذا العويل ..؟!(١)

الاغتيال أسلوبٌ قَذِر، والاغتيالاتُ السياسيَّة تدلُّ على انحطاط وتدهور؛ ولذا فإنَّ عقلاء العالَم بجميع طبقاته يستنكرون الاغتيالاتِ، ويمقتونها أشدَّ المقت.

وقد أسف العالَم للاعتداء على (جون كندي)- رئيس الولايات المتحدة الأمريكية- ذلك الاعتداء الذي أوْدَى بحياته، وأعْرَب عن اشمئزازه بصور شتى.

والعالَم العربيُّ أبدى شعورًا نبيلًا، وأعلن مشاطرته لذوي المصاب ومواطنيه حزنَه لما حل بالفقيد.

وإن كانت بعض الدول العربية قد أسرفتْ في الحزن؟ حتى صار موقفُها مضحكًا- وشرُّ البلية ما يضحك- فأعلنت الحِداد، وتنكيسَ الأعلام؟! والرِّثاء الفاجع، وتفتيت الكبد حسرات، وإقامة المأتم والمناحات!

ولسنا ندري هل دافِعُ ذلك لهيبُ العواطف التي تُنسي العقلَ أحيانًا؟!أو هو الذكاء الخارِق الذي أدرك عمقَ المحبَّة التي يُوليها (المستر كندي) للشعب العربي والإسلامي، وتفانيه في الدِّفاع عن حقوق المسلمين والعرب، في فلسطين وباكستان في كشمير، والصومال في أجزائها المبعثرة، وعمان وغيرها، كما هو غير معلوم، ولا مفهوم؟! أو أنه التقليد للدول الكبرى؟! فإذا كان الأمريكيُّون ينوحون فلا بدَّ من النياحة! وإذا كان الإنكليز واجمين للحادث فعلى طريقتهم يسير التابعون، كعادة تقليد القوي، وإمَّعة الضعيف!

لقد كان الأجدرُ ألَّا نفرط في البكاء والنواح، ولكن لنأخذ العِبرةَ، ونذكر للرجل- أعماله- ومواقفَه، سواء مع العرب أو ضدَّهم؟

ولقد كان حريًّا بالعالَم الإسلامي والعربي أن يفكِّر في مدى نتيجة الحادث

(١) صحيفة اليمامة - في ١٣٨٣/٧/٩هـ.

بالنسبة لقضاياه التي لا تزال جروحًا دامية ،وأن ينظر بجِدٍّ لحلِّ مشاكله ، وخاصة قضية فلسطين ، فقد كانت فرصةً مناسبة ونادرة أن يُجهزوا على ركيزة الاستعمار - إسرائيل- ولا سيَّما وقضية فلسطين تُناقش هذه الأيَّام في هيئة الأمم ، وأنَّ رئيس وفد فلسطين قد هدَّد بعودة الفلسطينيِّين إلى بلادهم بالقوَّة بعد أن رفضتْ إسرائيل عودتهم ، وضربتْ بقرارات الأمم المتحدة عُرْضَ الحائط .

لقد كان من المنتظَر أن يفكِّر العرب والمسلمون بمثل هذه الأشياء ، وأن يعدُّوا العُدَّة لها ، ومدى ارتباط قضاياهم بأمثال هذه الحوادث ، لا أن يُشغلوا أنفسَهم بالعويل والصراخ ، وذرف الدموع !

وللحقيقة والتاريخ نقول :إنَّ (جون كندي) لا يَخفى عطفُه على الصّهْيَونية ، ومدُّها بالسلاح ، والعتاد والحماية ، وإصدار الوعود والتعهدات لصالح اليهود ، وإرسال الوفود والمندوبين للضغط على العرب ،فلماذا ننسى كل ذلك ؟!

ثم يبدو البعض من العرب الذين لا ناقةَ لهم ولا جمل في الحادث في صورة مُضحِكة ، يلطمون الخدود ، ويشقُّون الجيوب من أجْل ماذا ؟ من أجْل أنَّ رئيس دولة كبرى قد مات ، حتى ولو كان صديقَ عدوِّهم الحميم ؟! وحتى لو أنَّهم ليس لهم لا في العِير ولا في النفير ؟!

ثم أليس هذا البعضُ هو الجديرَ بأن يُبكى عليه ، وتعمل فيه المراثي ؛ لأنه هو الفقيد ، حقيقة ؟!



ما هو السرُّ ؟!(١)

اغتيل (جون كندي) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وهُدِّد خَلفُه بالقتل، وأُنذِر شقيقه المدعي العام الأمريكي بأنه سيَلْقى نفس مصير أخيه !! وهُدِّدت ملكة بريطانيا بالقتل، وهدِّد رئيس وزراء السويد، ورئيسُ وزراء تركيا- الذي استقال- منذ أيام، وهكذا تتوالى التهديدات على الرؤساء في هذه الأيام بشكل يدعو للاستغراب، ويلحُّ في معرفة السرِّ الكامن وراءَ هذه الأعمال الهمجيَّة.

وتكثر التخيلات والاستنتاجات، ومع ذلك فإنَّ الأمر يدعو إلى مضاعفة الجهود لمعرفة مصدر هذه التهديدات، والهدف منها.

لقد قيل: إنَّ الشخص الذي هدَّد الرئيس الأمريكي الجديد مجنون ! ولكن لا يمكن أن تكون البقيةُ بهذا المستوى ! والتحقيق الذي أجراه بوليس دالس بولاية تكساس عن مصرع كندي كان باعثًا للرِّيبة في التواطؤ. وقاتل أوزوالد يهوديٌّ، لا يزال التحقيقُ جاريًا معه ! والقرائن تدلُّ على أنه أراد إخفاءَ معالِم الجريمة، وتمييع القضية بموت أوزوالد، والصّهْيَونية ليس بمستبْعَد منها أن تعمل هذه الأعمالَ الشنيعة لأغراض سياسيَّة أو اقتصاديَّة.

فمقتل برنادوت- وسيط الأمم المتحدة - وخطفُ إيخمان، من الأرجنتين، يعرفها الجميع، وهتلر الذي لَمَس تخريبَ اليهود في بلاده، وفي العالَم أجمع، وأدرك مؤامراتِهم الشريرةَ، وأساليبَهم الشيطانية، ووسائلهم المنحطة، أراد أن يُخلِّص ألمانيا والعالَم أجمع من شرِّهم ولؤمهم، وتحدَّث عنهم في كتابه «كفاحي» بما لا يحتاج معه إلى مزيد من الإيضاح.

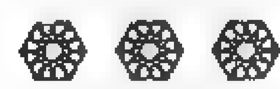
و«بروتوكولات حكماء صِهْيون» ناطقة بنوايا اليهود الخبيثة، وما يُبيِّتونه من

(١) صحيفة اليمامة - في ١٣٨٣/٧/١٩هـ.

تدمير للعالَم ، وهدم له من أجْل الوصول إلى مقاصدهم بأيٍّ وسيلة ، تبعًا للسياسة المكيافيلية ، وجريمتهم المشاهدة للعِيان في تشريد مليون لاجئ ، والمذابح الجماعيَّة في دير ياسين ، وشرم الشيخ وغيرهما ، تكفي للحُكم عليهم بأنهم لا يتورَّعون عن ارتكاب أفظعِ الجرائم ، وألأمها .

وهذه وأشباهها- قد تُلقي الضوء على عصابات التهديد والاغتيال للزعماء ، وليس بمستبعَد أن تكون الصّهْيَونية العالمية هي التي تَحيك خيوطَ هذه المؤامرة الدنيئة ؛ لنَيْل غرضها السياسي والاقتصادي ، ولإشاعة الذُّعْر والفزع في صفوف مَن لا يخضع لمطالبهم وعدوانهم ، ولجرِّ العالم إلى حافَّة الحرب ؛ لتحقيق مطامعهم السياسيَّة والاقتصاديَّة .

إنَّ على العالم مسؤوليةً جسيمة في ملاحقة هذه العصابات ، وكشْف أسرارها من أجْل الإنسانية والعدالة ، وإنَّ على الدول التي تحسن الظنَّ بإسرائيل وبالصّهْيَونيَّة أن تفكِّر مليًّا في هذه الدويلة النشاز ، وأن تفطن لمؤامراتها وعدوانها ، ومن الخير للبشرية جمعاء أن تتظافر القوى لسحق الصهيونية العالمية ودويلة الصهاينة المعتدية ، قبل أن تحرِق العالَم بمكرها وغدرها ،فهل يفعلون ؟!



مناقشة هادئة[1]

من المفارق العجيبة : أن يحتكر الإمعات لأنفسهم لقب الأحرار ، وأن يختصوا أنفسهم ومن على شاكلتهم ، بأوصاف جذابة ، كالتقدميين ، والمتطورين ، والواعين ، وأشباهها .

وعندما نتأمل ونقارن نجد أن ما يزعمونه من ذلك دعوى عريضة لا أساس لها ولا مستند .

ونحن لا نقول هذا الكلام جزافًا أو اعتباطًا ، وأقوالهم التي يسبغون فيها على أنفسهم ومناصريهم ، ألقاب البطولة والحرية ، وعلى مناوئيهم أوصاف الرجعية والجمود والتأخر .

إننا نؤيد ما نقول بالدليل الناصع ، لا كتلك الترهات والسفاسف التي هي هراء رخيص وأسلوب ممجوج .

ومثل واحد من مئات الأمثلة : قد يكون معقولًا أن توافق شخصًا على مذهب ارتأه بعد مناقشته والتفكير فيه ، وربما كان صاحب المذهب وموافقه على خطأ .

ولكن الغريب حقًا ، أن تسير في فلك ذلك الشخص ، وأن تتجه معه إلى أي اتجاه سار .

وهو شخص ليس بمعصوم ، وحتى لو غير مذهبه ومبدأه في اليوم والليلة أربعًا وعشرين مرة ، بمعدل مرة لكل ساعة .

ثم الأغرب من ذلك أن تدعي بأنك الحر الواعي ، أما غيرك من مخالفيك ، فهو الجاهل المقلد ! أليس هذا أسلوبًا معكوسًا ؟!

وبعبارة أكثر وضوحًا وصراحة ، هؤلاء الشرذمة الناعقون مع جمال عبد الناصر ، والدائرون في كل مخططاته التي يتلقفونها بسرعة مذهلة ، فما أن

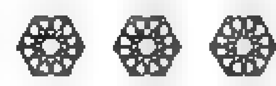
(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٢/٢هـ .

يلقي خطابًا من خطاباته المستهترة ، أو يهذي بكلام فارغ حتى يهرع أولئك المخدوعون (التقدميون) إلى ترديده وتحبيذه .

ماذا نسمي أمثال هؤلاء؟ أهم تقدميون ، كما يزعمون ، أو إمعات ، كما يقوله المنطق والعرف اللغوي والواقع ؟!

إن جمال عبد الناصر متقلب ، لا يثبت على مبدأ ، أو لا يسير على عقيدة واحدة ، ولا يدعون بدعوة واحدة ، فهو مرة ينادي بالقومية العربية ، ومرة بالحياد الإيجابي ، ومرة بالتكتل الآسيوي الإفريقي ، ومرة بالاشتراكية الديمقراطية ، وهلم جرًا .

فالذي يتريث في بعض مبادئ هذا الشخص ، إن كان له مبادئ- ويعارض في بعضها ، ويعجب بما قد يكون فيها من حق كمحاربة الاستعمار ، الشعار الذي يردده- في الوقت الذي يتسكع فيه وزراؤه على أبواب المستعمرين يستجدون منهم- أقول : أهذا الشخص هو الإمعة ، أم الإمعة ذلك الذي يتبع كل ناعق ويصدق ويستميت في تصديقه بالهذيان قبل أن يفهم ما يقال .



بداية النهاية[1]

وأعني ببداية النهاية : نهاية حكم تعسفي جائر ، هو الحكم الناصري الذي قام على الخداع والغدر والخيانة . فطعن من كانوا أركان الثورة وأقطابها . وبدت موجات من التصرفات المفاجئة المتناقضة ، فانطمست معالم تلك الثورة كذات مبادئ ، وكان تبييتًا للشر ، وفي حرب الإسلام والمسلمين ، كان إلغاء المحاكم الشرعية ، ونشر المجون والخلاعة على أوسع نطاق ، وفي موالاة أعداء الإسلام والمسلمين .

ثم في مصافاة الشيوعيين التشيكيين واليوغسلافيين والروسيين .

وكان الدعايات تملأ الأجواء بالضباب ، لتحجب الحقيقة ، ولتزور وتخادع وتتملص .

وذات يوم غير بعيد ، أعلن « الطاغية » حقيقته ، فانفضح المستور ، وبان المخبأ : « التأميم والاشتراكية » . وإذًا هي تعليمات التيتوية اللينينية الحمراء تفرض بوحشية الشيوعية المعهودة ، وهمجيتها التي تشهد بها منافي سيبريا وجبهة القوقاز ، وبلدان بخارى والتركستان ، وأخيرًا سحق المجريين .

وهبت سوريا في شمم وإباء ، تدافع عن دينها وكرامتها ، فلقنت المغرور درسًا اعترف على إثره بغروره وسعيه للسيطرة على السلطة ، حتى أضاع كل شيء ، وانشغل بحب السيطرة عن ما يجري قريبًا منه ، ومن نائبه اليقظ !!

وكان مفروضًا أن يعي الدرس ؛ فلا يوغل في غيه ، وأن ينبذ الشيوعية الحمراء ، التي ألبسها ثوبًا عربيًا ، ليخفي لونها الرهيب وروحها المجرمة ، ولكنه تمادى إلى أقصى حد ممكن ، واستمات في سبيل الشيوعية منها كلفه من ثمن باهظ .

(١) صحيفة القصيم في ٩/٩/ ١٣٨١.

وظهرت تصرفات هسترية ، تخبط على غير هدى من حكام مصر وأبواقهم . وظن المغرور أنه بأجهزة دعايته ، يستطيع أن يجبر العرب على نبذ ديانتهم وأخلاقهم ؛ امتثالًا لأمر فرعون الصغير ، وتلميذ التيتوية الحمراء ، وكان واهمًا ، فقد انحدر إلى درك سافل من سوء الفهم وقلة التفكير ، فشمر العرب عن سواعدهم ؛ لدحض مفترياته وتبيان اشتراكيته المستوردة ، ولكنه أصر على التمادي ، وأعلن حربًا خطابية وكلامية ، يترفع عنها « السوقة » الأسافل ، على من لم يعترف بفضل الاشتراكية الناصرية ، ويتغزل في مناقبها ، في حسنها وبهائها ، وسماهم رجعيين وطابورًا خامسًا وأعوان الاستعمار والمرتشين والمستغلين .

وتصدى المسلمون لفرعون واشتراكيته الملحدة ، وكشفوا أمرها ، وأوضحوا زيفها ، وقالوها كلمة مدوية : إنها والإسلام على طرفي نقيض ، وأن المسلمين بين أمرين : إما إسلام جاء على لسان محمد بن عبد اللّه ، عليه صلوات اللّه ، أو اشتراكية ناصرية تستمد مبادئها من لينين وماركس وانجلز ، ولا واسطة بينهما ، ولا التقاء لهما . أو بعبارة أخرى : إما دين حق ، وإما إلحاد وكفر وطغيان .

وكان دين الإسلام أجل عند المسلمين من أن يدعوه لمهوس يهذي وأبواق تنعق ، وأرفع في صدورهم من أن يستعيضوا عنه بكفر صراح ومبادئ لا تؤمن باللّه أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر ، بل هي حرب على الإيمان والأديان ، فصاحوا به من كل جانب وقاوموا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: الآية ٨] ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمّد: الآية ٧] . وها هي الدلائل تشير إلى أن حكمًا فاسدًا قد ولى إلى غير رجعة ، وإن فرعون صغيرًا قد لقي جزاءه في نهاية أسوأ ما تكون النهاية . ومع ذلك فإن واجب كل مسلم الدفاع عن دينه بما في طاقته ، وأن يوحد المسلمون ، وفي طليعتهم علماؤهم جهودهم ، وأن يحشدوا قواهم لمقاومة هذه الفتنة ، ومكافحة هذا الإلحاد ، حتى يتخلص المسلمون من ذلك الكابوس الثقيل ، وأن على هذه

البلاد ؛ حكومة وشعبًا ، ولا سيما العلماء ، واجبًا كبيرًا في الدفاع عن الإسلام ، والذود عن حياضه ، ومحاربة الإلحاد والكفر من أي جهة قدمت ، وعلى أي منفذ دخلت .

وإن المتخلي عن ذلك ، هو تخل عن الأمانة ، وإخلال بواجب المسئولية ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: الآية ٨١] .



لماذا نحارب الاشتراكية[1]

نعم لماذا نحارب الاشتراكية، وما هو سبب الخصام بيننا وبينها؟

سؤال يحتاج إلى إجابة عليه، وإن كان الجواب معروفًا سلفًا.

إن الذين يصرخون في.. بأن الاشتراكية (البلشقية) هي الطريق السوي للعرب، وأنها هي التي تستطيع أن تخلصهم من الفقر والمساوئ الأخرى.

هؤلاء الصائحون يزعمون إفكًا: أن من يعادي الاشتراكية، فهو إقطاعي رأسمالي رجعي، وهو إما عميل أو خائن، أو إقطاعي جائر، إلى آخر الهذيان المحموم، الذين يلقونه.. وتناسى هؤلاء أن كثيرين من مناوئي ما يمسونه بالاشتراكية الديمقراطية البيتوية، ليسوا من أي صنف من تلك الأصناف، ولكنه الافتراء والطغيان هو الذي أعملهم على مزاعمهم الباطلة. ونحن عندما هاجمنا الاشتراكية وقلنا: إنها شيوعية مقنعة، وأن التسمية لا تغير الحقيقة. لم نكن إقطاعيين أو رأسماليين أو رجعيين. ولكن الدعايات المضللة تلصق بالناس أشياء وتلقيهم بألقاب؛ تنفيرًا وحقدًا، والذي تجاهله الظالمون، أننا حاربنا الاشتراكية؛ لأنها والإسلام على طرفي نقيض؛ ذلك أن الاشتراكية المستوردة من يوغسلافيا وموسكو والدول الأخرى المسماة بالدول الاشتراكية، إنما قامت على أشلاء الدين وأنقاض الإيمان؛ وهي الكفر الصراح؛ لأنها مؤسسة على الإلحاد ونبذ الأديان.

لهذا حاربناها، ولهذا فقط أعلناها كلمة مدوية: إن هذه الاشتراكية باطل يجب أن يزول، ورجس يجب أن يمحى. ومن هذه الجزيرة التي هي مأزر الدين، ومركز الهداية، انطلقت السهام، ونطقت الألسن، وسالت الأقلام، معلنة أن هذه الاشتراكية جريمة في حق المسلمين والعرب أجمعين.

(١) صحيفة اليمامة - العدد (٣٢٠) - في ٤ ذو القعدة - ١٣٨١هـ.

كيف نقاوم الاشتراكية ؟[١]

إن مثل هذا السؤال لا مندوحة عنه ؛ إذ ما أردنا أن نركز الجهود لوقف التيار الشيوعي الملحد ، الذي يلبس ثوب الاشتراكية في بعض البلاد العربية ، والذي تجند له تلك الحكومة كل طاقاتها لنشر الشيوعية اللينينية ، وتصرف الأموال الطائلة ، وتجند أجهزة دعايتها من صحافة وإذاعة وغيرهما لنشرها على نطاق واسع ، ولكي نسد الثغرة التي يلج منها أعداء الإسلام لنشر مفترياتهم وأباطيلهم .

أجل لأننا لابد وأن نسأل : كيف نقاوم الاشتراكية ؟ والجواب على هذا التساؤل سهل ميسور نظريًا ، ولكنا نريد أن نرى الجواب العملي المقنع يسير جنبًا إلى جنب مع الجواب النظري . إن الإسلام في غنية عن أكاذيب الاشتراكيين وترهاتهم وما يزعمون من مساواة وهمية ، بيد أنها مساواة في الفقر والجوع والاضطهاد .

ففي الإسلام العلاج الحازم لداء الشيوعية المزمن فهناك الزكاة المفروضة في أصناف المال من ذهب وفضة ومعادن ومواش وتجارة وهناك النفقات الواجبة للزوج والأقارب .

وهناك الحقوق المفروضة في ببيت المال للعاجزين والمنكوبين إلى آخره .

لذا فنحن في حاجة ماسة إلى دراسة الإسلام دراسة صحيحة ؛ لنستخرج كنوزه الثمينة ، ونحن في حاجة أشد إلى تطبيق أحكامه .

إننا في أشد الحاجة إلى دراسة الإسلام ، والاهتمام بتحفيظ الناشئة للقرآن الكريم ، وتفهيمهم لمعانيه ؛ حتى يكون فيه سند قوي ، وحاجز مكين يدرأ الأخطار الشريرة الإلحادية من التسرب إلى العقول وتلويث الأفكار بسمومها

---

(١) صحيفة اليمامة ٣٢٢ في ١٨/١١/١٣٨١هـ .

القاتلة ، كما أن من أهم الوسائل في مكافحة أخطار الشيوعية توزيع الزكاة على المحتاجين توزيعًا إسلاميًا عادلًا وحفظ أموال المسلمين من العبث ومكافحة البذخ والإسراف والربا والأمراض الاجتماعية الفاتكة ، كل ذلك على الإسلام وتعاليمه السمحة العادلة .



مسألة فيها نظر[١]

الخبر الذي روته بعض الصحف منسوبًا لوزير الأوقاف بالإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة، من أن وزارته قررت بناء خمسة آلاف مسكن بمكة؛ لينزل بها حجاج الجمهورية العربية المتحدة.

هذا هو الخبر، وهو خبر ليس بسيطًا أو عاديًا؛ بحيث تمر به الصحافة مرور الكرام دونما إبداء آراء وتعليقات تكشف عما يعنيه ذلك الإجراء وما يمكن أن ينتج عنه، ولكن- مع الأسف البالغ- فقد كانت الحال هي الصمت تقريبًا من مرآة الشعوب، التي تنظر إليها الأمة على أنها الرائد والموجه، والمنبه لما يتوقع حدوثه.

ولا أرى حرجًا أن أقول بحزن: إن هذه الحادثة جاءت كدليل ساطع على تأخر الصحافة في بلادنا، وأنها وحتى بعد أن خطت بعض خطوات لا تزال في أول السلم وفي الدرجات الدنيا منه.

ولأترك هذه الملاحظة لأدخل في صميم الموضوع، وأقول: إن هذا الخبر كان مفاجأة! فإن بناء خمسة آلاف مسكن في مكة لحكومة غير حكومة البلاد، أيًّا كان نوعها وصلتها بحكومة البلاد، أمر مثير للتساؤل والدهشة!! ومع أن مناقشة هذا الموضوع من ناحية النظم الدولية والعلاقات الحكومية ينبغي أن يبدي فيها المتخصصون في هذا الشأن، فإن استثمار رؤوس الأموال في البلاد الأجنبية جار ومعروف، وإن كان خاضعًا لأنظمة البلاد المستثمر فيها، وبشروط وحدود وموافقة الحكومة في البلاد المستثمر فيها، وهي لا توافق إلا على ما ترى فيه مصلحة شعبها أولًا، واحتياجه لمثل ذلك الاستثمار الأجنبي.

هذا شيء مفهوم إلا أنه أيضًا يكون باسم أفراد يخضعون لأنظمة تلك البلاد؛

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (٢٩) ٤/١/ ١٣٨٠.

ولا يكون باسم حكومة أجنبية إلا في حدود ضيقة كالسفارات ونحوها .

وربما كتب من يوضح الأمر ويجلو غامضه ، ولكن الغرابة والتعجب ما فتئا متمثلين أمامنا .

فنحن إذا نظرنا إلى هذا المشروع من الناحية الاقتصادية- وهو الذريعة التي تذرعت بها الدولة الأخرى- فهو في مصلحة تلك البلاد ولا شك ، ولكنه ليس في مصلحة شعب المملكة وحكومتها قطعًا ، فهو سيفقد الشعب جزءًا من ثروة يجب أن تكون له وحده .

ومن المستغرب أن تذهب ثروات بلادنا لتشاد بها العمارات ، وتقام بها القصور في الجمهورية العربية المتحدة وفي البلاد العربية والأوروبية !

وما حكاية ذلك الثري الذي بلغ حديثه وتصرفاته جميع المثقفين في هذه البلاد ، والذي ذهب بملايينه ليشتري بها جبل المقطم وليعمر الصحاري البور ، وهي الملايين التي هربت من هذه البلاد على يد أحد أبنائها ! ثم لا يكون بعد ذلك غريبًا أن يأتي غيرنا ليعمر بلادنا ، وباسم من؟ باسم حكومة ودولة لا باسم فرد أو أفراد .

ثم من جهة أخرى ماذا سيكون موقفنا من الدول الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية ؛ وممن فيها أقليات إسلامية ، عندما تطلب نفس الطلب؟ هل يُقبل طلبها أو يرفض؟ وأظن الرفض سيكون غير معقول ؛ لأنه والحالة هذه ، سيكون بنفس الأسباب والمبررات ، فالمنع تفريق بلا سبب ظاهر أو حجة مقنعة ، وقد يثير سخط دول عديدة ما كان أغنانا عن إسخاطها .

أما إذا كان الأمر بالعكس ، أي : بالموافقة على طلبها ببناء دور لحجاجها ، فإن شيئًا مضحكًا سيقع ، إن مكة ستكون حينئذٍ « هيئة أمم » وسينجم عن ذلك مشاكل وخيمة العاقبة ، فمثلًا بعد ذهاب الحجاج وانقضاء موسم الحاج ، ماذا سيكون مصير تلك المساكن؟ وإذا أراد بعض الحجاج من تلك الدول التخلف

بحجة أنه مقيم في بيته ، فهل سيقبل منه ذلك العذر ، أم يلزم بالرحيل ويقفل بيته ؟!

وإذا أرادت الدولة صاحبة المشروع تأجير بيوتها المؤملة على حجاج من دول أخرى ، فهل يسمح لهم بذلك ؟ ولو أضر بمصلحة أهل البلاد .

ثم إن هناك أشياء وأشياء تكمن وراء هذا المشروع ، مهما كان فيه من اشتراطات وقيودات الآن ، وليس هو بالشيء الهين الذي لا يعني غير حكومة وحكومة- مثلًا- وإنما هو شيء يعني التأثير على مستقبل البلاد ، وفيه مشاكل ليس من السهل التكهن بنتائجها ، وأقل ما يوصف به الإقدام على مثل ذلك الشيء- وهذا ما نستبعد وقوعه من قبل الحكومة السعودية ملكًا وحكومة وشعبًا- فيه مجازفة وفيه مخاطر لا نحسب أن من الحكمة التسرع بالبت فيها بالموافقة ، ولا أحسب أن حكومة تريد إقحام البلاد في مشاكل لا لزوم لها ، بحجة المحافظة على ثروة حجاج بلادها هي مخلصة لبلادنا- مهما أذاعت ونشرت أجهزة دعايتها- وحتى إذا وجد مثل تلك الدولة فإن هناك أنظمة وحقوقًا ، واعتبارات تمنع الحكومة الأخرى أن تتنازل عن حقوق شعبها إرضاءً لحكومة أخرى .

مرة أخرى : إن هذا الموضوع جدير بالبحث وسماع صوت الشعب ، وفي حاجة شديدة إلى صحافة جريئة ، تعالج الداء قبل استفحاله بصراحة تمثل فيها إرادة الخير ، والرغبة في الوصول إلى الحقيقة التائهة في مجالات النزوات ، والأحلام الضائعة بين أمانٍ طامحةٍ وتخاذلٍ في غير محله .

صحافة تمثل رغبة الشعب وتجلو ما يعتمل في صدره من آمال وآلام ، وما يسعى له من حفاظ على كرامته ومقدساته وسيادته ، وما يصبو إليه من عزة ورفعة ، وأن تُنبهُ للأخطار قبل وقوعها ، وأن تعطينا أمثلة من التاريخ ؛ لئلا تزل الأمة في سيرها ، نتيجة تهور أو مجازفة أو تعجل قبل تمحيص . واللَّه المعين .

من كل صوب
تعقيب على تعقيب[1]
[١]

قرأت ما كتبه الأخ عبد اللّٰه بن منيع في مجلة « راية الإسلام » تعقيبًا على الكلمة التي كنت نشرتها في « صحيفة القصيم » حول ما نسب لوزير الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، من أن وزارته قد قررت بناء خمسة آلاف مسكن في مكة !!

وقد أبديت رأيي الذي يتلخص في أن المصلحة تقتضي عدم السماح ببناء مثل ذلك العدد الضخم باسم حكومة غير حكومة البلاد ؛ وذلك تجنبًا لعواقب قد تكون غير محمودة .

أما الأخ عبد اللّٰه ، فقد رأى غير ذلك ، إنه يرى أن من الحكمة الموافقة على مثل هذه الخطوة ، بل إنه بعد أن أورد مقدمة قال : لا أجد مندوحة في معارضته ، والاستبشار بما نسب إلى وزارة أوقاف الجمهورية العربية المتحدة .

ولماذا يستبشر ؟ لأن العالم قد تطور وأصبح مترفًا ، وأن وضع غالب بيوت مكة المكرمة مزر ، لا سيما البيوت التابعة للمطوفين ، فكيف لا نعطف على المسلمين ونشفق على أولئك الحجاج الذين تتفق أمنياتهم كلما سنحت لأحدهم فرصة التعبير عما يتمناه أن يحجوا بيت اللّٰه ، ألا تجد النفوس المسلمة المترفة الآن عذرًا للتخلف عن الحج ، والاحتجاج بأنه مفروض على المستطيع إليه سبيلًا ، وأنهم لا يستطيعون الحج بحكم وضع مساكن مكة المكرمة ، وأنهم لا يأمنون الأمراض ، ولا يصبرون على قضاء أيام الحج في مكة ، على الوضع الذي أسلفنا .

(١) مجلة راية الإسلام- العدد الخامس- السنة الأولى ، ربيع الثاني ١٣٨٠.

ويرى الكاتب : أن لا خوف على الاقتصاد الوطني ، بل هو يرى أن بناء تلك المساكن ، سيكون عامل تطور للاقتصاد في البلاد ، ثم من الناحية السياسية ، لا يخطر بباله أن يكون خوف ، ما دامت القائمة بذلك حكومات إسلامية ؟!

ثم يعود الكاتب العزيز ، ليؤكد ما سبق أن ذكره ، وهو حالة السكن في مكة ، وأنه أمر يدعو للإشفاق ، ثم يقول : وأي ضرر أو مس لكرامتنا حينما تكون مكة المكرمة مقرًا لهيئة الأمم الإسلامية ، ومكانًا لعقد المؤتمرات الإسلامية ، وهل ضر أمريكا أو مس كرامتها وجود مجلس الأمة ومقر هيئة الأمم المتحدة في بلادها- وشتان بين المثلين- ألم يرفع ذلك من شأنها ، ويجعل بلادها ملجأ المشكلات الدولية ومفزع الضمير العالمي .

ثم يختم كلمته بقوله : مرة أخرى ، أرحب بالفكرة وأستبشر وآمل أن تحذو الحكومات الإسلامية حذو الجمهورية العربية المتحدة .

هذا مجمل الفكرة التي جاءت في المقال المشار إليه .

ويسرني أن أناقش ما قاله ؛ لنصل إلى الحقيقة المنشودة – بعون الله –:

١- أبدى الكاتب فرحته واستبشاره لسماع النبأ ، ولست أدري ، هل هذا الفرح والاستبشار جاء بعد تفكير وترو ومقارنة ، أو أنه جاء فور سماع الخبر ؟ ثم ما رأي الكاتب : أن من أهل مكة أنفسهم من كتب في بعض الصحف يبدي تخوفه ، ويحبذ عدم الموافقة على ذلك العمل ، وفي المثل : أهل مكة أدرى بشعابها .

٢- ينعت الكاتب غالبًا بيوت مكة بوضعها المزري ، لا سيما البيوت التابعة للمطوفين ، ويمضي في أسلوب إنشائي ، يصل فيه إلى أن الحجاج يغادرون مكة المكرمة وهم على أحر من الجمر ، وكأن واحدهم طائر أفلت من قفص . ولا تظن أن جواب أحدهم سيختلف عن جواب الآخر حينما تسأله لماذا لا تقضي

يومك في الدار المخصصة لسكناك ويؤد[١] الشارع غايته المقصودة من شقة، فكلهم سيجيبونك أن الدار مظلمة ومنتنة ومحفوظة من الهواء ومليئة بالسكن الثقيل والأوساخ والقمائم والرطوبات، وأنا هنا بدوري مضطر للمكث في هذا، وما هي إلا أيام قليلة ونترك الشارع يؤدي واجبه بسلام. بمثل هذا الأسلوب يتكلم الأخ الكاتب في تعقيبه. ونحن لا نقول: إن مكة لا تحتاج إلى تطوير وتنظيم، ولكن لا نوافق على أنها على الصفة التي ذكرها الكاتب.

وإن كان فيها ما قد ينطبق عليه، وليس محل اختلاف أن الجميع يتمنون أن يروا الشوارع الجميلة والبيوت الصحية النظيفة، والصورة المشرفة لمكة المكرمة، ومع هذا فإنه لا ينبغي الاستسلام للعاطفة لنسيان الحقيقة.

ففي مكة نهضة، وفيها إصلاحات واسعة، وفي الوقت الذي نسمع ونقرأ عن العمل الدائب هناك، نقرأ تلك النعوت التي سبق أن أوردنا مثالًا لها من كلام المعقب، ثم إنه لا يعني ذلك أن مكة قد بلغت أعلى مستوى من العمران والإصلاح، ولكنها تسير في طريق النهوض حثيثًا.

ثم هل يكون هذا مبررًا- أعني وجود بيوت غير متوفر فيها كل الشروط والأمنيات- هل يكون مبررًا لأن يسمح للدول الأخرى بالتملك فيها على نطاق واسع ؟!

إننا نعلم أن بلدانًا كثيرة فيها بيوت تماثل بيوت مكة أو تقل عنها مستوى، في البلاد الأسيوية والإفريقية، وفي مصر بالذات أحياء لا أحسبها تزيد كثيرًا عن أحياء مكة وحاراتها.

هل تريد المثال، في القاهرة - مثلًا - حي السيدة زينب، والعباسية، والوايلي- إلخ.

---

(١) كذا بالأصل.

وفيها أناس يقيمون السنوات الطوال ، أفليست هذه أحق بالعمران ، إذا كان الغرض الرفق بمواطنيهم ، مع الفارق في إقامتهم القليلة بمكة ، وإقامتهم الطويلة في بلادهم ؟

٣- قول الكاتب : ألا تجد النفوس المسلمة المترفة الآن عذرًا للتخلف عن الحج والاحتجاج بأنه مفروض على المستطيع إليه سبيلًا ، وأنهم لا يستطيعون الحج ، بحكم وضع مساكن مكة المكرمة ، وأنهم لا يأمنون الأمراض ولا يصبرون على قضاء أيام الحج في مكة على الوضع الذي أسلفنا .

قوله عن النفوس المسلمة المترفة : هذا يحتاج إلى تأمل . فهو لم يعقب على هذا الزعم ، وإنما تركه بدون تعليق . ونقول : هل هؤلاء المترفون مصيبون في قولهم ؟ وأن الحج قد سقط فرضه عنهم من أجل حالة مكة ، وهل حقيقة أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد الفظيع ؟!

إن من يسمع هذا ، قد يتصور مكة صورًا شتى كأقسى وأفظع ما يكون التصور . فهل هذا صحيح ، أو أنه خيال ودعوى ؟!

أما إن كان يرى هذا القول كذبًا وفرية ، فإنه ليس حجة على أي حال ، ولماذا تركه حينئذ سائبًا بدون تفنيد ؟

إن المترفين قد قالوا كثيرًا ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سَبَإ: الآية ٣٤] .

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسرَاء: الآية ١٦] .

ثم أين جهود وزارة الصحة ؟ وما تقوم به الجمعيات الطبية أيام الحج ؟ وأين مديرية الحج ؟ وأين وأين .. إننا نطالب بالإصلاح والمزيد .

وندرك أحيانًا جوانب كبيرة تحتاج إلى إصلاح جذري ، وإلى تعديل لأخطاء كبيرة وصغيرة ، ولكن هذا لا ينبغي أن يكون حائلًا دون الاعتراف بالجهود والأعمال الحسنة .

من كل صوب
تعقيب على تعقيب[1]

[٢]

٤- يقول الكاتب: والحال أننا لا نستطيع تأمين المساكن الحديثة للحجاج، ولماذا هذا الافتراض، بل هذا الجزم القاطع، لقد قلت في الكلمة التي نشرتها «صحيفة القصيم»: ومن المستغرب أن تذهب ثروات بلادنا لتشاد بها العمارات وتقام بها القصور في الجمهورية العربية المتحدة، وفي البلاد العربية والأوروبية؛ وما حكاية ذلك الثري الذي بلغ حديثه وتصرفاته جميع المثقفين في هذه البلاد، والذي ذهب بملايينه ليشتري بها جبل المقطم وليعمر الصحاري البور، وهي الملايين التي هربت من هذه البلاد على يد أحد أبنائها، ثم لا يكون بعد ذلك غريبًا أن يأتي غيرنا ليعمر بلادنا، وباسم مَن؟ باسم حكومة ودولة، لا باسم فرد أو أفراد. هذا ما قلته بالحرف الواحد.

فهل يقول قائل بعد هذا: إننا لا نستطيع تأمين المساكن الحديثة؟

إن ثريًا واحدًا يستطيع تأمين مساكن حديثة في مكة للحجاج؟

على أن الكاتب لا يلبث أن يعود مستدركًا، ولكن في جو خيالي، وإليك ما يقوله بالحرف الواحد: نعم لو تشكلت شركة وطنية برأس مال كبير، وطلبت امتياز إعادة بناء مكة المكرمة على تخطيط حديث، يضمن جميع وسائل راحة الحاج، على أن تكون جميع عقارات مكة ملكًا لهذه الشركة تؤجرها على الحجاج ومطوفيهم بما يتناسب والاعتدال، لكان ذلك أضمن وأسلم. وعلى أي حال، فالكاتب الموقر يرى أن هناك طريقة ما، يمكن بها أن يتم إصلاح بيوت مكة بدون حكومة خارجية، أو حكومة غير حكومة البلاد، بتعبير آخر.

---

(١) مجلة راية الإسلام- العدد السادس- جماد أول ١٣٨٠.

ولماذا لا يكون بإنشاء بيوت جديدة في ضواحي مكة ، مع إدخال تحسينات على البيوت في داخلها ، وتقدم لهم الحكومات التسهيلات الممكنة ، ولو بإعطائهم الأرض التي يبنون عليها بدون مقابل ، أو تسهم بنصيب من المال في بنائها ؟

٥- أما من الناحية الاقتصادية ، فيرى الكاتب أن ما سيذهب من الأجور ، سيقابله ازدياد الحجاج ورغبتهم في المكث مدة أطول ، وتزداد القوة الشرائية ، وبذلك يكون الاقتصاد في البلاد أقوى مما كان عليه .

إلا أنه بعد صفحة يقول : واللَّه أعلم : إن اقتصادنا بريء من موسم الحج ، وإذا كان هناك أثر فهو عائد بلا شك إلى المصانع الأجنبية ، إنني لم أفهم هذه العبارة جيدًا ، ولم أستطع التوفيق بينها وبين سابقتها .

٦- يقول الكاتب : والمعروف أن الاستعمار يبدأ بالتستر وراء أشياء منها : حماية الأقليات ، وإذا وجدت في بلادنا وفي أراضينا عقارات لحكومات أجنبية ، فقد نخشى أن تكون ذريعة للنيل من حقوقنا ومس كرامتنا ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهل في الحكومات الإسلامية من يشك في نواياها ؟

وهنا أحب أن أنقل لك جملة مما قلته في كلمتي المنشورة في « جريدة القصيم » : ثم من جهة أخرى ، ماذا سيكون موقفنا من الدول الأخرى الإسلامية ، وممن فيها أقليات إسلامية ، عندما تطلب نفس المطلب ... إلخ .

ولكن الكاتب قد تجاهل هذا التساؤل ، واقتصر على جزء منه ، وهو المتعلق بالحكومات الإسلامية . ثم قوله : فهل في الحكومات الإسلامية من يشك في نواياها . وماذا ينتظر مني أن أقول ، إن الجواب على هذا السؤال ليس من الصعوبة بمكان ، ولكن الأمر يحتاج إلى إيضاح وأمثال ، وحسبي أن أقول : لنعد إلى الوراء قليلًا ، لنتذكر فقط بعد أن فتح الملك عبد العزيز- رحمه اللَّه- الحجاز .

لنرى كيف عقدت المؤتمرات ، وكيف اتجهت الأنظار ، وماذا كانت

الآمال في نفوس القادة في العالم الإسلامي .

والمسألة بعد دقيقة ، قد يستغنى فيها بالإشارة عن التطويل .

لقد قلت فيما سبق : ماذا يكون الموقف إذا طلبت حكومات غير إسلامية أن تحذو حذو الجمهورية العربية في بناء بيوت لو فرض ؟ كروسيا وأمريكا وبريطانيا وغيرها ، بحجة مراعاة مواطنيها ، والحرص على راحتهم في الحرم ، هل يسمح لهم أن يتملكوا ، ويحوزوا العقارات في مكة ، أم يمنعون ؟ بينما يسمح للدول الإسلامية ، وهل يسمح للدول الإسلامية جميعها ، أم لبعض دون آخر ، وإذا سمح للدول الإسلامية جميعها بالبناء وعلى نطاق واسع ، فستكون حينئذ هيئة أمم ؛ لا في الحضور وإلقاء الخطب ، وإنما في التملك ، ثم التصرف ، ثم النفوذ ، ثم .. إلخ .

أما أن مكة هيئة أمم ، بمعنى تبادل الآراء والخطب والتشاور والتعاون على حل مشاكل العالم الإسلامي ، فهذا ليس من المحذورات ، بل من حكم الإسلام ، وهذا ما تهفو له النفوس ، وحبذا تنمية ذلك بالمؤتمرات الإسلامية ، والتي تمثل رغبات الشعوب ، وتعاون بشكل ملحوظ ، علاوة على الموجود ؛ سعيًا لما فيه خير الإسلام والمسلمين . أما المقارنة بين ما نخشى وقوعه من أن تكون مكة هيئة أمم ، وبين مقر هيئة الأمم ومجلس الأمن بنيويورك بأمريكا ، فهو قياس مع الفارق الكبير ؛ ذلك أن الوفود التي تحضر إلى هيئة الأمم ليست تبنى فيها البيوت الكثيرة ، وإلا لكانت نيويورك الآن يملك نصفها الروس على الأقل .

وأنا عندما قلت : إن مكة ستكون هيئة أمم ، لو سمح بالبناء لكل دولة فيها . لا أعني في الحضور إليها طبعًا ، وإلا لم تكن العبارة على ذلك النحو . وإنما كان المجال منع الحضور بتاتًا إلى مكة .

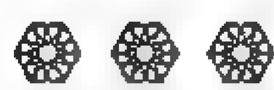
وهنا أود أن أشير إلى كاتبة تصدر مجلس الفتوى في مجلة شهيرة في بعض البلاد العربية ، قد طلبت من المصريين أن لا يحجوا ، حفظًا لثروة مصر من

الضياع؟ وبعد، فلو ووفق على بناء تلك المساكن، فهل ستكون مخازن للتجارة، وتدخل البضائع معفاة باسم (احتياجات الحجاج) بينما هي لغرض تجاري، تكون نتيجته شل الأعمال التجارية في البلاد، ثم من يدري ماذا سيخزن فيها غير البضائع التجارية. وهل حكومة تلك البلاد قد ملت من النقود، حتى تجعلها في عقارات تبقى طول السنة مغلقة لتفتح موسم الحج وكفى؟ لا أظن ذلك. وما الذي يدعو للموافقة على شيء فيه احتمالات، مع أن الأمور الجارية، وقد وسعت الآخرين أزمانًا متطاولة قبل أن يوجد هذا التطور في مكة.

وإنا لنعلم أن الحكومة العربية السعودية تبذل الكثير من خزينتها من أجل راحة الحجاج، وليست تريد طمعًا فيهم، ولكن يجب أن لا تهاون في أمر غير مأمون العاقبة. إنني أعود لأكرر أن الموافقة على تلك البيوت سيسبب متاعب، وله أخطاره.

أمر فهمو أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وفق الله الجميع.



قاطعوا المستعمرين(١)

اشتهرت بريطانيا منذ زمن ليس بالقريب، أنها من أعرق الدول في الاستعمار في مختلف أشكاله ووسائله؛ من ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية؛ تثبيتًا لأقدامها، حتى لو كان في ذلك فناء شعوب بأجمعها. وحين تنبهت تلك الشعوب من غفلتها ثارت ثورة جامحة، فطردت الضيف الثقيل إلى جزره في أقصى المحيط الأطلنطي، غير أن الاستعمار المتأصل في نفس هذه الدولة، قد هاله أن تنهار ممالكه. إذن فلا بد من بلاد يرتكز عليها؛ لتكون عمادًا لأمة تعيش وسط بحر هائج مائج، وحسب الساسة البريطانيون أن أنسب بقعة لبسط نفوذهم هي بلاد العرب، فأخذت تستخدم فئة من الخونة المارقين لتحقيق أغراضها السيئة، وراحت تتحرش بحكومة اليمن (العربية المسلمة) وتحاول جاهدة اقتطاعها أجزاء من أراضيها، وحينما تقوم اليمن بالدفاع عن كرامتها وسيادتها، تكيل لها هذه الدولة الديمقراطية!- كما تسمي نفسها- التهم المختلفة، ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد، بل ذهبت تدعي حماية أبي ظبي وشخبوط صنيعتي الاستعمار؛ متذرعة بحججها الواهية، واحتلت- غدرًا- البريمي (السعودية العربية) وأتبعته باحتلال عمان باسم أذنابها الخونة؛ الذين لا حول لهم ولا طول، ولكن بريطانيا أخطأت التقدير، ولم يحالفها التوفيق.

فبلاد العرب ليست مقرًا لمستعمر غاشم، ولا مقامًا لغاصب دخيل. إنها بلاد أباة الضيم، وأبناء الإسلام وسلالة العروبة، وسيدافعون عن كرامتهم وعزتهم، والغلبة لهم إن شاء الله ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: الآية ١٧٣] إن العرب يفهمون جيدًا اللغة التي تفهمها بريطانيا والمنطق الذي تقبله برحابة وتقتنع به، وفوق ذلك .. هذه هي الحقيقة المرة، ولهذا يجب والحالة هذه أن تسد

(١) صحيفة اليمامة- العدد- في ١٣٧٥/٦/٢٣.

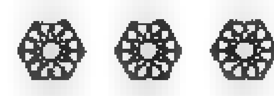
المملكة أبوابها في وجه هذه البضائع التي تدفع قيمتها ليمولها الإنجليز وإلى دبابات وطائرات نفاثة؛ ليحتلوا بها بلادنا ولينكلوا بالضعفاء من إخواننا .

إنني أبعث صرخة مدوية ، ولا أشك أبدًا أن هذا الطلب سيجد آذانًا صاغية من كل عربي أصبح يعرف بوضوح عدوه من صديقه ، ويدرك أين يحول عدونا ثمن البضائع التي نحن في غني عن الكثير منها ، ثم إن البضائع التي تصدرها بريطانيا إلى بلادنا في إمكاننا جلبها من دول أخرى ، هذا إذا كانت غير متوفرة في البلاد العربية .

إن اتخاذ خطوة موسمة في هذا الصدد متحتم الإسراع ، وليس مما يقبل التسويف والإمهال ، فلنأخذ حذرنا ، ولنبت في الأمر سريعًا قبل فوات الأوان ، وقبل أن نقول : ليت . وهل ينفع شيئًا ليت ؟ . وليتبع هذه الخطوة خطوات أخرى ، حتى نسترد الحق وتثوب بريطانيا إلى رشدها .

إنني على يقين أن كل من يعمل لمصلحة أمته وبلاده ، يدرك فائدة هذا العمل إدراكًا يدفعه إلى فعله .

إننا إن لم نفعل ذلك ، فسنكون كمن يقدم السلاح لعدوه لكي يقتله به ، وأخيرًا فإن هذا أضعف الإيمان ، فهل نحن فاعلون ؟



قاطعوا البضائع الفرنسية[١]

الجزائريون الأشاوس[٢] يخوضون معارك دموية رهيبة، منذ أكثر من ست سنوات، وهم يبذلون في شمم أغلى ما يملكون؛ بذلوا دماءهم عن طيب خاطر، وأرخصوا النفس والنفيس في حرب لا تكافؤ فيها؛ بين عدو لئيم يمده حلف الأطلنطي العدواني بطائراته ومعداته الحربية الهائلة، وبين أبطال يقاتلون بشرف ونبل، يريدون استرجاع حقوقهم السلبية.

والجزائريون ليسوا بعيدين عنا، إن الروابط الوثيقة التي تربطنا بهم هي أقوى وأمتن مما يربط أمريكا بفرنسا، وبريطانيا بفرنسا، بل شتان ما بين الرابطتين.

ومع ذلك فإن الأمر لا يتصور ولا يستساغ، ألا وهو موقف الدول الإسلامية والعربية المتخاذل من هذه القضية العادلة.

فبرغم التأييد الأدبي الذي تبذله الدول العربية والإسلامية، والمساعدات التي تقدمها، فإن عدم مقاطعتها لفرنسا اقتصاديًا وثقافيًا ودبلوماسيًا، لهو أمر يدعو للأسف والأسى.

إن ذلك يدل على عدم إحساس بالمسئولية، وتقدير للعدل والحق. وهو بالتالي يعطي برهانًا على تقديم بعض الناس مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة- هذا إن فرضنا أن في مقاطعة فرنسا- مضرة مادية.

إن فرنسا تحارب العرب والمسلمين في كل المجالات، حربًا صليبية وحشية، ولسنا في حاجة إلى أن نذكر بالقائد الفرنسي الذي وقف على قبر صلاح الدين الأيوبي، ليقول في عنجهية: الآن عدنا يا صلاح الدين. فهل يرضى بعد ذلك شخص، مهما كان مركزه، أن يبقى على صلات ودٍّ مع فرنسا. ففي

---

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٢٥٣) في ١٣٨٠/٦/٢٩- السنة الثامنة.

(٢) أشاوس وشوس جمع: شوس. يقال: شوس شوسًا: جرؤ وشجع وطال وتكبر فهو أشوس، وهي شوساء. «المعجم الوسيط» (شاس).

ذلك تأييد لها على الجرائم البشعة، سواء علم أم لم يعلم.

إننا نطالب كل الحكومات في العالمين الإسلامي والعربي أن تقاطع فرنسا مقاطعة كلية، وعلى الأخص المقاطعة الاقتصادية، ففي ذلك صفعة لفرنسا، وانتصار لأحرار الجزائر المجاهدين.

كما نطلب من التجار والموردين، إنهاء علاقاتهم التجارية مع الفرنسيين، ولا نحسب مسئولًا في البلاد الإسلامية والعربية، أو غير مسئول، يرضى أن يمد فرنسا بالمال لتصوبه رصاصًا وقنابل إلى صدور المكافحين في الجزائر.

إن مقاطعة فرنسا واجبة، بل هي أقل الواجبات، وأضعف الإيمان.

ويجب تأييد الجزائريين للتخلص من استعمار غاشم، هو أنذل استعمار وأشد قسوة وهمجية، يجب تأييدهم بالمال والسلاح والمقاتلة، جنبًا إلى جنب معهم إذا دعت الضرورة، فالعدو مشترك، والعدو لا يقاتل بقواته- على كثرتها- وحده، ولكنه يقاتل بسلاح أمريكا، وبمعونة ألمانيا وبريطانيا ودول حلف الأطلنطي جميعها.

وهو لا يقاتل المحاربين، كما هي عادة الحرب الشريفة، وإنما يفتكون بالمدنيين العزل، ويدكون قرى بكاملها على رؤوس أهلها، ليدفنوا تحت الأنقاض، ويهتكون أعراض النساء العفيفات، ويبقرون بطون الحوامل؛ ليتخذوا من ذلك ملهاة وسلوى، فهل بعد هذا يعقل أن تقف الدول الإسلامية والعربية على صلات الود مع فرنسا.

وماذا ينبغي أن يسمى من يعارض في قطع العلاقات معها؟

الواقع أن من الصعب اختيار لفظ مناسب في اللغة العربية على سعتها، لنطلقه على مثل هذا الشخص، ولكنا نقول: إنه سيحاسب على فعله الأرعن[1] يومًا ما.

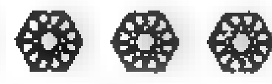
---

(١) الأرعن: الأهوج في منطقة المسترخي، وأيضًا: الأحمق المسترخي. «تاج العروس». مادة (رعن).

وإننا في الوقت الذي نطالب فيه بالحكومات والشعوب مقاطعة فرنسا عامة ، نقدم هذا الاقتراح ، آملين أن يلاقي تنفيذًا وتجاوبًا ، هو أن تستخدم الحكومة سلطتها ، فتمنع التجار المستوردين من إدخال البضائع الفرنسية في البلاد العربية .

وقيل ذلك تنشر إعلانات في الصحف والإذاعة ، تعلم فيها التجار حظر الاستيراد والتعامل مع الفرنسيين ، ولا تسمح باستيراد شيء من فرنسا إطلاقًا . ومن يخالف من التجار الجشعين ، يمنع من إدخال بضاعته البلاد ، مع معاقبته عقوبة رادعة .

إننا نأمل أن يتحقق هذا وأكثر منه في البلاد الإسلامية والعربية جمعاء ، ونقترح أن تقوم حكومتنا بهذا السبق الكريم ، لا سيما وأن مما يسجل لها من مآثر حميدة ، أنها قد قطعت العلاقات الدبلوماسية مع هذه الدولة الغادرة منذ سنوات ، فهي إذ تخطو الخطوة الثانية ، تكون قد أضافت مجدًا إلى مجد ، ومكرمة إلى مكارم ، وما إخالها إلا فاعلة .



مناصرة الجزائر[1]

وما أدراك ما الجزائر .. إنها تلك الكلمة الضخمة التي ترمز للبطولة والشمم ، وتبدي روعة جهادها مشعلًا وهاجًا ، ينادي على الصمود الباهر ، والإقدام العظيم .

لقد دهش العالم وهو يرقب هذه الحرب الدامية التي أوشكت أن تمضي سبعًا من السنين الرهيبة .

وأبناء الجزائر يقدمون الدليل تلو الدليل على العزيمة والمضاء غير هيَّاب ولا وجل . وكان[2] الدماء التي تلطخ مدن الجزائر وصحاريها وجبالها من أجسادهم بارود[3] ملتهب ، يزيد ضرام حماسهم واستبسالهم في نيل حقهم المغتصب ، وكرامتهم المهدرة .

حاربوا فرنسا بقواتها النارية ، وجيوشها المدربة العاتية ، ومعونات حلف الأطلنطي ، وأمريكا بصفة خاصة .

لقد أعجب الأعداء والأصدقاء بروعة كفاح الجزائريين ، ورأوا فيها مادة دسمة ، لإعادة الذكريات الأسطورية ، بيد أنها حقيقة حية .

ونال الجزائريون مكاسب معنوية ثمينة ، وأدركت شعوب العالم أحقية الجزائريين ، واعتداء الفرنسيين .

هذه حال الجزائر ، وتلك حال فرنسا ، ذلك العدو الذي عرفه العالم تافهًا حقيرًا ، يوم دخلت الجيوش الألمانية باريس ، مكتسحة جيش فرنسا الباغية ، إنه لمن أكبر النكبات أن يحارب الجزائريون أنذل جيش لأحقر دولة ، ولكن لا بد

---

(١) صحيفة اليمامة- الحج (٢٦٩) في ١٣٨٠/١٠/٢٣.

(٢) كذا بالأصل .

(٣) البارود : خلط من ملح البارود والكبريت والفحم يكون في قذائف الأسلحة النارية ، ويستعمل في النسف أيضًا . « المعجم الوسيط » .

مما ليس منه بد . فليطردوا هؤلاء الباغين ، وليطهروا من رجسهم أرض الجزائر .

وبقي على البلاد الإسلامية ، شعوبًا وحكومات ، أن تقوم بدورها الفعال في نصرة الجزائريين ، وهو شيء واجب .

ولا عذر في التخلف عن القيام به ، وهو حق يمليه الدين والضمير والقيم الكريمة . إن على العالم الإسلامي أن يثبت وجوده ، وأن يقف في وجه فرنسا المجرمة وقفة تعيد لها صوابها . أما نوع ذلك العون ، وأما شكله ، فهذا ما ينبغي أن تقرره الدول والشعوب . إلا أن مقاطعة فرنسا اقتصاديًا ، يجب أن يكون في الطليعة ، وبلا تأخر ، وإنا نطالب حكومتنا بما لها من مركز مرموق في العالم الإسلامي الآخر ، أن تبدأ باتخاذ هذه الخطوة ، وتمنع الاستيراد من فرنسا . ونأمل أن تحذو سائر الحكومات هذا المنحى .

أما أن يعلل البعض بأن في مقاطعة فرنسا اقتصاديًا أضرارًا مادية ، فهو قول لا يتمشى والمنطق السليم . أولًا : لأن المسألة ليست مسألة تجارية ينظر فيها بعملية حسابية ، وإنما هي مسألة كرامة ودفاع عن حق مهضوم ، وعن إخوان معتدى عليهم . فهي إذن انتصار لحق ، مع قطع النظر عن الخسائر والأرباح المادية ، لأنها أكبر وأخطر .

ثانيًا : إنه إن كان لبعض البلدان مصلحة مع فرنسا ، فإنه يشك في أن أضرارًا ستلحق المملكة العربية السعودية من مقاطعتها فرنسا اقتصاديًا .

وقد يكون هناك شيء من الخسائر المادية ، ولكن هذا معنى المناصرة الحقيقية .

أما إن كانت الأضرار التي ستلحق من جراء المقاطعة شخصية ، فالأمر يدعو للاستغراب ، إننا يجب أن نبادر بهذه الخطوة ، فنحن أحق بنيل هذه المكرمة ، وأولى بالبداءة بها ، وإنا لمنتظرون .

الجزائر والحروب الطاحنة(١)

ست سنوات متواصلات، والحرب في الجزائر لم تهدأ، والجزائريون البواسل يقدمون في كل يوم براهين البطولة إلى حد الإعجاب من العدد قبل الصديق، وحتى تركوا في الدنيا دويًا هائلًا ومجدًا رائعًا كأنما عناه أبو الطيب في قوله:

وتركك في الدنيا دويًا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر(٢)

لم يكن في حرب الجزائر تكافؤ من الناحية المادية، بل كان صراعًا بين قوة مادية غاشمة، لا تعبأ بحق أو خلدق(٣)، حكمها شريعة الغاب، وبين مجاهدين قل عددهم وعدتهم، ولكنهم لم يهنوا، ولم يستسلموا للطغيان، وإنما ناضلوا بقوة إيمان وثبات جنان، ودفاعًا عن حقوق مسلوبة، وزودًا عن الأعراض أن تنتهك، لم يتخاذلوا، وقد رأوا من الوحشية وصنوف التعذيب ما لا يصدقه العقل، بل ازدادوا إصرارًا على نيل مطالبهم الشريفة، وحقوقهم العادلة، فسجلوا الصفحات الناصعة الوضاءة في التاريخ الحديث. إنهم لم يحاربوا جيش فرنسا المزود بأنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة، والمعدات القوية الرهيبة وحده، وهو يربو على نصف مليون جندي، وإنما صمدوا أمام المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين المسلحين، وحاربوا مع هؤلاء جميعًا حلف الأطلسي بكامله؛ بطائراته ودباباته وجنوده ومساعداته المختلفة؛ ذلك الحلف المشئوم الذي يناصر فرنسا الباغية، ويضع تحت تصرفها قواته الضخمة، لتتكل بالأحرار المجاهدين، ولتمعن في حرب الإبادة التي تشنها في الجزائر.

---

(١) صحيفة القصيم- الثلاثاء ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٨٠.

(٢) ينظر يتيمة الدهر ١/ ٣٥، وأبو الطيب المتنبي ما له وما عليه للثعالبي ص ٣٤.

(٣) غير واضحة بالأصل.

ووقف المجاهدون الجزائريون صامدين، رغم طائرات أمريكا التي تمد بها فرنسا ورغم المعونات الكثيرة، والقروض العديدة التي لا تفتأ أمريكا تزود بها فرنسا تباعًا.

لقد خسر الجزائريون الكثير، ولكنهم قد صمموا على المضي حتى تستقل بلادهم، ويطردوا الفرنسيين المعتدين.

إن فرنسا قد قتلت ما يزيد على مليون جزائري في حربها البشعة، ووضعت في معسكرات الاعتقال ما يزيد على مليونين، أو ما يسمونها معسكرات التجميع، التي يعاملون فيها الجزائريين أقسى معاملة هذا إلى العدد الكبير من المشردين واللاجئين في تونس والمغرب وغيرهما.

لقد كانت بطولات الجزائريين مضرب المثل، ولقد أعادوا ذكريات قديمة سجلها التاريخ بإعزاز.

وفي حروب كانت القلة فيها من المسلمين تنتصر على الكثرة الكافرة من أعدائهم، حتى كان حديثها أشبه بالأساطير، وحتى كان البعض يشككون في صحة الروايات فيها.

وها هو التاريخ يعيد نفسه، وها هم الجزائريون أحفاد أولئك الشجعان المغاوير، يقيمون الدليل تلو الدليل، على أن التفوق في العدد والعدة ليس ضامنًا للنصر دائمًا، وإنما الإيمان الذي يأتي بالعجائب والخوارق.

وكما امتشق الجزائريون الحسام وثبتوا في الحرب الساخنة، فقد وقعوا إزاء حرب الأعصاب، والدعايات المضللة، وخداع ديغول وأضرابه من ساسة فرنسا ومناوراتهم، فلم يلقوا السلاح كما طلب ساسة فرنسا المستعمرون؛ لينتظروا انتخابات مزيفة تجري تحت الحديد والنار.

ولم يكترثوا بتضليل ديغول عندما يريد تقسيم الجزائر، وتفتيت وحدتها؛ لتكون لقمة سائغة لمطامعه.

ولم يخدعوا بوعد تقرير المصير المرتبط مع فرنسا (الأم) المنحوسة، ولم يكن الجزائريون أمام خصم شريف، يرعى للعهود والمواثيق حرمة، بل كان خصمًا غادرًا، لا، ولا يقاتل جنوده بشرف، بل يصبون حام غضبهم على المدنيين العزل فيقتلون من النساء والأطفال والشيوخ بلا حساب، ويدكون قرى بكاملها، في الوقت الذي يفرون فيه من المعركة مذعورين. ولقد شهد العالم، كيف خر الجيش الفرنسي على ضخامته واستعداده أمام الجيش الهتلري، لا يلوون على شيء وعرفهم العالم في الهند الصينية، يوم سقطت ديان بيان هو، وأتوا مجللين بالخزي والعار. ولم تجدهم قواتهم الصحية الكبيرة، والمساعدات التي تنهال عليهم من أمريكا وغيرها. وهذا ما سيكون في الجزائر- بإذن الله- فسوف تنهزم فرنسا، ولن يقف دون طردها معونات أمريكا وبريطانيا وألمانيا، ومؤزرات حلف الأطلنطي.

ومع ذلك يجب أن تعمل الدول الإسلامية والعربية وشعوبها أعمالًا وإيجابية، لتأييد الجزائر في حربها العادلة. وأن لا تكتفي بمساعدات ضئيلة، بل يجب أن تقوم بمجهودات جبارة، مادية وأدبية، نصرة للحق والعدالة. وأما أن يقف المسلمون والعرب من قضية الجزائر موقفًا سلبيًا، أو موقف المتفرج، في حين أن فرنسا بقواتها الضخمة تنال الكثير من المساعدات والتأييد القوي من الدول الاستعمارية وتشن حملتها الصليبية بلا هوادة. فهذا مناقض لكل الاعتبارات والمفاهيم السليمة.

إن انتصار الجزائر انتصار للمسلمين والعرب في كل مكان، كما أن خذلانها- لا قدر الله- نكبة على المسلمين والعرب جميعًا.

ولقد طلبت حكومة الجزائر أن تجري انتخابات حرة في البلاد، تحت إشراف الأمم المتحدة، وهو مطلب معقول وعادل، ومن واجب الحكومات الإسلامية والعربية- تأييد الجزائريين في تحقيق هذا المطلب النبيل.

وقد ظهرت بوادر حسنة في مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في مصيف شتورة بلبنان ، والذي قرر فيه المؤتمر الموافقة على مساعدة المتطوعين العرب ؛ للالتحاق بجيش التحرير الجزائري ، وغير ذلك .

وقد تقدم نائب رئيس الوزراء في حكومة الجزائر بمطالب حكومته لهذا المؤتمر ، ومن جملة ما طلبه مقاطعة فرنسا اقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا وفنيًا من قبل الحكومات العربية . وعسى أن تستجيب الحكومات العربية لهذا الاقتراح .

وأخيرًا فإن على المسلمين والعرب عبئًا جسيمًا ، وواجبًا تجاه قضية الجزائر . وإنا لنأمل أن يقوموا بهذا الواجب ، وأن يسدلوا التضحيات المادية والأدبية ، وأن يثبتوا أنهم جادون في مساعدة الجزائر مساعدة فعالة ، حتى يكتب اللّٰه للجزائر النصر المؤزر ، وحتى تندحر فرنسا ومن يمدون فرنسا ويمالئونها على الشر والعدوان .



في اللهب
ماذا بعد تفجير فرنسا لقنبلتها الذرية[١] ؟!

قامت فرنسا بعملها الطائش ؛ ففجرت قنبلتها الذرية الأولى في صحراء الجزائر ، وضربت عرض الحائط بصيحات الاستنكار والاحتجاج على إجراء التجارب النووية ، وأصر العجوز ديغول على أن يلحق بزمرة الدول المالكة للذرة ، مهما كلف الثمن ، ومهما خرق من قوانين ، وأثقل كاهل دولته المحطمة ، وميزانيته الفقيرة ، وغير عابئ بالأخطار التي تهدد سكان المنطقة والبلاد المجاورة ، حتى لقد قيل : إن فرنسا نفسها قد يصل إلى شواطئها أضرار القنبلة الديغولية . أما سكان الجزائر التي تتشدق فرنسا في هوس مضحك ، أنها قطعة فرنسية ، تجب إعادتها لحظيرة الأم الحنون فرنسا ذات الإشعاع !! والتمدين الذي ينبغي أن يدخل على الناس بالحديد والنار ؛ ليكونوا أكثر وعيًا له ، واعترافًا بمجد حاميه الكنسية المسيحية في العالم !!

ولو انهارت أخلاقنا ، كما أنها على حافة الانهيار الاقتصادي الذي يئن تحت ضربات الأبطال الجزائريين ، أما الجزائر فإنها حقل صالح للتجارب النووية ؛ لأنها يقطنها الجزائريون المسلمون ، وما يهم فرنسا من بقائهم !! بمثل هذه الأفكار الإجرامية . أقدم ديغول على تجربته التي ستؤدي بجمهوريته الخامسة بدل أن تبلغها قمة المجد .

إن المجد المزعوم الموهوم ، والإمبراطورية الزائفة ، هما اللذان يملكان كل حواس العجوز المهرف ، وهو يحسب أنه سيقف جنبًا إلى جنب مع أمريكا وروسيا ، أو على الأقل بريطانيا ، ويستسلم المحاربون الجزائريون لينعموا بفصل

(١) صحيفة القصيم - العدد (١٣) في ٢٦- ٨- ١٣٧٩.

فرنسا، ويستفيئوا وارف ظلها الذي عرفوه خلال قرن وربع. وبالتالي تبقى البلاد الفرنسية ما وراء البحار- كما يسميها المستعمرون الدخلاء- ولا يستبعد أن ديغول ينوي إلقاء قنابل ذرية على معاقل المجاهدين في الجزائر؛ أسوة بترومان في هيروشيما، وناكازاكي، وليس التعصب الأعمى والحماقة المعروفة لدى الفرنسيين بقليلة، حتى يهون من افتراض هذا الرأي.

أما نتيجة هذا التفجير، فهو السخط العام من شعوب العالم ودوله، وحتى دول ذات فضل على فرنسا، تغرق إحسانها ومعوناتها، ولكنها تنكرت للإحسان، وجحدت الأفضال، حتى هذه الدولة الصديقة، استنكرت إقدام فرنسا على تفجير القنبلة الذرية، ووصفت إحدى الصحف الأجنبية، تفجير فرنسا للقنبلة الذرية، بأنه صيحة أقرب ما تكون إلى صوب من الماضي ذاب وانقضى، وقال حلفاؤها: إنها لن تصل إلى الدرجة التي وصلت إليها الدول الكبرى، فلن تقف معها على قدم المساواة.

وأبطال الجزائر أعلنوا إصرارهم على الاستمرار في الكفاح، ولم تأت النتيجة التي كان يتخيلها الدكتاتور الفرنسي العجوز الخرف. والاقتصاد الفرنسي المترنح تحت الضربات القاصمة من الجزائريين البواسل، والخلافات المتوترة بين ديغول والزعماء الآخرين من معارضيه، والأعباء الكثيرة تزداد ضخامة، والاحتجاج والاستهجان يتوالى من كل مكان.

ولكن هل تراجع ديغول؟ كلا، إنه قد ركب رأسه، وأعلن في صفاقة ورعونة. إن إجراء التجارب النووية ستتكرر، وفي وقت قريب.

وإذًا فهل هناك ما يوقف هذا العمل الجنوني عند حد؟ إن هناك ما يضع حدًا لهذه المآسي والحماقات؛ وسائل كثيرة يمكن أن يعملها أولئك الذين سيتضررون بهذه التفجيرات النووية، والتي ستصيب بلادًا[1] كثيرة بالإشعاعات

(١) في الأصل: «بلاد».

الفظيعة ، فمثلًا إنشاء جيش إفريقي موحد ، تشترك فيه الدول الإفريقية ، ويحارب جنبًا إلى جنب مع جيش التحرير الجزائري ، وغيره من الجيوش التي تروم استقلالها بالقوة ، بعد أن أعياها نيلها بوسائل اللين والمهادنة ، بل ويجدر أن يكون مستعدًا لغزو باريس إذا استمرت في اعتدائها الأثيم .

وهذا الرأي قد نوقشت فكرته في مؤتمر تونس .

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وفيه طريق آخر ، هو مقاطعة فرنسا اقتصاديًا وسياسيًا ، أو تجميد الأموال الفرنسية الموجودة في البلدان الإفريقية أسوة بغانا .

ولعل هناك وسائل أخرى ذات فعالية تعيد فرنسا إلى صوابها .

أما الاكتفاء بالاحتجاج ورسائل العتاب ، فهذا أمر يدعو للأسف والرثاء ، وذلك ما يفسح المجال أمام دولة حاقدة يسيرها مجانين أعداء للإنسانية وعاملون ضد السلام .

ثم نتساءل بعد ذلك ، وما هو موقف الدول الإسلامية والعربية في هذا الشأن الذي يهدد حياتهم ومستقبلهم ، ويعرضهم لكوارث فظيعة ، ولخطر ماحق . نرجو أن نرى حلًا سريعًا ، يعيد الدولة الباغية إلى دولة متعقلة ، تحسب لكل شيء حسابه ، وتفكر ألف مرة ومرة قبل أن تقدم على تجربة أخرى .



وأخيرًا استقلت الجزائر[1]

الجزائر ذلك القطر الذي أصبح اسمه يقترن بالبطولة والاستبسال ، بل ذلك البلد الأسطوري ، المغوار .

الذي قدم من الضحايا ، وخسر من الأموال ، وبذل من الجهد ما لم يقع لأي شعب آخر .. قد ظفر باستقلاله في غرة صفر سنة ١٣٨٢ الموافق ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ بعد أن ابتلي بالاستعمار الفرنسي مائة واثنين وثلاثين عامًا ، وكانت الدوافع العديدة قد أملتها على فرنسا ، فمن طمع في نهب ثروات البلاد الغنية إلى رغبة في التوسع والسيطرة وامتداد الإمبراطورية الفرنسية إلى حقد صليبي تمتد جذوره إلى مئات السنين ، هذه الجزائر قد طوحت بالاستعمار البغيض استعمار فرنسا الغادرة التي تدرعت بأوهى الأسباب لاحتلال الجزائر ، وأخفت الأهداف الحقيقية من وراء عدوانها وضربت بمعاهداتها مع دولة الجزائر المستقلة عرض الحائط ؛ فبين عام ١٦١٩ وعام ١٨٣٠ أبرمت فرنسا مع دولة الجزائر ٥٧ معاهدة صداقة وتحالف ، وقد اعترفت في تلك المعاهدات باستقلال الجزائر وسيادتها ، وفي القرن السابع عشر وقعت انجلترا وهولندا مع حكومة الجزائر معاهدات مختلفة ، وفي عام ١٧٩٥ تم التوقيع على معاهدة سلام وصداقة بين الجزائر وأمريكا ، وقد طلب الملك فرانسوا الأول في القرن السادس عشر معونة الأسطول الجزائري للدفاع عن ساحل "بروفونس" ضد إسبانيا والملك شارل الخامس ؛ بناء على المعاهدات المبرمة بين الحكومتين .

وقد طلب الملك هنري الرابع ملك فرنسا معونة الجزائريين لتحرير مرسيليا من الإسبان .

وفي عام ١٧٩٧ حطمت الجزائر الحصار المفروض على فرنسا وزودتها

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٣٢) الأحد ٦ صفر سنة ١٣٨٢هـ .

بالقمح والمال ، خلال الثورة الفرنسية ، وكانت فرنسا مدينة للجزائر بثمانية عشر مليونًا من الفرنكات الذهبية ، وكانت تماطل في تسديدها . وفي ٢٩ من إبريل سنة ١٨٢٧ استدعى الداي حسين رئيس الدولة الجزائرية قنصل فرنسا ، وسأله : متى تدفع حكومته الدين الذي في ذمتها للجزائر ؟ فرد القنصل بأن حكومته لن تكتب شيئًا في هذا الموضوع . فغضب الداي وأمر القنصل بمغادرة المجلس ، فرفض ، فانهال عليه ضربًا بمروحة كانت في يده .

وفي ٤ يوليو اعتذر الداي لفرنسا ، وكان اعتذاره كافيًا ، إلا أن فرنسا كانت مصممة على استعمار الجزائر ، وقد جعلت من حادثة المروحة وسيلة لتبرير أعمالها الوحشية في الاعتداء على الجزائر ، وقد قال مترونيخ- كبير ساسة النمسا في ذلك الحين- : ليس من المعقول أن ينفق المرء ١٠٠ مليون فرنك ويعرض حياة ٤٠ ألف رجل للخطر ، وذلك من أجل صفعة بمروحة . ولكن الأسباب الحقيقية هي الطمع الاستعماري من جهة ، ومحاولة إزالة الإسلام وجعل الجزائر بلدًا مسيحيًا من جهة أخرى .

ومن النداءات التي كانت توجه للفرنسيين؛ ترغيبًا لهم في السفر إلى الجزائر ..

هذا النداء : ما زالت أمامنا فرصة عظيمة تسمى الجزائر ، وهو اسم ينبغي أن يعرف في فرنسا أكثر ما هو معروف فيها الآن . إن الجزائر هي آخر مصدر وصلنا إليه من مصادر عظمتنا ، إنها أرض فرنسية يجب استيطانها في أقصر وقت ممكن ، ويتحتم على الفرنسيين امتلاكها وحرثها إذا أردنا أن نعتمد على شيء نفاخر به الأمم في تسوية شئون الإنسان في يوم من الأيام قريب .

وكتب القس سوشيه إلى عاهل فرنسا يقول : إن مسيو فاليه رجل عميق التفكير ذو ضمير حي ولا تنقصه الحيلة .

إنه يحكم الجزائر كأكثر الملوك إطلاقًا في الحكم ، إنه الرجل الذي ليس

للمستعمرة غنى عنه ، إنه يرغب في أن يستتب الدين المسيحي ، وأن يحترمه الجميع .

إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس في الجزائر ، إن مولاي ليستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه الذي اختار أجمل مسجد في قسنطينة ؛ ليجعل منه أجمل كنيسة في المستعمرة ، وفي هذه الكنيسة وقف سكرتير الحاكم بوجو ليقول : إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عامًا ، لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض التي تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا ملكًا لفرنسًا إلا إذا أصبحوا مسيحين جميًعا . وكتب الكاردينال لا فيجري إلى الإدارة الفرنسية يقول : علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لننشئهم على مباديء غير المبادئ التي شب عليها أجدادهم ، فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل ، أو طردهم إلى أقاصى الصحراء بعيدًا عن العالم المتحضر .

وقد ذكر الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرنسيس جنسون في كتاب لهما يقولان :

« لعل العبث بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد روفيجو ، ليعيث فيه فسادًا ، فقد وقف هذا القائد الفاجر ونادى بين قومه بأنه يلزمه : أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدًا للمسيحيين وطلب من أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن ، وأشار لهم إلى جامع العشاوة ؛ لأنه كما قال : أجمل جوامع الجزائر طرزًا وبالفعل تحدد ظهر يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٢ لإنجاز هذا العمل وتحقيق هذه الرغبة ، ففي الميعاد السالف تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبتها للعمل وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفؤوس ، وإذا بداخله أربعة آلاف مسلم اعتصموا خلف

المتاريس، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ودحرتهم بالسناكي فخروا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود، واستمرت العملية طوال الليل حتى إذا تنفس الصباح كانت النظم قد تمت والقرارات قد صدرت وصار الجامع كاتدرائية الجزائر.

ولقد بذلت فرنسا الكثير لتنصير الجزائريين، ونشرت بينهم المبشرين، وقدمت لهم المساعدات الطائلة، وعطلت المدارس- ولا سيما مدارس تحفيظ القرآن- واستولت على أوقاف المساجد، وصارت هي التي تعين الأئمة والمؤذنين والمفتين وتستخدمهم في أغراضها.

وجعلت القضاء فرنسيًا والقضاة فرنسيين.

وحولت كثيرًا من المساجد إلى كنائس.

وعندما لا تجد الاستجابة المؤملة من الجزائريين، فإنها تفتك بهم فتكًا جماعيًا في أقسى ما عرف عن الاستعمار وأشده وحشية، بل لقد عملت فرنسا على إبادة الجزائريين ليحل محلهم فرنسيون ومسيحيون.

وقد قال الجنرال برنار وزير الحرب الفرنسي سنة ١٨٣٣:

يجب أن ندخل في الحساب كل شيء حتى إبادة السكان المحليين، فلربما كان الحرق والهدم وتخريب الزراعة الوسائل الوحيدة لتثبيت سيطرتنا.

وقد أوفد البرلمان الفرنسي لجنة إلى الجزائر بعد ثلاث سنوات من استعمار الفرنسيين للجزائر؛ لتحقق في ما يجرى ضد الوطنيين الجزائريين.

وجاء في تقرير اللجنة: «لقد قضينا تمامًا على أملاك المؤسسات الدينية وصادرنا أملاك فئة من السكان، كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها، وبدأنا استعمال سلطتنا بفرض غرامة ١٠٠,٠٠٠ فرنك كقرض إجباري، وذهبنا أحيانًا إلى حد أن أجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم بيوتهم، بل نفقات هدم أحد المساجد، وأجرنا ممتلكات المؤسسات الخيرية إلى الغير، وانتهكنا- دون

خجل- بيوت اللّه ، والمقابر ، والدور ، وكلها ذات حرمة لدى المسلمين ، وقتلنا رجالًا يحملون منا ورقة الأمان ، وذبحنا سكان قرى عن آخرهم لمجرد الشك فيهم . ثم تبينت لنا بعد ذلك براءتهم ، وحاكمنا رجالًا يعرفون بالتقوى في البلاد . رجالًا محترمين ؛ لأنه كانت لديهم الشجاعة الكافية لمقابلتنا والتعرض لغضبتنا لا لشيء سوى السعي لإخوان لهم بائسين. ولقد قام قضاة منا بمحاكمتهم وارتكب رجال متمدينون منا الحكم بإعدامهم .

لقد فقنا في البربرية هؤلاء الذين جئنا لتمدينهم» .

وإن من ينظر لأعمال الفرنسيين الوحشية في الجزائر ليدرك أنهم كانوا يهدفون إبادة الجزائريين والقضاء عليهم عن آخرهم .

وإن الأحقاد الصليبية قد ملأت نفوس الفرنسيين غيظًا على أهل الجزائر ، ولذلك عملوا من الفظاعة والهمجية ألوانًا لا يصدقها العقل .

وفي شهادات الفرنسيين ما ينطق بذلك ؛ فقد كتب القومندان رين في مذكراته التي نشرها بباريس عقب غزو فرنسا للجزائر قائلًا : لقد جاء الغزو الفرنسي للجزائر نكبة قاصمة على أهل البلاد ، فلم يبق الغزاة على شيء من أماكن التعليم والعبادة ، فقد استولوا على تلك الأماكن وعاثوا فيها فسادًا .

وكتب الجنرال آزان يقول : لقد استولينا على قصر الأسير عبد القادر ، وأشعل الجنود النار في مكتبته التي كانت تحتوي على مئات الآلاف من المجلدات العلمية الثمينة ، وجعلوها أثرًا بعد عين . إن الفرنسيون الذين أعماهم التعصب ، قد أرادوا القضاء على تراث الجزائر وأمجادها ، وقطع صلتها بالإسلام وعلومه .

ففي عام ١٩٦٢ أحرقت منظمة الجيش السرية الإرهابية مكتبة الجزائر ، وكانت تحتوي على ستمائة ألف مجلد .

وقد تحدثت عن هذه الواقعة صحف العالم وإذاعاته واستنكرها العالم أجمع .

ولكن من يحاول استئصال شعب بكامله وإبادة بلاد بأجمعها لا يعجز عن

محاولة إتلاف المكتبات ودور العلم والعبادة وتعطيل المدارس ..

يقول أحد قادة الفرقة الأجنبية : إنه كلما وقع كمين ، ومات فيه رجل من رجال ، أعمد إلى أول قرية أجدها في طريقي ، ثم أجمع كل رجالها ، وأعدم نصفهم بدعوى أنهم لم يخبروا الجندي الفرنسي بوجود كمين في المكان .

وجاء في كتاب (سيمون ضد التعذيب) :

آب مارس سنة ١٩٥٦:

بالأمس كانت الحركة عظيمة في معسكرنا ، فقد وقعت عربنا نقل تابعتان لفرقة المظلات في كمين نصبه الثائرون ، وكانت نتيجة الكمين أن قتل ضابط صغير وجندي فأخذت فرقتنا تستعد ثم تحركت فرقتنا في الساعة الرابعة راحلة نحو السهول ، وبدل أن نأخذ طريقنا لإمداد الفرقة التي وقع عليها الهجوم سرنا نحو قرية من القرى المجاورة لنا ، وهناك ابتدأت عملية التفتيش وإلقاء القبض على الرجال وضربهم الضرب المبرح وكانت القريتان على بعد ٥٠٠ متر من معسكرنا ، وعلى بعد ثمانية أو تسعة كيلو مترات من مكان الكمين ، لكن رجالنا وقع اختيارهم على القريتين لصب جام الانتقام عليها ، وباشرت الفرقة الأولى عملية السلب والنهب ، فلم تترك شيئًا إلا وأخذته أما فرقتي أنا ، فقد كان مسلكها أحسن من ذلك ، وبعد هذه العملية صعدنا فوق هضبة ، وأخذنا نشاهد ، وكأننا في مقصورة أمامية في إحدى المسارح ؛ عملية نسف المدفعية للقرية .

وجاء في أحد التقارير الرسمية : بناءً على تعليمات الجنرال روفيجو ، خرجت قوة من الجنود في مدينة الجزائر في ليلة السادس من إبريل سنة ١٨٣٢ وانقضت قبيل الفجر على أفراد القبيلة ، وهم نيام تحت خيامهم ، فذبحتهم جميعًا دون أن يستطيع أحد منهم الدفاع عن نفسه ، وقد لقي الجميع حتفهم بغير ما تمييز بين رجل وامرأة ، وقد عاد الفرنسيون من هذه الحملة وهم يحملون رؤوس القتلى على أسنة رماحهم .

وكتب المارشال سانت أرنو إلى أهله يقول : إن بلاد بني منصر بديعة ، وهي من أجمل ما رأيت في إفريقية ، فقراها متقاربة ، وأهلها متحابون ، ولقد أحرقنا فيها كل شيء ، ودمرنا كل شيء . وفي خطاب أرسله إلى زوجته قال : إني أفكر فيكم جميعًا ، وأكتب إليكم ويحيط بي أفق من النيران والدخان ، لقد ذهبت إلى قبيلة البراز ، فأحرقتهم جميعًا ، ونشرت حولهم الخراب ، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ، ولكن على نطاق أوسع .



فهرس الكتاب

❁ ❁ ❁